

الكنوز عبت الرحمن رأفت الباشا

لغة المستقبيل



لغة المستقبل

الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

لغة المستقبل

اعتنى به

يحيى بن عبد الرحمن الباشا

دار الأدب الإسلامي
للنشر والتوزيع

عنوان الكتاب : لغة المستقبل
المؤلف : الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا
اعتنى به : بهاء بن عبد الرحمن الباشا
الغلاف والمخطوط : منير الشعراوى
الإعداد الفنى والتنضيد الضوئى : دار الأدب الإسلامى

جميع الحقوق محفوظة © 1390 هـ - 1971 م

الطبعة الأولى : 2005 / 12 / 17 م

الإصدار الثالث : 2015 / 5 / 20 م

رقم الإيداع : 2005 / 3371

ISBN : 978-977-5827-09-4

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب كلياً أو جزئياً بأي شكل من الأشكال ،
أو تخزينه في أي نظام لحزن المعلومات واسترجاع الكتاب أو جزء منه ،
أو نقله على أي هيئة أو بأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية ،
أو استنساخاً أو تسجيلاً أو تحويله إلى عمل إذاعي أو مرئي أو غير ذلك ،
أو اقتباس أي جزء من الكتاب ، أو ترجمته لأي لغة أخرى ..
إلا بعد الحصول على إذن خطي مسبق ..



ص. بـ: 81 - بريد بانوراما 11811 القاهرة

جمهورية مصر العربية

هاتف وتاسوخ: 25147626 (2) 20+

خلوي: 05105577 (10) 20+

P.O. Box : 81 - Panorama 11811

C a i r o - E g y p t

Tel. & Fax : +20 (2) 25147626

Mob. : +20 (10) 05105577

E . Mail : ilhonline@gmail.com

Face Book : http://fb.com/ILH4Pub

Website : www.ilh4pub.com

تصدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد ...

فمما لا ريب فيه أنّ العربية قد وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً ، بعد أن كانت لغة الصحراء والفيافي والقفار ... ومما لا ريب فيه أيضاً أنّ العربية قد اتسعت لفلسفة اليونان ، وحكمة الهند ، وأدب الفرس ، وغيرها وغيرها ... ولولاها لضاع الكثير مما حفل به التراث الإنساني عبر القرون ؛ من علوم ومعارف وفنون .

ولم يقتصر دور العربية على ذلك فحسب ؛ بل احتضنت كلّ مستجدات النهضة في شتى الميادين العلمية ... فلقد كان ناطقوها أول من سنّ الدساتير الطبية ودوّن كتب الصيدلة ، وفهم الانعكاس والانكسار ، كما ابتكروا علم الجبر ... وكلّ تلك العلوم وغيرها احتاجت إلى مصطلحات ؛ وكلّها وجدت مصطلحاتها الدقيقة المعبرة في لغتنا المتسعة الزاخرة .

ومع تلك الحقائق الثابتة الدامغة ؛ نجد في عصرنا الحاضر من يرى ؛ أنّها لغة عقيمة متحجرة ؛ لا تصلح لعصر الآلة والذرة .

إلا أنّ هناك آراء مخالفة مغايرة ترى في أنّ هذه اللغة ليست خالدة على فناء الزمان فحسب ؛ ولكنها لغة المستقبل^(١) ...

ومن الحقائق التاريخية الثابتة ما عبر عنه أحد المستشرقين : بأنّ اللغة العربية لم تتفقر قطّ فيما مضى أمام أيّ لغة من اللغات التي احتكت بها ، وذلك أنّ لها ليناً ومرونة يمكنانها من

(١) انظر ص ١٦ من هذا الكتاب .

التكليف وفقاً لمقتضيات العصر^(١).

ولا غرو؛ فللعربية من مكان الحياة، وعجائب الأسرار، وعبقرية الأداء؛ ما جعل حافظ إبراهيم - رحمه الله - يصفها بالبحر؛ حيث قال:

أنا البحر في أحشائه الدّر كامن فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
وعلى الرغم من وجود ذلك الوعي الفائق بلغة القرآن لدى خاصة المختصين؛ إلا أنه
مغيّب لدى العامة من أبناء أمتنا... وهذا ما حدا بالمؤلف - رحمه الله - لأن يخاطب العامة قبل
الخاصة في جلسات عقدها بين والد وولده... وها نحن أولاء نقدّمها للقراء الكرام مطبوعة؛
بعد أن قدمتها إذاعة الرياض مسموعة عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

وقد اجتهدت في وضع عنوان لكل جلسة من جلساتها، مع مطابقة ومراجعة دقيقة
على أكثر من أصل مخطوط، وشرح لما غمض من مفردات على القارئ العادي...

واجتهدت أيضاً في وضع « لغة المستقبل » عنواناً لهذا الكتاب؛ مع فهارس له، كما
حرصت على أن ألحق بهذا التصدير؛ تعريفاً موجزاً بصاحب الكتاب.

ولم يكن اختيار عنوان الكتاب من قبيل العبث؛ بل هو نتيجة حتمية لما أورده المؤلف
- رحمه الله - من حقائق وبراهين؛ تُفضي إلى أن اللغة العربية لها من القدرة العجيبة على
احتواء جميع اللغات؛ في حين يتعذر على أي لغة أخرى الإحاطة بأبجديتها.

وبعد... فإن واجب عرفان الجميل يقتضي أن أتقدم بجزيل الشكر وخالص الدعاء إلى
كل من أعانني على تقديم هذا العمل بأفضل صورة ممكنة، وأخص بالذكر الأخ الفاضل
الأستاذ عبد السلام عبد المالك حباب الذي لم يألوا جهداً في دعمه المعنوي والمادي.

راجين الله عز وجل أن ينفعنا بهذا الكتاب، وأن يجعلنا أكثر إدراكاً لما للغة
القرآن من أثر في حفظ كيان أمتنا... لنكون أكثر حرصاً على صون جواهرها من العبث
والضياع...

ولنكون أكثر وعياً للذود عن لغة المستقبل.

يمان بن عبد الرحمن الباشا

(١) انظر مجلة اللسان العربي عدد سنة ١٩٧٦م موضوع « اللغة العربية وتحديات العصر » للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله.

نبذة عن المؤلف

● ولد الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا عام ١٩٢٠م في بلدة «أريحا» شمال «سورية»، وتلقى دراسته الابتدائية فيها، ثم تخرج في المدرسة «الحسروية» بحلب؛ وهي أقدم مدرسة شرعية رسمية في «سورية»... أما دراسته الجامعية؛ فتلقاها في «القاهرة»؛ حيث نال الشهادة العالية لكلية أصول الدين في الأزهر المعمور، وشهادة الليسانس أيضًا في الأدب العربي من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، ثم درجتي الماجستير والدكتوراه من هذه الجامعة التي أطلق عليها فيما بعد اسم جامعة القاهرة.

● اشتغل - رحمه الله - مدرسًا فمفتشًا، ثم كبيرًا لمفتشي اللغة العربية في «سورية»، ثم مديرًا لدار الكتب الظاهرية المنبثقة عن المجمع العلمي العربي في «دمشق»، وأستاذًا محاضرًا في كلية الآداب في جامعة دمشق.

● ثم انتقل إلى «المملكة العربية السعودية» للتدريس في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية [الرئاسة العامة للكلّيات والمعاهد العلمية سابقًا] سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م؛ وقد شغل منصب رئيس قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، وكان عضوًا في المجلس العلمي في الجامعة منذ أن وُجد، وعُهد إليه بلجنة البحث والتشر في الجامعة ذاتها، ولقد أسهم - رحمه الله - إسهامًا كبيرًا في تطوير مناهج الدراسة، وإقرار مادة البحوث في كلية اللغة العربية؛ التي امتد عمله بها إلى أكثر من عشرين عامًا.

* * *

لقد أمضى الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا حياته العلمية والعملية منذ بدايتها مكافحًا ومنافحًا عن لغة القرآن... داعيًا إلى فن أدبي لا يكتفي بجمال التعبير وإبداع التصوير؛ وإنما يُشترط فيه أن يكون ممتعًا هادفًا نافعًا في وقتٍ معًا... فن أدبي إسلامي يلتزم أمام إله متصف بصفات الكمال كلّها، منزّه عن صفات النقص جميعها...

ويكون بسماته هذه مغايرًا للتيارات الأدبية الأخرى التي تلتزم أمام النفوس البشرية
الأمارة بالسوء .

ومع أنه - رحمه الله - لم يكن هو أول من دعا إلى إيجاد هذا الأدب ، فقد سبقه
إلى ذلك كثير من المفكرين ، وهو - رحمه الله - يعترف بذلك ويقر بالفضل لأهله ...
لكنه استطاع أن يجعل أمني أولئك العلماء حقيقة واقعة ...
فقد سعى - رحمه الله - لإيجاد عمل موسوعي يخدم الأدب الإسلامي ويكون له
بمثابة الخلفية التاريخية ، والقاعدة الصلبة التي ينهض عليها بناؤه ؛ ليساعد الدارسين في
معرفة هذا الأدب ودراسة خصائصه ورصد موضوعاته ... ومن هنا ظهرت فكرة
« موسوعة أدب الدعوة الإسلامية » التي تبنتها كلية اللغة العربية بالرياض ، والتي تمت
تحت إشرافه وتوجيهه - رحمه الله - حيث كانت نتاج مادة البحث لطلبة السنة النهائية
بكلية اللغة العربية ، وصدر منها ستة أسفار :

١ - شعر الدعوة الإسلامية « في عصر النبوة والخلفاء الراشدين » .

إعداد عبد الله حامد الحامد . « ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م » .

٢ - شعر الدعوة الإسلامية « في العصر الأموي » .

إعداد عبد العزيز محمد الزير ، ومحمد بن عبد الله الأطرم . « ١٣٩٢ هـ -

١٩٧٢ م » .

٣ - شعر الدعوة الإسلامية « في العصر العباسي الأول » .

إعداد عبد الله عبد الرحمن الجعثن . « ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م » .

٤ - شعر الدعوة الإسلامية « في العصر العباسي الثاني » .

إعداد عائض بنية الراددي . « ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م » .

٥ - شعر الدعوة الإسلامية « في العصر العباسي الثالث » .

إعداد محمد بن علي الصامل ، وعبد الله بن صالح العريني . « ١٤٠١ هـ -

١٩٨١ م » .

هذا في مجال الشعر ، أما في مجال النثر ، فقد صدرت « القصص الإسلامية في

عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، في مجلدين اثنين كبيرين ؛ أرنى عدد صفحاتهما على الألف ... إعداد أحمد بن حافظ الحكمي . (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م) .

وقد كان لصدور هذه الأسفار من الموسوعة ؛ أثر ملموس في تغيير بعض المُسلّمات الأدبية الخاطئة عن الشعر الإسلامي ، ولا سيما في عصر النبوة والخلفاء الراشدين ... فلقد كتبت الدكتور عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطئ » مقالاً نُشر بالأهرام في عدد يوم الجمعة الواقع في ١١/٧/١٩٧٥ م بعنوان : « الإسلام والشعر والمستوى القني لشعر الصحابة » ، وذلك بمناسبة الرسالة التي أعدها تحت إشرافها الأستاذ محمد الراوندي ؛ المحاضر بدار الحديث الحسنية بالرياض بعنوان : « الصحابة الشعراء » ، حيث نقلت فيها فقرًا من مقدمة الجزء الأول من موسوعة أدب الدعوة الإسلامية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين ، وقررت أن الجهود الجديدة قلبت المُسلّمات الأدبية السابقة قلبًا ؛ إذ كان الدارسون - وهي منهم - يقيمون أحكامهم على حصر شعراء الدعوة بما لا يزيد عن أصابع اليدين عددًا .

كما كان لهذه الأسفار أيضًا أثر كبير في إعداد الدراسات الجامعية حول هذا الأدب ؛ حيث سُجّلت في جامعات الأزهر ، والقاهرة ، وبغداد ، والرياض طائفة من البحوث حول هذا الأدب ؛ لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه .

* * *

هذا ، وقد عمل الدكتور الباشا - رحمه الله - على توسيع نطاق التعريف بهذا الأدب اليتيم - كما كان يُطلق عليه في بعض المناسبات - وذلك من خلال برنامج إذاعي سُجّلت حلقاته الأولى في شهر ربيع الآخر عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م وبشبه إذاعة « الرياض » ، وقد أرنى عدد حلقاته على (٢٤٠) تحت اسم : « مع أدب الدعوة الإسلامية » .

* * *

وقد قام وحده - رحمه الله - برسم منهج إسلامي في الأدب والنقد ، وعمل على إرساء قواعده ، وتبنت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هذه الفكرة الرائدة ، وأوسعت لها في المحاضرات الجامعية ... حتى قُبِضَ لمادة منهج الأدب الإسلامي أن تقف على أرض صلبة قوية ، وأنشئ على أثرها أول قسم خاص بها في العالم

الإسلامي ... وقد عتبر عن ذلك سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي في التقديم الذي كتبه لكتاب « نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد » حيث قال :

« كان الدكتور عبد الرحمن مَن يتَّصف بالعمل والتَّطبيق ، فلم يستجب لهذه الفكرة استجابة فكرية فحسب ، بل سَبَق إلى تنفيذها وتجسيدها خلال تدريسه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وإشرافه على البحوث الأدبية ، ثم تطوَّرت آماله إلى تأسيس رابطة تُعنى بهذا الموضوع ، وعَقَد ندوات حول الموضوع ، والتفَّ حوله أساتذة وكتاب كان بينهم وبينه انسجام فكري ، وتحولت هذه الفكرة إلى منظَّمة عالمية .

لقد مرَّ إنشاء هذه المنظَّمة التي دعيت برابطة الأدب الإسلامي العالمية بمراحل عديدة ؛ كان أهمُّها ذلك الاجتماع الذي عُقد في منزل الدكتور الباشا في مدينة « الرياض » عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م والذي ضمَّ لفيقاً من العلماء ؛ في طليعتهم سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي ، وفي هذا الاجتماع وُضعت الخطوط العريضة لعقد ندوة عالمية ؛ تُلَمَّ شُعَث الأدباء في مشرق العالم الإسلامي ومغربه ... وهو موضوع شغل بال الدكتور الباشا - رحمه الله - منذ أمد طويل .

ثمَّ كانت الندوة العالمية للأدب الإسلامي في « لِكْنُو » في شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، حيث دُعِيَ إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامي المهتمين بالأدب ، وقد انتخب سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي رئيساً للرابطة ؛ كما انتخب الدكتور الباشا نائباً لرئيسها ، وعضواً في مجلس الأمناء ، ورئيساً لمكتب البلاد العربية ...

كما شارك - الدكتور الباشا - أيضاً في العديد من الندوات والمؤتمرات ، وناقش وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه .

* * *

تُوفِّي - رحمه الله - في يوم الجمعة ١٢/١١/١٤٠٦ هـ الموافق ١٨/٧/١٩٨٦ م إثر مرض عضال في مدينة « اسطنبول » بتركيا ، وسُجِّي جثمانه بمقبرة « الفاتح » هناك ؛ حيث يرقد كثير من الصَّحابة والتابعين الذين أحبه في حياته وجاورهم في مدفنه . سائلين العليَّ القدير أن يصحبهم في جنَّات الخلد أيضاً .

يمان بن عبد الرحمن الباشا

الجلسة الأولى

قيمة اللغة في حياة الإنسان

◆ أبت ، طاب يومك ، يا أبت .

◇ يومك أطيب يا بُني .

◆ أبت ، هل لي أن أسأل ؟ .

◇ سل عما بدا لك .

◆ ما هو بأمر بدا لي^(١) ، وإنما هي كلمة سمعتها .

◇ وما هذه الكلمة ؟ .

◆ إنها قول القائل : اليد واللسان تلك هي الإنسانية .

◇ أفي هذا القول شيء يستغل^(٢) على فهمك ، وأنت الليب الأريب ؟ ...
ألم يقل طرفة :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدّم

(١) بدا لي : ظهر لي .

(٢) يستغل : يصعب فهمه ويعسر .

◆ وَلَكِنَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي سَمِعْتَهَا مَا تَزَالُ بِحَاجَةٍ إِلَى إِيضَاحٍ ، فَهِيَ تَقُولُ : الْيَدُ وَاللِّسَانُ تِلْكَ هِيَ الْإِنْسَانِيَّةُ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، الْيَدُ وَاللِّسَانُ هُمَا قِوَامُ الْإِنْسَانِيَّةِ ؛ أَلَيْسَتْ الْإِنْسَانِيَّةُ بِتَارِيخِهَا الْحَافِلِ ، وَمُنْجَزَاتِهَا الْعَظِيمَةِ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَفْكَارِ ؟ ... وَالْأَعْمَالُ أَدَاتُهَا الْيَدُ ، وَالْأَفْكَارُ أَدَاتُهَا اللَّسَانُ أَوِ اللَّغَةُ .

◆ أَلَلَّغَةُ هَذِهِ الْأَهَمِّيَّةُ الْكُبْرَى فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ ، يَا أَبَتِ ؟ !

◇ لِتَعْرِفَ قِيَمَةَ اللَّغَةِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَتَصَوَّرَ الْمُجْتَمَعَ الْبَشَرِيَّ مِنْ غَيْرِ لُغَةٍ ؛ مَاذَا يَكُونُ شَأْنُهُ ؟ .

◆ لَا يَكُونُ لَهُ أَيُّ شَأْنٍ .

◇ بَلْ يَكُونُ كَالْقُطْعَانِ السَّارِيَةِ فِي الْفَلَوَاتِ^(١) ، تَعِيشُ لِتَأْكُلَ ، ثُمَّ يَطْوِيهَا الْفَنَاءُ قَطِيعًا بِإِثْرِ قَطِيعٍ ، دُونَ أَنْ تَنْبِي حَضَارَةً ، أَوْ تُخَلِّفَ ثَرَاتًا ... وَمِنْ هُنَا قَالُوا : اللَّغَةُ ظَاهِرَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ .

◆ يَا أَيُّ مَعْنَى يَا أَبَتِ ؟ .

◇ بِمَعْنَى أَنَّ اللَّغَةَ خَاصَّةٌ مِنْ خَصَائِصِ الْإِنْسَانِ لَا يَشْرَكُهُ فِيهَا أَيُّ مَخْلُوقٍ آخَرَ ؛ فَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِاللُّغَةِ كَمَا كَرَّمَهُ بِالْعَقْلِ .

◆ أَلِهَذَا دُعِيَ الْإِنْسَانُ حَيَوَانًا نَاطِقًا ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ؛ فَالْتَّطُقْ بِمَعْنَى الثَّكْلِمِ ، وَالتَّطُقْ بِمَعْنَى التَّعْقُلِ ؛ هُمَا أَخَصُّ خَصَائِصِ الْإِنْسَانِ وَأَبْزَرُ مَزَانَاهُ ...

(١) السَّارِبَةُ فِي الْفَلَوَاتِ : الْمَاضِيَةُ فِي الْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ الْمَقْفُورَةِ .

ثُمَّ إِنَّ اللُّغَةَ ظَاهِرَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ أَيْضًا .

◆ ظَاهِرَةُ اجْتِمَاعِيَّةٌ !! .

◇ نَعَمْ ظَاهِرَةُ اجْتِمَاعِيَّةٌ ؛ وَلِتَتِمَّ ذَلِكَ أَكْمَلَ تَمَثُّلٍ مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَتَصَوَّرَ
إِنْسَانًا حَلَّ بَيْنَ قَوْمٍ ، وَهُوَ يَجْهَلُ لُغَتَهُمْ ؛ كَيْفَ يَبْقَى مَغْزُولًا عَنْهُمْ مَحْرُومًا
مِنَ الْإِفَادَةِ مِنْهُمْ ، عَاجِزًا عَنْ تَبَادُلِ الْمَنَافِعِ مَعَهُمْ ...

◆ بَلْ رُبَّمَا أَوْقَعَهُ جَهْلُهُ يَلُغِّيهِمْ فِي وَرْطَةٍ .

◇ لَقَدْ حَدَّثَ ذَلِكَ كَثِيرًا ، وَلَعَلَّ مِنْ أَطْرَفِ مَا رَوَيْ فِي هَذَا الصَّدِيدِ : أَنَّ زَيْدَ بْنِ
دَارِمٍ الْحِجَازِيَّ دَخَلَ عَلَى مَلِكِ « جَمَيْرٍ » فِي مَدِينَةِ « ظَفَّار » ، وَهُوَ جَالِسٌ
عَلَى نَشْرِ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : ثُب [أَيِ : اجْلِسْ فِي لِسَانِ
جَمَيْرٍ] .

فَقَفَزَ الدَّارِمِيُّ مِنْ فَوْقِ الْمَكَانِ الْعَالِيِّ طَاعَةً لِلْمَلِكِ وَوَلَاءَ لَهُ ، فَانْدَقَّتْ
رِجْلَاهُ ؛ فَلَمَّا سَأَلَ الْمَلِكُ عَنْ شَأْنِهِ ؛ قِيلَ لَهُ :
إِنَّ ثُبَ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ تَغْنِي : إِقْفِزْ ، وَقَدْ اسْتَجَابَ الدَّارِمِيُّ لِأَمْرِكَ .

◆ وَهَلْ يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ لِلْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا لُغَةٌ وَاحِدَةٌ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ حَاوَلَ ذَلِكَ بَعْضُ مُفَكِّرِي الْعَرَبِ ، فَقَدْ رَأَى الْفَيْسُوفُ الْفَرَنْسِيُّ « دِيكَارْت »
وغيره من عُلَمَاءِ الْإِجْتِمَاعِ أَنَّ تَعَدُّدَ لُغَاتِ الْبَشَرِ أَدَّى إِلَى صُعُوبَةِ التَّفَاهُمِ بَيْنَ
الشُّعُوبِ ، وَعَاقَ سَيْرَ الْحَضَارَةِ ، فَاقْتَرَحُوا وَضَعَ لُغَةٍ جَدِيدَةٍ مُوَحَّدَةٍ تَكُونُ لُغَةَ
الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا .

◆ وَهَلْ لَقِيَ هَذَا الْإِقْتِرَاحُ أَذْنَا صَاعِبَةً مِنْ أَحَدٍ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ قَامَ طَبِيبٌ بُولُونِيٌّ يُدْعَى « لُودَفِيغُ زَامِنْهوف » فَوَضَعَ اللُّغَةَ

المُسَمَّاة «الإشبيرائثو» .

◆ وَمِمَّ تَنَآلَفُ هَذِهِ اللُّغَةُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ تَنَآلَفُ مِنْ ثَمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ حَرْفًا يَعْدَدُ حُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَمِنْ سِتِّ عَشْرَةَ قَاعِدَةً ، وَمِنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ تُعَدُّ بِالْمِثَّاتِ .

◆ وَمِنْ أَيْنَ اخْتِيرَتْ كَلِمَاتُ هَذِهِ اللُّغَةِ ؟ .

◇ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ اللُّغَاتِ ، وَلَكِنَّ مُعْظَمَ الْأَفْظَانِ أُخِذَ مِنَ اللَّغَتَيْنِ «الْإِنْكِلِيزِيَّةِ» وَ«الرُّومَانِيَّةِ» .

◆ وَهَلْ لَقِيتَ هَذِهِ اللُّغَةَ رَوَاجًا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ لَقَدْ نَشِطَ الدَّاعُونَ إِلَى هَذِهِ اللُّغَةِ نَشَاطًا كَبِيرًا ، فَقَامَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَصْقَاعِ الْمَعْمُورَةِ جَمْعِيَّاتٌ تَدْعُو إِلَى هَذِهِ اللُّغَةِ ، حَتَّى قُدِّرَتْ هَذِهِ الْجَمْعِيَّاتُ بِسِتِّ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةً وَأَلْفٍ .

◆ أَلْفٌ وَسَبْعِمِائَةٌ وَسِتٌّ وَسَبْعُونَ جَمْعِيَّةً !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَلِهَذِهِ الْجَمْعِيَّاتِ مَوْكَزَانِ رَئِيسِيَّانِ أَحَدُهُمَا فِي «جَنيفَ» وَالْآخَرُ فِي «بَارِيسَ» ، وَقَدْ صَدَرَتْ بِهِذِهِ اللُّغَةِ صُحُفٌ فِي كُلِّ مِنَ «الصِّينِ» وَ«الْيَابَانِ» وَ«أَمْرِيكََا» .

◆ عَلَى هَذَا فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُونَ بِهِذِهِ اللُّغَةِ كَثِيرًا فِي الْعَالَمِ ؟ ! .

◇ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا خُيِّلَ إِلَيْكَ يَا بُنَيَّ ، فَعَدَدُ الْمُتَكَلِّمِينَ بِهِذِهِ اللُّغَةِ أَقَلُّ مِنْ رُبْعِ مِليُونٍ .

◆ أَقَلُّ مِنْ رُبْعِ مِليُونٍ فِي أُنْحَاءِ الْمَعْمُورَةِ كُلِّهَا !! .

◆ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، هَذَا مَا تَقُولُهُ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ « الْأَلْمَانِيَّةُ » .

◆ وَبِمَ تُعَلِّقُ عَدَمَ الْإِقْبَالِ عَلَى هَذِهِ اللُّغَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ سُهُولَتِهَا وَمَا يُمَكِّنُ أَنْ تُحَقِّقَهُ لِلبَشَرِيَّةِ مِنْ مَنَافِعَ ؟ .

◆ إِنَّ الْأَمَمَ تُحِلُّ لُغَاتِهَا مِنْ نُفُوسِهَا مَحَلُّ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ ، وَتَضَعُهَا مَوْضِعَ الثَّوْرِ مِنَ الْغُمُورِ ، وَتَرَى فِي التَّفْرِيطِ بِهَا زَوَالًا لِشَخْصِيَّتِهَا ، وَمَحْوًا لَوْجُودِهَا ، وَقَضَاءً عَلَى خَضَارَتِهَا وَتُرَاثِهَا .

◆ أَيْخُسَى عَلَى الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ اللُّغَةِ ؟ .

◆ الْعَرَبِيَّةُ - يَا بُنَيَّ - مَصُونَةٌ بِحِفْظِ اللَّهِ ، بَاقِيَةٌ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ .

◆ وَمَا سِرُّ بَقَائِهَا ؟ .

◆ صِلَاحُهَا ، عَبَقَرِيَّتُهَا ، مَنَاطِقِيَّتُهَا .

◆ أَهَذَا رَأْيُنَا نَحْنُ فِيهَا أَمْ هُوَ رَأْيُ الْآخَرِينَ أَيْضًا ؟ .

◆ رَأْيُنَا ، وَرَأْيُ الْآخَرِينَ ... لِلَّهِ أَنْتُمْ مَعْشَرَ الشَّبَابِ ، إِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ لَنَا دَائِمًا وَأَبَدًا شَهَادَةً مِنَ الْآخَرِينَ .

◆ مَعْذِرَةٌ يَا أَبَتِ .

◆ إِذَا كُنْتَ لَا تَرْتَاحُ إِلَّا لِشَهَادَةِ الْآخَرِينَ ؛ فَإِلَيْكَ الشَّهَادَةُ :

كَتَبَ الرُّوَائِيُّ الْفَرَنْسِيُّ « جُولُ فِرْن » قِصَّةً خَيَالِيَّةً ، وَجَعَلَ أَبْطَالَهَا مِنَ الرُّوَادِ الْمُغَامِرِينَ الَّذِينَ عَزَمُوا عَلَى اخْتِرَاقِ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ طَبَقَةً إِثْرَ طَبَقَةٍ بُغْيَةَ الْوُصُولِ إِلَى جَوْفِهَا ، وَالْكَشْفِ عَمَّا فِي وَسْطِهَا .

◆ كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِي اخْتِرَاقِ طَبَقَاتِ الْجَوِّ ؛ أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ .

◆ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَقَدْ تَخَيَّلَ « جُولُ فِزْن » أَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّوَادَ قَدْ وَصَلُوا إِلَى وَسْطِ الْأَرْضِ ، وَحَقَّقُوا أَمَانَهُمْ ؛ فَلَمَّا أَرَادُوا الْعُودَةَ إِلَى سَطْحِهَا بَدَأَ لَهُمْ أَنْ يَتْرَكُوا فِي جَوْفِ الْأَرْضِ أَثَرًا يَدُلُّ عَلَى الْعَمَلِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَنْجَزُوهُ ، وَالْكَشْفِ الْكَبِيرِ الَّذِي حَقَّقُوهُ .

◆ فَمَاذَا فَعَلُوا يَا أَبَتِ ؟ .

◆ نَقَشُوا عَلَى الصَّخْرِ ذِكْرِي رِجَالِهِمْ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

◆ هَكَذَا يَقُولُ كَاتِبُ الْقِصَّةِ « جُولُ فِزْن » !!؟ .

◆ نَعَمْ هَذَا مَا قَالَهُ .

◆ وَمَا السَّبَبُ الَّذِي جَعَلَهُ يَخْتَارُ الْعَرَبِيَّةَ دُونَ لُغَتِهِ أَوْ سِوَاهَا مِنْ لُغَاتِ الْأَرْضِ ؟ .

◆ لَقَدْ طَرَحَ الثَّقَادُ عَلَى « جُولُ فِزْن » هَذَا السُّؤَالَ نَفْسَهُ .

◆ فَبِمَ أَجَابَهُمْ يَا أَبَتِ ؟ .

◆ قَالَ لَهُمْ : إِنَّمَا اخْتَرْتُ الْعَرَبِيَّةَ لِأَنَّهَا لُغَةُ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَلَا شَكَّ عِنْدِي فِي أَنَّهُ سَيَمُوتُ غَيْرُهَا مِنَ اللُّغَاتِ وَتَبْقَى هِيَ حَيَّةً حَتَّى يُرْفَعَ الْقُرْآنُ .

◆ رَائِعٌ حَقًّا رَائِعٌ ...

◆ أَمَّا قُلْتُ لَكَ : إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الشَّبَابِ لَا تَطْرُبُونَ إِلَّا لِشَهَادَةِ الْآخِرِينَ فِينَا .

◆ وَمَا فِي ذَلِكَ - يَا أَبَتِ - ، أَلَيْسَ الْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ ؟!

◆ أَرَأَا اسْتَطَرَدْنَا^(١) كَثِيرًا - يَا بُنَيَّ - فَقَدْ كُنْتُ مُزْمِعًا أَنْ أَحْضَرَ الْحَدِيثَ فِي

(١) اسْتَطَرَدْنَا : انْقَلَبْنَا فِي الْحَدِيثِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى آخَرَ .

أَهْمِيَّةُ اللُّغَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ لُغَةٌ ، فَجَرَزْتَنِي بِأَسْئَلَيْكَ إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

◆ لَوْ لَمْ تَعْدِلْ بِكَ أَسْئَلَتَنِي إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَعَطَفَكَ (١) نَحْوَهَا حُبَّكَ إِيَّاهَا ، وَعَلَى آيَةٍ حَالٍ ؛ فَمَا زَالَ فِي الْوَقْتِ مُتَّسِعٌ لِإِثْمَامِ مَا بَدَأْنَاهُ .

◇ لَكِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْحَدِيثِ قَدْ أَنْسَاكَ أَوَّلُهُ .

◆ لَمْ أُنْسَ شَيْئًا - يَا أَبَتِ - ، لَقَدْ قُلْتُ : إِنَّ اللُّغَةَ ظَاهِرَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ اخْتَصَّ بِهَا الْإِنْسَانُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ ، وَإِنَّهَا ظَاهِرَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ ، بِمَعْنَى أَنَّهَا السَّبِيلُ الْوَحِيدُ لِلتَّفَاهُمِ وَالتَّعَاوُنِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ .

◇ وَأَضِيفُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ اللُّغَةَ ظَاهِرَةٌ قَوْمِيَّةٌ أَيْضًا .

◆ بِأَيِّ مَعْنَى يَا أَبَتِ ؟ .

◇ بِمَعْنَى أَنَّ اللُّغَةَ هِيَ الْعَامِلُ الْأَوَّلُ فِي تَكْوِينِ الْأَقْوَامِ ، وَحِفْظِ كَيَانِ الشُّعُوبِ ؛ فَتَحْنُ إِذَا اسْتَعْرَضْنَا كَثِيرًا مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بَعْدَ انْجِلَالِ ، وَتَوَحَّدَتْ بَعْدَ فُرْقَةٍ ؛ وَجَدْنَا أَثَرَ اللُّغَةِ فِي وُجُودِهَا وَوَحْدَتِهَا جَلِيًّا ظَاهِرًا .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَنْ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ « الْأَمَانِيَا » .

◆ « الْأَمَانِيَا » ؟ ! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ؛ فَالْأَمَانِيَا بَقِيَتْ إِلَى الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ مُقَاطَعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً مُتَنَافِرَةً ، لِكُلِّ مُقَاطَعَةٍ أَمِيرٌ ، وَلِكُلِّ أَمِيرٍ نِظَامٌ ، وَلِكُلِّ نِظَامٍ حُكُومَةٌ .

(١) لعطفك نحوها : أي أملكك إليها .

◆ وَمَا الَّذِي جَمَعَهَا مِنْ شَتَاتٍ ؟ .

◇ اللُّغَةُ - يَا بُنَيَّ - ؛ فَقَدْ شَعَرَ قَادَةُ « أَلْمَانِيَا » بِقُدْرَةِ اللُّغَةِ عَلَى جَمْعِ الْأَشْتَاتِ إِلَى الْأَشْتَاتِ ، فَهَبَّ « هِرْدِر » فِي النُّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ يُنَادِي بِأَنَّ اللُّغَةَ هِيَ الْأَسَاسُ الَّذِي تُرْسَى عَلَيْهِ دَعَائِمُ الْوَحْدَةِ ، وَالتَّوَاهُ الَّتِي تَتَجَمَّعُ حَوْلَهَا الشُّعُوبُ .

◆ وَكَيْفَ كَانَ صَدَى دَعْوَتِهِ (١) فِي قَوْمِهِ ؟ .

◇ لَقَدْ اسْتَجَابَ أَدْبَاءُ « أَلْمَانِيَا » لِدَعْوَةِ « هِرْدِر » فَعَكَفُوا عَلَى تَرَاثِيمِ الْقَدِيمِ يُخَيِّوْنَهُ ، وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّائِرِ أَسْلَافِهِمْ مَادَّةَ خِصْبَةٍ لِأَدَبِهِمْ ، وَمِنْ بُطُولَاتِ رِجَالِهِمْ مَوْضُوعَاتٍ مُثِيرَةٍ لِشِعْرِهِمْ ، وَنَسَجُوا حَوْلَ ذَلِكَ قَصَصًا رَائِعَةً ، وَقَصَائِدَ بَارِعَةً .

◆ لَا رَيْبَ فِي أَنَّ ذَلِكَ قَدْ لَقِيَ هَوَى فِي نُفُوسِ أُنْبَاءِ الشَّعْبِ الْأَلْمَانِيِّ .

◇ وَخَاصَّةً الشَّبَابَ ، - بُورِكَ فِي الشَّبَابِ - ، فَقَدْ امْتَلَأَتْ نُفُوسُهُمْ عِزَّةً بِمَآثِرِ آبَائِهِمْ وَمَقَاخِرِ أَجْدَادِهِمْ ، وَالتَّهَبَّتْ أَفئِدَتُهُمْ بِحُبِّ أُمَمِهِمْ ، وَتَجَمَّعَتْ عَوَاطِفُهُمْ عَلَى الْوَلَاءِ لِلْوَطَنِ الْكَبِيرِ ، وَجَعَلُوا يَتَطَلَّلُونَ إِلَى الْإِنْضِوَاءِ (٢) تَحْتَ لَوَاءٍ وَاحِدٍ .

◆ وَكَيْفَ تَمَّتْ وَخَدَتْهُمْ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ تَمَّتْ وَخَدَتْهُمْ السِّيَاسِيَّةُ عَلَى يَدِ « بِسْمَارِك » ، وَمَا كَانَ لَهَا أَنْ تَتِمَّ ؛ لَوْلَا أَنَّهُ وَجَدَ الطَّرِيقَ مُمَهَّدَةً أَمَامَهُ .

◆ أَهْذَاكَ مَثَلٌ آخَرٌ لِأَثَرِ اللُّغَةِ فِي إِحْيَاءِ الْأُمَمِ ، وَحِفْظِهَا مِنَ التَّمَرُّقِ وَالضِّيَاعِ ؟ .

(١) صدى دعوته : مدى سماع الناس لدعوته . (٢) الانضواء : التجمع تحت راية واحدة .

◆ هُنَاكَ أُمُثْلَةٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا ، وَلَعَلَّ أَتْرَازَهَا « إِيرْلَنْدَا » .

◆ هَذِهِ الَّتِي يَدْعُونَهَا « إِيرْلَنْدَا » الْحُرَّة .

◆ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَقَدْ رَزَحْتُ « إِيرْلَنْدَا » هَذِهِ تَحْتَ وَطْأَةِ الإِخْتِلَالِ الإِنْكِلِيزِيِّ مُنْذُ أَوَائِلِ الْقُرُونِ الثَّانِي عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ ، وَذَاقْتُ مِنْ وَثْلَاتِهِ مَا لَمْ يَذُقْهُ شَعْبٌ مُخْتَلٌّ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مَا لَقِيَهُ الإِيرْلَنْدِيُّونَ مُحَاوَلَةَ مَخَوِّ شَخْصِيَّتِهِمْ .

◆ وَهَلْ تُمَحِّي شَخْصِيَّاتُ الشُّعُوبِ !!؟ .

◆ إِذَا مُجِيتْ لُغَاتُهَا يَا بُنَيَّ .

◆ وَكَيْفَ حَاوَلَ الْمُخْتَلُّونَ مَخَوِّ شَخْصِيَّةِ الشَّعْبِ الإِيرْلَنْدِيِّ ؟ .

◆ حَاوَلُوا ذَلِكَ بِمُخْتَلِفِ الْوَسَائِلِ ؛ فَأَعْمَلَ « كُرُومُوِيلُ » السَّيْفَ فِي رِقَابِ الإِيرْلَنْدِيِّينَ ، وَجَمَعَ عِشْرِينَ أَلْفًا مِنْ شَبَابِهِمْ وَبَاعَهُمْ عَبِيدًا فِي « أَمْرِيكََا » ، وَنَفَى أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ رِجَالِهِمْ خَارِجَ الْبِلَادِ ، ثُمَّ فَعَلَ مَا هُوَ أَنْكَى^(١) مِنْ ذَلِكَ .

◆ وَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ مَا هُوَ أَنْكَى !!؟ .

◆ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ؛ فَقَدْ سَعَى « كُرُومُوِيلُ » وَمَنْ تَلَّاهُ لِمَخَوِّ شَخْصِيَّةِ « إِيرْلَنْدَا » بِالْقَضَاءِ عَلَى لُغَتِهَا حَتَّى انْدَثَرَتِ اللُّغَةُ الإِيرْلَنْدِيَّةُ ، وَغَدَتْ عِلْمًا أَثَرِيًّا^(٢) لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا حَفَنَةٌ مِنَ الرُّجَالِ ، وَأُذِمَّجَتْ « إِيرْلَنْدَةُ » فِي الْكِتَابِ الْبَرِيطَانِيِّ .

◆ وَكَيْفَ اسْتَعَادَتْ شَخْصِيَّتَهَا وَظَفِرَتْ بِحُرِّيَّتِهَا بَعْدَ ذَلِكَ ؟ .

◆ بِاللُّغَةِ ، بِاللُّغَةِ يَا بُنَيَّ .

(١) أَنْكَى مِنْ ذَلِكَ : أَكْثَرُ إِيلَاقًا وَقُوَّةً .

(٢) عِلْمًا أَثَرِيًّا : أَيُّ أَثَرٍ مِنْ أَثَارِ التَّارِيخِ .

◆ وَكَيْفَ تَمَّ ذَلِكَ الْأَمْرُ الْمُسْتَحِيلُ ؟!

◇ لَقَدْ تَنَبَّهَ الشُّعُورُ الْوَطَنِيُّ لَدَى بَعْضِ رِجَالَاتِ «إِيرْلَنْدَا» ، فَعَقَدُوا الْعَزْمَ عَلَى إِخْتِيَاءِ أُمَّتِهِمْ مِنْ جَدِيدٍ ، وَفَضَّلُهَا عَنِ النَّاجِ «الْبَرِيطَانِي» .

◆ فَمَاذَا فَعَلُوا ؟ .

◇ عَزَمُوا عَلَى أَنْ يُعَلِّمُوا أُمَّتَهُمْ لُغَتَهَا ، وَلَقَدْ أَسْعَفَهُمُ الْقَدَرُ بِمُعَلِّمٍ يُتَقَرُّ لُغَةَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، فَوَضَعَ الْكُتُبَ السَّهْلَةَ الَّتِي تُبَسِّرُ لِمُوَاطِنِيهِ تَعَلَّمَ لُغَتِهِمْ ، وَجَنَدَ لِهَذِهِ الْعَايَةِ الْجَلِيلَةِ مَنْ اسْتَطَاعَ تَعْجِيدَهُ مِنْ أَبْنَاءِ أُمَّتِهِ ، وَمَا زَالَ يَعْمَلُ فِي ذَأْبٍ لَا يَعْرِفُ الْمَلَلَ ، وَجِدَّ لَا يَنْطَرُقُ إِلَيْهِ الْكَلَلُ ، حَتَّى أَحْيَا اللُّغَةَ الْإِيرْلَنْدِيَّةَ ، فَأَحْيَا الشَّعْبَ الْإِيرْلَنْدِيَّ ، وَدَفَعَهُ إِلَى تَحْقِيقِ شَخْصِيَّتِهِ ، وَبُلُوغِ حُرِّيَّتِهِ .

◆ وَمَنْ هَذَا الْمُعَلِّمُ الْعَظِيمُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ إِنَّهُ : « دِيْقَالِيرَا » .

◆ وَهَلْ كَفَّاهُ شَعْبُهُ عَلَى هَذِهِ الْيَدِ ؟ .

◇ أَعْظَمَ مُكَافَأَةً ، فَلَقَدْ اخْتَارَ الشَّعْبُ الْإِيرْلَنْدِيُّ مُعَلِّمَهُ الْعَظِيمَ لِيَكُونَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِجُمْهُورِيَّةِ «إِيرْلَنْدَا» الْحُرَّةِ .

◆ فِي أَخْبَارِ الْأُمَمِ - يَا أَبَتِ - عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ .

◇ ذَلِكَ لِمَنْ أَلْقَى السَّمْعَ^(١) ، وَأَفَادَ مِنْ نَجَارِبِ الْآخَرِينَ .

◆ أَبَتِ ، تِلْكَ هِيَ قِيَمَةُ اللُّغَةِ - مِنْ حَيْثُ هِيَ لُغَةٌ ؛ فَمَا مَثَرِلُهُ لُعَيْنَا بَيْنَ اللُّغَاتِ ؟ .

(١) ألقى السمع : أنصت جيدا وفهم ما يسمع .

◇ لَنْ أُجِيبَكَ أَنَا عَنْ سُؤَالِكَ هَذَا .

◆ إِذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي يُجِيبُنِي ؟ !

◇ سَأَتَزُكَّ الْمَجَالَ لِلْمُسْتَشْرِقِ الْفَرَنْسِيِّ « أَرْنِسْت رِينَانْ » ، فَهُوَ الَّذِي سَيَتَوَلَّى
الْإِجَابَةَ عَنِّي ، وَهُوَ عَلَى أَيْتِه حَالِ أَكْثَرِ إِقْنَاعًا لَكَ مِنِّي .

◆ مَعَاذَ اللَّهِ ! وَلَكِنْ مَاذَا يَقُولُ « رِينَانْ » يَا أَبْتَ ؟ .

◇ إِنَّهُ يَقُولُ : مِنْ أَعْظَمِ الْمَذْهِبَاتِ أَنْ تَنْبُتَ تِلْكَ اللُّغَةُ الْقَوِيَّةُ وَسَطَ الصَّحَارِي
عِنْدَ أُمَّةٍ مِنَ الْبَدْوِ الرُّحْلِ ، وَأَنْ تَصِلَ عَلَى أَيْدِيهِمْ إِلَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ .

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ [بِمَضْرُوبِ نَعَائِبٍ] .

◇ تِلْكَ اللُّغَةُ الَّتِي فَاقَتْ غَيْرَهَا بِكَثْرَةِ مُفْرَدَاتِهَا ، وَدِقَّةِ مَعَانِيهَا ، وَحُسْنِ نِظَامِ
مَبَانِيهَا ... لَقَدْ كَانَتْ اللُّغَةُ الْقَرِيبَةُ مَجْهُولَةً عِنْدَ الْأُمَمِ ، وَيَوْمَ عَرَفْنَاهَا بَدَتْ لَنَا
وَهِيَ تَخْتَالُ^(١) فِي حُلَلِ الْكَمَالِ .

◆ عَظِيمٌ [بِمَضْرُوبِ نَعَائِبٍ] .

◇ وَالْأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ هَذِهِ اللُّغَةَ لَمْ تَتَغَيَّرْ تَغْيِيرًا يُذَكِّرُ ، فَلَمْ يُعْرِفْ لَهَا
فِي جَمِيعِ أَطْوَارِ حَيَاتِهَا طُفُولَةً أَوْ شَيْخُوخَةً .

◆ حَسَنٌ حَسَنٌ [بِمَضْرُوبِ نَعَائِبٍ] .

◇ إِنَّنَا لَا نَكَادُ نَعْلَمُ مِنْ أَمْرِهَا إِلَّا انْتِصَارَاتِهَا الَّتِي لَا تُجَارَى^(٢) وَفُتُوحَاتِهَا الَّتِي
لَا تُبَارَى ...

(١) تختال : تتباهى .

(٢) لا تُجَارَى : لا تُسبق في الميدان .

ثُمَّ يَخْتُمُ « رَيْنَانُ » كَلِمَتَهُ بِقَوْلِهِ : إِنَّا لَا نَعْرِفُ شَيْبَهَا لِهَاذِهِ اللُّغَةِ الَّتِي ظَلَهَرَتْ
لِلْبَاحِثِينَ كَامِلَةً مِنْ غَيْرِ تَدْرِجٍ ، وَبَقِيَتْ حَافِظَةً لِكِبَانِهَا مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ عَلَى مَرِّ
الْعُصُورِ .

◆ وَأَيْنَ ذَكَرَ « رَيْنَانُ » هَذَا الْكَلَامَ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ أَوْرَدَهُ فِي كِتَابِهِ : « تَارِيخُ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ » .

◆ الْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ .

◇ بَلِ الْفَضْلُ مَا شَهِدَ بِهِ الْبَاحِثُونَ الْعُلَمَاءُ .

* * *

◆ أَبَتِ ، إِنَّ الَّذِي يَقِفُ عَلَى مَا أَوْرَدْتَهُ آيِنًا لَنْ يُفَرِّطَ بِلُغَتِهِ قَطُّ .

◇ أَرَاكَ أَحَدَ الْمُفَرِّطِينَ بِهِذِهِ اللُّغَةِ .

◆ أَنَا يَا أَبَتِ !! مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَفْعَلَ ! وَهِيَ تِلَادِي^(١) ، وَثُرَاتُ آبَائِي وَأَجْدَادِي ،
وَلُغَةُ قُرْآنِي .

◇ أَلَيْسَ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي اللُّغَةِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ أَلْفَاظَهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ؟ .

◆ وَهَلْ بَدَرَ مِنِّي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ۱؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ؛ فَأَنْتَ قُلْتَ : إِنَّ الَّذِي يَقِفُ عَلَى مَا أَوْرَدْتَهُ آيِنًا لَنْ يُفَرِّطَ بِلُغَتِهِ
قَطُّ .

◆ وَمَا فِي ذَلِكَ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ فِيهِ أَنَّكَ اسْتَعْمَلْتَ قَطُّ مَعَ الْمُضَارِعِ ، وَالْعَرَبِ لَا تَسْتَعْمِلُهَا إِلَّا مَعَ الْحَاضِي ؛

(١) التلاد : القروة - أنها كان نوعها - الموروثة عن الآباء والأحداد ، أي المجد القديم .

فَقُولُ : مَا كَلَّمْتُهُ قَطُّ ، وَمَا فَعَلْتُهُ قَطُّ .

◆ وَإِذَا أَرَادُوا نَفْيَ الْمُضَارِعِ ؛ فَمَاذَا يَقُولُونَ ؟ .

◇ يَسْتَعْمِلُونَ كَلِمَةَ أَبَدًا ؛ فَيَقُولُونَ : مَا أَكَلَّمْتُهُ أَبَدًا ؛ وَمَا أَفَعَلْتُهُ أَبَدًا .

◆ إِذَنْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ : لَنْ يُفَرِّطَ بِلُغَتِهِ أَبَدًا .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا السَّبَبُ فِي امْتِنَاعِ اسْتِعْمَالِ قَطُّ مَعَ الْمُضَارِعِ ، وَجَوَازِهِ مَعَ الْمَاضِي .

◇ تَحَاشِي الْوُقُوعِ فِي التَّنَاقُضِ .

◆ وَمَا وَجْهُ التَّنَاقُضِ فِي اسْتِعْمَالِهَا مَعَ الْمُضَارِعِ ؟ .

◇ وَجْهُ التَّنَاقُضِ - يَا بُنَيَّ - هُوَ أَنَّ قَطُّ مَأْخُودَةٌ مِنْ قَطَطْتُ الشَّيْءَ أَيَّ قَطَعْتُهُ ، وَأَنَّ

مَعْنَى قَوْلِكَ : مَا كَلَّمْتُ فَلَانًا قَطُّ أَيَّ مَا كَلَّمْتُهُ فِيمَا انْقَطَعَ مِنْ عُمْرِي ؛ فَإِذَا

اسْتَعْمَلْتَهَا مَعَ الْمُضَارِعِ وَقُلْتَ : مَا أَكَلَّمُ فَلَانًا قَطُّ يَكُونُ الْمَعْنَى : مَا أَكَلَّمُ

فَلَانًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فِيمَا مَضَى مِنْ عُمْرِي ، وَفِي ذَلِكَ تَنَاقُضٌ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ .

◆ أَبَتِ ، أَتَأْذُنُ لِي بِأَنْ أُثَبِّتَ ذَلِكَ فِي بَابِ : « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكَّرَاتِي ؟ .

◇ أَثَبِّتْهُ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَأَمْلَيْتَهُ عَلَيَّ .

◇ اكْتُبْ يَا بُنَيَّ : لَا يُقَالُ : مَا أَكَلَّمْتُهُ قَطُّ ، وَمَا كَلَّمْتُهُ أَبَدًا ، وَإِنَّمَا يُقَالُ :

مَا كَلَّمْتُهُ قَطُّ وَلَا أَكَلِمُهُ أَبَدًا ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَسْتَعْمِلُ لَفْظَةَ قَطُّ فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ ، وَلَفْظَةَ أَبَدًا فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ .

◆ لَقِيتَ الْخَيْرَ وَالْبِرَّ يَا أَبَتِ جَزَاءَ مَا سَدَّدْتَ وَأَرْسَدْتَ .

◇ وَوَقِيتَ الْخَطَأَ يَا بُنَيَّ فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، جَاءَ فِي الْأَثَرِ : إِنَّ مِنَ الْبَيِّنَاتِ لَيْسَحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً ، فَهَلَّا أَخَذْتَ يَدِينَا إِلَى رِيَاضِ الشُّعْرِ ؟

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي سَتَلِمَ بِرَوْضِهِ ؟

◇ حَاتِمُ الطَّائِي .

◆ حَاتِمُ الَّذِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِجُودِهِ !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَهُوَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ انْتَهَى إِلَيْهِمُ الْجُودُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

◆ وَمَنْ هُمْ يَا أَبَتِ ؟

◆ ٢٤ حَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّائِي ، وَهَرِمُ بْنُ سَنَابِ الْمُرِّي ، وَكَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِي ، وَلَكِنَّ الْمَضْرُوبَ بِهِ الْمَثَلُ ، هُوَ حَاتِمٌ وَحْدَهُ .

◆ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ حَاتِمًا شَاعِرًا !

◇ هُوَ شَاعِرٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنَّ جُودَهُ طَغَى عَلَى شِعْرِهِ .

◆ وَمَا الَّذِي اخْتَرْتَهُ مِنْ شِعْرِهِ يَا أَبَتِ ؟

◇ شِعْرُ حَاتِمٍ - يَا بُنَيَّ - يَبْصَحُ فِيهِ قَوْلُ الْأَعْرَابِيَّةِ حِينَ سُئِلَتْ عَنْ أَيْ أُنْبَائِهَا أَحْسَنُ؟

◆ فَبِمَاذَا أَجَابَتْ؟

◇ قَالَتْ: إِنَّهُمْ كَالْحَلَقَةِ الْمُفْرَغَةِ لَا يُدْرَى أَيْنَ طَرَفَاهَا.

◆ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ الْإِخْتِيَارِ.

◇ إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْإِخْتِيَارِ؛ فَاسْتَمِعْ إِلَى هَذِهِ الْأَيَّاتِ الَّتِي يُخَاطَبُ فِيهَا ابْنَتُهُ:
أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ، وَابْنَةَ مَالِكٍ

وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ^(١)، وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ^(٢)

إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتِمِيسِي لَهُ

أَكِيلًا^(٣)، فَإِنِّي لَسْتُ آكُلُهُ وَحْدِي

أَنَا طَارِقًا، أَوْ جَارَ بَيْتٍ؛ فَإِنِّي

أَخَافُ مَذْمَاتِ^(٤) الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّعِيفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا^(٥)،

وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيْمَةٍ^(٦) الْعَبْدِ

◆ زِدْنِي - يَا أَبَتِ - مِنْ شِعْرِهِ زِدْنِي.

◇ إِنَّهُ شِعْرٌ يُسْتَرَادُّ مِنْهُ - يَا بُنَيَّ -؛ فَإِلَيْكَ هَذِهِ النُّتْقَةُ.

(١) ذِي الْبُرْدَيْنِ: صَاحِبُ الْبُرْدَيْنِ، وَالْبُرْدُ هُوَ كِسَاءٌ مَخْطُوطٌ يُلْتَحَفُ بِهِ.

(٢) الْفَرَسُ الْوَرْدُ: هُوَ الْفَرَسُ الْأَحْمَرُ الَّذِي يَضْرِبُ لَوْنَهُ إِلَى الصَّفْرِ.

(٣) الْأَكِيلُ: هُوَ الْمَشَارِكُ فِي الْأَكْلِ.

(٤) مَذْمَاتُ الْأَحَادِيثِ: الْحَدِيثُ الَّذِي يَذْكُرُنِي بِالسُّوءِ وَيَذْمُنِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي.

(٥) مَا دَامَ ثَاوِيًا: مَقِيمًا لَمْ يَبْرَحِ الْمَكَانَ.

(٦) الشِيْمَةُ: هِيَ الْخِصْلَةُ وَالْحُلُقُ.

◆ ثُنْفَةٌ - يَا أَبَتِ - !! .

◇ إِنَّ ثُنْفَةً مِنْ هَذَا الشُّعْرِ أَغْلَى مِنْ قَصِيدَةٍ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِي هَذِهِ الثُّنْفَةِ ؟ .

◇ قَبْلَ أَنْ أُرَوِّيَ لَكَ الْمَقْطُوعَةَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَقِفَ عَلَى صُورَةٍ مِنْ صُورِ حَيَاةِ الْعَرَبِ ، وَشَيْعَةٍ مِنْ شَيْعِهِمْ .

◆ وَمَا هِيَ ؟ .

◇ كَانَ مِنْ عَادَاتِ الْعَرَبِ إِذَا مَا جَنَّ اللَّيْلُ وَدَجَا^(١) ؛ أَنْ يُضْرِمَ ذُؤُ الْيَسَارِ النَّيْرَانَ فَوْقَ الْمُرْتَفَعَاتِ الْمُجَاوِرَةِ لِمَنَازِلِهِمْ طَوَالَ اللَّيْلِ .

◆ وَلِمَاذَا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ لِيَهْتَدِيَ بِنُورِهَا مَنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ ؛ فَيَتَّجِعَ نَحْوَ مَنَازِلِهِمْ ، وَيَنَالَ لَدَيْهِمْ كَرَمَ الْوَفَادَةِ^(٢) وَحُسْنَ الْقِرَى^(٣) .

◆ حَقًّا إِنَّهَا لَصُورَةٌ رَائِعَةٌ مِنْ صُورِ حَيَاةِ الْعَرَبِ .

◇ وَفِي الصُّورَةِ مَغْزَى كَرِيمٍ نَبِيلٍ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ حَاتِمٌ فِي ذَلِكَ ؟ .

◇ إِنَّهُ يُحَاطَبُ عَبْدَهُ الْمُوَكَّلَ بِإِيقَادِ النَّيْرَانِ ؛ فَيَقُولُ :

أَوْقِذْ ؛ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ^(٤)

(١) جن الليل ودجا : أقبل وأرخى أستاره .

(٢) كرم الوفادة : الاستقبال الحسن للوافدين المقاصدين تلك المنازل .

(٣) القيرى : هو الطعام الذي يعد للضيف .

(٤) قَرٌّ : شديد البرد .

وَالرَّيْحُ - يَا غُلَامُ - رِيحٌ صِرٌّ

عَسَى يَرَاهَا الْبَائِسُ الْمُغْتَرُّ^(١)

إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفًا؛ فَأَنْتَ حُرٌّ

◆ مَا مُكَافَأْتَنِي إِذَا أَنَا أَنْشَدْتُكَهَا؟ فَأَنَا قَدْ حَفِظْتُهَا مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ.

◇ مُكَافَأْتُكَ أَنْ أَجْعَلَ لِكُلِّ جَلْسَةٍ طُرْفَةً.

◆ قَبِلْتُ؛ إِذَا كَانَ لِكُلِّ جَلْسَةٍ طُرْفَةً.

◇ أَنْشِدْنِيهَا - بُورِكَ فَيْكَ - فَالشَّعْرُ يَطِيبُ بِإِنْشَادِكَ.

◆ أَوْقِدْ؛ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ

وَالرَّيْحُ - يَا غُلَامُ - رِيحٌ صِرٌّ

عَسَى يَرَاهَا الْبَائِسُ الْمُغْتَرُّ

إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفًا؛ فَأَنْتَ حُرٌّ

* * *

◆ أَبَتِ، وَصَفَ حَابِئِ الرِّيحِ بِأَنَّهَا صِرٌّ؛ فَمَا الرِّيحُ الصِّرُّ؟.

◇ فَصَلَ الْعَرَبُ الْقَوْلَ فِي الرِّيحِ وَنُعُوتَهَا؛ تَفْصِيلًا يَشْهَدُ لِهَذِهِ النُّعَةِ بِغِنَى مُفْرَدَاتِهَا، وَدِقَّةِ أَدَائِهَا.

◆ فَمَاذَا قَالُوا يَا أَبَتِ؟.

◇ قَالُوا:

(١) البائس المعتر: الشديد الفقر.

إِذَا وَقَعَتِ الرِّيحُ بَيْنَ الرِّيحَيْنِ ، فَهِيَ : التُّكْبَاءُ .
 فَإِذَا هَبَّتْ مِنْ جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَهِيَ : الْمُتَنَازِحَةُ .
 فَإِذَا كَانَتْ لَيْتَةً ، فَهِيَ : الرَّيْدَانَةُ .
 فَإِذَا جَاءَتْ بِنَفْسٍ ضَعِيفٍ وَرَوْحٍ ، فَهِيَ : النَّسِيمُ .
 فَإِذَا كَانَ لَهَا حَيْنٌ كَحَيْنِ الْإِبِلِ ، فَهِيَ : الْحَتُونُ .
 فَإِذَا ابْتَدَأَتْ بِشِدَّةٍ ، فَهِيَ : النَّافِجَةُ .
 فَإِذَا كَانَتْ شَدِيدَةً ، فَهِيَ : الْعَاصِيفُ .
 فَإِذَا كَانَتْ شَدِيدَةً وَلَهَا زَفْرَةٌ^(١) ، فَهِيَ : الزَّفْرَافَةُ .
 فَإِذَا اشْتَدَّتْ حَتَّى تَقْلَعَ الْخِيَامَ ، فَهِيَ : الْهَجُومُ .
 فَإِذَا حَرَّكَتِ الْأَغْصَانِ تَحْرِيكًا شَدِيدًا وَقَلَعَتِ الْأَشْجَارَ ، فَهِيَ : الرَّعْرَعُ .
 فَإِذَا جَاءَتْ بِالْحَصْبَاءِ^(٢) ، فَهِيَ : الْحَاصِبَةُ .
 فَإِذَا دَرَجَتْ حَتَّى تَرَى لَهَا ذَيْلًا كَالرَّسَنِ^(٣) فِي الرَّمْلِ ، فَهِيَ : الدَّرُوجُ .
 فَإِذَا كَانَتْ سَرِيعَةً ، فَهِيَ : الْمُخْفِلُ ، وَ الْجَافِلَةُ .
 فَإِذَا هَبَّتْ مِنَ الْأَرْضِ نَحْوَ السَّمَاءِ كَالْعُمُودِ ، فَهِيَ : الْإِعْصَارُ ، وَ الزُّوبَعَةُ .
 فَإِذَا هَبَّتْ بِالْغُبَرَةِ ، فَهِيَ : الْهَبْوَةُ .
 فَإِذَا حَمَلَتِ التُّرَابَ وَجَرَّتِ الذَّلِيلَ ، فَهِيَ : الْهَوَجَاءُ .
 فَإِذَا كَانَتْ بَارِدَةً ، فَهِيَ : الصَّرَصَرُ ، وَ الصَّرُّ .

◆ هَذَا هُوَ جَوَابُ سُؤَالِي .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَإِذَا كَانَ مَعَ بَرْدِ الرِّيحِ نَدَى ، فَهِيَ : التَّلِيلُ .
 فَإِذَا كَانَتْ حَارَّةً ، فَهِيَ : الْحَرُورُ ، وَ السَّمُومُ .

(١) الزفرفة : صوت الريح بين الشجر .

(٢) الحصباء : صغار الحجارة .

(٣) الرسن : الحبل تقاد به الدابة ، ويثبت في أنفها .

فَإِذَا لَمْ تُثْلِقْ شَجَرًا وَلَمْ تُحْمِلْ مَطَرًا ، فَهِيَ : الْعَقِيمُ ، وَقَدْ نَطَقَ بِهَا الْقُرْآنُ
الْكَرِيمُ^(١).

◆ مَا هَذَا يَا أَبَتِ ؟! مَا هَذَا ؟!

◇ هَذِهِ لُغَةُ الْقُرْآنِ ؛ الَّتِي وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً .

◆ أَبَتِ عَفْوَكَ ... وَكَيْفَ يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الثَّرْوَةِ اللُّغَوِيَّةِ ؟ .

◇ فِي هَذَا الَّذِي أَوْزَدْتُهُ لَكَ ثُرُوءًا مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ لِعُلَمَاءِ الْجُغَرَايَا وَعُلَمَاءِ
الْأَنْوَاءِ^(٢) ، وَفِيهِ ذَخِيرَةٌ لِلشُّعْرَاءِ وَالْكَاتِبِينَ وَالْفَصَاصِينَ ؛ الَّذِينَ يُرِيدُونَ إِثْقَانَ
الْوَصْفِ ، وَإِحْكَامَ الْقَوْلِ .

◆ لَا تَثْرِيبَ^(٣) بَعْدَ الْيَوْمِ عَلَى مَنْ يَفْخَرُ بِهَذِهِ اللُّغَةِ مَهْمَا بَالَغَ فِي فَخْرِهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ الْوَفَاءُ .

◇ وَأَيُّ وَعْدٍ تَغْنِي ؟ .

◆ وَعَدْتُ بِأَنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ جَلْسَةٍ طُرْفَةً .

◇ وَأَنَا مَا زِلْتُ عِنْدَ وَعْدِي .

◆ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَعَجِّلْ بِطُرْفَةِ الْيَوْمِ مَشْكُورًا غَيْرَ مُذَمَّمٍ .

◇ جَاءَ فِي مُعْجَمِ الْأَدْبَاءِ لِيَأْقُوتَ الْحَمَوِيُّ أَنَّ أَبَا عُثْمَانَ الْمَازِنِيَّ قَالَ :

(١) ﴿ وَفِي غَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ الذَّارِيَاتِ آيَةُ ٤١ .

(٢) الْأَنْوَاءُ : أَوْقَاتُ الْأَمْطَارِ وَهِيَاجُ الْبَحْرِ ، وَهِيَ الْمَجْرَمُ أَيْضًا .

(٣) لَا تَثْرِيبَ : لَا عِقَابَ وَلَا عَيْبَ .

مَرَزَتْ بَيْنِي عَقِيلٌ ؛ فَإِذَا رَجُلٌ أَسْوَدُ ، قَصِيرٌ ، أَعْوَرُ ، أَبْرَصُ ، أَكْشَفُ^(١) ، قَائِمٌ
عَلَى تَلٍّ سَمَادٍ وَهُوَ يَمْلَأُ جَوَالِيْقَ^(٢) مِنْ ذَلِكَ السَّمَادِ ، وَهُوَ يُغْنِي بِأَعْلَى
صَوْتِهِ :

فَإِنْ تَضْرِمِي^(٣) حَبْلِي وَتَسْتَكْرِهِي وَضَلِي
فَمِثْلُكَ مَوْجُودٌ وَلَنْ تَجِدِي مِثْلِي
فَقُلْتُ لَهُ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ ، وَمَتَى تَجِدُ - وَيَحْكُ^(٤) - مِثْلَكَ ؟ !
فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَاسْمَعْ خَيْرًا مِنْهُ ... ثُمَّ انْدَفَعَ يُنْشِدُ :
يَا رُبَّةَ الْمُطَرْفِ^(٥) وَالْخُلْخَالِ^(٦)
مَا أَنْتِ مِنْ هُمِّي وَلَا أَشْغَالِي
مِثْلُكَ مَوْجُودٌ وَمِثْلِي غَالِي

* * *

(١) أَكْشَفُ : أَيُّ مُعْشُورٍ شَعْرٍ مَقْلَمِ الرَّأْسِ .

(٢) جَوَالِيْقُ : أَيُّ أَكْيَاسًا .

(٣) تَضْرِمِي : تَهْجُرْنِي وَتَقْطَعُنِي مَوْدِنِي .

(٤) وَيَحْكُ : هِيَ بِمَعْنَى الْوَيْلِ ، وَلَكِنَّهَا وَضِعَتْ لِلتَّرْحِمِ وَالتَّوَجُّعِ .

(٥) الْمُطَرْفُ : رِءَاءُ أَوْ ثَوْبٌ مِنْ الْحَرِيرِ مَرِيعٌ ذُو أَعْلَامٍ .

(٦) وَالْخُلْخَالُ : حَلِيَّةٌ تَزِينُ بِهَا النِّسَاءُ سَفْلَ لِسَاقِ كَالْأَسُورَةِ فِي الذِّرَاحِ .

الجلسة الثانية

أُمُّ جَمِيعِ اللُّغَاتِ

◆ أَيْتِ ، طَابَ يَوْمُكَ ، يَا أَيْتِ .

◇ هَلَّا حَيَّيْتَ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ - يَا بُنَيَّ - فَقُلْتَ : سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ ؛ إِنَّكَ حِينَ تَتَوَجَّعُ إِلَى مُخَاطَبِكَ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ ، إِنَّمَا تَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُسَبِّحَ^(١) عَلَيْهِ سَلَامَهُ ، وَأَنْ يَحْفَظَهُ مِنَ الْآفَاتِ فِي الدِّينِ ، وَالْعَقْلِ ، وَالْجِسْمِ ، وَالْمَالِ ، وَالْوَلَدِ ... ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ التَّحِيَّةَ هِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

◆ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، أَمَا وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَقَالَ : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ ؟^(٢) .

◆ جُزَيْتَ خَيْرًا - يَا أَيْتِ - فَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى سَدَادٍ ، وَحَضَضْتَ عَلَى رَشَادٍ ، وَالْآنَ هَلْ لِي أَنْ أَسْأَلَ ؟ .

◇ وَهَلِ اجْتَمَعْنَا إِلَّا لِتَسْأَلٍ وَأُجِيبَ ؟ .

(١) يسبح عليه سلامه ؛ يلقى عليه السلام الوافر .

(٢) سورة إبراهيم الآية ٢٣ .

◆ أبت ، يُكثِر اللُّغَوِيُّونَ البَحْثَ عَنْ أَقْدَمِ اللُّغَاتِ ، فَمَا الغَرَضُ مِنْ ذَلِكَ ؟ .

◇ غَرَضُ اللُّغَوِيِّينَ مِنْ هَذَا البَحْثِ - يَا بُنَيَّ - الإِهْتِدَاءُ إِلَى اللُّغَةِ الأُمِّ الَّتِي هِيَ لُغَةُ الجِنْسِ البَشَرِيِّ كُلِّهِ ، يَوْمَ كَانَ لِهَذَا الجِنْسِ مَوْطِنٌ وَاحِدٌ فِي قَارَةِ وَاحِدَةٍ .

◆ وَهَلْ يَرَى اللُّغَوِيُّونَ أَنَّ لِلجِنْسِ البَشَرِيِّ كُلِّهِ لُغَةً أُمًّا ؟ .

◇ وَيَزُونَ أَيْضًا أَنَّ هَذِهِ اللُّغَةُ الأُمُّ قَدْ تَفَرَّعَتْ بَعْدَ انْفِصَالِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ ، وَانْقِطَاعِ الصَّلَةِ بَيْنَهُمْ إِلَى لُغَاتٍ كَثِيرَةٍ .

◆ أَهْدَاهُمُ البَحْثُ إِلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي يُشَدُّونَ ؟ .

◇ لَمْ يَصِلُوا إِلَى شَيْءٍ يَقْنِي - يَا بُنَيَّ - وَلَكِنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ لُغَاتِ البَشَرِ المَوْجُودَةِ الْيَوْمَ ؛ تَنْتَبِئُ إِلَى ثَلَاثِ أُسْرِ لُغَوِيَّةٍ كُبْرَى .

◆ وَمَا هَذِهِ الأُسْرُ ، يَا أبت ؟ .

◇ هِيَ الأُسْرَةُ الهِنْدِيَّةُ الجِرْمَانِيَّةُ ، والأُسْرَةُ المَغُولِيَّةُ وَلُغَاتُ القَبَائِلِ الأَمْرِيكِيَّةِ الأَصْلِيَّةِ ، والأُسْرَةُ السَّامِيَّةُ .

◆ وَهَلْ وَجَدُوا بَيْنَ هَذِهِ الأُسْرِ جَامِعَةً تُؤَلَّفُ بَيْنَهَا ؟ .

◇ لَقَدْ وَقَفُوا عَلَى طَائِفَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الكَلِمَاتِ المُشْتَرَكَةِ بَيْنَ هَذِهِ اللُّغَاتِ تُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا تَنْتَبِئُ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ .

◆ طَائِفَةٌ مِنَ الكَلِمَاتِ المُشْتَرَكَةِ !! مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا يَا أبت ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ الكَلِمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَعْنَى القَطْعِ ، فَلَفْظَةُ : « قَطَّ » فِي الْعَرَبِيَّةِ تُفِيدُ مَعْنَى القَطْعِ وَ« كَات » " Cut " الإِنْكِلِيزِيَّةُ تُفِيدُ مَعْنَى القَطْعِ أَيْضًا ،

و«كُوت» "Cout" الفرنسيَّة وَكَذَلِكَ «كُوب» "Coup" تُفِيدَانِ مَعْنَى الْقَطْعِ .

◆ بَحْثُ طَرِيفٍ يَا أَبَتِ ، وَأَيُّ هَذِهِ الْأُسْرِ اللُّغَوِيَّةِ أَقْدَمُ ؟ .

◇ كَانَ الْبَاحِثُونَ مِنْ عُلَمَاءِ الْغَرْبِ يُرْجِحُونَ أَنَّ أَقْدَمَ هَذِهِ الْأُسْرِ هِيَ الْأُسْرَةُ الْهِندِيَّةُ الْجُزْمَانِيَّةُ ؛ وَلَا سِيَّمَا السُّنْسُكْرِيَّةُ ، وَالْجُزْمَانِيَّةُ .

◆ تَقُولُ - يَا أَبَتِ - كَانُوا يُرْجِحُونَ ، وَهَلْ جَدَّ فِي الْأَمْرِ جَدِيدٌ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ؛ فَقَدْ لَقِيَ هَذَا الرَّأْيُ مُعَارَضَةً مِنْ أُنْبَاءِ «الْهِنْدِ» أَنْفُسِهِمْ .

◆ مِنْ أُنْبَاءِ «الْهِنْدِ» !! .

◇ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ : الْمُسْلِمُونَ مِنْ أُنْبَاءِ «الْهِنْدِ» ، فَهَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ الْهُنُودُ الْمُسْلِمُونَ ، اجْتَمَعَتْ لَهُمُ الْمَعْرِفَةُ بِاللُّغَةِ «الْهِندِيَّةِ» لُغَةً بِلَادِهِمْ ، وَبِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لُغَةً قُرْآنِهِمْ ، وَبِاللُّغَاتِ الْأُورُوبِيَّةِ بِحُكْمِ تَقَاتِيهِمْ ؛ فَاسْتَطَاعُوا تَضَحِيحَ خَطِّ الْغَرْبِ الشَّائِعِ ، وَقَرَّرُوا أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ أُمُّ جَمِيعِ اللُّغَاتِ وَأَصْلُهَا .

◆ هَذَا شَيْءٌ رَائِعٌ - يَا أَبَتِ - ، وَهَلْ نُشِرَتْ هَذِهِ الْبُحُوثُ ؟ ...
وَمِنْ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِهَا ؟ .

◇ إِنَّ أَمْرَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ قَامُوا بِهَذِهِ الْبُحُوثِ هُوَ الْعَلَامَةُ اللُّغَوِيَّةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَحْمَدُ مَظْهَرٌ ، وَقَدْ نَشَرَ سِلْسِلَةً مِنَ الْبُحُوثِ الْمُسْتَفِيزَةِ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي مَجَلَّةِ الْأَدْيَانِ ؛ الَّتِي تَصْدُرُ فِي «بَاكِسْتَان» تَحْتَ عُنْوَانِ «الْعَرَبِيَّةُ أُمُّ جَمِيعِ اللُّغَاتِ» .

◆ وَهَلْ وَصَلَ فِي بَحْثِهِ إِلَى مَا يُقْنِعُ ؟ .

◇ إنَّ مَا جَاءَ بِهِ - يَا بُنَيَّ - أَكْثَرُ إِفْتَاغًا مِمَّا أَتَى بِهِ أَيُّ بَاحِثٍ يُتَاهِضُ رَأْيَهُ .

◆ أَيْعْنِي هَذَا أَنَّ لُغَتَنَا الْعَرَبِيَّةَ أَقْدَمُ مِنَ الْفَرَنْسِيَّةِ ، وَالْإِنْكِلِيزِيَّةِ ، وَغَيْرَهُمَا مِنْ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ الْيَوْمَ ؟

◇ هَذَا أَمْرٌ لَا مِرَاءَ فِيهِ وَلَا جِدَالَ ، فَالْعَرَبِيَّةُ أَقْدَمُ اللُّغَاتِ الْمَحْكِيَّةِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، فَلَا الْفَرَنْسِيَّةَ وَلَا الْإِنْكِلِيزِيَّةَ وَلَا غَيْرَهُمَا مِنْ لُغَاتِ الْأَرْضِ الْمَعْرُوفَةِ الْيَوْمَ تَدْنُو^(١) مِنَ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقِدَمِ ، أَوْ تَسْمُو إِلَيْهَا فِي الْعِرَاقَةِ .

◆ إِلَى أَيِّ تَارِيخٍ يَزْجِعُ اكْتِمَالُ لُغَتِنَا ، يَا أَبَتِ ؟

◇ لَيْسَ فِي وَشْعٍ أَحَدٍ أَنْ يُجِيبَكَ عَلَى سُؤَالِكَ هَذَا ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ هُوَ أَنَّ عَثْرَةَ بَنٍ شَدَادٍ خَاطَبَ عَبْلَةَ بِنْتِ عَمِّهِ مُنْذُ خَمْسَةِ عَشَرَ قَرْنًا^(٢) يَقُولُهُ :

هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ^(٣) أَنَّنِي أَغْشَى الْوَعْيَ ، وَأَعِيفُ^(٤) عِنْدَ الْمَغْنَمِ

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَاخَ نَوَاهِلُ^(٥) مِنِّي وَبِضْ الْهِنْدِ^(٦) تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ

وَقَدْ جَرَى هَذَا الشُّعْرُ - كَمَا تَرَى يَا بُنَيَّ - فِي الْأَفَاطِ وَتَرَائِيبِ وَتَشْبِيهَاتِ وَاسْتِعَارَاتِ كَتَلِكَ الَّتِي نَسْتَعْمِلُهَا الْيَوْمَ ، فَكَمْ تُقَدَّرُ مِنْ مِثَالِ السَّنِينَ قَدْ انْصَرَمَتْ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ هَذِهِ اللُّغَةُ ذَلِكَ الْمَبْلَغَ مِنَ الْكَمَالِ ؟

◆ لَا يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ .

(١) تَدْنُو : تَقَارِبُ .

(٢) كَتَبْتُ سَنَةَ ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .

(٣) الْوَقِيعَةُ : الْمَوْقِعَةُ الْحَرَبِيَّةُ .

(٤) أَعِيفُ : أَتْرَكَ شَهْوَةَ الطَّمَعِ فِي الْغَنِيمَةِ .

(٥) نَوَاهِلُ مَي : عَامَلَاتُ فِي جَسَدِي كَأَنَّهَا تَشْرَبُ مِنْهُ .

(٦) بِيضُ الْهِنْدِ : السُّيُوفُ الْهِنْدِيَّةُ الْمَصْقُولَةُ الْبَيْضَاءُ الْحَدَّ .

◇ منطبق الأشياء، وسنن الحياة - يا بُنَيَّ - تقضي بأن تكون هذه اللغة موعلة في القدم؛ حتى أمكن لعنزة وغيره من الشعراء الجاهليين أن يقرضوا هذا الشعر المحكم بأوزانه، وقوافيه، وقواعده، ونظامه في ذلك الأسلوب البديع.

◆ ولكن يا أبت ...

◇ ولكن ماذا؟ ...

◆ ولكن سؤالي ما يزال ينتظر الجواب.

◇ أي سؤال؟ فأسئلتك كثيرة بحمد الله.

◆ سؤالي عن قدم العربية بالنسبة إلى الفرنسية مثلا.

◇ وما الذي جعلك تختار الفرنسية دون سواها؟

◆ لأن الفرنسية - كما هو شائع - من أكثر اللغات الحية عراقا، وأغناها مادة، وأضبطها نظاما.

◇ على الرغم من أن هذا الذي يقال عن الفرنسية حق، فإنه لا مجال للموازنة بين العربية والفرنسية من حيث العراقة والقدم، ولو وضعت العربية في كفة والفرنسية في كفة أخرى؛ لثالت^(١) كفة الفرنسية وزجحت كفة العربية رجحانا كبيرا.

◆ عجيبت !!! ...

◇ وما وجه العجب يا بُنَيَّ؟

(١) لثالت: خف وزن ما فيها فارتفعت كما ترتفع كفة الميزان الخفيفة.

◆ وَجْهُ الْعَجَبِ - يَا أَبَتِ - أَنَّ الْعَالَمَ يَضَعُ اللُّغَةَ الْفَرَنْسِيَّةَ فِي رَأْسِ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ ، وَيَضَعُ^(١) عَلَى لُغَتِنَا بِهَذَا اللَّقَبِ .

◇ أَيُّ عَالَمٍ هَذَا ؟... أَهَذَا الْعَالَمُ الْحَاقِدُ عَلَيْنَا ، الظَّالِمُ لَنَا ، تُسَمِّعُ شَهَادَتَهُ فِينَا وَفِي لُغَتِنَا ؟!... لَيْتَ هَذَا الْعَالَمُ الَّذِي تَغْنِيهِ - يَا بُنَيَّ - يَتَذَكَّرُ أَنَّ « فَرَنْسَا » كَانَتْ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ بِلَا لُغَةٍ فَرَنْسِيَّةَ .

◆ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ كَانَتْ « فَرَنْسَا » مِنْ غَيْرِ فَرَنْسِيَّةٍ !!؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ ؛ حَيْثُ كَانَتْ دَوَاوِينُ الشُّعْرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ وَالْإِسْلَامِيِّينَ قَدْ صُنِعَتْ ، وَرَوَائِعُ الْجَاوِظِ قَدْ كُتِبَتْ ، وَأَشْعَارُ بَشَّارٍ وَأَبِي تَمَّامٍ وَالْبُخَيْرِيِّ قَدْ نُظِمَتْ ، وَآلَافُ الْكُتُبِ الْيُونَانِيَّةِ وَغَيْرِ الْيُونَانِيَّةِ قَدْ تُرْجِمَتْ ، فِي هَذَا الْقَرْنِ - يَا بُنَيَّ - كَانَتْ « فَرَنْسَا » بِلَا لُغَةٍ فَرَنْسِيَّةَ .

◆ كَلَامٌ لَا يَكَاذُ ...

◇ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ : لَا يَكَاذُ يُصَدِّقُ ، نَعَمْ - يَا بُنَيَّ - لَا يَكَاذُ يُصَدِّقُ ، لَوْلَا أَنَّ التَّارِيخَ يَقُولُ لَنَا : إِنَّهُ فِي مَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ لِلْمِيلَادِ ؛ الْمُوَافِقِ لِعَامِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ كَانَ الْفَرَنْسِيُّونَ يَتَكَلَّمُونَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ لَهْجَةً ، وَلُغَةً ، وَلُغِيَّةً .

◆ عِشْرُونَ لَهْجَةً !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَفِي هَذَا الْعَامِ تَغْلِبُ « شَارْلُ » وَ« لُوئِيسُ » ابْنَا « شَارْلَمَانُ » عَلَى أُخِيهِمَا ، فَلَمَّا أَرَادَا أَخْذَ الْعَهْدِ^(٢) عَلَى جُنْدِيهِمَا بِالْوَلَاءِ لَهُمَا ، لَمْ يَسْتَطِيعَا مُحَاطَبَتَهُمْ بِلُغَةٍ مَفْهُومَةٍ لَدَى الْجَمِيعِ .

(٢) أَخْذَ الْعَهْدِ : الْمُبَايَعَةُ وَالتَّعَهُدُ بِالْوَلَاءِ وَالْإِتِمَاعِ .

(١) يَضَعُ : يَجْعَلُ .

◆ فَمَاذَا صَنَعَا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ سَدَّدَا وَقَارَبَا^(١)، وَاسْتَعْمَلَا مُخْتَلِفَ وَسَائِلِ التَّعْبِيرِ؛ حَتَّى أَفْهَمَا جُنْدَهُمَا مَا يُرِيدَانِهِ ... وَلَكِنَّ الْجُنُودَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا الرَّدَّ عَلَيْهِمَا بِلُغَةٍ يَفْهَمَانِهَا .

◆ إِذَنْ، مَتَى نَشَأَتِ الْفَرَنْسِيَّةُ؛ فَأَصْبَحَ يُقَالُ فِيهَا شِعْرٌ كَهَذَا الَّذِي قَالَهُ أَسْلَافُنَا قَبْلَ خَمْسَةِ عَشَرَ قَرْنًا؟ .

◇ يَتَدُّرُ أَنَّنَا اسْتَطَرَدْنَا كَثِيرًا - يَا بُنَيَّ - فَجَدَسْنَا مُخَصَّصَةً لِلْحَدِيثِ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ لَا عَنِ الْفَرَنْسِيَّةِ .

◆ أَرْجُوكَ، يَا أَبَتِ، أَرْجُوكَ، أَرْجُو أَنْ أَعْرِفَ مَتَى اكْتَمَلَتِ الْفَرَنْسِيَّةُ كَمَا اكْتَمَلَتْ لُغَتُنَا، وَمَتَى ثُبُتَتْ عَلَى لَهْجَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا ثُبُتَتْ فُصْحَانَا؟ .

◇ لَمْ تُثَبِّتِ الْفَرَنْسِيَّةُ عَلَى لَهْجَةِ أَهْلِ «بَارِيس»^(٢) إِلَّا فِي الْقُرُونِ الثَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ .

◆ فِي الْقُرُونِ الثَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ !! أَيُّ مُنْذُ خَمْسَةِ قُرُونٍ فَقَطْ .

◇ نَعَمْ مُنْذُ خَمْسَةِ قُرُونٍ فَقَطْ؛ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ رَأَفَ لِلْمِيلَادِ أَصْدَرُ الْمَلِكِ «شَارْل» الثَّاسِعِ أَمْرًا جَاءَ فِيهِ: يَجِبُ أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي بَلَاطِنَا بَعْدَ الْيَوْمِ وَفِي الرِّسَائِلِ الْمَوْجَّهَةِ إِلَيْنَا اللُّغَةُ الْفَرَنْسَوَازِيَّةُ .

◆ الْفَرَنْسَوَازِيَّةُ، أَمْ الْفَرَنْسِيَّةُ يَا أَبَتِ؟ .

◇ بَلِ الْفَرَنْسَوَازِيَّةُ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَرَنْسِيَّةَ لَمْ تَسْتَقِرَّ عَلَى اسْمِهَا الْمَعْرُوفِ هَذَا إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ التَّارِيخِ .

(١) سَدَّدَا وَقَارَبَا: حَاولَا أَنْ يَكُونَا قَوْلُهُمَا سَدِيدًا قَرِيبًا مِنَ الصَّوَابِ مَفْهُومًا .

(٢) بَارِيس: الْعَاصِمَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ .

◆ إِنَّهُ لَا مَرَّ يَدْعُرُ إِلَى الدُّهُشَةِ ، وَلَكِنْ ...

◇ مَا أَكْثَرَ اسْتِذْرَاكَاتِكَ ! وَلَكِنْ مَاذَا ؟ .

◆ وَلَكِنْ ، مَا قِيَمَةُ قَدَمِ اللُّغَةِ ، وَمَا الصُّلَةُ بَيْنَ قَدَمٍ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ وَبَيْنَ قُوَّتِهَا وَحَيَاتِهَا ؟ .

◇ إِنَّ قَدَمَ اللُّغَةِ يَا بُنَيَّ ، عِرَاقَةٌ^(١) تُحَسَّبُ لَهَا كَمَا تُحَسَّبُ لِأَيِّ كَائِنٍ حَيٍّ عَرِيقٍ ، وَإِنَّ طَوْلَ بَقَاءِ اللُّغَةِ يُؤَدِّي إِلَى النَّمَاءِ ، وَالِاضْطِفَاءِ ، وَالنُّضْجِ ، وَالِاسْتِقْرَارِ .

◆ إِذَنْ قَدَمُ اللُّغَةِ ، وَبَقَاؤُهَا آيَتَانِ^(٢) عَلَى غِنَاهَا وَصَلَاحِهَا ؟ .

◇ نَعَمْ - يَا بُنَيَّ - فَاللُّغَةُ - أَيْهُ لُغَةٍ - تَكُونُ فِي نَشَأَتِهَا الْأُولَى قَلِيلَةَ الْكَلِمَاتِ ، نَاقِصَةَ الدَّلَالَةِ ، مَحْدُودَةَ الْأَسَالِيبِ ، ثُمَّ يَعْمَلُ فِيهَا الْفِكْرُ عَمَلَهُ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ ؛ فَتَغْنَى وَتَنْضُجُ وَتَسْتَقِرُّ .

◆ الْفِكْرُ !! وَهَلْ مِنْ عِلَاقَةٍ بَيْنَ الْفِكْرِ وَاللُّغَةِ يَا أَبْتَ ؟ .

◇ أَعْظَمُ عِلَاقَةٍ ، فَلَوْلَا الْفِكْرُ لَفَقَدَتِ اللُّغَةُ قِيَمَتَهَا ، وَلَمْ يَكُنْ لَوُجُودِهَا مَعْنَى ... إِنَّ الْفِكْرَ - يَا بُنَيَّ - يَعْمِدُ إِلَى الْأَصْوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الْفَارِغَةِ فَيَرْبُطُهَا بِالْمَعَانِي ، وَيَجْعَلُهَا كَالْأَصْدَافِ الَّتِي تَحْمِلُ مِنَ الدُّرِّ مَا يَبْهَرُ الْعَقْلَ ، أَوْ كَالْأَغْصَانِ الَّتِي تَحْمِلُ مِنَ الثَّمَارِ مَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ .

◆ تَشْبِيهُ جَمِيلٌ يَا أَبْتَ .

◇ جَعَلَ اللَّهُ حَيَاتَكَ بِالْعِلْمِ ، وَزَانَ شَبَابَكَ بِالتَّقْوَى وَالْحِلْمِ ...

(١) العِرَاقَةُ : امتداد في التاريخ والقدم .

(٢) آيتان : علامتان ودليлан .

ثُمَّ إِنَّ الْفِكْرَ - يَا بُنَيَّ - هُوَ الَّذِي يُوسِّعُ طَاقَاتِ اللُّغَةِ، وَيُمَدِّدُهَا بِالْكَلِمَاتِ
الْجَدِيدَةِ، وَيَتَنَدَّعُ فِيهَا الْأَسَالِيبُ الْبَارِعَةُ وَالصُّوَرُ الرَّائِعَةُ، وَيَضَعُ لَهَا الْقَوَاعِدَ
الَّتِي تُحْكِمُ نِظَامَهَا، وَتَضْبِطُ أَحْكَامَهَا، وَقَدْ عَمِلَ الْفِكْرُ الْإِسْلَامِيُّ فِي لُغَتِنَا
مَا لَمْ تَعْمَلْهُ الْأَفْكَارُ الْأُخْرَى فِي لُغَاتِهَا عَلَى مَدَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا.

◆ مَا أَعْظَمَ هَذَا الْإِسْلَامَ - يَا أَبَتِ - فَقَدْ أَكْرَمَنَا بِالْعَقِيدَةِ الصَّافِيَةِ، وَالشَّرِيعَةِ
الْوَافِيَةِ، وَاللُّغَةِ الْمُكْتَمِلَةِ الَّتِي وَسَّعَتْ كِتَابَ اللَّهِ.

* * *

◆ مِنَ الْمُؤْسِفِ - حَقًّا - يَا أَبَتِ أَنَّ الْكُلَّ يَظْلِمُ لُغَتَنَا الْعَرَبِيَّةَ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ
الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْدَاءِ.

◇ قُلْتُ: الْكُلُّ يَظْلِمُ هَذِهِ اللُّغَةَ؟

◆ نَعَمْ يَا أَبَتِ، الْكُلُّ يَظْلِمُهَا وَيَعْدُو^(١) عَلَيْهَا.

◇ لَعَلَّكَ أَخَذَ ظَالِمِيهَا.

◆ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَظْلِمَهَا، وَأَنَا عَالِمٌ بِمَا أَفْعَلُ.

◇ أَلَيْسَ مِنْ ظُلْمِ اللُّغَةِ - يَا بُنَيَّ - أَنْ تَعْدُو عَلَى نِظَامِهَا، وَتَجُورَ عَلَى أَحْكَامِهَا،
وَتَلْحَنَ فِي أَلْفَاطِهَا.

◆ أَفَعَلْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يَا أَبَتِ؟

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ، لَقَدْ قُلْتُ: الْكُلُّ يَظْلِمُ هَذِهِ اللُّغَةَ، وَهَذَا مِمَّا لَا يُقَالُ.

◆ وَأَيْنَ مَوْضِعُ اللَّحْنِ فِي هَذَا يَا أَبَتِ؟

(١) يعدو عليها: يهتدى عليها، فيحدث فيها التحريف والغلط.

◆ لَقَدْ أَدْخَلْتُ «أَل» التَّعْرِيفَ عَلَى لَفْظَةِ كُلٍّ، وَهَذَا أَمْرٌ خَارِجٌ عَلَى سَنَنِ الْفَصَاحَةِ.

◆ وَلَكِنَّ هَذَا كَثِيرٌ شَائِعٌ يَا أَبَتِ.

◆ سُيُوعُ الْخَطَا - يَا بُنَيَّ - لَا يَجْعَلُهُ صَوَابًا، وَكَذَلِكَ سُيُوعُ الرَّذِيلَةِ لَا يَجْعَلُهَا فَضِيلَةً.

◆ أَجَاءَ عَنِ الْعَرَبِ شَيْءٌ فِي ذَلِكَ، يَا أَبَتِ ؟

◆ نَعَمْ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ : الْعَوَامُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَوَاصِّ يَقُولُونَ : الْكُلُّ وَ**الْبَعْضُ**، وَإِنَّمَا هُمَا كُلٌّ وَ**بَعْضٌ** لَا تَدْخُلُهُمَا الْأَلِفُ وَ**الْلَامُ**؛ لِأَنَّهُمَا مُعَرَّفَتَانِ بَيِّنَةُ الْإِضَافَةِ، وَبِذَلِكَ نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

◆ طَيِّبٌ.

◆ وَقَالَ الْأُسَمَعِيُّ : قَرَأْتُ آدَابَ ابْنِ الْمُقَفَّعِ؛ فَلَمْ أَرَ فِيهَا لَحْنًا إِلَّا قَوْلَهُ : الْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِالْكُلِّ مِنْهُ فَاحْفَظُوا الْبَعْضَ.

◆ أَتَسْمَحُ لِي بِأَنْ أُثَبِّتَ ذَلِكَ فِي بَابِ «مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ» مِنْ مُذَكَّرَاتِي ؟

◆ أَثَبِّتْهُ وَأَضِفْ إِلَيْهِ شَيْئًا آخَرَ مِنْ بَابِهِ.

◆ وَمَا هُوَ - يَا أَبَتِ - ؟ مُجِزَتِ الْخَيْرِ.

◆ أَضِفْ إِلَيْهِ أَنَّ «أَل» التَّعْرِيفِ لَا تَدْخُلُ عَلَى غَيْرِ، وَكَافَّةً، وَقَاطِبَةً.

◆ إِذَنْ لَا يُقَالُ : الْغَيْرُ، وَ**الْكَافَّةُ**، وَ**الْقَاطِبَةُ**.

◆ نَعَمْ، كَمَا لَا يُقَالُ : الْكُلُّ، وَ**الْبَعْضُ**.

◆ جُزِيتَ خَيْرًا - يَا أَبَتِ - كِفَاءً^(١) مَا نَصَحْتَ وَنَفَعْتَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، إِنَّ فِي النَّفْسِ شَوْقًا إِلَى رَوْضَةِ الشَّعْرِ ، فَأَيْنَ جَنَاهَا ؟ .

◇ هُوَ مِنْكَ دَانَ قَرِيبٌ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَغْرَاكَ يَرُوضِهِ ؟ .

◇ أَسَامَةُ بْنُ مُنْقِذٍ .

◆ وَمَنْ أَسَامَةُ هَذَا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ هُوَ عَلِمَ مِنْ أَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ ، عَاشَ شَهْمًا فَارِسًا ، وَرَهَا مُجَاهِدًا مُقَاتِلًا ،
وَلَمَعَ أَدِيبًا وَشَاعِرًا .

◆ وَأَيْنَ نَشَأَ وَعَاشَ ؟ .

◇ نَشَأَ عَلَى ضِفَافِ الْعَاصِي بِجَوَارِ « حِمَاة » مِنْ بِلَادِ الشَّامِ ، وَصَرَفَ مُعْظَمَ
شَبَابِهِ فِي بَلَاطِ نُورِ الدِّينِ زُنْكِئِي فِي « دِمَشَق » ، وَفِي قُصْرِ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ
بِالْقَاهِرَةِ ، وَقَضَى شَيْخُوخَتَهُ فِي ظِلِّ صَدِيقِهِ صَلاَحِ الدِّينِ بَطَلِ الْإِسْلَامِ وَقَاهِرِ
الصَّلِيبِيِّينَ .

◆ عَلَى هَذَا فَقَدْ شَهِدَ الْحُرُوبَ الصَّلِيبِيَّةَ .

◇ شَهِدَهَا يَا بُنَيَّ وَأَبْلَى^(٢) فِيهَا هُوَ وَأَبُوهُ أَمِيرُ « شِيزَر » أَعْظَمَ الْبَلَاءِ ... وَكَانَ
يَحْقُ مَثَلًا زَائِعًا لِلْفُرُوسِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

◆ وَمَا الَّذِي جَنَيْتُهُ مِنْ رَوْضِهِ ؟ .

(١) كِفَاءً : جِزَاءً وَمِثْلًا .

(٢) أَبْلَى : فَعَلَ فِيهَا أَعْمَالًا بَطُولِيَّةً رَاتِعَةً .

◆ قِطْعَةٌ قَالَهَا وَقَدْ كَبِرَتْ سِنُّهُ ، وَوَهَنَ عَظْمُهُ ، وَغَيَّبَ الْمَوْتُ أَحْبَابَهُ ، وَطَوَى
الشَّرَى أَثَرَاهُ^(١) .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا يَا أَبَتِ ؟ .

◆ يَقُولُ :

أَحْبَابَنَا ، كَمْذَا يُشَتُّ شَمْلَنَا الْبَيْنُ الطَّرُوحُ^(٢)
وَلِمَ التَّفَرُّقُ ؟ أَنَّ أَنْ تَذُورَ الدِّيَارَ وَأَنْ تَرُوحُوا
مَاذَا يُجِرُ^(٣) مِنَ الْحَيْنِ إِلَيْكُمْ الْقَلْبُ الْقَرِيحُ ؟
أَنَا بَعْدَكُمْ كَالْوُزْقِ^(٤) فِي أَغْصَانِهَا أَبَدًا تَنُوحُ
لِكِنَّهَا غَاضَتْ^(٥) مَدَامِعُهَا وَلِي دَمْعٌ سَفُوحُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ لِدَّتِي^(٦) وَأَثَرَابِ الصَّبَا خِلٌّ نَصُوحُ
غَالَتُهُمْ^(٧) الدُّنْيَا ، وَصَدَّعَ شَمْلَهُمْ زَمَنٌ نَطُوحُ^(٨)
أَنَا بَعْدَهُمْ مَيِّتٌ ، وَلِي مِنْ جِسْمِي الْبَالِي ضَرِيحُ
◆ مَا أَجْمَلَ الصُّورَةَ الَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا الْبَيْتُ الْأَخِيرُ يَا أَبَتِ !! .

◆ بَلْ مَا أَرْهَفَ جِسْمَكَ الَّذِي لَقَّتَكَ إِلَى جَمَالِ الصُّورَةِ !! .

* * *

(١) التراب : الممائل في السن .

(٢) البين الطروح : البعد الذي يقذف بالناس كل واحد في مكان بعيد عن أهله .

(٣) يجر : يستر ويخفي .

(٤) الورق : أنواع من الحمام .

(٥) غاضت مدامعها : جفت مدامعها ، وكأن عيونها لم يمد فيه ماء .

(٦) اللدة : الأصدقاء المقاربون في العمر الذين وُلِدُوا في زمن واحد .

(٧) غالتهم الدنيا : اغتالتهم الدنيا فماتوا .

(٨) نطوح : شديد النطاح كأنه الثور الذي يناطح البشر حتى يهزمهم .

◆ أبت ، قلت : إِنَّ أُسَامَةَ بْنَ مُنْقِذٍ قَالَ قَصِيدَتُهُ بَعْدَ أَنْ كَبِرَتْ سِنُهُ وَشَاخَ ، فِيهِ آيَةٌ مِنْ يُطْلَقُ عَلَى الرَّجُلِ اسْمُ شَيْخٍ ؟ ... وَهَلْ جَعَلَ الْعَرَبُ لِكُلِّ سِنٍ لَفْظًا خَاصًّا بِهَا ؟

◇ لَقَدْ تَتَبَعَ الْعَرَبُ يَا بُنَيَّ هَذَا الْإِنْسَانَ مِنْ أَوَّلِ حَيَاتِهِ إِلَى حِينِ وَقَاتِهِ ، وَوَضَعُوا لِكُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاجِلِ عُمرِهِ اسْمًا خَاصًّا بِهَا .

◆ فَمَازَا قَالُوا ؟

◇ قَالُوا : إِنَّ الْإِنْسَانَ مَا دَامَ فِي الرَّحِمِ فَهُوَ : جَنِينٌ .
فَإِذَا وُلِدَ ، فَهُوَ : وَلِيدٌ .

وَمَا دَامَ لَمْ يَسْتَيْمِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، فَهُوَ : صَالِيغٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَنَدُ صُدْغُهُ^(١) إِلَّا فِي تَمَامِ السَّبْعَةِ .

فَإِذَا قُطِعَ عَنِ اللَّبَنِ ، فَهُوَ : فَطِيمٌ .

فَإِذَا هُوَ دَبَّ وَنَمَا سُمِّيَ : دَارِجًا .

فَإِذَا سَقَطَتْ رَوَاضِعُهُ^(٢) ، فَهُوَ : مُتَغَوِّزٌ .

فَإِذَا نَبَتَتْ أَسْنَانُهُ بَعْدَ السَّقُوطِ ، فَهُوَ : مُشْعِرٌ ، وَ مُشْعِرٌ ، بِالنَّاءِ وَالشَّاءِ .

فَإِذَا كَادَ يُجَاوِزُ الْعَشَرَ السِّنِينَ ، فَهُوَ : مُتَرَعِّرٌ ، وَ نَاشِئٌ .

فَإِذَا كَادَ يَبْلُغُ الْحُلُمَ أَوْ بَلَغَهُ ، فَهُوَ : يَافِعٌ ، وَ مُرَاهِقٌ ، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ

هَذِهِ الْأَحْوَالِ السَّابِقَةِ اسْمٌ : غَلَامٌ .

فَإِذَا اخْضَرَّ^(٣) شَارِبُهُ وَسَالَ عِذَارُهُ^(٤) قِيلَ : بَقْلٌ وَجْهُهُ .

فَإِذَا صَارَ ذَا فَنَاءٍ ، فَهُوَ : فَتًى ، وَ شَارِخٌ .

(١) الصدغ : جانب الوجه من العين إلى الأذن .

(٢) الرواضع : الأسنان الأمامية للطفل التي يمكنه بها أن تمتص الثدي عند الرضاع .

(٣) اخضر شاربهُ : نبت شاربهُ .

(٤) سال عذارهُ : استرسل شعرهُ النابت على جانبي وجنتيه .

فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لِحَبِيبَتِهِ وَبَلَغَ شَبَابَهُ ، فَهُوَ : مُجْتَمِعٌ .
 ثُمَّ مَا دَامَ بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ ، فَهُوَ : شَابٌ .
 ثُمَّ مَا دَامَ بَيْنَ الْأَرْبَعِينَ وَالسُّتَيْنِ ، فَهُوَ : كَهْلٌ .
 ثُمَّ إِذَا جَاوَزَ السُّتَيْنِ ، فَهُوَ : شَيْخٌ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ شَفِيتَ وَوَفَّيْتَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، إِنَّ النَّفُوسَ تَتَوَقُّ إِلَى كُلِّ طَرِيفٍ ؛ فَهَلَّا أَمْتَعْتَنَا بِطُرْفَةٍ مِنْ مَرْوِيَّاتِكَ .

◇ حُبًّا وَكِرَامَةً :

جَاءَ فِي كِتَابِ الْهَفَوَاتِ النَّادِرَةِ : أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ انْفَرَدَ يَوْمًا مِنْ عَسْكَرِهِ فِي سَوَادٍ^(١) « وَاسِطٌ » فَمَرَّ بِبُشْتَانِي يَسْقِي أَرْضَهُ ؛ فَوَقَّفَ مَعَهُ وَقَالَ :
 يَا بُشْتَانِي ، كَيْفَ حَالُكُمْ مَعَ الْحَجَّاجِ ؟
 فَقَالَ : أَخْزَاهُ اللَّهُ ؛ إِنَّهُ الْمُبِيدُ الْمُبِيرُ^(٢) ، وَغَاءَ النُّقْمَةُ وَمُزِيلُ النُّعْمَةِ ، سَافِكُ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَبْثٍ ، الْمُفْرَقُ بَيْنَ الْحَبِيبَةِ وَخِلِّهَا ... عَجَّلَ اللَّهُ مِنْهُ بِالْإِنْتِقَامِ ، وَصَرَفَ مَعْرَتَهُ^(٣) وَمَضَرَّتُهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ .
 فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : أَتَعْرِفُنِي ؟
 قَالَ : لَا .

قَالَ : فَأَنَا الْحَجَّاجُ .

فَرَأَى الْبُشْتَانِي الْمَوْتَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَرَفَعَ عَصًا كَانَتْ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَقَالَ :
 أَتَعْرِفُنِي ؟ ... أَنَا أَبُو ثَوْرٍ الْمَجْنُونُ ، وَهَذَا يَوْمٌ صَرْعِي .
 ثُمَّ أَرْبَدَ ، وَأَرْغَى ، وَهَاجَ ، وَعَدَا ، وَأَرَادَ أَنْ يَضْرِبَ رَأْسَهُ بِالْعَصَا ...
 فَضَحِكَ الْحَجَّاجُ مِنْهُ ، وَمَضَى .

* * *

(١) السواد : ما حول المدينة من لقرى والحقول . (٢) المبير : المهلك . (٣) معرفته : عاره وقبحه .

الجلسة الثالثة

الإفتراءات على اللغة ومن أين تأتي

◆ سلام الله عليك يا أبت .

◇ عليك سلام الله ورحمته وهداؤه .

◆ أبت ، يُكثير الناس الحديث في هذا العصر عن اللغات الحية ، فيخلعون هذا اللقب على بعض اللغات ، ويتزعمونه عن بعضها الآخر ... فما المراد باللغة الحية يا أبت ؟ .

◇ اللغة الحية - يا بُنَيَّ - هي اللغة العالمية الصالحة لأداء رسالة العلم والثقافة في هذا القرن ، قرن الكهرباء والذرة والفضاء .

◆ وهل عجزت لغتنا عن أداء هذه الرسالة ؛ حتى تُحرم من هذا اللقب ؟ .

◇ ليس العجز في لغتنا - يا بُنَيَّ - وإنما هو فيما نحن ، وليس الذنب ذنبها ، وإنما هو ذنبنا .

◆ ذنبنا نحن ١١٩ .

◆ نَعَمْ ، ذُبُّنَا نَحْنُ ، فَتَحْنُ أَوَّلُ مَنْ أَصَاخُ (١) بِسْمِيعِهِ إِلَى افْتِرَاءِ الْمُفْتَرِينَ عَلَى هَذِهِ اللُّغَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ افْتَتَحَ بِعَجْزِهَا عَنْ آدَاءِ رِسَالَةِ الْعِلْمِ وَالْثَّقَافَةِ ... لَقَدْ افْتَتَعْنَا بِذَلِكَ ثُمَّ رُحْنَا نُفْنِجُ الْآخَرِينَ .

◆ وَمِنْ أَهْنٍ جَاءَتْ هَذِهِ الْفِرْيَةُ (٢) الَّتِي أُلْصِقْتُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَا أَبَتِ ؟ .

◆ مِنْ مَصَادِرَ كَثِيرَةٍ ، وَلَعَلَّكَ تَذْهَشُ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ طَائِفَةً مِنْ أَبْنَائِنَا كَانَتْ مَصْدَرًا مِنْ هَذِهِ الْمَصَادِرِ .

◆ طَائِفَةٌ مِنْ أَبْنَائِنَا ١١ .

◆ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَوَائِلِ الْمُتَرْجِمِينَ الَّذِينَ نَذَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِتَرْجَمَةِ عُلُومِ أَوْرُبَّا فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الْمَاضِي (٣) وَأَوَائِلِ هَذَا الْقَرْنِ (٤) قَدْ أَشْهَمُوا إِسْهَامًا كَبِيرًا فِي إِضْدَارِ هَذَا الْحُكْمِ الْجَائِرِ عَلَى اللُّغَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ .

◆ وَمَا الَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ١٢ .

◆ عَجْزُهُمْ ، عَجْزُهُمْ - يَا بُنَيَّ - فَالْمُتَرْجِمُ لَا يَسْتَطِيعُ التُّهُوَضُ بِعِبءِ التَّرْجَمَةِ الثَّقِيلِ إِلَّا إِذَا تَوَافَرَتْ لَهُ شُرُوطُ أَرْبَعَةٍ .

◆ وَمَا هِيَ ؟ .

◆ أَوَّلُهَا : أَنْ يَكُونَ الْمُتَرْجِمُ فَقِيهًا بِاللُّغَةِ الَّتِي يُتَرْجِمُ مِنْهَا ، وَاقِفًا عَلَى أَسْرَارِهَا .

◆ وَثَانِيهَا ؟ .

◆ وَثَانِيهَا : أَنْ يَكُونَ فَقِيهًا أَيْضًا بِاللُّغَةِ الَّتِي يُتَرْجِمُ إِلَيْهَا ، مُتَمَكِّنًا مِنْ دَقَائِقِهَا .

(١) أصاخ بسمعه : أنصت باهتمام .

(٢) الفرية : الكذبة .

(٣) القرن التاسع عشر الميلادي .

(٤) القرن العشرون الميلادي .

♦ وثالثها ؟ .

◇ وثالثها : أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْفَرْنِ الَّذِي يُتَرْجَمُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ تَرْجَمَةً كِتَابٍ فِي الطُّبِّ إِلَّا طَبِيبٌ ، وَلَا تَرْجَمَةً كِتَابٍ فِي الْفَلَكِ إِلَّا فَلَكَيٌّ ، وَلَا تَرْجَمَةً كِتَابٍ فِي الذَّرَّةِ إِلَّا عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ الذَّرَّةِ .

♦ وَرَابِعُ هَذِهِ الشُّرُوطِ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ رَابِعُهَا : أَنْ يَكُونَ الْمُتَرْجِمُ ذَا مُشَارَكَةٍ وَافِيَةٍ بِالثَّقَافَةِ الْعَامَّةِ السَّائِدَةِ فِي عَصْرِهِ .

♦ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهَا صِلَةٌ بِالْمَوْضُوعِ الْمُتَرْجَمِ ! .

◇ نَعَمْ ، وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً الصَّلَاةَ بِالْمَوْضُوعِ الْمُتَرْجَمِ .

♦ وَلَكِنَّ هَذِهِ الشُّرُوطَ صَعْبَةٌ - يَا أَبَتِ - وَهِيَ لَا تَجْتَمِعُ إِلَّا لِلْقَلِيلِ الْقَلِيلِ مِنَ النَّاسِ ، وَأَعْلَبُ الظَّنِّ أَنَّهَا لَمْ تَتَوَافَرْ لِأَوَائِلِ الْمُتَرْجِمِينَ .

◇ لَا تَقُلْ : أَعْلَبُ الظَّنِّ ؛ فَالَّذِينَ نَدَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِلتَّرْجَمَةِ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يُتَقَنُّ اللُّغَةَ * الْأَجْنَبِيَّةَ الَّتِي يُتَرْجَمُ مِنْهَا بِحُكْمِ دِرَاسَتِهِ فِي أَوْرُبَّا ، وَلَكِنَّهُ لَا يُجِيدُ الْعَرَبِيَّةَ وَلَا يَعْرِفُ أَسْرَارَهَا ...

وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ يُتَقَنُّ الْعَرَبِيَّةَ ؛ لَكِنَّ حَظَّهُ مِنَ اللُّغَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ قَلِيلٌ .
وَإِذَا وَجَدَ فِيهِمْ مَنْ يُتَقَنُّ اللُّغَتَيْنِ ، فَإِنَّ حَظَّهُ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِالْعِلْمِ الْمُتَرْجَمِ قَلِيلٌ أَوْ مَعْدُومٌ .

♦ إِذَنْ هَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي جَعَلَ كَوَاهِلَ هَؤُلَاءِ تَتَوَدُّ (١) بِهِذَا الْعِيبِ ؟ .

(١) تنوء : تعجز عن حمل هذا العبء .

◆ ذَلِكَ كَذَلِكَ - يَا بُنَيَّ - وَلَكِنَّهُمْ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَلْتَمِسُوا النِّقْصَ فِي أَنْفُسِهِمْ
الْتَمِسُوهُ فِي لُغَتِهِمْ؛ فَأَرْسَعُوهَا لَوْ مَا وَذَمَّا، وَقَالُوا فِيهَا مَا لَمْ يَقُلْهُ مَالِكٌ فِي
الْحَمْرِ.

◆ لَعَلَّ حَافِظًا^(١) كَانَ يَعْنِي هَؤُلَاءِ حِينَ قَالَ عَلَى لِسَانِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ :

رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي
عَقُمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي
وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً
وَمَا ضِيقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ
وَتَنَمِيقُ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتٍ؟

◆ نَعَمْ - يَا بُنَيَّ - إِنَّ حَافِظًا مَا كَانَ يَعْنِي إِلَّا هَؤُلَاءِ وَأَشْيَاعُهُمْ^(٢)؛ فَهُمْ الَّذِينَ رَمَوْا
لُغَةَ الْقُرْآنِ بِالْعُقْمِ، وَمَا الْعُقْمُ إِلَّا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ وَصَمُوهَا بِالْعَجْزِ،
وَمَا الْعَجْزُ إِلَّا فِي ذَوَاتِهِمْ.

◆ أَبَتِ - مَعْدِرَةً -، كُنْتُ حَدَّثْتَنِي عَنْ تَجْرِبَةٍ قَاسِيَةٍ عَانَيْتَهَا فِي هَذَا الشَّأْنِ.

◆ نَعَمْ - يَا بُنَيَّ - فَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَادَتْ تَزِلُّ بِهِمُ الْقَدَمُ.

◆ لَا سَمَحَ اللَّهُ وَلَا قَدَّرَ [بَصْنُوتِ تَخَابَتِ].

◆ كُنْتُ أَسْرَعُ فِي كِتَابَةِ رِوَايَةِ تَارِيخِيَّةِ^(٣)، وَقَدْ عَقَدْتُ الْعَزَمَ عَلَى أَنْ أَمْضِيَ فِي

(١) حافظًا: أي حافظ إبراهيم.

(٢) وأشْيَاعُهُم: الذين يشابهونهم ويؤيدون رأيهم.

(٣) هي كتاب «أرض البطولات»، الناشر دار الأدب الإسلامي.

كِتَابَتِهَا عَلَى سَنَنِ الْفُضْحَى ، وَأَنْ أُجَنَّبَهَا اللَّحْنَ^(١) ، وَأَصُونَهَا مِنَ الْعُجْمَةِ^(٢) .

◆ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَنْوِي أَنْ تَرُدَّ بِصُورَةٍ عَمَلِيَّةٍ عَلَى أَوْلَيْكَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ بِأَنَّ
الْفُضْحَى تُفْسِدُ الْعَمَلَ الرَّوَائِيَّ وَتَنَالُ مِنْ فَنِّيَّتِهِ ١٩ .

◇ نَعَمْ - يَا بُنَيَّ - وَلَكِنِّي مَا إِنْ قَطَعْتُ فِي كِتَابَتِهَا بَعْضَ الطَّرِيقِ ، حَتَّى بَدَأْتُ
أَشْعُرُ بِأَنَّ الْفُضْحَى عَاجِزَةٌ عَنْ أَدَاءِ كُلِّ مَا أُرِيدُ أَدَاءَهُ .

◆ إِنَّهَا لَمِخَنَةٌ بِالنَّسَبَةِ لَكَ [بَصْرَتُ نَحَابِتٍ] .

◇ نَعَمْ هِيَ مِخَنَةٌ - يَا بُنَيَّ - وَقَدْ كَانَ يَشْتَدُّ هَذَا الشُّعُورُ لَدَيَّ وَيَقْوَى عِنْدَمَا أَصِيرُ
إِلَى مَوْقِفٍ مِنْ مَوَاقِفِ الْوَصْفِ .

◆ وَبَعْدَ ذَلِكَ ؟ [بَصْرَتُ نَحَابِتٍ] .

◇ وَبَلَغَ هَذَا الشُّعُورُ ذِرْوَتَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ ؛ فَأَلْقَيْتُ الْقَلَمَ ، وَبَدَأْتُ تُسَاوِرُنِي^(٣) الشُّكُوكُ .

◆ الشُّكُوكُ ... فِي مَاذَا يَا أَبْتَ ١١٩ .

◇ الشُّكُوكُ فِيمَا كُنْتُ أَعْتَقِدُهُ مِنْ قُدْرَةِ الْفُضْحَى عَلَى التَّعْبِيرِ .

◆ إِنَّهَا لَفَجِيعَةٌ كُبْرَى بِالنَّسَبَةِ إِلَيْكَ .

◇ نَعَمْ - يَا بُنَيَّ - إِنَّهَا لَحَيِيَّةٌ عُظْمَى جَعَلَتْني أَعِيدُ النَّظَرَ فِيمَا كُنْتُ أَسْتَكِرُّ مِنْ
إِرْجَافِ الْمُرْجِفِينَ^(٤) بِهَذِهِ اللَّغَةِ وَتَعْرِيزِ الْمُعْرِضِينَ^(٥) بِهَا .

(١) اللَّحْنُ : الْخَطَأُ فِي قَوَاعِدِ النُّحُو .

(٢) الْعُجْمَةُ : الْكَلَامُ الَّذِي لَا يَفْهَمُ لَهُ مَعْنَى .

(٣) تُسَاوِرُنِي الشُّكُوكُ : تَدُورُ فِي خَطَاطِرِي الظُّنُونُ وَالشُّكُوكُ .

(٤) إِرْجَافِ الْمُرْجِفِينَ : حَدِيثِ الْكَاذِبِينَ الَّذِينَ يَشْعُرُونَ بِغَيْرِ الْحَقِيقَةِ .

(٥) تَعْرِيزِ الْمُعْرِضِينَ : كَلَامِهِمُ الَّذِي يَخْفَى السُّوءُ فِيهِمْزُونَ وَيَلْمَزُونَ .

◆ وَمَا الَّذِي حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ كَانَ أَمَامِي سَبِيلَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا - يَا بُنَيَّ - ... فَإِنَّمَا أَنْ أَتَرُخَّصَ فِي اللُّغَةِ ،
وَأَسْمَعَ لِلْمُعْجَمَةِ بِأَنْ تَأْخُذَ طَرِيقَهَا إِلَى أَسْلُوبِي ؛ وَبِذَلِكَ أَعْتَرِفُ بِعَجْزِ
الْفُضْحَى عَنِ الْأَدَاءِ .

◆ وَإِنَّمَا ؟ [بِصُورَتِ تَحَايَتِ] .

◇ وَإِنَّمَا أَنْ أَطْوِي الصُّحُفَ ، وَأَرْفَعَ الْقَلَمَ .

◆ ثُمَّ مَاذَا كَانَ مِنْ أَمْرِكَ - يَا أَبَتِ - ؟؟ .

◇ خَيْرًا - يَا بُنَيَّ - ، فَفِي لَحْظَةٍ مِنْ لَحْظَاتِ يَقْظَةِ الضَّمِيرِ ؛ طَرَحْتُ عَلَى نَفْسِي
سُؤَالَ كَانَ فِي جَوَابِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ .

◆ وَمَا هَذَا السُّؤَالُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ سَأَلْتُ نَفْسِي ، فَقُلْتُ : مَا الَّذِي يَجْعَلُنِي أَقْرُرُ أَنَّ النِّقْصَ فِي اللُّغَةِ وَلَيْسَ فِيَّ
أَنَا ؟ ...

عَلَامَ اسْتَبْعِدْتُ نَفْسِي ، وَأَسْتَهْدِفُ اللُّغَةَ ؟ ١٩ .
وَكَانَ هَذَا السُّؤَالُ مُنْطَلِقًا إِلَى خَيْرٍ كَبِيرٍ .

◆ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ .

◇ رَجَعْتُ إِلَى أُمَّهَاتِ كُتُبِ اللُّغَةِ رَجْعَةً مَنْ يَتَّبِعُ نَفْسَهُ وَلَا يَتَّبِعُ لُغَتَهُ ؛ فَوَجَدْتُ
فِي مُعْجَمَاتِ الْمَعَانِي ؛ وَعَلَى رَأْسِهَا كِتَابُ « الْمُخَصَّصُ » لِابْنِ سِيدَةَ ،
و« تَهْذِيبُ الْأَلْفَاظِ » لِابْنِ السَّكَيْتِ ، وَ« نِظَامُ الْغَرِيبِ » لِلرَّبِيعِيِّ .

وَفِي كُتُبِ الْمُضْطَلَّحَاتِ ؛ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا « مُضْطَلَّحَاتُ الْعُلُومِ » لِلتَّهَانَوِيِّ ،

و«الكُلِّيَّاتُ» لِأَيِّ البَقَاءِ ، وَ«التَّعْرِيفَاتُ» لِلْجُزْجَانِي .
وَفِي كُتُبِ فَقْهِ اللُّغَةِ ، وَفِي طَلِيعَتِهَا كِتَابُ «فِقْهُ اللُّغَةِ» لِلتَّعَالِيبي ، وَ«الصَّاحِبِيُّ
فِي فَقْهِ اللُّغَةِ» لِابْنِ فَارِسٍ ، وَفِي غَيْرِهَا وَغَيْرِهَا مِنْ عَشْرَاتِ الكُتُبِ بَلْ
مِثَالِهَا ...

◆ مَاذَا وَجَدْتَ فِي هَذِهِ الكُتُبِ يَا أَبَتِ ؟

◇ وَجَدْتُ فِيهَا جَمِيعَ مَا كُنْتُ أَتَّبِعُهُ ، وَأَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أَرْجُوهُ وَأَطْمَحُ إِلَيْهِ .

◆ وَمَاذَا صَنَعْتَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟

◇ اسْتَأْنَفْتُ الْكِتَابَةَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَبَرَكَتِهِ ، وَمَضَيْتُ فِي طَرِيقِي لَا أَتَعَثَّرُ ،
وَلَا أَتَأَخَّرُ ، وَوَجَدْتُ فِي غِنَى الْفُضْحَى مَا يُغْنِينِي وَيُغْنِي الْكَاتِبِينَ فِي كُلِّ عِلْمٍ
وَفَنٍّ .

* * *

◆ أَبَتِ ، يَتَدُلُّ لِي أَنَّكَ خَصَصْتَ بِاللُّؤْمِ أَوَائِلَ الْمُعَرِّينَ .

◇ أَنَا أَوَّلًا لَمْ أَحْصِ أَوَائِلَ الْمُعَرِّينَ بِاللُّؤْمِ كَمَا بَدَأَ لَكَ ، وَأَنَا ثَانِيًا - وَهُوَ الْأَهَمُّ -
لَمْ أَقُلْ : أَوَائِلَ الْمُعَرِّينَ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ : أَوَائِلَ الْمُتَرْجِمِينَ .

◆ يَا رَعَاكَ اللَّهُ ! وَهَلْ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ الْمُعَرِّينَ وَالْمُتَرْجِمِينَ ؟ !

◇ فَرْقٌ كَبِيرٌ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا هُوَ ؟ طَالَ بَقَاؤُكَ .

◇ التَّعْرِيبُ - يَا بُنَيَّ - نَقْلُ الْكَلِمَةِ بِلَفْظِهَا مِنْ إِحْدَى اللُّغَاتِ إِلَى اللُّغَةِ الْغَرِيبَةِ .

◆ وَالتَّرْجِمَةُ يَا أَبَتِ ؟

◇ التَرْجَمَةُ - يَا بُنَيَّ - نَقْلُ مَعْنَى الْكَلِمَةِ ...

◆ مَعْنَى الْكَلِمَةِ ١؟ رَسُوتُ نَحَابِتَ كَمَنْ مُرِيدَ أَنْ يَسْتَعْرِجَ الْفَرَقَ يَنْقُلُ الْكَلِمَةَ بِلَفْظِهَا وَتَقْلِبُهَا بِمَعْنَاهَا .

◇ نَعَمْ ، التَّرْجَمَةُ نَقْلُ مَعْنَى الْكَلِمَةِ أَوْ الْجُمْلَةِ مِنَ اللُّغَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا .

◆ أَبَيْتَ ، عَفْوَكَ ، أَمَا مِنْ مِثَالٍ ؟ .

◇ بَلْ أَكْثَرُ مِنْ مِثَالٍ ؛ فَأَنْتَ إِذَا أَخَذْتَ مِنَ الْفَرَنْسِيَّةِ مَثَلًا لَفْظَةً « تِلْفُون » وَ« رَادِيُو » وَ« أَتُومُوِيل » وَ« مُوْتُور » وَاسْتَعْمَلْتَهَا كَمَا جَاءَتْ فِي لُغَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ أَوْ مَعَ شَيْءٍ يَسِيرٍ مِنَ التَّعْدِيلِ فَذَلِكَ تَغْرِيبٌ .

أَمَّا إِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَذَلُولَاتِ هَذِهِ الْمُسَمِّيَّاتِ وَبَحَثْتَ لَهَا عَنْ لَفْظٍ عَرَبِيٍّ يُرَدِّي مَعْنَاهَا ؛ فَقُلْتَ : هَاتِفٌ بَدَلًا مِنْ تِلْفُون ، وَمِذْبَاحٌ بَدَلًا مِنْ رَادِيُو ، وَسَيَّارَةٌ بَدَلًا مِنْ أَتُومُوِيل ، وَمُحَرِّكٌ بَدَلًا مِنْ مُوْتُور فَهَذِهِ هِيَ التَّرْجَمَةُ .

◆ أَتَأْذَنُ لِي بِأَنْ أَكْتُبَ ذَلِكَ فِي بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ اكْتُبْهُ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَأَمْلَيْتَهُ عَلَيَّ ؟ .

◇ اكْتُبْ : لَا يُقَالُ : عَرَبَ الْكِتَابَ ، وَالْكِتَابُ مِنْ تَغْرِيبِ فَلَانٍ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ :

تَرَجَمَ الْكِتَابَ ، وَالْكِتَابُ مِنْ تَرْجَمَةٍ فَلَانٍ ، ذَلِكَ لِأَنَّ التَّغْرِيبَ : إِنَّمَا هُوَ نَقْلُ الْكَلِمَةِ بِلَفْظِهَا مِنَ اللُّغَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، أَمَّا التَّرْجَمَةُ : فَهِيَ نَقْلُ الْكَلِمَةِ أَوْ الْجُمْلَةِ بِمَعْنَاهَا مِنْ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى .

◆ لُقِيتَ الْحَمِيرَ يَا أَبَتِ جَزَاءَ مَا سَدَّدْتَ وَصَوَّبْتَ .

* * *

◆ أَبَتِ وَرَوْضَةَ الشَّعْرِ ، أَيْنَ قَطَافُهَا الْيَوْمَ ؟ .

◇ إِنَّهُ مِنْكَ قَرِيبٌ .

◆ وَمَنِ الشَّاعِرُ الَّذِي وَقَفْتَ عَلَى رَوْضِهِ ؟ .

◇ الشَّمْرَدَلُ بْنُ شَرِيكِ الْيَزْبُوعِيِّ .

◆ الشَّمْرَدَلُ !! ... مَا هَذَا الْإِسْمُ يَا أَبَتِ ١١٩ .

◇ الشَّمْرَدَلُ فِي اللَّغَةِ يَا بُنَيَّ : هُوَ الْقَوِيُّ الْفَتِيُّ الْحَسَنُ الْخَلْقِ مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا ، *

وَقَدْ جُعِلَ عَلَمًا عَلَى بَعْضِ الرِّجَالِ ، وَدَخَلَتْ فِيهِ « أَل » التَّغْرِيفِ كَمَا دَخَلَتْ فِي الْحَسَنِ وَالْعَبَّاسِ وَنَحْوِهِمَا .

◆ الشَّمْرَدَلُ هَذَا ، أَجَاهِلِيٌّ هُوَ ، أَمْ إِسْلَامِيٌّ ؟ .

◇ بَلْ إِسْلَامِيٌّ ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ .

◆ وَأَيْنَ عَاشَ وَكَيْفَ نَشَأَ ؟ .

◇ نَشَأَ الشَّمْرَدَلُ يَا بُنَيَّ ، نَشَأَةً بَدَوِيَّةً خَالِصَةً ، وَعَاشَ فِي تِلْكَ الْمَفَاوِزِ (١) الَّتِي

تَمْتَدُّ مِنَ « الْبَصْرَةِ » فِي أَرْضِ « الْعِرَاقِ » إِلَى « الْيَمَامَةِ » فِي أَعَالِي « نَجْدِ » .

◆ وَمَا الَّذِي جَنَيْتَهُ مِنْ رَوْضِ هَذَا الشَّاعِرِ النَّجْدِيِّ ؟ .

◇ قَصِيدَةٌ مِنْ عُيُونِ الْمَرَاتِي (٢) .

(٢) الرثاء : ذكر محاسن الميت ومناقبه بشعر وغيره .

(١) المفاوز : جمع مفازة وهي الصحراء .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟ .

◇ قَبْلَ أَنْ أُشِيدَكَ الْقَصِيدَةَ يَحْسُنُ أَنْ تَقِفَ عَلَى الْمَأْسَاءِ الَّتِي أَوْحَتْ بِهَا .

◆ وَمَا قِصَّةُ هَذِهِ الْمَأْسَاءِ طَالَ بِقَاؤُكَ ؟ .

◇ كَانَ لِشَمْرُذَلٍ إِخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ هُمْ : حَكَمٌ ، وَوَائِلٌ ، وَقُدَّامَةُ ... وَكَانَ الشَّمْرُذَلُ أَكْبَرَ إِخْوَتِهِ سِنًا وَأَعْلَاهُمْ مَكَانَةً ، وَكَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ نَظْرَةَ الْأَبِ إِلَى أَبْنَائِهِ ، وَقَدْ عَزَمَ الْإِخْوَةُ الْأَرْبَعَةُ عَلَى أَنْ يَسْتَبْدِلُوا بِخُسُونَةِ الْبَادِيَةِ لَيْنَ الْحَاضِرَةِ ، وَبِإِفْتَارٍ^(١) الرِّزْقِ السَّعَةِ وَالْوَفْرِ .

◆ فَمَاذَا فَعَلُوا ؟ .

◇ اتَّجَّهُوا إِلَى « خُرَاسَانَ » وَاتَّخَذُوهَا دَارَ إِقَامَةٍ لَهُمْ ، وَكَانَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ تُشْرِقُ آنَذَاكَ فِي الْأَفَاقِ وَتُغْرِبُ ، وَكَانَتْ رَايَاتُ الْإِسْلَامِ لَا تَكَادُ تَسْتَقِرُّ فِي بَلَدٍ حَتَّى تَطْمَحَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ .

◆ لِلَّهِ يَلِكُ الْأَيَّامُ ! مَا أَعَزَّهَا وَمَا أَعْلَاهَا .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَقَدْ أَنْفَذَ^(٢) أَمِيرُ « خُرَاسَانَ » إِخْوَةَ الشَّاعِرِ فِي ثَلَاثَةِ بُعُوثٍ ، فَرَجَّةٌ حَكَمًا فِي بَغْثٍ إِلَى « سِجِسْتَانَ » ، وَوَائِلًا فِي بَغْثٍ لِحَرْبِ « التُّرْكِ » ، وَقُدَّامَةُ فِي بَغْثٍ إِلَى « فَارِسَ » .

◆ يَا لَللِّهِ لِلشُّمْلِ الْجَمِيعِ كَيْفَ تَشَتَّتَ !!؟ .

◇ لَوْ أَنَّ الْأَمْرَ اقْتَصَرَ عَلَى تَشْتِيتِ الشُّمْلِ لَهَانَتْ الْمُصِيبَةُ عَلَى الشَّاعِرِ ، وَلَكِنَّ الْأَخْبَارَ مَا لَبِثَتْ أَنْ حَمَلَتْ إِلَيْهِ نَعْيَ^(٣) أَخِيهِ قُدَّامَةَ مِنْ « فَارِسَ » ، ثُمَّ تَلَاهُ

(١) الإفطار : الضيق .

(٢) أنفذ : بعث .

(٣) نعي أخيه : خبر وفاته .

نُعِي أَخِيهِ وَائِلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ نُعِي إِلَيْهِ أَخُوهُ حَكَمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ . وَكَانَ قَدْ رَأَى فِيمَا يَرَاهُ النَّائِمُ أَنَّ سِنَانًا رُمِحَ قَدْ سَقَطَ عَنْ قَنَاتِهِ ؛ فَأَفْرَعَهُ ذَلِكَ وَأَجْرَعَهُ ، وَأَقْضَى مَضْجَعَهُ .

◆ وَكَيْفَ كَانَ وَقَعَ الْكَارِثَةُ عَلَى الشَّاعِرِ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ لَنْ أُحَدِّثَكَ عَنْ وَقْعِهَا عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا سَأَتُرِكَ لَهُ الْحَدِيثَ ... فَهُوَ أَصْدَقُ حِسًّا وَأَدَقُّ تَعْبِيرًا .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ ؟ :

◇ يَقُولُ فِي رِثَاءِ أَخِيهِ حَكَمَ :

يَقُولُونَ اخْتِيبَ حَكَمًا وَرَاحُوا بِأَبْيَضَ ^(١) لَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي *
وَقَبَلَ فِرَاقِهِ أَتَيْتُ أَنِّي وَكُلُّ ابْنِي أَبٍ مُتَفَارِقَانِ
أَخْ لِي ، لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي وَكُنْتُ مُجِيبَهُ أَنِّي دَعَانِي
فَقَدْ أَفْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْهِ دَمْعِي وَلَوْ أَنِّي الْفَقِيدُ - إِذَنْ - بَكَانِي
مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يُعْطِ ضَيْعًا ^(٢) وَلَمْ تَزْهَبْ غَوَائِلُهُ ^(٣) الْأَدَانِي

ثُمَّ يُخَاطِبُ أَخَاهُ ؛ فَيَقُولُ :

وَكُنْتَ سِنَانٌ رُمِحَ مِنْ قَنَاتِي وَلَيْسَ الرُّمْحُ إِلَّا بِالسُّنَانِ
وَكُنْتَ بَنَانٌ كَفَى مِنْ يَمِينِي وَكَيْفَ صَلَاحُهَا بَعْدَ الْبَنَانِ ؟
وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا وَلَا أَخْشَى وَرَاءَكَ مَنْ رَمَانِي
فِذَاكَ أَخٌ نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ ^(٤) وَمَوْلَى لَا تَصُولُ لَهُ يَدَانِ ^(٥)

(١) بأبيض : يقصد أخاه المقتول ، ولعل وصفه بالأبيض يعني نقاء عرضه ، أو حسن بدنه وجمال وجهه .

(٢) ضيعة : ظلماً .

(٣) غوائله : بوارده وفكاته .

(٤) نبا عنه غناه : بعد عنه الغنى ، إذ فارقته بالموت .

(٥) أي لم تعد يده تملك ما تفعلاه .

◆ مَا هَذَا بِشِعْرٍ يَا أَبَتِ ، وَإِنَّمَا هِيَ دُمُوعٌ نُظِمَتْ فِي أَسْلَافِ الْوَجْدِ (١) ثُمَّ دُعِيَتْ شِعْرًا .
وَلَكِنْ أَمَا قَالَ فِي أَخَوَيْهِ الْآخَرَيْنِ شَيْئًا ؟ .

◇ بَلْ قَالَ فِي كُلِّ مِنْهُمْ عَلَى انْفِرَادٍ ، وَقَالَ فِيهِمْ جَمِيعًا ، وَلَعَلَّ مِنْ أَجْوَدِ مَرَاتِبِهِ مَا قَالَهُ فِي أَخِيهِ وَائِلٍ .

◆ وَمَا الَّذِي قَالَهُ فِيهِ ؟ .

◇ قَالَ :

لَعَمْرِي لَيْنٌ غَالَتْ (٢) أَخِي دَارُ فُرْقَةٍ وَأَب (٣) إِلَيْنَا سَيْفُهُ وَرَوَاحِلُهُ
وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقَالُهَا الْأَرْضُ وَانْتَهَى بِمَشْوَاهُ مِنْهَا ، وَهُوَ عَفٌّ مَا كَلَهُ (٤)
لَقَدْ ضُمُنْتُ جِلْدَ الْقَوَى كَانَ يُتَّقَى بِهِ جَانِبُ الشَّعْرِ الْمَخُوفِ زَلَّازِلُهُ
مَحَلٌّ لِأَضْيَافِ الشَّتَاءِ كَأَنَّمَا هُمْ عِنْدَهُ أَيَّتَامُهُ وَأَرَامِلُهُ
أَتَى الصَّبْرُ أَنَّ الْعَيْنَ بَعْدَكَ لَمْ تَزَلْ يُخَالِطُ جَفَنَيْهَا قَدَى لَا يُرَايِلُهُ
وَكُنْتُ أَعِيرُ الدَّمَعَ بَعْدَكَ مَنْ بَكَى فَأَنْتَ عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلُهُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ فَقْدُهُ وَلَوْعَةُ حُزْنٍ أَوْجَعَ الْقَلْبَ دَاحِلُهُ
وَتَحْقِيقَ رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ رَأَيْتُهَا فَكَانَ أَخِي رُمَحًا تَرْمِصَ عَامِلُهُ (٥)
وَكُنْتُ بِهِ أَغْشَى الْقِتَالِ فَعَزَّنِي عَلَيْهِ مِنَ الْمِقْدَارِ مَا لَا أَقَاتِلُهُ

* * *

◆ أَبَتِ ، مَا الَّذِي أَرَادَهُ الشُّمْرُذَلُ بِقَوْلِهِ : وَلَيْسَ الرُّمْحُ إِلَّا بِالسُّنَانِ ؟ .

(١) الوجد : الحزن .

(٢) غالت : اغتالت .

(٣) أب إلينا : رجع إلينا .

(٤) عف مأكله : عفيفًا طيب الكسب طعمه حلال .

(٥) ترمص عامله : أي تكسر سنامه .

وَهَلْ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ الرُّمَحِ ، وَالسُّنَانِ ؟ .

◇ يَتَكَوَّنُ الرُّمَحُ يَا بُنَيَّ مِنْ جُزْأَيْنِ أَساسِيَّينِ : هُمَا الْقَنَاءُ ، وَالسُّنَانُ .

◆ وَمَا الْقَنَاءُ ؟ .

◇ الْقَنَاءُ : هِيَ الْقَصَبَةُ أَوْ الْعَصَا الطَّوِيلَةُ الَّتِي يُخْسِكُ بِهَا الْفَارِسُ ، وَيُثَبِّتُ فِي رَأْسِهَا السُّنَانُ .

➡ وَمَا السُّنَانُ ؟ .

◇ السُّنَانُ : هُوَ الْحَدِيدَةُ الْمَسْنُونَةُ الْمُدَبَّبَةُ الَّتِي تُثَبِّتُ فِي نِهَآيَةِ الْقَنَاءِ ، وَيُطَعَنُ بِهَا . وَلَا يُقَالُ لِلرُّمَحِ رُمَحٌ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَيْهِ سِنَانٌ ، وَإِلَّا فَهُوَ : قَنَاءٌ .

◆ أَتَأْذَنُ لِي بِأَنْ أُضِيفَ هَذَا إِلَى بَابِ الشَّرْوَةِ اللَّغَوِيَّةِ مِنْ مُذَكَّرَاتِي ؟ .

◇ أَضِيفُهُ عَلَى تَوْفِيقِ اللَّهِ ، وَأَضِيفُ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ بَابِهِ .

◆ وَمَا هُوَ ؟ مُجْزِئَتِ الْخَيْرِ .

◇ هُوَ أَنَّهُ :

لَا يُقَالُ كَأَسٌ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهَا شَرَابٌ ، وَإِلَّا فَهِيَ : زُجَاجَةٌ .

وَلَا يُقَالُ مَائِدَةٌ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَيْهَا طَعَامٌ ، وَإِلَّا فَهِيَ : خِيَوَانٌ .

وَلَا يُقَالُ كُمُوزٌ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَتْ لَهُ عُزُودَةٌ ، وَإِلَّا فَهُوَ : كُوبٌ . *

وَلَا يُقَالُ فَرْزٌ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَيْهِ صُوفٌ ، وَإِلَّا فَهُوَ : جِلْدٌ .

وَلَا يُقَالُ خِمْدَرٌ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَى امْرَأَةٍ ، وَإِلَّا فَهُوَ : سِتْرٌ .

وَلَا يُقَالُ رَكِيَّةٌ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهَا مَاءٌ ، وَإِلَّا فَهِيَ : بِئْرٌ .

وَلَا يُقَالُ وَقُودٌ ؛ إِلَّا إِذَا اتَّقَدَتْ بِهِ النَّارُ ، وَإِلَّا فَهُوَ : حَطَبٌ .

وَلَا يُقَالُ عَمْرِيْلٌ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ مَعَهُ رَفْعٌ صَوْتٍ ، وَإِلَّا فَهُوَ : بُكَاءٌ .
وَلَا يُقَالُ ثَمْرِي ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ نَدِيًّا ، وَإِلَّا فَهُوَ : تُرَابٌ .

◆ جُزَيْتَ الْخَيْرَ يَا أَبَتِ ، وَلَقِيتَ الْبِرَّ .

* * *

◆ وَطُرْفَةُ الْجَلْسَةِ يَا أَبَتِ ، أَتَيْنَ طُرْفَةَ الْجَلْسَةِ ؟ .

◇ إِلَيْكَ مَا طَلَبْتُ :

قَالَ صَاحِبُ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : أَجْوَادُ^(١) الْحِجَازِ ثَلَاثَةٌ فِي عَصْرِ وَاحِدٍ : عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ الْعَبَّاسِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ؛ فَمِنْ جُودِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْعَبَّاسِ أَنَّهُ أَنَاهُ رَجُلٌ وَهُوَ يَفْنَاءُ دَارِهِ ، فَقَالَ :

يَا ابْنَ الْعَبَّاسِ ، إِنَّ لِي عِنْدَكَ يَدًا^(٢) ، وَقَدْ اخْتَجْتُ إِلَيْهَا ...

فَصَعَّدَ بَصَرَهُ فِيهِ وَصَوَّبَهُ ؛ فَلَمْ يَعْرِفْهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَمَا يَدُكَ عِنْدِي ؟ .

قَالَ الرَّجُلُ : رَأَيْتَكَ وَاقِفًا يَزْمَزِمُ ، وَعَبْدُكَ يَمْتَنِعُ^(٣) لَكَ مِنْ مَائِهَا ، وَالشَّمْسُ
قَدْ صَهَرَتْكَ فَظَلَّلْتُكَ بِطَرْفِ كِسَائِي حَتَّى شَرِبْتَ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ : إِنِّي لَأَذْكُرُ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُ يَتَرَدَّدُ فِي خَاطِرِي وَفِكْرِي ،
ثُمَّ قَالَ لِقَائِهِ :

مَا عِنْدَكَ ؟ .

قَالَ : مِئَتًا دِينَارٍ وَعَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

قَالَ : اذْفَعْهَا إِلَيْهِ ، وَمَا أَرَاهَا تَفِي بِحَقِّ يَدِهِ عِنْدَنَا .

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِإِسْمَاعِيلَ وَلَدٌ غَيْرَكَ لَكَانَ فِيهِ
مَا كَفَّاهُ ، فَكَيْفَ وَقَدْ وَلَدَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، ثُمَّ شَفَعَهُ بِكَ وَبَأَيْكَ . *

* * *

(١) أجواد الحجاز : كرماء الحجاز ، مقرده جواد .

(٢) لي عندك يدا : أنت مدين لي بنعمة أسديتها إليك يوما ما . (٣) يمتنع : أي يغترف لك من بحر زمزم .

الجلسة الرابعة

حياة اللغة وانتشارها

◆ أبت ، سلام الله عليك .

◇ عليك سلام الله ورحمته وهداؤه .

◆ أبت ، مغدرة ؛ فإنه ما يزال في النفس^(١) شيء من قضية لغتنا ومنزلتها بين اللغات الحية وغير الحية .

◇ في نفوسكم - معسر السباب - أشياء كثيرة تحتاج إلى علاج .

◆ لله أنت يا أبت ! كم تغيب على السباب ، وكم تغمزهم^(٢) ... حتى لكأنك لم تكن شاباً في يوم من الأيام .

◇ بل كنت شاباً ، ولكن لم تكن لذي كل هذه المشكلات ، والآن دعنا من هذا وهات ما في نفسك .

◆ قبل أن أحدثك عما في نفسي ، لا بد من أن آخذ الأمان .

◇ الأمان من ماذا ؟ .

(١) في النفس شيء : هناك شيء لم أفهمه بعد . (٢) تغمزهم : تحب عليهم وتلومهم .

◆ الأمان من ألا تضيق بصراحتي ذرعا .

◇ لك الأمان ؛ فافتح قلبك ، وحدث عما في نفسك .

◆ اللغات الحية - يا أبت - كما يُحِيلُ إليَّ هي : اللغات العالمية التي تتكلم بها
جُمُهرٌ كبيرةٌ من الشعوب ، وتُعَمِّدُهَا الهيئاتُ الدُولِيَّةُ في محافلها^(١) ،
وَيَسْتَطِيعُ المرءُ أن يتخذها أداةً للتفاهم في كل مكان ...
ولُعُثْنَا - يا أبت - لِنَسْتَ كَذَلِكَ ، فِيهِ لُغَةٌ قَوْمٌ ، وَلَيْسَتْ لُغَةٌ عَالَمٌ .
وَلَوْ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنَّا انْطَلَقَ يَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ سِوَاهَا مِنْ
اللُّغَاتِ ؛ لَمَّا وَجَدَ إِنْسَانًا وَاحِدًا يَسْتَطِيعُ التَّفَاهُمَ مَعَهُ .

◇ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا خُيِّلَ إِلَيْكَ - يَا بُنَيَّ - ؛ فَانْتِشَارُ اللُّغَاتِ وَانْحِسَارُهَا شَيْءٌ ،
وَحَيَاةُ اللُّغَاتِ وَمَوْتُهَا شَيْءٌ آخَرُ ... فَكَمْ مِنْ لُغَةٍ عَالِيَةٍ تَعِيشُ فِي رُكْنٍ مَغْزُولٍ
مِنَ الْأَرْضِ ، وَكَمْ مِنْ لُغَةٍ أَذْنَى مِنْهَا تُشْرِقُ فِي الْأَرْضِ وَتُغْرُبُ ، وَتُخْذَوُ^(٢)
بِهَا الرُّكْبَانُ .

◆ وَمَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ يَا أبت ؟ .

◇ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ يَا بُنَيَّ يَكْمُرُ فِي مَدَى نُفُوزِ الْأُمَّةِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ اللُّغَةَ ، وَمَبْلَغِ
سُلْطَانِهَا ، فَانْتِشَارُ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ يَسِيرُ فِي حَظِّ مُتَوَازٍ مَعَ سُلْطَانِ أَصْحَابِهَا
السِّيَاسِيِّ ، وَنُفُوذِهِمُ الْعَالَمِيِّ .

◆ الْمِثَالُ الْمِثَالُ يَا أبت ؛ فَالْمِثَالُ يُوضِّحُ الْقَاعِدَةَ كَمَا يَقُولُونَ .

◇ خُذِ الْمِثَالَ مِنَ اللُّغَةِ الرُّوسِيَّةِ - يَا بُنَيَّ - . فَاللُّغَةُ الرُّوسِيَّةُ كَانَتْ مِنْذُ رُبْعِ قَرْنٍ فَقَطْ
مَحْضُورَةً فِي وَطَنِهَا مَقْصُورَةً عَلَى أَهْلِهَا ، فَلَمَّا بَسَطَتْ « رُوسِيَا » سُلْطَانَهَا عَلَى

(١) في محافلها : في مجتمعات أديانها وعلمائها ونوابدهم .

(٢) نحدو بها الركبان : يتحدث بها الناس في كل مكان .

دَوْلِ «أُورُبَّا» الشَّرْقِيَّةِ ، وَأَصْبَحَ لَهَا مَكَانٌ مَزْمُوقٌ فِي الْمَحَافِلِ الدُّوَلِيَّةِ ؛
خَرَجَتْ اللُّغَةُ الرُّوسِيَّةُ مِنْ غُرْلَتِهَا ، وَزَاخَمَتْ لُغَاتِ «أُورُبَّا» الشَّرْقِيَّةِ فِي دِيَارِهَا ،
وَأَصْبَحَتْ تَتَقَدَّمُ عَلَى الْفَرَنْسِيَّةِ ، وَتَجْلِسُ مَعَ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ .

◆ مَعْقُولٌ مَعْقُولٌ [يَضْرِبُ نَحَابِتَ] .

◇ وَلَوْ قُدِّرَ لِرُوسِيَا أَنْ تَفْقِدَ سُلْطَانَهَا ؛ لَانْحَسَرَتْ (١) لُغَتُهَا عَنِ الْبِقَاعِ الَّتِي
اِخْتَلَّتْهَا ، وَعَادَتْ إِلَى غُرْلَتِهَا السَّابِقَةِ .

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ [يَضْرِبُ نَحَابِتَ] .

◇ وَمَا يُقَالُ عَنِ اللُّغَةِ الرُّوسِيَّةِ - يَا بُنَيَّ - يُقَالُ عَنِ اللُّغَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ ، وَالْفَرَنْسِيَّةِ ،
وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَغَيْرِهَا .

◆ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ - يَا أَبَتِ - أَنَّ انْتِشَارَ اللُّغَةِ أَوْ انْحِسَارَهَا ؛ لَا يَنْهَضَانِ دَلِيلًا عَلَى
حَيَاتِهَا أَوْ مَوْتِهَا ؟ .

◇ بُورِكَ فَيْكَ ، ذَلِكَ مَا أَرَدْتُ قَوْلُهُ .

◆ إِذَنْ أَتَيْنَ تَكْمُنُ حَيَاةِ اللُّغَةِ وَمَوْتِهَا ؟ .

◇ تَكْمُنُ فِي ذَاتِهَا ، فِي جَوْهَرِهَا ، فِي قُدْرَتِهَا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ ،
وَتَصْوِيرِ الْمَشَاعِيرِ وَخَلْجَاتِ النُّفُوسِ ؛ لَا فِي أَمْرِ خَارِجٍ عَنْهَا طَارِيٍّ عَلَيْهَا .

◆ حَسَنٌ ، حَسَنٌ ، [يَضْرِبُ نَحَابِتَ] .

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ الْكَشْفَ عَنْ جَوْهَرِ اللُّغَاتِ ، وَيَقْدِرُ عَلَى تَقْوِيمِهَا ،
وَإِضْدَارِ الْأَحْكَامِ عَلَيْهَا ؟ .

(١) انْحَسَرَتْ : انْطَوَتْ صَفْحَتَهَا وَنَسِيتَ .

◇ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ الْمُتَخَصِّصُونَ ، وَعِلْمُ اللُّغَاتِ ذُو الْمَقَائِسِ الدَّقِيقَةِ .

◆ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ ، وَعِلْمُ اللُّغَاتِ ١١ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَمِنْ حُسْنِ الْحِطِّ أَنَّ الدَّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةَ الْحَدِيثَةَ الَّتِي يَقُومُ بِهَا عُلَمَاءُ الْغَرْبِ ؛ قَدْ وَضَعَتْ لُغَتَنَا فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ بَيْنَ لُغَاتِ الْأَرْضِ .

◆ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ يَا أَبَتِ ؟ !

◇ نَعَمْ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ يَا بُنَيَّ ، فَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَكْثَرُ عُلَمَاءِ « أَوْرُبَّا » إِنْصَافًا لَنَا وَأَقْلَهُمْ تَعْصِبًا عَلَيْنَا لَا يَجُودُ عَلَى لُغَتِنَا بِأَكْثَرِ مِنْ نَعْتِهَا بِأَنَّهَا لُغَةٌ جَمِيلَةٌ ؛ أَخَذَ فَرِيقٌ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَقِفُ مِنْهَا مَوْقِفًا يُفْرِخُ الصَّدِيقَ ، وَيُتْرِخُ ^(١) الْعَدُوَّ .

◆ وَمَا هَذَا الْمَوْقِفُ - يَا أَبَتِ ؟ .

◇ إِنَّ الدَّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةَ أَفْنَعَتِ الْعُلَمَاءَ بِأَنَّ لُغَتَنَا لُغَةٌ عَالِيَةٌ ، لَهَا فِي طَبَقَاتِ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ أَرْفَعُ مَكَانٍ ، وَأَعْلَى مَنَزَلَةٍ .

◆ وَمَاذَا تَقُولُ هَذِهِ الدَّرَاسَاتُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ تَقُولُ هَذِهِ الدَّرَاسَاتُ يَا بُنَيَّ : إِنَّ اللُّغَاتِ الَّتِي تَسْتَعْمِلُهَا الْبَشَرِيَّةُ تَنْتَمِي إِلَى ثَلَاثِ أُسْرِ كَبِيرَةٍ .

◆ وَمَا هِيَ ؟ .

◇ هِيَ أُسْرَةُ لُغَاتِ النَّحْبِ ، وَأُسْرَةُ لُغَاتِ التَّجْمِيعِ ، وَأُسْرَةُ لُغَاتِ الْإِشْتِقَاقِ .

◆ لُغَاتُ النَّحْبِ ، وَلُغَاتُ التَّجْمِيعِ ، وَلُغَاتُ الْإِشْتِقَاقِ ؟ .

(١) يترج العدو: يهيب العدو بالغم والكرب .

◆ نَعَمْ لُغَاتُ : النُّحْتِ ، وَالتَّجْمِيعِ ، وَالِإِشْتِقَاقِ .

◆ اَعْذُرْنِي يَا أَبَتِ إِذَا قُلْتُ لَكَ بِأَنِّي لَمْ أَفْهَمْ شَيْئًا بِمَا ذَكَرْتُ ، فَمَا الْمُرَادُ بِلُغَاتِ النُّحْتِ أَوَّلًا ؟

◆ لُغَاتُ النُّحْتِ : هِيَ تِلْكَ اللُّغَاتُ الَّتِي تَتَكَوَّنُ فِيهَا الْأَسْمَاءُ وَالْأَفْعَالُ وَالصِّفَاتُ بِإِلْحَاقِ مَقَاطِعَ صَغِيرَةٍ بِالْكَلِمَاتِ ؛ تَدْخُلُ عَلَى أَوَّلِهَا أَوْ عَلَى آخِرِهَا لِتُؤَدِّيَ الْمَعَانِي الْمَطْلُوبَةَ ، وَيَشِيعُ النُّحْتُ فِي اللُّغَاتِ الْهِنْدِيَّةِ الْجِزْمَانِيَّةِ .

◆ هَذِهِ لُغَاتُ النُّحْتِ ، فَمَا لُغَاتُ التَّجْمِيعِ ؟

◆ لُغَاتُ التَّجْمِيعِ - يَا بُنَيَّ - : هِيَ الَّتِي تَقُومُ عَلَى اللَّصِقِ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي لُغَاتِ النُّحْتِ ، وَلَكِنَّهَا تَعْتَمِدُ مَعَ ذَلِكَ عَلَى التَّنْغِيمِ الصَّوْتِيِّ لِتَنْوِيعِ الْمَذَلُولَاتِ ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الصِّفَاتِ وَالْأَحْوَالِ وَالظُّرُوفِ وَنَحْوِهَا ، وَيَشِيعُ التَّجْمِيعُ فِي لُغَاتِ الْقَبَائِلِ « الْمَعُولِيَّةِ » ، وَلُغَاتِ الْقَبَائِلِ « الْأَمْرِيكِيَّةِ » الْأَصْلِيَّةِ .

◆ هَذِهِ لُغَاتُ النُّحْتِ وَالتَّجْمِيعِ ؛ فَمَا لُغَاتُ الْإِشْتِقَاقِ ؟

◆ لُغَاتُ الْإِشْتِقَاقِ - يَا بُنَيَّ - : هِيَ تِلْكَ الَّتِي يُتَّخَذُ فِيهَا الْفِعْلُ الثَّلَاثِيُّ أَسَاسًا لِكُلِّ مَادَّةٍ مِنْ مَوَادِّهَا ، ثُمَّ تَجْرِي قَوَاعِدُ التَّصْرِيفِ فِيهَا عَلَى تَنْوِيعِ الصَّبْغِ وَالْأَوْزَانِ لِإِدَاءِ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ .

◆ وَأَيْنَ يَشِيعُ الْإِشْتِقَاقُ يَا أَبَتِ ؟

◆ فِي أُسْرَةِ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ ، وَالْعَرَبِيَّةِ أَكْمَلُ بَنَاتِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ وَأَكْثَرُهَا تَغْيِيمًا لِلِإِشْتِقَاقِ وَأَطْرَادًا^(١) فِي قَوَاعِيدِهِ ، وَشُيُوعُ الْقَوَاعِيدِ فِي لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ دَلِيلٌ لَا يُدْحَضُ^(٢) عَلَى عَرَاقَتِهَا ، وَاتِّحَمَالِهَا ، وَصَلَاحَتِهَا .

(١) اطرادًا : استرسالًا وتفرعًا .

(٢) لا يدحض : لا يسقط ولا يرد .

◆ آفَهُمْ مِنْ هَذَا أَنَّ لُغَةَ الْقُرْآنِ اِمْتَاَزَتْ عَلَى سِوَاهَا بِمَا أُوتِيَتْ مِنْ خَاصَّةِ
الِاسْتِثْقَاكِ وَاطْرَادِهِ ؟ .

◇ ذَلِكَ مَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهُ ، وَذَلِكَ مَا اهْتَدَيْتُ إِلَيْهِ عُلَمَاءُ اللُّغَاتِ .

◆ وَلَكِنَّ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى وَضُوحِهِ يَحْتَاجُ إِلَى مِثَالٍ ... فَالْمِثَالُ ؛ كَمَا يَقُولُونَ
يُرِيْلُ كُلَّ إِشْكَالٍ .

◇ إِلَيْكَ الْمِثَالُ - يَا بُنَيَّ - ، خُذْ مَادَّةَ الْكِتَابَةِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ثُمَّ أَعْمِلْ فِيهَا بَدَ
التَّصْرِيفِ وَالِاسْتِثْقَاكِ ؛ فَسَتُعْطِيكَ فَوْقَ الْأَفْعَالِ الثَّلَاثَةِ كُلًّا مِنْ : كَاتِبٍ ،
وَمَكْتُوبٍ ، وَمَكْتَبٍ ، وَمَكْتَبَةٍ ، وَكِتَابٍ ، وَنَحْوِهَا .

وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ جَمِيعُهَا تَشْتَرِكُ فِي مَعْنَى الْكِتَابَةِ ، كَمَا تَشْتَرِكُ فِي الْحُرُوفِ
الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْكَافُ ، وَالْتَاءُ ، وَالْبَاءُ .

◆ طَبِيبٌ طَبِيبٌ [بِقِسْمِ تَحَابُّبٍ] .

◇ ثُمَّ انْتَقِلْ إِلَى اللُّغَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ الَّتِي تَعْرِفُهَا يَا بُنَيَّ ؛ فَسَتَجِدُ أَنَّ "Write"
كَتَبَ وَ "Book" كِتَابٌ وَ "Disk" مَكْتَبٌ وَ "Library" مَكْتَبَةٌ ؛
وَهِيَ كَلِمَاتٌ لَا عِلَاقَةَ بَيْنَهَا فِي الْإِسْتِثْقَاكِ مُطْلَقًا ؛ مِمَّا يَجْعَلُ حِفْظَهَا صَعْبًا
وَالرُّبْطَ بَيْنَهَا مُسْتَحِيلًا .

◆ حَقًّا إِنَّ لُغَةَ الْقُرْآنِ لُغَةٌ مَنْطِيقِيَّةٌ يَا أَبَتِ .

◇ هُدَيْتُ إِلَى الْخَيْرِ ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ التَّعْبِيرَ بِإِيجَازٍ عَنْ أَحْصَى خَصَائِصِ عِبَرِيَّةِ
اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ حِينَ نَعْتَهَا بِأَنَّهَا لُغَةٌ مَنْطِيقِيَّةٌ .

◆ شُكْرًا [بِقِسْمِ تَحَابُّبٍ] .

◇ حَقًّا إِنَّهَا مَنْطِقِيَّةٌ فِي بِنَائِهَا ، مَنْطِقِيَّةٌ فِي طَرِيقَةِ اسْتِقَافِهَا ، مَنْطِقِيَّةٌ فِي هَنْدَسَةِ جُمْلَتِهَا ... وَمَا كَانَ مَنْطِقِيًّا ؛ فَهوَ أَعْلَى طَبَقَةٍ مِمَّا لَا يَجْرِي عَلَى مَنْطِقِي ، وَلَا يَسِيرُ عَلَى سَنَنِ .

◆ وَعَلَى هَذَا ؛ فَالْعَرَبِيَّةُ أَعْلَى طَبَقَةٍ مِنْ تِلْكَ اللُّغَاتِ الَّتِي يَدْعُونَهَا حَيَّةٌ .

◇ وَفَقْتُ إِلَى الْخَيْرِ ، فَذَلِكَ مَا أَثْبَتَهُ عِنَّمُ اللُّغَاتِ .

* * *

◆ أَتَبِ ، هَذِهِ اللَّعَةُ الْعَبْقَرِيَّةُ الْمَنْطِقِيَّةُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَصُونَهَا مِنْ عِبَثِ الْعَاثِينَ ، وَكَيِّدِ الْكَائِدِينَ .

◇ تَقُولُ : يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَصُونَ هَذِهِ اللَّعَةَ !!؟ .

◆ نَعَمْ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَصُونَهَا وَأَلَّا نُفَرِّطَ بِهَا .

◇ وَلَكِنِّي أَرَاكَ أَحَدَ الْمُفَرِّطِينَ .

◆ أَنَا يَا أَتَبِ !!؟ .

◇ نَعَمْ ، أَنْتَ يَا بُنَيَّ .

◆ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ .

◇ كَانَ ذَلِكَ حِينَ وَضَعْتَ كَلِمَاتِهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ، وَاسْتَعْمَنْتَ أَلْفَظَهَا فِي غَيْرِ مَعَانِيهَا .

◆ وَهَلْ بَدَرَ مِنِّي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ .

◇ نَعَمْ ، وَأَنْتَ لَا تَذَرِي .

◆ وَأَيْنَ الْخَطَأُ الَّذِي وَقَعْتُ فِيهِ ؟ .

◇ فِي قَوْلِكَ : يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَصُونَ لُغَتَنَا .

◆ وَمَا فِي ذَلِكَ ؟ .

◇ فِي ذَلِكَ أَنَّكَ اسْتَعْمَلْتَ : يَنْبَغِي عَلَيْنَا بِمَعْنَى يَجِبُ عَلَيْنَا ، وَهُوَ خَطَأٌ دَرَجَ عَلَيْهِ الْعَوَامُّ ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ بَعْضُ الْخَوَاصِّ .

◆ وَمَا وَجْهُ الْخَطِإِ فِي ذَلِكَ الْإِسْتِعْمَالِ ؟ .

◇ وَجْهُ الْخَطِإِ : أَنَّ مَعْنَى بَغَى طَلَبَ ، وَمَعْنَى انْبَغَى تَيَسَّرَ وَجَارَ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى قَوْلِكَ : يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَيْ يَتَيَسَّرُ لَنَا وَيَجُوزُ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ : يَجِبُ عَلَيْنَا ، وَشَتَانُ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا تَرَى .
وَشَيْءٌ آخَرُ ...

◆ أَحْجَلْتَنِي يَا أَبَتِ ، وَهَلْ هُنَاكَ شَيْءٌ آخَرُ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ؛ فَأَنْتَ قَدْ عَدَيْتَ^(١) يَنْبَغِي بَعْلَى فَقُلْتَ : يَنْبَغِي عَلَيْنَا ، وَالْعَرَبُ لَمْ تَسْتَعْمِلْهَا إِلَّا مَعَ اللَّامِ فَقَالَتْ : يَنْبَغِي لَنَا ، وَمَا يَنْبَغِي لَنَا .

◆ وَهَلْ وَرَدَتْ هَذِهِ الصُّيغَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾^(٢) أَيْ لَا الشَّمْسُ يَجُوزُ لَهَا وَيَتَيَسَّرُ إِدْرَاكُ الْقَمَرِ وَلَا اللَّيْلُ يَسْبِقُ النَّهَارَ .

(١) الفعل المتعدي : هو الذي يطلب مفعولاً به ، وقد يتعدى بأحد حروف الجر كما ورد في المتن .

(٢) سورة يس الآية ٤٠ .

◇ وَجَاءَ أَيْضًا فِي نَعْتِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾^(١) أَنِّي مَا يَنْبَسِرُ لَهُ وَمَا يَجُوزُ .

◆ شُكْرًا يَا أَبَتِ ... أَتَأْذُنُ لِي بِأَنْ أُضِيفَ ذَلِكَ إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ أَضِفْهُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَأَمْلَيْتَهُ عَلَيَّ ؟ .

◇ اكْتُبْ : لَا يُقَالُ يَنْبَغِي عَلَيَّ بِمَعْنَى : يَجِبُ عَلَيَّ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَا يَنْبَغِي لِي * بِمَعْنَى : لَا يَنْبَسِرُ وَلَا يَجُوزُ .

وَإِنَّ الْعَرَبَ لَا تُعَدِّي هَذَا الْفِعْلَ إِلَّا بِاللَّامِ ، وَهِيَ لَا تَكَادُ تَسْتَعْمِلُهُ إِلَّا بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ حَتَّى عُدَّ مِنَ الْأَفْعَالِ غَيْرِ الْمُتَصَرِّفَةِ^(٢) .

◆ جَزَيْتَ الْخَيْرَ يَا أَبَتِ وَفَاءَ مَا قَوَّمْتِ مِنْ اغْوِجَاجِ اللِّسَانِ ، وَإِصْلَاحِ الْبَيَانِ .

◇ وَوُقِيتَ الْخَطَأُ وَاللَّحْنُ يَا بُنَيَّ فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ .

* * *

◆ وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ يَا أَبَتِ ، إِنِّي لَفِي شَوْقٍ إِلَى طِيبِ أَرِيحِهَا .

◇ إِنَّهَا مُفْتَحَةُ الْأَبْوَابِ أَمَامَكَ ، فَادْخُلْهَا بِسَلَامٍ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي سَنِلْمُ بِرَوْضِهِ ؟ .

(١) سورة يس الآية ٦٩ .

(٢) الفعل المتصرف : هو الذي تجيء منه صيغ الماضي والمضارع والأمر ، ويمكن الاشتقاق منه على وجوه كثيرة ، مثل : أكل ، يأكل ، كُلْ ، وغير المتصرف : هو الجامد الذي يأتي بصيغة واحدة ولا يشتق منه صيغ أخرى مثل الفعل « عسى » فهو لم يرد إلا في صيغة الماضي .

◇ عَبْدُ الْمُحْسِنِ الْكَاطِبِيُّ .

◆ هُوَ شَاعِرٌ مُعَاصِرٌ^(١) كَمَا يَبْدُو ؛ أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ؛ فَقَدْ وُلِدَ فِي النُّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي ، وَتُوُفِّيَ فِي النُّصْفِ
الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْقَرْنِ .

◆ أَيْنَ وُلِدَ ، وَكَيْفَ نَشَأَ ؟ .

◇ وُلِدَ فِي « بَغْدَادَ » ، وَنَشَأَ فِي كَنْفِ أُسْرَةٍ تَعْمَلُ فِي التَّجَارَةِ ... لَكِنَّ وَلَعَهُ
بِالْعِلْمِ وَحُبِّهِ لِلْأَدَبِ ؛ جَعَلَهُ يُقْبَلُ عَلَى دِرَاسَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَيُكَثِّرُ فِي حِفْظِ شِعْرِهَا
وَنَثْرِهَا ... حَتَّى نَبَغَ فِي قَوْلِ الشُّعْرِ ، وَلُقِّبَ بِشَاعِرِ الْعَرَبِ .

◆ وَمَا الزُّهْرَاتُ الَّتِي جَنَيْتَهَا مِنْ رَوْضِهِ ؟ .

◇ قَصِيدَةٌ قَالَهَا مُنْذُ نِصْفِ قَرْنٍ تَمَامًا ، لَكِنَّكَ إِذَا سَمِعْتَهَا خُيِّلَ إِلَيْكَ أَنَّهَا بِنْتُ
وَقْتِهَا^(٢) وَوَحْيُ السَّاعَةِ .

◆ وَمَا مَوْضُوعُهَا يَا أَبْتَ ؟ .

◇ دَعْوَةٌ إِلَى اسْتِنْقَازِ الْوَطَنِ الْمَسْلُوبِ ، وَاسْتِزْدَادِ الْحَقِّ الْمَغْضُوبِ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟ .

◇ يَقُولُ :

سِيرُوا بِنَا عَنَقًا وَشَدًّا سِيرُوا بِنَا مَمْسَى وَمَعْدَى^(٣)

(١) شاعر معاصر : من شعراء العصر الحديث .

(٢) بنت وقتها : أي كأنها نظمت اليوم .

(٣) مَمْسَى وَمَعْدَى : في المساء والغداة ، يعني أول النهار وآخره .

سِيرُوا فُرَادَى أَوْ ثَنَى وَالْجَمْعُ لِلْفَيَاتِ أَجْدَى
سِيرُوا إِلَى الْوَطَنِ الْمُوقَى بِالنُّقَائِبِ وَالْمُفْدَى
يَا حَبْذَا وَطَنٌ أَعَادَ الْفَضَا^(٢) سَلَّ فِي الدُّنْيَا، وَأَبْدَى
يَا حَبْذَا وَطَنٌ يُغْنَى بِاسْمِهِ أَبَدًا، وَيُحْدَى^(١)
وَطَنٌ تَقَادَمَ ذِكْرُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ وَاسْتَجْدَا
هُوَ مَوْطِنُ الْقَوْمِ الْأَلَى فَضَلُّوا الْأَنَامَ أَبَا وَجْدًا
عَبَّثَتْ بِهِ أَيْدِي الضَّنَا^(٣) وَتَرَكْنَهُ عَظْمًا وَجِلْدًا
وَبَرَّغَمَ كُلُّ هِدَايَةٍ أَضْفَى الضَّلَالُ عَلَيْهِ بُرْدًا

☆ ☆ ☆

سِيرُوا نَذْبُ^(٣) عَنِ الْجَمَى وَنَرُدُّ عَنْهُ الْمُسْتَبِيدَا
نَحْمِي جَمَى أَوْطَانِنَا وَنُصَوِّنُهَا غَوْرًا وَنَجْدَا
وَنَرُدُّ عَنْهَا مَنْ عَدَا ظُلْمًا عَلَيْهَا أَوْ تَعْدَى

☆ ☆ ☆

إِنْ كَانَ حَرْبٌ فَابْتُوا لِي فِي بُطُونِ الطَّيْرِ لَحْدَا
أَوْ كَانَ سِلْمٌ فَاجْعَلُوا ذَاكَ الثُّرَى عَيْتًا وَخَدَا
تَاللَّهِ لَا أَرْضَى الْحَيَا^(٢) سَاءَ أَرَى لَدَيْهَا الْخَسْفَ وَرَدَا^(٤)
أَيُرَوِّقُ لِي عَيْشٌ أَرَى فِيهِ الْكَرِيمَ الْحُرَّ عَبْدَا؟
وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْهَيَا^(٣) نِ رَأَيْتُ طَعْمَ الْمَوْتِ شَهْدَا

(١) الحداء : هو الغناء للإبل كي تسرع السير، وهو هنا التغني باسم الوطن .

(٢) الضنا : التعب والمشقة ؛ حتى صار هزيلًا .

(٣) تلب عنه : تدفع عنه الأعداء .

(٤) الخسف : هو الضميم ، والبرزد : هو الورود إلى الماء للسقيا .

إِنْ لَمْ تُكُنْ تُعْجِدِي الْخَيْـ (٢) — أَاهُ بِمِزْهَا ، فَالْمَوْتُ أَجْدَى

☆ ☆ ☆

أَوْطَانُنَا أَرْوَاحُنَا بَلْ إِنَّهَا بِالرُّوحِ تُفْدَى
هِيَ نُورُ أَغْيَيْنَا الَّتِي أَبَدًا نُرَاحُ بِهَا وَنُغْدَى
أَبَدًا نَجَاهِدُ دُونَهَا وَنُكَافِحُ الْخَضَمَ الْأَلْدَا
وَنَصُدُّ عَنْهَا مَنْ نَوَى أَوْ هُمْ يَوْمًا أَوْ تَصْدَى

☆ ☆ ☆

يَا أَيُّهَا الْوَطَنُ الَّذِي نَادَى بَيْنِهِ وَاشْتَعَدَّا
وَأَسْرُ نَارًا (١) كُلَّمَا قِيلَ : اْخْمِدِي تَزْدَادُ وَقْدًا
لَكَ مِنْ بَنِيكَ النُّجَا (٢) سَبَّ كُلُّ غَضَنْفَرٍ (٣) وَقَى وَفْدَى
سَتَرَاهُمْ كَالْأَسَدِ وَائِـ (٢) — بَّةُ تَرُدُّ الْحَطَبَ رَدًّا
قَوْمٌ كَأَسَادِ الشَّرَى (٣) سَمِيتَهُمْ فِي الرُّوعِ جُنْدًا

* * *

◆ أَبَتْ ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ : سِيرُوا بِنَا عَنَقًا وَشَدًّا
فَمَا الْعَنَقُ ، وَالشَّدُّ - يَا أَبَتْ - ؟ .

✧ ✧ : السَّيْرُ السَّرِيعُ - يَا بُنَيَّ - ، وَالشَّدُّ : أَعْلَى مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ سَيْرِ الْإِنْسَانِ
وَعَدْوِهِ .

◆ وَهَلْ جَعَلَ الْعَرَبُ لِلسَّيْرِ مَرَاتِبَ ، وَوَضَعُوا لِكُلِّ مَرْتَبَةٍ اسْمًا خَاصًّا بِهَا ١٩ .

(١) وَأَسْرُ نَارًا : احتفظ بنار الغضب في سريره .

(٢) الغضنفر : من أسماء الأسد .

(٣) الشَّرَى : هو موطن الأسد في الصحراء .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ...

◆ فَمَاذَا قَالُوا ؟

◇ قَالُوا : أَوَّلَ مَرَاتِبِ الْمَشْيِ : اللَّذِيْبُ ، ثُمَّ الْمَشْيُ ، ثُمَّ السَّعْيُ ، ثُمَّ *
الْإِيْفَاضُ ، ثُمَّ الْهَزْوَلَةُ ، ثُمَّ الْعَدْوُ ، ثُمَّ الشَّدُّ .

◆ رَائِعَةٌ لُغَةُ الْقُرْآنِ هَذِهِ يَا أَبَتِ رَائِعَةٌ .

◇ وَهِيَ تَجْمَعُ إِلَى الرُّوْعَةِ الْغَنَى ؛ فَلَمْ يَكْتَفِ الْعَرَبُ بِتَدْرِيجِ مَرَاتِبِ سَيْرِ
الْإِنْسَانِ ؛ وَإِنَّمَا فَصَّلُوا الْقَوْلَ فِي ضُرُوبِ^(١) مَشْيِهِ وَعَدْوِهِ ؛ تَفْصِيلاً لَا تَجِدُ
لَهُ نَظِيْراً فِي آيَةِ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ .

◆ فَمَاذَا قَالُوا ؟ يَا أَبَتِ .

◇ قَالُوا :

دَرَجَ : لِلصَّبِيِّ الصَّغِيرِ إِذَا مَشَى .
وَ حَبَا : لِلرَّضِيعِ إِذَا مَشَى عَلَى مُؤَخَّرَتِهِ .
وَ حَطَرَ : لِلشَّابِّ إِذَا مَشَى بِاهْتِرَازٍ وَنَشَاطٍ .
وَ دَلَفَ : لِلشَّيْخِ إِذَا قَارَبَ خَطْوُهُ وَمَشَى رُوَيْدًا رُوَيْدًا .
وَ هَدَجَ : لِمَنْ مَشَى مِشْيَةً الْمُثْقَلِ^(٢) .
وَ رَسَفَ : لِمَنْ مَشَى فِي قُبُودِهِ .
وَ اخْتَالَ ، وَ تَبَخَّرَ ، وَ تَبَهَّنَسَ : لِلرَّجُلِ إِذَا مَشَى مِشْيَةَ الْمُتَكَبِّرِ ، وَلِلْمَرْأَةِ
الْمُعْجَبَةِ بِجَمَالِهَا .

◆ مَا هَذَا يَا أَبَتِ ، مَا هَذَا ؟ [بِضَرْبِ ثَنَائٍ] .

(١) في ضروب مشيه : أنواع مشيه .

(٢) مشية الثقل : كمشي الضعيف ، أو الكسول ، أو الذي يحمل حملاً ثَقِيلاً .

◇ وَتَقَهَّقَر : لِمَنْ مَشَى رَاجِعًا إِلَى الْخَلْفِ .
 وَتَخَلَّع : لِلْمَجْنُونِ وَالسَّكَرَانِ إِذَا تَمَازَلَا فِي مَشْيِهِمَا يَمْنَةً وَيَسْرَةً .
 وَأَهْطَعَ : لِمَنْ مَشَى مِشْيَةَ الْخَائِفِ الْمُسْرِعِ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿مُهْطِعِينَ
 إِلَى الدَّاعِ ، يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ (١) .

◆ وَقَانَا اللَّهُ مِنْهُ (بَصُرَتْ خَائِبًا) .

◇ آمِينَ ... وَهَرَوَل : لِمَنْ مَشَى مِشْيَةً بَيْنَ الْمَشْيِ وَالْعَدْوِ .
 وَتَهَادَى : لِلشُّبَّحِ الضَّعِيفِ ، وَالصَّبِيِّ الصَّغِيرِ ، وَالرَّجُلِ الْمَرِيضِ ، وَالْمَرْأَةِ
 السَّعِيبَةِ .

وَرَفَلَ : لِمَنْ مَشَى يَجُرُّ ذُيُولَهُ .
 وَقَطَا : لِمَنْ جَعَلَ يُقَارِبُ خَطْوَهُ فِي نَشَاطٍ .
 وَأَتَلَ : لِمَنْ جَعَلَ يُقَارِبُ خَطْوَهُ فِي غَضَبٍ .
 وَأَخْصَبَ : لِمَنْ أَثَارَ الْحَضْبَاءَ عِنْدَ عَدْوِهِ ... وَلَوْ رُحْتُ أَسْتَقْصِي مَا قَالَوهُ
 فِي هَذَا الْبَابِ ؛ لَطَالَ بَيْنَ الْمَقَالِ وَلَضِغَتْ بِهِ ذَرْعًا .

◆ مَعَاذَ اللَّهِ يَا أَبَتِ أَنْ أَضِيقَ بِهِ ذَرْعًا مَعَاذَ اللَّهِ ! .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَطُرْفَةُ الْجَلْسَةِ أَرْجُو أَلَّا يَضِيعَ حَقِّي فِيهَا .

◇ لَا يَضِيعُ حَقٌّ وَرَاءَهُ مُطَالِبٌ . فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْمُطَالِبُ أَنْتَ ؟ .

◆ إِذَنْ هَانِيهَا مَشْكُورًا غَيْرَ مَوْزُورٍ .

◇ لِمَتَنَبَّيِ الْعَرَبِ طَرَائِفُ كَثِيرَةٌ ؛ مِنْهَا أَنَّ رَجُلًا ادَّعَى النُّبُوَّةَ فِي زَمَنِ الْمَأْمُونِ ،
 فَلَمَّا أَتَى لَهُ بِهِ قَالَ : تَزْعُمُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ۚ ۱۲ .

(١) سورة الفجر الآية ٢٨ .

قَالَ : نَعَمْ ...

قَالَ : وَمَا مُعْجِزُكَ ؟ .

قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ .

قَالَ : وَيَحْكُ وَمَا فِي نَفْسِي ؟ .

قَالَ : فِي نَفْسِكَ أَنِّي كَذَّابٌ .

وَادَّعَى رَجُلٌ التَّبَوَّةَ أَيَّامَ الْمَهْدِيِّ ؛ فَأُذِخِلَ عَلَيْهِ فَسَّأَلَهُ :

إِلَى مَنْ بُعِثَ ؟ .

فَقَالَ : مَا تَرَكْتُمُونِي أَذْهَبُ إِلَى مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ ...

فَإِنِّي بُعِثْتُ بِالْعَدَاةِ ، وَحَبَسْتُمُونِي بِالْعَشِيِّ .

* * *

الْجَلْسَةُ الْخَامِسَةُ

أَبْجَدِيَّةُ اللُّغَةِ

- ◆ أَيْتَ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاؤُهُ .
- ◆ يَكْثُرُ عُلَمَاؤُنَا وَأَدَبَاؤُنَا - يَا أَيْتَ - الْفَخْرُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ .
- ◇ وَمَا فِي ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ؟ .
- ◆ لَيْسَ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ ...
- ◇ تَقُولُ مَاذَا ؟ .
- ◆ أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ - بَعْدَ اسْتِثْنَائِكَ - أَهَذَا الْفَخْرُ مِنْ بَابِ الْعِزَّةِ الْقَوْمِيَّةِ الَّتِي تُشَبِّهُ اغْتِدَادَ^(١) الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ ، وَإِثَارَهُ لِصِفَاتِهِ ؟ ... أَمْ إِنَّهُ فَخْرٌ لَهُ دَلِيلٌ يُؤَيِّدُهُ ، وَحُجَّةٌ تُشْهَدُ لَهُ ؟ .
- ◇ إِنَّ تَفَاخُرَ الْأَمَمِ بِمَنَاقِبِهَا - وَمِنْهَا اللُّغَةُ - أَمْرٌ شَائِعٌ - يَا بُنَيَّ - يَدْعُو إِلَيْهِ إِثَارُ الذَّاتِ ، وَيَتَّسِقُ مَعَ طَبِيعَةِ الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ .

(١) اعتداد المرء بنفسه : ثقته بنفسه واعتزازه .

◆ وَهَلْ تَبَيَّنَ الْأُمَمُ دَعَاوَى فُخْرِهَا عَلَى دَلِيلٍ ؟

◇ رُبَّمَا تَفْتَنُ بِأَيْسَرِ دَلِيلٍ .

◆ بَلْ رُبَّمَا لَا تُكَلِّفُ نَفْسَهَا مَشَقَّةَ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ .

◇ نَعَمْ ، رُبَّمَا لَا تُكَلِّفُ نَفْسَهَا مَشَقَّةَ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ ، وَلَكِنَّ الْفُخْرَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَا يُشْبِهُ هَذِهِ الْمَفَاجِرَ .

◆ وَلِمَذَا يَا أَبَتِ !؟

◇ لِأَنَّ دَلِيلَهُ الْعِلْمِيَّ حَاضِرٌ لَا يُعْيِي (١) الْعُلَمَاءَ ، وَلَا تَتَعَسَّرُ مَعْرِفَتُهُ عَلَى الْبَاحِثِينَ .

◆ وَمَا مَجَالَاتُ الْفُخْرِ بِاللُّغَاتِ عِنْدَ الْأُمَمِ ؟ يَا أَبَتِ .

◇ مَجَالَاتُهَا كَثِيرَةٌ ؛ فَأُمَمٌ تَفُخِّرُ بِوُضُوحِ أَدَائِهَا ، وَعُدُوبَةِ جَرَسِهَا .
وَأُمَمٌ تَفُخِّرُ بِغِنَى مُعْجَمَاتِهَا وَوَفَرَةِ ثَرَوَتِهَا مِنَ الْأَفْعَالِ ، وَالْأَسْمَاءِ ، وَالصُّفَاتِ ،
وَالْأَدْوَاتِ ... وَأُمَمٌ تَفُخِّرُ بِكُنُوزِهَا الْأَدَبِيَّةِ الثَّمِينَةِ ، وَذَخَائِرِهَا الْفَنِّيَّةِ الْأَصِيلَةِ .
وَأُمَمٌ تَزْعُمُ أَنَّ أَبْنَاءَهَا هُمُ الْفُصَحَاءُ الْمُسَيُّونَ ، وَأَنَّهُ لَا يُشَارِكُهُمْ فِي هَذِهِ
الْمَزِيَّةِ أَحَدٌ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ .

◆ وَنَحْنُ يَا أَبَتِ ، بِمِ تَفُخِّرُ حِينَ نَفُخِّرُ بِلُغَتِنَا ؟

◇ نَفُخِّرُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَبِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ .

◆ نَفُخِّرُ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ ١١ أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ فَخْرٌ بِلُغَةٍ ١١٢ .

(١) لَا يُعْيِي : لَا يُعْجِزُ الْعُلَمَاءَ .

◆ نَعَمْ ، فَتَحْنُ نَفْخَرُ بِعَبْقَرِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَجْمَعُ ذَلِكَ كُلُّهُ ، وَتَجْمَعُ مَعَهُ أَمْثَالَهُ .

◆ وَأَيْنَ تَتَجَلَّى^(١) عَبْقَرِيَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَا أَبَتِ ؟ .

◆ تَتَجَلَّى فِي حُرُوفِهَا الَّذِي تُبْنَى مِنْهُ الْأَلْفَاظُ ، وَفِي أَلْفَاظِهَا الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا الْجُمْلُ ، وَفِي جُمْلِهَا الَّتِي تُصَاغُ مِنْهَا الْعِبَارَاتُ ، وَتَتَجَلَّى أَيْضًا ...

◆ أَوْرَاءَ ذَلِكَ مَجَالٌ تَتَجَلَّى فِيهِ عَبْقَرِيَّةُ لُغَةٍ ١٩ .

◆ نَعَمْ ، تَتَجَلَّى عَبْقَرِيَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَيْضًا فِي إِغْرَابِهَا الْمُحْكَمِ ، وَمَجَازِهَا الْمُصَوِّرِ الْمُعَبِّرِ ، وَمُوسِيقَاهَا الْمُوْجِيَةِ ، وَأَوْزَانِ شِعْرِهَا الْفَرِيدَةِ ، ثُمَّ فِي مَنْطِقِيَّتِهَا الَّتِي تَجْعَلُ مِنْهَا لُغَةً ذَاتَ مَنَهْجٍ وَقَوَاعِدَ .

◆ قُلْتُ - يَا أَبَتِ - إِنَّ عَبْقَرِيَّةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَتَجَلَّى فِي حُرُوفِهَا !! .

◆ أَوَّلُ مَا تَتَجَلَّى فِيهِ عَبْقَرِيَّةُ هَذِهِ اللُّغَةِ هُوَ حُرُوفُهَا .

◆ أَفِي الْحُرُوفِ ، وَهِيَ أَصَوَاتٌ مُبْهَمَةٌ لَا دَلَالَهَ لَهَا ، مَجَالٌ لِعَبْقَرِيَّةِ لُغَةٍ ١٩ !! .

◆ الْحُرُوفُ - يَا بُنَيَّ - أَوْ أَبْجَدِيَّةُ اللُّغَةِ - أَيْةٌ لُغَةٌ - هِيَ اللَّبَنَاتُ الَّتِي يَتَكَوَّنُ مِنْهَا الْبِنَاءُ اللُّغَوِيُّ ، وَبِمَقْدَارِ مَا تَكُونُ اللَّبَنَاتُ مُحْكَمَةً الصَّنْعِ سَلِيمَةً الْمَادَّةِ ؛ يَكُونُ الْبِنَاءُ أَكْمَلَ وَأَجْمَلَ ، وَأَكْثَرَ تَحْقِيقًا لِلْغَايَةِ الْمَتَوَخَّاةِ^(٢) .

◆ وَمَا أَهْرُزُ مَزَايَا الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ يَا أَبَتِ ؟ .

◆ أَوَّلُ مَزَايَا الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ - لَا أَهْرُزُهَا - أَنَّهَا اسْتُخْدِمَتْ جِهَازَ الثُّطُقِ الْإِنْسَانِيِّ

(١) تتجلى : تظهر وتنتضح بجلاء .

(٢) المتوخاة : المطلوبة المرغوب في تحقيقها .

أَوْ جِهَازَ الصَّوْتِ أَدَقَّ اسْتِخْدَامِ وَأَوْفَاهُ^(١).

◆ لَمْ أَفْهَمَ مَا عَنَيْتَهُ بِدَقَّةِ اسْتِخْدَامِ جِهَازِ النُّطْقِ الْإِنْسَانِيِّ .

◇ جِهَازُ النُّطْقِ الْإِنْسَانِيِّ - يَا بُنَيَّ - يَتَأَلَّفُ مِنَ الْحَلْقِ وَالْحَنَكِ^(٢)، وَاللِّسَانِ، وَاللِّثَّةِ، وَالشَّفَتَيْنِ؛ وَقَدْ اسْتَحْدَمْتَ الْأُبْجَدِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ هَذَا الْجِهَازَ كُلَّهُ، وَاسْتَحْدَمْتَهُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، وَلَمْ تُغْفِلْ وَظِيفَةً وَاحِدَةً مِنْ وَظَائِفِهِ .

◆ وَهَلْ قَصَّرْتَ اللُّغَاتُ الْأُخْرَى عَنِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَجَالِ اسْتِخْدَامِ هَذَا الْجِهَازِ ؟ .

◇ كَثِيرًا يَا بُنَيَّ ... فَالْحَلْقُ، وَهُوَ أَعَمَقُ مَا فِي هَذَا الْجِهَازِ وَأَبْرَعُ مَا فِيهِ؛ مُهْمَلٌ فِي أَكْثَرِ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ .

◆ الْحَلْقُ !! وَمَا الْحُرُوفُ الَّتِي تَصْدُرُ عَنِ الْحَلْقِ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ لَوْ أَنَّكَ أَوْلَيْتَ^(٣) عِلْمَ التَّجْوِيدِ^(٤) أَوْ عِلْمَ الْأَصْوَاتِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِنَايَةٍ فِي دِرَاسَتِكَ السَّابِقَةِ لَعَرَفْتَ حُرُوفَ الْحَلْقِ .

◆ وَهَلْ مِنْ عِلَاقَةٍ بَيْنَ التَّجْوِيدِ وَعِلْمِ الْأَصْوَاتِ ؟ .

◇ عِلْمُ التَّجْوِيدِ يَا بُنَيَّ - هُوَ أَبْرَعُ وَأَقْدَمُ مَا كُتِبَ فِي عِلْمِ الْأَصْوَاتِ، وَالْمُسْلِمُونَ - لَا الْغُرَبَاءُ - هُمُ الَّذِينَ وَضَعُوا هَذَا الْعِلْمَ وَقَعَّدُوا^(٥) قَوَاعِدَهُ .

◆ عَفْوُكَ يَا أَبَتِ، تَذَكَّرْتُ ... تَذَكَّرْتُ حُرُوفَ الْحَلْقِ، أَلَيْسَتْ هِيَ :

الْهَمْزَةُ، وَالْهَاءُ، وَالْعَيْنُ، وَالْحَاءُ، وَالغَيْنُ، وَالْخَاءُ ؟ .

(١) أوفاه : أكثره وفاء بالمطلوب .

(٢) الحنك : باطن أعلى الفم من الداخل .

(٣) أوليت : أعطيت .

(٤) علم التجويد : أحد علوم القرآن ، يبحث في قواعد تلاوته ، من مد

وغنة إلخ ... ويدرس أول ما يدرس مخارج الحروف .

(٥) قَعَّدُوا قَوَاعِدَهُ : أَسَّسُوا قَوَاعِدَهُ .

◇ نَعَمْ هَذِهِ هِيَ حُرُوفُ الْحَلْقِ ، وَهِيَ حُرُوفُ حُرِمَتْ مِنْهَا اللُّغَاتُ الْأُخْرَى ؛
فَحُرِمَتْ مِنْ أَدَوَاتِ صَوْتِيَّةٍ عَزَّ أَنْ يَجِدَ الْمَرْءُ لَهَا نَظِيرًا .

◆ أَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَقُولُ الْأَوْرُبِيُّونَ : " Mouhammad " « مُوْهَامَاذ » ، بَدَلًا
مِنْ مُحَمَّدٍ ؟ .

◇ نَعَمْ وَيَقُولُونَ : « كَالِيد » بَدَلًا مِنْ خَالِيد ، وَيَقُولُونَ : « آبِدُ اللَّهِ » بَدَلًا مِنْ عَبْدِ
اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ : « كَاذًا » بَدَلًا مِنْ عَادَةٍ ؛ لِأَنَّ أَجْدِيَّتَهُمْ لَا تَمْلِكُ هَذِهِ
الْحُرُوفَ .

◆ إِذَا كَانَ لِحُرُوفِ الْحَلْقِ هَذِهِ الْأَهَمِّيَّةُ كُلُّهَا ؛ فَلِمَ لَا تُدْعَى اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةً
الْحَلْقِ ؛ بَدَلًا مِنْ لُغَةِ الضَّادِ ؟ .

◇ ذَلِكَ لِأَنَّ الضَّادَ لَا وُجُودَ لَهُ فِي جَمِيعِ اللُّغَاتِ الْمَنْطُوقَةِ الْيَوْمَ ؛ أَمَّا حُرُوفُ
الْحَلْقِ فَيَتَوَافَرُ بَعْضُهَا لِبَعْضِ اللُّغَاتِ .

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ الْحَاءِ فَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي الْأَلْمَانِيَّةِ ، وَالْهَمْزَةِ الْمُخَفَّفَةِ فَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي
الْفَرَنْسِيَّةِ وَالْإِنْكِلِيزِيَّةِ ... وَمَعَ ذَلِكَ ؛ فَهَنَّاكَ مَنْ عَنَّتْ (١) لَهُ الْفِكْرَةُ الَّتِي عَنَّتْ
لَكَ ؛ فَاقْتَرَحَ أَنْ تُسَمَّى اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةً الْحَاءِ بَدَلًا مِنْ لُغَةِ الضَّادِ .

◆ وَمَنْ ذَا الَّذِي بَدَا لَهُ مِثْلُ الَّذِي بَدَا لِي يَا أَبَتِ ؟ .

◇ إِنَّهُ الشَّاعِرُ الْقُرَوِيُّ (٢) ، فَقَدْ اقْتَرَحَ ذَلِكَ فِي رِسَالَةٍ بَعَثَ بِهَا إِلَى الْمَرْحُومِ

(١) عَنَّتْ لَهُ : ظَهَرَتْ لَهُ .

(٢) هو : رشيد سليم الخوري : ١٨٨٧ - ١٩٨٤ شاعر لبناني مهجري ، هاجر إلى البرازيل ، وله أكثر من
ديوان شعر .

الْأُسْتَاذِ عَبَّاسِ مَحْمُودِ الْعَقَادِ .

◆ وَهَلْ هُنَاكَ حُرُوفٌ أُخْرَى غَيْرَ حُرُوفِ الْحَلْقِ تَخْتَصُّ بِهَا الْعَرَبِيَّةُ ؟

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، هُنَاكَ : الطَّاءُ ، وَالظَّاءُ ، وَالْقَافُ أَيْضًا .

◆ لَعَلَّ هَذَا هُوَ الَّذِي عَنَيْتُهُ بِقَوْلِكَ : إِنَّ الْأَبْجَدِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ قَدْ اسْتُخْدِمَتْ جِهَازَ النُّطْقِ الْإِنْسَانِي كُلَّهُ ؛ وَعَنَى أَكْمَلِ وَجْهِ ؟ .

◇ ذَلِكَ مَا عَنَيْتُهُ يَا بُنَيَّ ، وَهُوَ مَزِيَّةٌ اِمْتَارَتْ بِهَا هَذِهِ اللُّغَةُ عَلَى سِوَاهَا مِنْ لُغَاتِ الْأَرْضِ ، وَسِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ عِبْقَرِيَّةِ أَبْجَدِيَّتِهَا الْكَامِلَةِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، إِنَّ الَّذِي يُصَيِّخُ^(١) إِلَى مَا تُدْلِي بِهِ مِنْ حُجَجٍ فِي نُصْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَنْ يَرْضَخَ لَكَ .

◇ يَرْضَخُ لِي !! يَرْضَخُ لِي مَاذَا ؟ أَيْرَضَخُ لِي نَوَاةً^(٢) أَمْ حَصَاةً أَمْ مَاذَا ؟ .

◆ لَا أَفْهَمُ شَيْئًا مِمَّا تَقُولُ يَا أَبَتِ ، أَتُرَانِي وَقَعْتُ فِي خَطْلٍ ؟ ! .

◇ وَأَيُّ خَطْلٍ .

◆ مَا هَذَا يَا أَبَتِ ؟ لَقَدْ سَدَدْتَ عَلَيَّ الْمَسَالِكَ - طَالَ بَقَاؤُكَ - ؛ فَأَنَا لَا أَكَادُ أَخْرُجَ مِنْ وَرْطَةٍ حَتَّى أَقَعَ فِي أُخْرَى .

◇ بَلْ لَوْ أَنْصَفْتَ لَقُلْتَ : أَنَا لَا أَكَادُ أَظْفَرُ بِفَائِدَةٍ حَتَّى يُهَيِّئَ اللَّهُ لِي أُخْرَى .

◆ عَفْوَكَ يَا أَبَتِ ، فَالَّذِي يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّي لَمْ أَجَانِبِ الصُّوَابَ^(٣) فِيمَا قُلْتُهُ ، فَأَنَا

(١) يصيح : يستمع .

(٢) النواة : نواة البلح .

(٣) لم أجانب الصواب : لم أبتعد عن الصواب ولم أنحرف عنه .

قُلْتُ : إِنَّ الَّذِي يَسْتَمِيعُ إِلَيَّ حُجَجَكَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَنْ يَرُضَّخَ لَكَ . أَفِي هَذَا شَيْءٌ تُنْكِرُهُ اللُّغَةُ ؟

◇ لَنْ أُجِيبَكَ أَنَا عَلَى سُؤَالِكَ هَذَا ؟

◆ إِذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي يُجِيبُنِي إِنْ لَمْ تُجِبْنِي أَنْتَ ، دَامَ عِرْكَ ؟

◇ الْمُعْجَمُ يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُ أَمَامَكَ ، افْتَحْهُ وَاسْتَخْرِجْ مَادَّةَ رَضَخٍ وَاقْرَأْ مَا كُتِبَ فِيهَا .

◆ هَذَا هُوَ الْمُعْجَمُ ... وَهَذِهِ مَادَّةُ رَضَخٍ .

◇ اقْرَأْ مَا كُتِبَ فِيهَا ، اقْرَأْهُ كُلَّهُ .

◆ الرَّضَخُ : الْكَسْرُ ، يُقَالُ : رَضَخَ رَأْسَ الْحَيَّةِ بِالْحِجَارَةِ ، وَرَضَخَ النَّوَى وَالْعَظْمَ ، وَغَيْرَهَا يَرْضَخُهُ رَضْخًا أَيْ كَسَرَهُ ، وَالتَّرَضُخُ : تَرَامِي الْقَوْمِ بِالنُّشَابِ^(١) ، وَالرَّضَخُ أَيْضًا : الْعَطَاءُ الْقَلِيلُ ... وَالرَّضَخُ : خَبَرٌ تَسْمَعُهُ وَلَا تَسْتَيْقِنُهُ فِي النُّطَاحِ^(٢) ، وَفُلَانٌ يَرْضَخُ لُكْنَةً عَجَمِيَّةً : إِذَا نَشَأَ مَعَ الْعَجَمِ ثُمَّ صَارَ إِلَى الْعَرَبِ .

◇ أَهَذَا كُلُّ مَا جَاءَ فِي مَادَّةِ رَضَخٍ ؟

◆ نَعَمْ يَا أَبَتِ ، هَذَا كُلُّ مَا جَاءَ فِي مَعَانِيهَا ، وَلَكِنِّي ...

◇ وَلَكِنَّكَ مَاذَا ؟

◆ وَلَكِنِّي أُرِيدُ بِكَلِمَةِ رَضَخٍ : أَذْعَنَ .

◇ أَنْتَ تُرِيدُ وَلَكِنَّ الْمُعْجَمَاتِ لَا تُرِيدُ ؛ فَلِلرَّضَخِ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَعَانِي غَيْرَ أَنَّهُ

(١) النشاب : النبل ، واحدا منها : نشابة . (٢) النطاح والمناطحة : هي المقاومة والمدافعة .

لَيْسَ فِيهَا وَاحِدٌ يُشِيرُ إِلَى مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ أَوْ يَثْتَرِبُ مِنْهُ .

◆ أَيْتٌ ، وَلَكِنِّي قَرَأْتُ فِي « الْمُنْجِدِ » مَا يُفِيدُ بِأَنَّ مَعْنَى رَضَخَ : أَدْعَن .

◇ ١٤ « الْمُنْجِدُ » ، دَعَكَ مِنْ « الْمُنْجِدِ » - يَا بَنِي - فَمَا هُوَ بِالْكِتَابِ الَّذِي يُرَكَّنُ إِلَيْهِ ^(١) .
دَعُهُ وَاعْتَمِدْ عَلَى الْمُؤْتَوَّقِ مِنَ الْمُعْجَمَاتِ ^(٢) .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا يَا أَيْتِ ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ « الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ » ، وَ« الصُّحَا حِ » ، وَ« لِسَانِ الْعَرَبِ » ، وَ« تَاجِ الْعُرُوسِ » وَنَحْوِهَا ؛ فَهِيَ الْمَصَادِرُ الَّتِي إِلَيْهَا نَرْجِعُ ، وَالْمَوَارِدُ الَّتِي مِنْهَا نَنْهَلُ .

◆ عَلَى هَذَا لَا يُقَالُ رَضَخَ فُلَانٌ لِأَمْرِ فُلَانٍ بِمَعْنَى أَدْعَنَ لَهُ ؟ .

◇ نَعَمْ لَا يُقَالُ ذَلِكَ أَبَدًا ، وَهُوَ خَطَأٌ لَا وَجْهَ لَهُ وَلَا مُبَرَّرٌ .

◆ أَسْتَمَحُّ لِي بِأَنْ أُثَبِّتَ ذَلِكَ فِي بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ أَثْبَتَهُ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَأَمْلَيْتَهُ عَلَيَّ جُزِيتَ الْحَبِيرَ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً . انْكَشَبَ لَا يُقَالُ : رَضَخَ فُلَانٌ لِحُكْمِ فُلَانٍ ؛ أَيْ أَدْعَنَ لِحُكْمِهِ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي هَذَا الْمَقَامِ : أَدْعَنَ فُلَانٌ لِحُكْمِ فُلَانٍ ، وَدَانَ لِحُكْمِ فُلَانٍ ، وَانْقَادَ لِحُكْمِ فُلَانٍ ، وَعَنَّا لِحُكْمِ فُلَانٍ .

* * *

◆ رَوْضَةُ الشُّعْرِ يَا أَيْتِ ، أَيْنَ رَوْضَةُ الشُّعْرِ ؟ .

(١) رَكَّنَ إِلَيْهِ : اعْتَمَدَ عَلَيْهِ وَصَدَّقَ مَا فِيهِ .

(٢) انظر كتاب « عشرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام » لإبراهيم القطان ، الناشر دار القرآن الكريم .

◇ إِنَّهَا بِنِكَ قَرِيبٌ .

◆ وَمَا الطَّاقَةُ الَّتِي جَنَيْتَهَا النَّوْمَ ، طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ قِطْعَةٌ مِنَ الشُّعْرِ الْقَرْنِيسِيِّ ، عُتْوَانُهَا: نَوْحُ الْعَنْدَلِيبِ^(١) تَرْجُمَتُهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ
شَاعِرُ الشَّامِ شَفِيقُ جَبْرِئِي .

◆ قِطْعَةٌ مِنَ الشُّعْرِ الْقَرْنِيسِيِّ ۥ عُتْوَانُهَا نَوْحُ الْعَنْدَلِيبِ ۥ هَاتِيهَا يَا أَبَتِ هَاتِيهَا دَامَ
عَطَاؤُكَ .

◇ دَعِ الْعَنْدَلِيبَ عَلَى غُضْبِهِ يُرَدِّدُ عَلَى الْغُضْبِ أَخْرَانَهُ ۞
فَلَمْ أَرَ فِي لَحْنِهِ كُفْلَةً تُهْجِنُ^(٢) - إِنْ نَاحَ - أَلْحَانَهُ
لَعِنَ دَوْنَ النَّاسِ أَشْعَارَهُمْ لَقَدْ جَعَلَ الرَّوْضَ دِيْوَانَهُ
وَإِنْ قَيَّدَ الرِّزْنَ أَفْكَارَهُمْ لَقَدْ أَطْلَقَ الشَّدُوْ أَوْزَانَهُ
كَتَمَتِ الشُّجُونَ عَنِ الْعَنْدَلِيبِ فَرَّاحَ يَبْئُكَ أَشْجَانُهُ^(٣)
وَأَخْفَيْتَ عَنْهُ دُمُوعَ الْجُفُونِ وَقَدْ بَلَّلَ الدَّمْعُ أَجْفَانَهُ
فَهَلْ شَطَّ^(٤) عَنْ وَكْرِهِ جَارُهُ فَأَضْبَحَ يَنْدُبُ جِيرَانَهُ ۥ
أَمْ الْبَارُ^(٥) أَوْدَى بِخُلَايِهِ فَوَدَّعَ بِالنُّوحِ حُلَايَهُ ۥ
أَمْ الرِّيحُ هَبَّتْ بِأَفْنَانِهِ فَزَلَزَتِ الرِّيحُ أَفْنَانَهُ^(٦)
فَيَا لَكَ مِنْ مُعِينٍ^(٧) فِي الْحَيْنِ أَلَمْ يَشْهَدْ النَّاسُ إِمْعَانَهُ ۥ
أَتَبْكِي الْعُنَادِلُ أَوْطَانَهَا وَلَا يَنْدُبُ الْمَرْءُ أَوْطَانَهُ ۥ

(٥) البار: طائر من أفضل الجوارح صيدا وأعلاما كميًا، انظر

كتاب «الصيد عند العرب» للمؤلف .

(٦) الأفنان: أغصان الشجر .

(٧) أمعن: بالغ .

(١) العندليب: طائر مفرد .

(٢) تهجن: أي تميّز .

(٣) الأشجان: الأحرار .

(٤) شط: نأى وبعد .

◆ أبت ، ما هذا ؟! إِنَّ لِهَذَا الشُّعْرِ نَكْهَةً فَرِيدَةً عَزَّ أَنْ تَجِدَ لَهَا نُظِيرًا فِي شِعْرِنَا الْعَرَبِيِّ .

◇ لِلَّهِ أَنْتُمْ مَعْشَرَ الشُّبَابِ ! فَرَامِرُ حَيِّكُمْ أَبَدًا لَا يُطْرِبُ .

◆ عَفْوِكَ يَا أبت ؛ أَلَسْتَ مَعِيَ فِي أَنَّ هَذِهِ الْقِطْعَةَ رَائِعَةٌ بَارِعَةٌ ؟ .

◇ أَنَا مَعَكَ فِي أَنَّهَا رَائِعَةٌ وَبَارِعَةٌ أَيْضًا ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ لَمَّا اخْتَرْتُهَا لَكَ ، وَلَكِنِّي لَسْتُ مَعَكَ فِي أَنَّهَا لَا نُظِيرَ لَهَا فِي أَدَبِنَا الْعَرَبِيِّ ؛ فَأَدَّبْنَا يَا بُنَيَّ ، زَاجِرٌ بِكُلِّ جَمِيلٍ ، غَنِيٌّ بِكُلِّ طَرِيفٍ .

◆ أَطَرَقَ شُعْرَاؤُنَا - يَا أبت - مِثْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ ؟! .

◇ كَثِيرًا يَا بُنَيَّ ، كَثِيرًا جِدًّا .

◆ أَلَا تَفَضَّلْتَ - طَالَ بَقَاؤُكَ - فَأَنْشَدْتَنِي شَيْئًا مِمَّا قِيلَ فِي ذَلِكَ .

◇ قَرَأَ الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ الْمُعَاصِرُ عُمَرُ أَبُو رِيْشَةَ^(١) كَلِمَةً لِلْجَاحِظِ ، فَأَوْحَتْ إِلَيْهِ بِقِطْعَةٍ هِيَ أُخْتُ لَيْلِكَ الَّتِي سَمِعْتَهَا ؟ .

◆ وَمَا الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا الْجَاحِظُ ، فَأَوْحَتْ بِمَا أَوْحَتْ ؟ .

◇ قَالَ الْجَاحِظُ : « إِنَّ الْبَلْبِلَ^(٢) لَا يُنْسِلُ فِي قَفْصٍ » .

◆ أَيْغْنِي الْجَاحِظُ ؛ أَنَّ الْبَلَابِلَ لَا تَتَوَالَدُ مَا دَامَتْ فِي أَقْفَاصِهَا ؟ .

◇ نَعَمْ ذَلِكَ مَا يَغْنِيهِ ، وَقَدْ تَأَثَّرَ الشَّاعِرُ بِهِذِهِ الْكَلِمَةِ ، ثُمَّ رَاحَ يُعَلِّلُهَا تَغْلِيلًا

(١) عمر أبو ريشة: شاعر سوري (١٩١٠ - ١٩٩٠م) عمل في السلك السياسي ، له ديوان شعر .

(٢) البلبيل: طائر مفرد .

إِنْسَانِيًّا يَتَجَلَّى فِيهِ صِدْقُ النَّظَرَةِ ، وَغُمْقُ الْفِكْرَةِ ، وَشَاعِرِيَّةُ الْأَدَاءِ .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي أَوْحَتْ بِهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ ؟

◇ قَصِيدَةُ غُنَوَانِهَا « بُلْبُلٌ فِي قَفْصٍ » وَفِيهَا يَقُولُ :

أَلْفَيْتُهُ ^(١) يَنْشُرُ أَلْحَانَهُ	كَأَنَّمَا يَنْشُرُ مِنْ كَبْدِهِ
مُدْلُهُ اللَّفْتَاتِ ^(٢) مُسْتَوْجِشٌ	طَاوٍ جَنَاحِيهِ عَلَى وَجْدِهِ ^(٣)
كَمْ أَطَبَّقَتْ مِنْقَارُهُ غُصَّةً	فَمَدَّهُ يَنْقُرُ فِي قَيْدِهِ
أَسْقَمَهُ الْعَيْشُ عَلَى وَفْرِهِ	لَمَّا رَأَاهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّهِ
فَعَافَ دُنْيَاهُ وَلَمْ يَتَّخِذْ	عُشًّا وَلَمْ يَحْمِلْ سِوَى زُهْدِهِ
كَأَنَّهُ مِنْ طُولِ مَا مَضَى ^(٤)	مِنْ عَبَثِ الدَّهْرِ وَمِنْ كَيْدِهِ
أَتَى عَلَيْهِ الْكِبَرُ أَنْ يُورِثَ الْأَفْ ^(٥)	— رَاخَ ذُلِّ الْقَيْدِ مِنْ بَعْدِهِ

◆ رَائِعٌ هَذَا الشُّعْرُ يَا أَبَتِ ، رَائِعٌ حَقًّا ، إِنَّهُ لَيَجَارِي^(٥) ذَلِكَ الشُّعْرَ الْفَرَنْسِيَّ وَيُسَابِقُهُ ، وَلَكِنْ ...

◇ مَا أَكْثَرَ اسْتِذْرَاكَاتِكَ ، وَلَكِنْ مَاذَا ؟

◆ مَعْذِرَةٌ يَا أَبَتِ ، أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ ...

◇ تَقُولُ مَاذَا ١٩ .

(١) أَلْفَيْتُهُ : لَقَيْتُهُ .

(٢) مدله اللفات : متحير في الحركات والتلفات .

(٣) وجده : حزنه .

(٤) مضى : أتعبه وشتى عليه .

(٥) يجاري : يسير ويجري معه في مضمار .

◆ أريدُ أن أقولَ إنَّ أبا ريشةَ شاعرٍ مُعاصِرٍ، اتَّصلَ بالأدبِ العَرَبِيِّ وتَأَثَّرَ بِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ، وَطَرَفَهَا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُوَّةِ .

◇ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا خُيِّلَ إِلَيْكَ يَا بُنَيَّ، فَأَدْبُنَا الْعَرَبِيَّ طَافِخَ بِهَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ، وَبِمَا هُوَ أَجَلُ مِنْهَا وَأَجْمَلُ، وَلَكِنَّ زَايِرَ الْحَيِّ لَا يُطْرِبُ عَادَةً، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الزَّايِرُ زَايِرَ حَيِّنَا نَحْنُ الَّذِينَ فُتِنَّا^(١) بِأَوْرُبْنَا !! .

◆ عَفْوَكَ يَا أَبَتِ، أَلِلْقَدَمَاءِ شَيْءٌ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضُوعِ ؟ .

◇ شَيْءٌ !! بَلْ أَشْيَاءٌ، أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ يَا بُنَيَّ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ الْقِطْعَةِ التَّالِيَةِ :

رُبَّ وَرَقَاءَ^(٢) هَتُوفٍ فِي الضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ
ذَكَرْتُ إِلْفًا^(٣) وَدَهْرًا سَالِفًا فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فُبَكَيْتُ رُبَّمَا أَرْقَاهَا وَبَكَاهَا رُبَّمَا أَرْقَانِي
وَلَقَدْ تَشَكُّو فَمَا أَفْهَمُهَا وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى^(٤) أَغْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تَعْرِفُنِي

◆ إِنَّ لِهَذَا الْكَلَامِ مِنَ الرُّوعَةِ وَالْحُسْنِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مَا يَعْجَزُ عَنْهُ الْبَيَانُ .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ .

(١) فُتِنَا : زاد إعجابنا بها إلى الولوع بكل ما يجيء منها .

(٢) الْوَرَقَاءُ : الحمامة التي لونها لون الرماد .

(٣) ذَكَرْتُ إِلْفًا : تذكرت محبوبها .

(٤) الْجَوَى : حرارة الحب والهيام بالمحبيب .

◆ وَإِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا كَثِيرًا - يَا أَبَتِ - حِينَ ظَلَمْنَا أَدَبَنَا وَرَمَيْنَاهُ بِالْقُصُورِ
وَالْعَجَزِ .

◇ أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ يَا بُنَيَّ ، وَكَشَفَ عَنْ عَيْنَيْكَ الْحُجُبَ .

◆ آمِينَ .

◇ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي الْقِطْعَةِ الْأَخِيرَةِ :

رُبَّ وَزَقَاءٍ هَتُوفٍ فِي الضُّحَى
فَمَا الْمَعْنَى الْمُعْجَبِي الدَّقِيقُ لِكَلِمَةِ هَتُوفٍ ؟ .

◇ الْحَمَامَةُ الْهَتُوفُ يَا بُنَيَّ ، هِيَ الْكَثِيرَةُ الْهَتَافِ .

◆ وَمَا الْهَتَافُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ الْهَتَافُ : ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْأَصْوَاتِ ، وَحَالَةٌ مِنْ حَالَاتِهَا .

◆ وَهَلْ جَعَلَ الْعَرَبُ لِلْأَصْوَاتِ ضُرُوبًا ؟ !

◇ نَعَمْ ، وَجَعَلُوا لِكُلِّ ضَرْبٍ لَفْظًا خَاصًّا بِهِ .

◆ فَمَاذَا قَالُوا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ قَالُوا : الْهَمْسُ : صَوْتُ حَرَكَةِ الْإِنْسَانِ ، وَمِثْلُهُ : الْعَجَزُسُ ، وَقَدْ نَطَقَ بِالْأَوَّلِ
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ (١) .

(١) ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّعْفِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا نَفْسًا ﴾ سورة طه الآية ١٠٨ .

وَالرُّكُزُ : الصَّوْتُ الْخَفِيُّ ، وَقَدْ جَاءَ بِهِ التَّنْزِيلُ أَيْضًا ^(١) .
وَاللَّدْنَةُ : أَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ بِالْكَلَامِ فَتَسْمَعَ نَفْسُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَفْهَمَهُ .
وَالصَّرَاخُ : الصَّيْحَةُ الشَّدِيدَةُ عِنْدَ الْفَرْعَةِ أَوْ الْمُصِيبَةِ .
وَالصُّخْبُ : الصَّوْتُ الشَّدِيدُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ .
وَالْعَجَجُ : رَفَعُ الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ فِي أَيَّامِ الْحَجِّ .
وَالْتَهْلِيلُ : رَفَعُ الصَّوْتِ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .
وَالْهَيْعَةُ : الصَّوْتُ عِنْدَ الْفَرْعِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ :
(خَيْرُ النَّاسِ رَجُلٌ مُنْسِكٌ يَعْزِيزُ فَرَسَهُ ، إِذَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا) ^(٢) .
وَاللَّفْطُ : الْأَصْوَاتُ الْمُنْهَمَةُ الَّتِي لَا تُفْهَمُ .
وَالْغَمَمَةُ ، وَالْجَمَجَمَةُ : الصَّوْتُ بِالْكَلَامِ الَّذِي لَا يَتَبَيَّنُ مَعْنَاهُ .
وَاللَّجَبُ : صَوْتُ الْعَسْكَرِ .
وَالْوَعْلَى : صَوْتُ الْجَيْشِ فِي إِثْبَانِ الْحَرْبِ .
وَالضُّوضَاءُ ، وَالْجَلْبَةُ : اجْتِمَاعُ أَصْوَاتِ النَّاسِ وَالذُّوَابِ .
وَالْهَتَافُ : الصَّوْتُ بِالِدُّعَاءِ .

◆ جَزَى اللَّهُ عَنَّا لُغَةَ الْقُرْآنِ أَلْفَ خَيْرٍ يَا أَبَتِ .

◇ وَوَقَاهَا الْعُقُوقَ ^(٣) مِنْ أَثْنَائِهَا ، وَلَقَّاهَا الْبِرَّ .

* * *

◆ وَطُرُقَةُ الْجُلُوسَةِ ، أَتَيْنَ طُرُقَةَ الْجُلُوسَةِ ، طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ هَاكُنْهَا وَأَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ ...

رَوَى الْجَاوِدُ أَنَّ سَائِلًا ^(٤) وَقَفَ بِيَابِ قَوْمٍ وَقَالَ : أَعْيُنُونِي أَعَانَكُمْ اللَّهُ .

(١) ﴿عَلَّ تُجِيسُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٌ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ سورة مريم الآية ٩٨ .

(٢) صحيح مسلم ١٨٨٩ .

(٤) سائلاً : شحاذاً يسأل الناس أن يعطوه شيئاً .

(٣) العقوق : القطيعة والإهمال .

فَقَالُوا : يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكَ .

فَقَالَ : كَثْرَةُ خُبْرٍ .

فَقَالُوا : مَا نَقْدِرُ عَلَيْهَا .

قَالَ : فَقَلِيلٌ مِنْ بُرٍّ ، أَوْ فُؤُولٍ ، أَوْ شَعِيرٍ .

فَقَالُوا : لَا نَسْتَطِيعُهُ .

فَقَالَ : فِقِطْعَةٌ مِنْ دُهْنٍ أَوْ قَلِيلٌ مِنْ زَيْتٍ أَوْ لَبَنٍ .

فَقَالُوا : لَا نَجِدُهُ .

قَالَ : فَشَرْبَةٌ مِنْ مَاءٍ .

فَقَالُوا : وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ .

قَالَ : فَمَا جُلُوسُكُمْ هُنَا !! ...

فَوُومُوا فَاسْأَلُوا النَّاسَ ؛ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ مِنِّي بِالسُّؤَالِ .

* * *

اللُّغَةُ وَجِهَازُ النُّطْقِ الْإِنْسَانِيِّ

- ◆ أبتِ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .
- ◆ أبتِ ، أَتَأْذُنُ لِي بِأَنْ أَسْأَلَ ؟ .
- ◇ وَهَلِ اجْتَمَعْنَا إِلَّا لِتَسْأَلِ وَأُجِيبَ ؟ ! .
- ◆ أبتِ ، قُلْتُ فِي جُلُوسَةٍ سَابِقَةٍ : إِنَّ الْأَبْجَدِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ قَدْ امْتَأَزَتْ عَلَى سَائِرِ الْأَبْجَدِيَّاتِ بِاسْتِخْدَامِ جِهَازِ النُّطْقِ الْإِنْسَانِيِّ كُلِّهِ .
- ◇ نَعَمْ ، قُلْتُ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى ، وَأَعُودُ فَأُوكِّدُهُ الْيَوْمَ .
- ◆ وَقُلْتُ أَيْضًا - طَالَ بَقَاؤُكَ - إِنَّ فِي الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ أَصَوَاتًا^(١) لَا تَكَادُ تَعْرِفُهَا الْأَبْجَدِيَّاتُ الْأُخْرَى .
- وَهِيَ : الْحَاءُ ، وَالْخَاءُ ، وَالْعَيْنُ ، وَالْغَيْنُ ، وَالصَّادُ ، وَالضَّادُ ، وَالطَّاءُ ، وَالظَّاءُ ، وَالْقَافُ .

(١) أي حروفًا .

◇ نَعَمْ ، وَقُلْتُ ذَلِكَ أَيْضًا ، وَأَعُوذُ فَأَقْرُرُهُ الْيَوْمَ .

◆ لَكِنَّ ذَلِكَ - يَا أَبَتِ - يُوجِي لَنَا بِسُؤَالٍ .

◇ وَمَا هُوَ ؟ .

◆ أَيْعْنِي هَذَا أَنَّ حُرُوفَ الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْ حُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّاتِ الْأُخْرَى ؟ .

◇ الْأَمْرُ عَلَى النَّقِيبِ مِنْ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ .

◆ عَلَى النَّقِيبِ مِنْ ذَلِكَ !! وَكَيْفَ ؟ .

◇ نَعَمْ ، عَلَى النَّقِيبِ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَا أَبْجَدِيَّاتُ الْأُخْرَى إِلَّا أَنَّ تُقَارِبُ الْأَبْجَدِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي عَدَدِ حُرُوفِهَا ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْفَرَنْسِيَّةِ وَالْإِنْكِلِيزِيَّةِ ... وَإِذَا أَنْ تَزِيدَ عَنْهَا كَثِيرًا كَمَا هُوَ الشَّأْنُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللُّغَةِ الرُّوسِيَّةِ .

◆ وَمَا عَدَدُ حُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ الرُّوسِيَّةِ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ حَرْفًا .

◆ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ حَرْفًا !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ .

◆ إِذَنْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي هَذِهِ الْأَبْجَدِيَّةِ ذَاتِ الْحُرُوفِ الْكَثِيرَةِ ، وَفِي أُخْتَيْهَا الْفَرَنْسِيَّةِ وَالْإِنْكِلِيزِيَّةِ حُرُوفٌ لَا تَعْرِفُهَا الْأَبْجَدِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ ، كَمَا وَجَدْتُ فِي الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ حُرُوفٌ لَا تَعْرِفُهَا هَذِهِ الْأَبْجَدِيَّاتُ .

◇ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافٍ مَا تَوَهَّنتُ ؛ فَلَيْسَ فِي تِلْكَ الْأَبْجَدِيَّاتِ صَوْتُ وَاحِدٍ

لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ .

◆ أَيْتٌ - عَفْوَكْ - كَأَنَّ فِي الْكَلَامِ تَنَاقُضًا . وَإِلَّا ، فَكَيْفَ اجْتَمَعَتْ لِيُنْكَرَ
الْأَبْجَدِيَّاتِ الزَّيَادَةُ فِي الْحُرُوفِ مَعَ النُّقْصِ فِي الْأَصْوَابِ ؟ ...
لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَمْرِ سِرٌّ .

◇ لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ سِرٍّ ، وَكُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ الْأَبْجَدِيَّاتِ الْأُخْرَى جَعَلَتْ لِلصَّوْتِ
الْوَاحِدِ أَكْثَرَ مِنْ حَرْفٍ .

◆ الْأَبْجَدِيَّاتُ الْأُخْرَى جَعَلَتْ لِلصَّوْتِ الْوَاحِدِ أَكْثَرَ مِنْ حَرْفٍ ؟ ! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ .

◆ الْمِثَالُ ، الْمِثَالُ - يَا أَيْتٌ - فَالْمِثَالُ يُزِيلُ الْإِشْكَالَ .

◇ إِلَيْكَ الْمِثَالُ يَا بُنَيَّ ، فَبِالْفَرَنْسِيَّةِ مَثَلًا الْحُرُوفَانِ : " G " وَ " J " وَهُمَا
يُؤَدِّيَانِ صَوْتًا وَاحِدًا ، وَكَذَلِكَ الْحُرُوفَانِ : " Q " وَ " K " فَهُمَا يُؤَدِّيَانِ صَوْتًا
وَاحِدًا أَيْضًا ، وَكَذَلِكَ الْحُرُوفَانِ : " S " وَ " C " فَهُمَا يُؤَدِّيَانِ صَوْتًا وَاحِدًا .

◆ صَحِيحٌ صَحِيحٌ [بصوتٍ نحائياً] .

◇ وَمَا يُقَالُ عَنِ الْفَرَنْسِيَّةِ يُقَالُ عَنِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ ، وَمَا يُقَالُ عَنْهُمَا يُقَالُ عَنِ الرُّوسِيَّةِ
أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً .

◆ طَلَيْتُ طَلَيْتُ [بصوتٍ نحائياً] .

◇ فَالْحُرُوفُ الزَّائِدَةُ لَيْسَتْ حُرُوفًا كَمَا رَأَيْتَ ، وَإِنَّمَا هِيَ حَرَكَاتٌ لِلْحُرُوفِ .

◆ أَيْتٌ ، أَرْجُو أَلَّا أَكُونَ قَدْ أَرْهَقْتُكَ .

◇ أَرْهَقْتَنِي !! بَلْ أَنْتَ سَرَرْتَنِي وَبَرَرْتَنِي ^(١) بِكَثْرَةِ أَسْئَلَتِكَ .

◆ عَلَى هَذَا ، أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَ ؟ .

◇ سَلْ ، وَلَا تَتَحَرَّجْ .

◆ أَبْتُ ، جِهَازُ النُّطْقِ الْإِنْسَانِيِّ وَاحِدٌ عِنْدَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، فَمَا الَّذِي جَعَلَ الْعَرَبَ يَسْتَخْدِمُونَهُ أَوْفَى اسْتِخْدَامٍ ، بَيْنَمَا قَصَّرَ الْآخَرُونَ عَنْ بُلُوغِ هَذِهِ الْغَايَةِ فَجَاءَتْ أَبْجِدِيَّتُنَا وَافِيَةً ، وَجَاءَتْ أَبْجِدِيَّاتُ الْآخَرِينَ نَاقِصَةً ١٩ .

◇ لَقَدْ أُتِيحَ لِلْعَتْنَا مِنْ عَوَامِلِ النُّمُوِّ وَالتَّكَامُلِ وَالِإِصْطِفَاءِ ؛ مَا لَمْ يُتَحَ لِأَيَّةٍ لُغَةٍ أُخْرَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ كَانَتِ الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - يَا بُنَيَّ - كَثِيرَةً الْعَدَدِ ، وَكَانَ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ لَهْجَتُهَا فِي النُّطْقِ ، وَطَرِيقَتُهَا فِي آدَاءِ الْأَصْوَاتِ ، وَكَانَ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ نَقْصٌ تُكْمِلُهُ الْقَبِيلَةُ الْأُخْرَى .

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ [يَضْرِبُ تَحَابُتٌ] .

◇ ثُمَّ التَّمَّتْ هَذِهِ الْقَبَائِلُ كُلُّهَا عَلَى أَمْرِ وَاحِدٍ ، وَصُفِيَتْ لَهْجَاتُهَا فِي لَهْجَةٍ وَاحِدَةٍ مُتَكَامِلَةٍ ، اجْتَمَعَ لَهَا أَفْضَلُ مَا لَدَى الْقَبَائِلِ وَأَصْلَحُهُ لِلْبَقَاءِ .

◆ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ - يَا أَبْتُ - إِنَّ بَعْضَ الْقَبَائِلِ كَانَتْ تَخْتَلِفُ عَنْ بَعْضِهَا الْآخَرِ فِي اسْتِعْمَالِ بَعْضِ الْحُرُوفِ وَإِهْمَالِ بَعْضِهَا الْآخَرِ ؟ .

◇ بُورِكَ فَيْكَ ، فَذَلِكَ مَا أَرَدْتُ قَوْلَهُ .

(١) بررتني : من البرّة وهو إعطاء الحق ؛ والقيام بالواجب .

◆ إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُبِيرٌ ۖ وَلَكِنَّهُ مَا يَزَالُ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ مَزِيدٍ مِنَ الْإِبْصَاحِ .

◇ إِلَيْكَ الْإِبْصَاحُ يَا بُنَيَّ ، فَقَبِيلُهُ « فَقِيم » مَثَلًا كَانَتْ تَنْطِقُ الْبَاءَ جِيْمًا حَيْثُمَا وَرَدَتْ ، وَ« نَمِيمٌ » كَانَتْ تُقِيمُ الْعَيْنَ مَقَامَ الْهَمْزَةِ ، وَبَعْضُ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ كَانَتْ تُبَدِّلُ الْكَافَ شِيْنًا ، وَهَكَذَا ...

◆ أَتَعْنِي هَذَا أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ بَاءً لَدَى « فَقِيم » وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ هَمْزٌ لَدَى « نَمِيم » ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، ثُمَّ اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْقَبَائِلُ ، فِي أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ .
وَعَلَىٰ أَبْجَدِيَّةٍ وَاحِدَةٍ مُّشْكَمِلَةٍ .

◆ أَلَمْ يَخْذُثْ مِثْلُ ذَلِكَ لِقَبَائِلِ الْأُمَمِ الْأُخْرَىٰ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ لَا يَا بُنَيَّ ؛ فَقَبَائِلُ الْأُمَمِ الْأُخْرَىٰ تَحَوَّلَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَىٰ أُمَّةٍ قَائِمَةٍ * بِذَاتِهَا ، أَمَّا الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ ؛ فَقَدْ آلَتْ بِفَضْلِ الْإِسْلَامِ وَهَدَى الْقُرْآنُ إِلَىٰ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ .

* * *

◆ أَبَتِ ، قُلْتُ فِي جُلُوسَةٍ سَابِقَةٍ : إِنَّ عُلَمَاءَ اللُّغَةِ قَسَمُوا لُغَاتِ الْبَشَرِ إِلَى ثَلَاثِ عَائِلَاتٍ : عَائِلَةُ لُغَاتِ النَّحْبِ ، وَعَائِلَةُ لُغَاتِ التَّجْمِيعِ ، وَعَائِلَةُ لُغَاتِ الْإِشْتِقَاقِ .

◇ أَنَا لَمْ أَقُلْ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ .

◆ أَبَتِ ، عَفْوُكَ ! أَمَّا قَسَمْتُ لُغَاتِ الْأَرْضِ إِلَى ثَلَاثِ عَائِلَاتٍ ؟ .

◇ أَنَا لَمْ أَقْسَمْهَا إِلَى ثَلَاثِ عَائِلَاتٍ ، وَإِنَّمَا قَسَمْتُهَا إِلَى ثَلَاثِ أُسَرٍ .

◆ ثَلَاثُ أُسْرٍ ١٩ .

◇ نَعَمْ ، ثَلَاثُ أُسْرٍ ، لَا ثَلَاثُ عَائِلَاتٍ .

◆ أَمَّاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْأُسْرَةِ وَالْعَائِلَةِ ؟ .

◇ فَرْقٌ كَبِيرٌ جِدًّا يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا هُوَ ؟ طَالَ بَقَاؤُكَ .

◇ هُوَ أَنَّ الْعَائِلَةَ يَا بُنَيَّ مُؤَنَّثٌ عَائِلٌ .

◆ وَمَا الْعَائِلُ ؟ .

◇ الْعَائِلُ : هُوَ الْفَقِيرُ ذُو الْعِيَالِ ، وَعَالَ الرَّجُلُ عِيَالَهُ أَيَّ كَفَاهَهُمْ .

◆ عَلَى هَذَا لَا يُقَالُ : فُلَانٌ يَنْتَمِي إِلَى عَائِلَةٍ كَذَا ، أَوْ يَنْحَدِرُ مِنْ عَائِلَةٍ كَذَا ؟ ...

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، لَا يُقَالُ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : فُلَانٌ يَنْتَمِي إِلَى أُسْرَةٍ كَذَا ، وَهُوَ يَنْحَدِرُ مِنْ أُسْرَةٍ كَذَا ...

◆ أَسْمَحْ لِي بِأَنْ أُضِيفَ ذَلِكَ إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ أُضِفْهُ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَأَمْلَيْتَهُ عَلَيَّ ؟ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً ، اكْتُبْ : لَا يُقَالُ : فُلَانٌ يَنْتَمِي إِلَى عَائِلَةٍ كَذَا ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : فُلَانٌ يَنْتَمِي إِلَى أُسْرَةٍ كَذَا ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَائِلَةَ فِي اللُّغَةِ إِنَّمَا هِيَ مُؤَنَّثٌ عَائِلٌ ، وَالْعَائِلُ إِنَّمَا هُوَ الْفَقِيرُ ذُو الْعِيَالِ .

◆ جَزَيْتَ الْخَيْرَ يَا أَبَتِ .

◇ وَوُقِيتَ الْخَطَا يَا بُنَيَّ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ ، أَرْجُو أَلَّا تَنْسَاهَا .

◇ إِنْ نَسِيتُهَا أَنَا ؛ فَلَنْ تَنْسَاهَا أَنْتَ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَلَمَّتْ بِرَوْضِهِ ؟ .

◇ لَقِيطُ بْنُ يَعْمَرَ الْإِيَادِيُّ .

◆ وَمَنْ لَقِيطُ هَذَا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ، عَاشَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ كَاتِبًا فِي دِيْوَانِ كِسْرَى « سَابُورَ »
ذِي الْأَكْتَفِ ، وَلَقَصِيدَتِهِ الَّتِي اخْتَرْتُهَا لَكَ قِصَّةً .

◆ وَمَا قِصَّتُهَا يَا أَبَتِ ؟ طَالَ عُمُرُكَ .

◇ عَرَفَ لَقِيطٌ - يَا بُنَيَّ - أَنَّ كِسْرَى قَدْ عَزَمَ عَلَى غَزْوِ قَبِيلَتِهِ « إِيَادِ » .

◆ فَمَاذَا فَعَلَ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَهُ كُلُّ مُوَاطِنٍ شَرِيفٍ ، كَتَبَ إِلَى قَوْمِهِ رِسَالَةً يُعْلِمُهُمْ فِيهَا
بِعَزْمِ كِسْرَى عَلَى غَزْوِهِمْ ، وَمَعَهَا قَصِيدَةٌ يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَى جَمْعِ الشَّفَلِ ،
وَلَمْ الشُّعْبِ^(١) ، وَتَوْجِيدِ الصَّفِّ ، وَإِعْدَادِ الْعُدَّةِ ، وَلَكِنْ ...

◆ وَلَكِنْ مَاذَا يَا أَبَتِ ؟ .

(١) الشعث : ما تفرق من الأمور ، يقال لَمَّ الله شعثه ، أي أعاد إليه ما تفرق من أمره .

◇ وَلَكِنْ رِسَالَتُهُ وَقَعَتْ فِي يَدِ كِسْرَى .

◆ فَمَاذَا صَنَعَ ؟ .

◇ قَطَعَ لِسَانَهُ ، وَغَزَا «إِبَادًا» .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ لَقِيطٌ فِي قَصِيدَتِهِ لِقَوْمِهِ ؟ .

◇ يَقُولُ لَهُمْ :

يَا لَهْفَ نَفْسِي إِنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ

شَتَّى ، وَأُخِيكُمْ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا

أَلَّا تَخَافُونَ قَوْمًا - لَا أَبَا لَكُمْ -

أَمْسُوا كَثِيرًا كَأَمْثَالِ الذَّبَا^(١) سَرْعًا

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْتُونَ الْحِرَابَ لَكُمْ

لَا يَهْجَعُونَ ، إِذَا مَا غَافِلٌ هَجَعَا

خُزْرٌ عُيُونُهُمْ ، كَأَنَّ لَحْظَهُمْ

حَرِيقٌ غَابِ تَرَى مِنْهُ السَّنَا قِطْعًا

قُومُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَاطِ^(٢) أَرْجُلِكُمْ

ثُمَّ افْرَعُوا ، قَدْ يَنَالُ الْأَمْرُ مَنْ فَرَعَا

◆ مَا هَذَا الْكَلَامُ يَا أَبَتِ ١٢ لَقَدْ أَصَابَ الْمَحَزُّ^(٣) ، كَأَنَّهُ يُوجِّهُ إِلَيْنَا الْيَوْمَ .

(١) الذَّبَا : أصغر ما يكون من الجراد .

(٢) مشط القدم : الجزء الذي يقع بين راسها وأصابعها .

(٣) المحز : مكان الحر الذي يسهل فيه القطع .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجِدَ مِنَّا الْآذَانَ الصَّاعِغَةَ ، وَالْقُلُوبَ الْوَاعِغَةَ ،
وَالْهَيْمَةَ الَّتِي تُحَوِّلُ الْأَقْوَالَ إِلَى أَفْعَالٍ .

◆ أَبَتِ ، أَمَا مِنْ جَنَى آخَرَ .

◇ الرُّؤُوسُ نَضِيرٌ ، وَالْجَنَى كَثِيرٌ ...

◆ أَكْثَرَ اللَّهِ عَلَيْكَ الْخَيْرَ ، وَأَفَاضَ عَلَيْكَ النُّعْمَةَ ...
وَمَنْ الشَّاعِرُ الْآخَرُ الَّذِي جَنَيْتَ مِنْ رَوْضِهِ ؟ .

◇ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمُرَزِيُّ .

◆ وَمَنْ مَعْنُ هَذَا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مُقِلٌّ ، تُوفِّيَ سَنَةً أَرْبَعٌ وَسِتُّينَ لِلْهِجْرَةِ .

◆ وَمَا الَّذِي جَنَيْتَهُ مِنْ رَوْضِهِ ؟ .

◇ قَوْلُهُ :

وَذِي رَجِمَ قَلْمْتُ أَظْفَارَ ضِعْغِيهِ^(١)

بِحِلْمِي عَنْهُ ، وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ

يُحَاوِلُ رَغْمِي لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ

وَكَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحِلَّ بِهِ الرَّغْمُ^(٢)

إِذَا سِمَتْهُ^(٣) وَضَلَّ الْقَرَابَةَ سَامِيِي

قَطِيعَتَهَا ، يَلُوكَ السَّفَاهَةَ وَالظُّلْمَ

(١) ضِغْنُهُ : حَقْدُهُ الشَّدِيدُ .

(٢) الرَّغْمُ : الدَّلُّ .

(٣) إِذَا سِمَتْهُ : إِذَا كَلَفَتْهُ وَأَرَدَتْ مِنْهُ .

فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلٍ لَهُ وَتَعَطُّفٍ
عَلَيْهِ كَمَا نَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمِّ

لَأَسْتَلَّ (١) مِنْهُ الضُّغْنُ حَتَّى اسْتَلَلْتُهُ
وَقَدْ كَانَ ذَا حَقْدٍ يَضِيقُ بِهِ الْجَزْمُ (٢)

◆ مَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ يَا أَبَتِ ؟ مَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ ١١ .

◇ إِنَّهَا أَخْلَاقُ الْإِسْلَامِ ؛ أَدَّبَ بِهَا الْمُسْلِمِينَ .

◆ وَمَا هَذِهِ الرُّوْعَةُ فِي الْأَدَاءِ ، وَالْإِيجَازُ فِي التَّعْبِيرِ ١٢ .

◇ إِذَا كَانَتْ قَدْ شَاقَّتْكَ رُوْعَةُ الْأَدَاءِ وَرَاقَكَ إِيجَازُ التَّعْبِيرِ ، فَاسْتَمِعْ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي أَوْجَزَ مَعَانِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ فِي بَضْعِ كَلِمَاتٍ .

◆ فَمَاذَا قَالَ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ قَالَ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿ إِذْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣) (٤) .

◆ حَقًّا هَذَا هُوَ الْإِيجَازُ يَا أَبَتِ .

◇ وَهَذَا هُوَ الْإِعْجَازُ يَا بُنَيَّ .

* * *

◆ أَبَتِ ، نَعَتْ لَقِيطُ قَوْمٍ كِشْرَى فَقَالَ :

(١) لأستل: لأخرج حقه من صدره .

(٢) الجرم: الذنب، وكان حقه أكبر من أي ذنب .

(٣) حميم: صديق مخلص .

(٤) سورة فصلت الآية ٣٤ .

خُزِرَ عُيُونُهُمْ كَأَن لَّحَظَهُمْ

حَرِيقُ غَابِ تَرَى مِنْهُ الشَّنَا قِطْعًا

فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ : خُزِرَ عُيُونُهُمْ .

◇ الْخُزُرُ يَا بُنَيَّ ، حَالَةٌ مِنْ حَالَاتِ النَّظَرِ الْكَثِيرَةِ .

◆ وَهَلْ جَعَلَ الْعَرَبُ لِكُلِّ حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ النَّظَرِ اسْمًا خَاصًّا بِهَا ، وَنَعْنَا ذَالًا عَلَيْهَا ؟

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ .

◆ أَفِي الْوَقْتِ مُتَّسِعٌ لِيَتَّيَنَ حَالَاتِ النَّظَرِ ، وَمَا وَضَعَ لَهَا مِنْ أَلْفَاظٍ ؟ *

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ .

قَالَتِ الْعَرَبُ :

إِذَا نَظَرَ الْإِنْسَانُ إِلَى الشَّيْءِ بِمَجَامِعِ عَيْنَيْهِ^(١) قِيلَ : رَمَقَهُ .

فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ جَانِبٍ أَدْنَاهُ قِيلَ : لَحَظَهُ .

فَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَجَلَةٍ قِيلَ : لَمَحَهُ .

فَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِشِدَّةٍ قِيلَ : آوَشَقَهُ ، وَآسَفَ النَّظَرَ إِلَيْهِ ... وَفِي حَدِيثِ الشَّعْبِيِّ

أَنَّهُ كُرِيَ أَنْ يُسِفَ الرَّجُلُ النَّظَرَ إِلَى أُمِّهِ وَأَخِيهِ وَابْنَتِهِ .

◆ عَظِيمٌ عَظِيمٌ [بِمَنْزِلَةِ عَابِتٍ] .

◇ فَإِنْ نَظَرَ إِلَى الشَّيْءِ نَظْرَةً الْمُتَعَجِّبِ مِنْهُ ، أَوْ الْكَارِهِ لَهُ ، أَوْ الْمُبْغِضِ إِلَيْهِ ،

قِيلَ : شَفَنَهُ ، وَشَفَنَ إِلَيْهِ .

فَإِنْ أَعَارَهُ لَحَظَ الْعَدَاوَةِ قِيلَ : نَظَرَ إِلَيْهِ شَرًّا .

(١) بمجامع عينيه : بكل نظره في دقة دون التفات إلى شيء آخر .

فَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْمَحَبَّةِ قِيلَ : نَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً ذِي عِلْقٍ .
فَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى حَاجِبِهِ مُسْتَظِلًّا ؛ لِيَسْتَبِينَ الْمُنْظُورَ إِلَيْهِ قِيلَ :
اسْتَوْضَحَهُ ، وَاسْتَشْرَفَهُ .

◆ رَائِعٌ رَائِعٌ ۱۱ [بُشْرَى خَالِدٍ] .

◆ فَإِنْ نَشَرَ الثُّوبَ وَرَمَقَهُ لِيَنْظُرَ إِلَى صَفَاقَتِهِ أَوْ سَخَافَتِهِ^(١) ، أَوْ يَرَى إِنْ كَانَ بِهِ
عَوَارِ^(٢) قِيلَ : اسْتَشَفَّهُ .

فَإِنْ نَظَرَ إِلَى الشَّيْءِ كَاللَّمْحَةِ ثُمَّ خَفِيَ عَنْهُ قِيلَ : تَفَضَّهُ تَفَضًّا .
فَإِنْ نَظَرَ فِي كِتَابٍ أَوْ حِسَابٍ لِيَهْدِيَهُ ، أَوْ لِيَسْتَكْشِفَ صِحَّتَهُ وَسَقَمَهُ قِيلَ :
تَصَفَّحَهُ .

فَإِنْ فَتَحَ جَمِيعَ عَيْنَيْهِ لِشِدَّةِ النَّظَرِ قِيلَ : حَمَلَقَ .

◆ مَا هَذَا الْغِنَى وَمَا هَذِهِ الثَّرْوَةُ يَا أَبَتِ ۱۱؟ .

◆ فَإِنْ غَابَ سَوَادُ عَيْنَيْهِ مِنَ الْفَرَعِ عِنْدَ النَّظَرِ قِيلَ : تَبَرَّقَ بَصَرُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾^(٣) .

فَإِنْ بَالَعَ فِي فَتْحِ عَيْنَيْهِ لِفَرَعٍ أَوْ تَهْدِيدٍ قِيلَ : حَمَجَ .
فَإِنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَجَعَلَ لَا يُطْرِفُ قِيلَ : شَخَصَ ، وَفِي الْقُرْآنِ ﴿ فَإِذَا هِيَ
شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٤) .

فَإِنْ نَظَرَ إِلَى أَفْقِ الْهَلَالِ لِيَتَبَصَّرَهُ ؛ قِيلَ : تَبَصَّرَهُ .

◆ مَا هَذَا كُلُّهُ يَا أَبَتِ ، مَا هَذَا كُلُّهُ ۱۱ .

◆ هَذَا بَعْضُ غِنَى لُغَةِ الْقُرْآنِ الَّتِي يَشْكُو مِنْ فَقْرِهَا الْجُهَالُ الْمُتَجَاهِلُونَ .

(١) صفاقة الثوب : كثافة نسجه ، وسخافته : رقة نسجه وضعفه .

(٢) العوار : العيب .

(٣) سورة القيامة الآية ٧ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٩٧ .

◆ وَقَاتَا اللَّهُ شَرَّ الْجَهَالَةِ وَالْجَاهِلِ .

◇ آمِينَ .

◆ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَأَتَيْنَ طُرْفَةَ الْجَلْسَةِ ١ .

◇ أَمَا مِنْهَا بُدُّ ٢ .

◆ إِذَا شِئْتَ يَا أَبَتِ ، إِذَا شِئْتَ .

◇ إِذَا كَانَ لَا مَذْوَحَةَ عَنْهَا فَهَآكَهَا .

وَقَفَ حِمَارٌ بِيَابِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ ، وَنَزَلَ عَنْهُ رَجُلٌ أَشْمَتْ^(١)
أَعْبَرُ عَلَيْهِ عَلَائِمُ^(٢) السَّفَرِ الطَّوِيلِ وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ .

وَاسْتَأْذَنَ الرَّجُلُ عَلَى الْخَلِيلِ فَأُذِنَ لَهُ ، وَحَيَّاهُ وَدَعَّاهُ ... فَتَدَثَّ عَلَى الرَّجُلِ
الرَّغْبَةُ فِي سُرْعَةِ التَّرَحُّلِ ؛ فَعَجَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيلُ بِالسُّؤَالِ عَنْ حَاجَتِهِ ...
فَسَمَرَ الرَّجُلُ عَنْ سَاعِدِيهِ وَقَالَ يَتَعَمَّدُ^(٣) الْبَلَاغَةَ :

نُبِئْتُ بِبُيُوعِكَ ، وَأُسْمِعْتُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ عَنْ فِقْهِكَ وَعِلْمِكَ ، فَقَوْلْتُ^(٤) عَلَى
أَنْ أَجْمَعَ ابْنِي هَذَا بِكَ لِتَأْخُذَ عَنْكَ ؛ فَجِئْتُكَ مِنْ سَفَرٍ بَعِيدٍ ، وَأُرِيدُكَ أَنْ
تُؤَدِّبَ ابْنِي هَذَا شَيْئًا مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ ، وَأَنْ تُعَلِّمَهُ مَا يَكْفِيهِ مِنَ النُّحُو ، وَأَنْ
تُلْقِنَهُ مَا يَحْتَاجُهُ مِنَ الطَّبِّ ، وَأَنْ تُفَقِّهَهُ بِفَرَائِضِ الشُّرْعِ ...

وَإِنِّي لَوَاقِفٌ بِالْبَابِ ؛ أَنْتَظِرُ فَرَاغَكَ مِنْ تَغْلِيمِهِ .
فَالْتَقَتِ الْخَلِيلُ إِلَى الصَّبِيِّ وَقَالَ : إِلَيْكَ مَا ابْتَغَاهُ أَبُوكَ ...

(١) أشمت أغبر : متلبد الشعر ، عليه غبار من الجهد والمشقة .

(٢) علائم : دلائل .

(٣) يتعمد البلاغة : يتقعر في كلامه ويختار الكلام الغريب .

(٤) فقولت : فعمزت ورجوت ذلك .

إِعْلَمْ يَا بُنَيَّ : أَنَّ الْقُرْبَى (١) فِي وَسْطِ السَّمَاءِ ، وَكَفَاكَ بِذَلِكَ مَعْرِفَةً بِالنُّجُومِ .
وَأَنَّ الْفَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَبِذَلِكَ بُدِئَ النَّحْوُ ، وَلَعَلَّهُ يَنْتَهِي بِهِ وَيُخْتَمُ .
وَأَنَّ الْهَلِيلَجَ (٢) الْكَابِلِيَّ يَذْفَعُ الصُّفْرَاءَ ، وَهَذَا مِنَ الطَّبِّ فِي مَكَانٍ عَظِيمٍ .
وَأَنَّهُ إِذَا مَاتَ رَجُلٌ وَتَرَكَ ابْنَيْنِ لَهُ ؛ فَمَالُهُ بَيْنَهُمَا سَوَاءٌ ، وَذَلِكَ أَضَلُّ عِلْمٍ
الْفَرَائِضِ .

ثُمَّ اتَّبَعَ يَقُولُ مُحَاظِبُنَا الصَّبِيَّ :
وَإِنَّكَ يَا بُنَيَّ إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ ؛ أَدْرَكْتَ مِنَ الْعُلُومِ مَا يَلِيقُ بِصَبِيٍّ لَهُ مِثْلُ
هَذَا الْوَالِدِ .

فَأَتَيْتُ الرَّجُلَ عَلَى الْخَلِيلِ ، وَقَالَ لِفَتَاةٍ :
قُمْ يَا بُنَيَّ ، وَلَا تَنْسَ شَيْئًا مِمَّا قَالَهُ الشَّيْخُ .

* * *

(١) الْقُرْبَى : مَجْمُوعَةٌ مِنَ النُّجُومِ عَلَى هَيْئَةِ الثَّوْرِ .
(٢) الْهَلِيلَجُ الْكَابِلِي : شَجَرٌ يَبْتَ فِي كَابُلِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ ، ثَمَرُهُ عَلَى هَيْئَةِ حَبِّ الصَّنوبرِ الْكَبِيرِ .

الْجَلْسَةُ السَّابِقَةُ

ابْتِكَارُ عِلْمِ الْأَصْوَاتِ

◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .

◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاهُ .

◆ أَيْتٌ ، قُلْتُ فِي جَلْسَةٍ سَابِقَةٍ : إِنَّ الشَّاعِرَ الْقَرْوِيَّ بَعَثَ بِرِسَالَةٍ إِلَى الْمَرْحُومِ الْأُسْتَاذِ الْعَقَّادِ ، اقْتَرَحَ فِيهَا أَنْ تُدْعَى اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةً « الْحَاءِ » بَدَلًا مِنْ لُغَةِ « الضَّادِ » .

◇ نَعَمْ ، لَقَدْ قُلْتُ ذَلِكَ .

◆ فَمَا الْمُنَاسِبَةُ الَّتِي أَذْتُ إِلَى هَذَا الْإِقْتِرَاحِ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ الْمُنَاسِبَةُ ... الْمُنَاسِبَةُ ، كَانَتْ الْمُنَاسِبَةُ - يَا بُنَيَّ فِيمَا أَذْكُرُ - الْحَدِيثُ عَنْ عَبْقَرِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي دَلَالَةِ حُرُوفِهَا عَلَى الْمَعْنَايِ .

◆ الْحُرُوفُ وَهِيَ أَصْوَاتٌ مُبْهَمَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَايِ III .

◇ هَذَا مَا هَدَى إِلَيْهِ الْبَحْثُ - يَا بُنَيَّ - وَهُوَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَظِيمَةِ ، وَآتَةٌ عَلَى عَبْقَرِيَّتِهَا .

◆ وَمَا الَّذِي قَالَهُ الشَّاعِرُ الْقَرَوِيُّ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ بَعْدَ إِزْجَاءِ^(١) التَّحِيَّاتِ الْمُبَارَكَاتِ قَالَ الشَّاعِرُ الْقَرَوِيُّ : لَقَدْ تَنَبَّهْتُ بَعْدَ طَوِيلِ الْمُرَاجَعَةِ إِلَى أَنَّ حُرُوفَ « الْفَاءِ » يَدُلُّ عَلَى الْإِبَانَةِ وَالْوُضُوحِ ، وَذَلِكَ كَمَا فِي : فَتَحَ ، وَفَرَحَ ، وَفَلَقَ ، وَفَجَرَ ، فَسَّرَ ، مِمَّا يُعَيِّي إِخْصَاؤُهُ ، وَيَنْدُرُ اسْتِثْنَاؤُهُ .

◆ كَلَامٌ طَيِّبٌ [بِمَنْزِلَةِ تَحَايٍ لَا يَفْطَحُ الثَّنَائِيَّةَ] .

◇ وَإِنَّ حُرُوفَ « الضَّادِ » خُصَّ بِالشُّؤْمِ ، فَهُوَ يَسْمُ^(٢) جَبِينَ كُلِّ نُقْطَةٍ بِمَكْرَهَةٍ^(٣) لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهَا اسْمٌ أَوْ فِعْلٌ .

◆ أَعُوذُ بِاللَّهِ ! [بِمَنْزِلَةِ تَحَايٍ لَا يَفْطَحُ الثَّنَائِيَّةَ] .

◇ وَذَلِكَ كَمَا فِي : ضُرٌّ ، وَضَيْرٌ ، وَضَجِيجٌ ، وَضَوْضَاءٌ ، وَضَيَاعٌ ، وَضَلَالٌ ، وَضَنْكٌ ، وَضَبَقٌ ، وَضَنَى ، وَضَرَاوَةٌ .
وَإِنَّ حُرُوفَ « الْحَاءِ » يَكَادُ يَخْتَكِرُ أَشْرَفَ الْمَعَانِي وَأَقْوَاهَا ، وَذَلِكَ كَمَا فِي : حُبٌّ ، وَحَقٌّ ، وَحُرِّيَّةٌ ، وَحَيَاةٌ ، وَحُسْنٌ ، وَحِكْمَةٌ ، وَجِلْمٌ ، وَحَزْمٌ .

◆ هَذِهِ فِطْنَةٌ مِنَ الشَّاعِرِ الْقَرَوِيِّ ، وَسَبَقَ يُذَكِّرُ لَهُ فَيُشْكِرُ .

◇ الشَّاعِرُ الْقَرَوِيُّ مُسَبِّقٌ فِي هَذَا ، وَمَا هُوَ بِالسَّابِقِ .

◆ مُسَبِّقٌ فِي هَذَا !! وَمَنْ الَّذِي سَبَقَهُ ؟؟ .

◇ سَبَقَهُ الْقَدَمَاءُ مِنْ لُغَوِيِّنَا ، وَالْمُحَدِّثُونَ أَيْضًا .

(١) إِزْجَاءُ التَّحِيَّاتِ : الْإِمْعَانُ وَالتَّرْسُلُ فِي التَّحِيَّةِ .

(٢) يَسْمُ : يَضَعُ عَلَامَةً .

(٣) بِمَكْرَهَةٍ : بِمَا تَكْرَهُهُ النَّفْسُ وَيَشُقُّ عَلَيْهَا .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَنْ دَامَ عِزُّكَ ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ : ابْنِ جَنِّي ، وَابْنِ سَيِّئَا ، وَالسُّكَاكِي ، وَغَيْرِهِمْ وَغَيْرِهِمْ .

◆ وَمَا الَّذِي قَالُوهُ فِي هَذَا الْبَابِ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ لَنْ تَسْتَطِيعَ اسْتِيعَابَ مَا قَالُوهُ عَلَى وَجْهِهِ الْأَكْمَلِ ؛ إِلَّا إِذَا وَقَفْتَ عَلَى مَا قَرَّرَهُ عِلْمُ الْأَصْوَاتِ فِي طَرِيقَةِ تَكْوِينِ الْحُرُوفِ .

◆ عِلْمُ الْأَصْوَاتِ !! أَلِلْ الْأَصْوَاتِ عِلْمٌ أَيْضًا .

◇ لِلْأَصْوَاتِ عِلْمٌ ، وَمُخْتَبَرَاتٌ ، وَمَعَامِلُ .

◆ وَمُخْتَبَرَاتٌ وَمَعَامِلُ أَيْضًا !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، فَفِي أَقْسَامِ اللُّغَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ مِنْ كُلِّيَّاتِ الْآدَابِ مُخْتَبَرٌ لِلْأَصْوَاتِ .

◆ وَمَا الْغَرَضُ مِنْهُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ الْغَرَضُ مِنْهُ تَفْسِيرُ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ ؛ وَفَوْقَ نَهْجِ قَوِيمٍ وَنُطْقِ سَلِيمٍ .

◆ وَهَلْ زُرْتُ وَاحِدًا مِنْهَا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ نَعَمْ زُرْتُ وَاحِدًا مِنْهَا ، وَتَمَنَّيْتُ أَنْ يَكُونَ لَنَا مِثْلُهُ .

◆ لَكُمْ !! تَعْنِي الْمُسْتَغْلِينَ بِتَعْلِيمِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ .

◇ نَعَمْ لَنَا نَحْنُ مَعْشَرَ الْمُهْتَمِّينَ بِتَعْلِيمِ الْعَرَبِيَّةِ .

◆ وَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِهِ ؟ .

◇ نَعْلَمُ بِوَسْاطَتِهِ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لِلْمُتَعَطِّشِينَ مِنْ أَنْبَاءِ الْأُمَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَنَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِثْقَانٍ إِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنْ مَخَارِجِهَا عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَجْوِيدِهِ .

◆ يَا لَأُورُبَّا ، كَمْ اسْتَحْدَثْتُ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ !! .

◇ نَحْنُ - الْمُسْلِمِينَ - أَصْحَابُ هَذَا الْعِلْمِ يَا بُنَيَّ ، نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِيهِ ، نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ أَتَقَنَهُ ، وَقَدَّمَهُ لِلْبَشَرِيَّةِ .

◆ نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِي هَذَا الْعِلْمِ !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، نَعَمْ ، ثُمَّ جَاءَتْ «أُورُبَّا» فَأَخَذَتْهُ مِنَّا ، وَحَوَّلَتْهُ إِلَى مَعَامِلَ وَمُخْتَبِرَاتٍ لِتَنْشُرَ لُغَاتِهَا فِي الْآفَاقِ ، وَتَرْفَعَ لَوَاءَ حَضَارَتِهَا فَوْقَ الْحَضَارَاتِ .

◆ وَمَا الْكُتُبُ الَّتِي خَلَفَهَا أَسْلَافُنَا فِي هَذَا الْقَرْنِ ؟ .

◇ لَقَدْ تَرَكُوا لَنَا أَكْثَرَ مِنْ كِتَابٍ ، وَأَكْثَرَ مِنْ مَبْحَثٍ وَمَقَالٍ .

◆ عَظِيمٌ عَظِيمٌ .

◇ وَلَعَلَّ أَجُودَ وَأَبْرَعَ مَا كَتَبُوهُ فِي هَذَا الْقَرْنِ هُوَ مَا أُوْدَعَهُ ابْنُ جُنَيٍّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِصِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ ، وَكِتَابِهِ الْآخِرِ الْمُسَمَّى بِالْخَصَائِصِ .

◆ * أَبَتِ ، يَقُولُونَ : إِنَّ الْحَاجَةَ أُمُّ الْإِخْتِرَاعِ ، فَمَا الْحَاجَةُ الَّتِي دَفَعَتِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى ابْتِكَارِ عِلْمِ الْأَصْوَاتِ ؟ .

◇ الْقُرْآنُ ، الْقُرْآنُ يَا بُنَيَّ .

◆ الْقُرْآنُ !! وَمَا عِلَاقَةُ الْقُرْآنِ بِهَذَا الْقَرْنِ ؟ .

◇ هِيَ عِلَاقَةُ الْأَصْلِ بِالْفَرْعِ ، مِثْلُ الْقُرْآنِ - يَا بُنَيَّ - وَمِثْلُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ ،

كَمَثَلِ دَوْحَةٍ بَاسِيفَةٍ^(١) كَثِيرَةِ الْفُرُوعِ ، كُلُّ غُضَنِ مِنْ أَغْصَانِهَا يَحْمِلُ عِلْمًا مِنْ الْعُلُومِ .

◆ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ - يَا أَبَتِ - إِنَّ الْعُلُومَ الْإِسْلَامِيَّةَ نَشَأَتْ فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ .

◇ هَذَا مَا أَرَدْتُ قَوْلَهُ ، فَعِلُومُ اللُّغَةِ عَلَى تَعَدُّدِهَا وَتَشَعُّبِهَا وَسَعَتِهَا ؛ إِنَّمَا وَجَدْتُ لِفَهْمِ الْقُرْآنِ ...

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ [بَصُوتٌ نَحَابِتٌ مُسَاعِدَةٌ عَلَى التَّنَاهِجِ] .

◇ وَعِلْمُ التَّخْوِيرِ عَلَى دِقَّةِ تَرْكِيبِهِ ، وَإِحْكَامِ بِنَائِهِ ، إِنَّمَا وَجَدَ لِيَصُونَ أَلْسِنَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ اللَّحَنِ فِي الْقُرْآنِ ...
وَعِلْمُ الْبَلَاغَةِ ؛ إِنَّمَا اسْتُحْدِثَ لِلْكَشْفِ عَنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ .

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ [بَصُوتٌ نَحَابِتٌ لَا تَقْطَعُ التَّنَاهِجَ] .

◇ وَعِلْمُ الصَّوْتِ أَوْ عِلْمُ التَّجْوِيدِ ؛ إِنَّمَا وَجَدَ لِإِحْكَامِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَإِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنْ مَخَارِجِهَا .
وَلَوْ رُحْتُ أَعَدُّ لَكَ الصَّلَاةَ الْمُبَاشِرَةَ وَغَيْرَ الْمُبَاشِرَةِ الَّتِي تَرْبِطُ عُلُومَ الْمُسْلِمِينَ بِالْقُرْآنِ ؛ لَطَالَ بِنَا الْمَقَالُ وَلِضَاقَ الْمَقَامِ .

◆ أَبَتِ ، أَرَأَاكَ اسْتَطَرَدْنَا^(٢) كَثِيرًا طَالَ عُمرُكَ .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، فَالْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ كَمَا يَقُولُونَ .

◆ أَفَمَا لَنَا مِنْ رَجْعَةٍ إِلَى أَصْلِ الْمَوْضُوعِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ .

(٢) اسْتَطَرَدْنَا : تَفَلَّنَا فِي الْحَدِيثِ ، وَبَعَدْنَا عَنِ الْمَوْضُوعِ .

(١) يقال بسق الشيء ثم ارتفاعه .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، أَنَا مُنْتَبِطٌ ^(١) الْيَوْمَ .

◇ الْيَوْمَ ، وَدَائِمًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَكِنْ مَا سَبَبُ اغْتِيَابِكَ ؟ .

◆ سَبَبُ اغْتِيَابِي أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَدِيثِي مَعَكَ سَالِمًا غَانِمًا : سَلِمْتُ مِنَ
الْخَطَا ، وَغَنِمْتُ الْمَعْرِفَةَ .

◇ وَهَلْ تَخْشَى الْوُقُوعَ فِي الْخَطَا كُلِّ هَذِهِ الْخَشْيَةُ ١٩ .

◆ نَعَمْ يَا أَبَتِ ، نَعَمْ ، فَأَنَا أَتَنَفَّسُ الصُّعْدَاءَ حِينَ أَنْتَهِيَ مِنَ الْحَدِيثِ مَعَكَ وَأَخْرُجُ
عَلَى خَيْرٍ .

◇ تَتَنَفَّسُ الصُّعْدَاءَ !!! .

◆ نَعَمْ أَتَتَنَفَّسُ الصُّعْدَاءَ .

◇ وَلِمَاذَا ؟ .

◆ أَطْلِمْتَانَا وَارْتَبَاخَا .

◇ وَهَلْ يَتَنَفَّسُ الصُّعْدَاءَ مَنْ يَطْمِئُنُّ وَيَزْتَالِحُ ١٩ .

◆ طَبَعًا يَا أَبَتِ طَبَعًا .

◇ وَمِنْ أَينَ لَكَ هَذَا ١٩ .

(١) منبسط : فريح .

◆ أَلَيْسَ مَعْنَى : تَنْفَسَ فَلَانَ الصُّعْدَاءُ اسْتِرَاحَ بَعْدَ جُهْدٍ ، وَاطْمَأَنَّ بَعْدَ خَوْفٍ ؟ . ٥

◇ كُتِبَ اللُّغَةُ تَقُولُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ .

◆ كُتِبَ اللُّغَةُ تَقُولُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ III .

◇ نَعَمْ ، مَا يُنَاقِضُهُ وَمَا يُضَادُّهُ .

◆ وَمَاذَا تَقُولُ هَذِهِ الْكُتُبُ طَالَ بَقَاؤُكَ III؟ .

◇ تَقُولُ : تَنْفَسَ فَلَانُ الصُّعْدَاءُ أَيَّ لَقِي شِدَّةً وَمَشَقَّةً وَعُسْرًا ، وَالصُّعْدَاءُ : التَّنَفُّسُ الطَّوِيلُ مِنْ هَمٍّ أَوْ تَعَبٍ ، وَالصُّغُودُ : الْعَقَبَةُ الشَّاقَّةُ .

◆ عَجِيبٌ III [يَهْتَرِخُ خَافِيَةً] .

◇ نَعَمْ الصُّغُودُ الْعَقَبَةُ الشَّاقَّةُ ، وَعَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُنِيرَةِ : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأَرْهِقُهُ صُّغُودًا ﴾^(١) أَيَّ سَأُغْشِيهِ عَقَبَةً شَاقَّةً الْمَصْعَدِ ، وَسَأُكَلِّفُهُ الصُّغُودَ فِي الْجِبَالِ الْوَعْرَةِ الشَّاقَّةِ الشَّاهِقَةِ .

◆ إِذَنْ لَا يُقَالُ : تَنْفَسَ الصُّعْدَاءُ بِمَعْنَى اسْتِرَاحَ بَعْدَ جُهْدٍ ، وَاطْمَأَنَّ بَعْدَ خَوْفٍ ؟ .

◇ نَعَمْ لَا يُقَالُ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : تَنْفَسَ الصُّعْدَاءُ بِمَعْنَى لَقِيَ الْمَشَقَّةَ ، وَعَانِيَ الْعُسْرَ .

◆ أَنَاذُنُ لِي بِأَنْ أُثَبِّتَ ذَلِكَ فِي بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ أُثَبِّتُهُ ، أُثَبِّتُهُ ، وَلَا تَتَرَدَّدُ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَأَمْلَيْتَهُ عَلَيَّ ؟ .

(١) سورة المدثر الآية ١٦ و ١٧ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً .
اَكْتُبْ : لَا يُقَالُ : تَنْفَسُ الصُّعْدَاءُ بِمَعْنَى اسْتَرَاحَ بَعْدَ جُهْدٍ ، وَاطْمَأَنَّ بَعْدَ خَوْفٍ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : تَنْفَسَ الصُّعْدَاءُ ؛ لِمَنْ عَانَى الْمَشَقَّةَ وَلَقِيَ الْعُسْرَ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ ، يَا خَيْرَ الْآبَاءِ .

◇ وَلَقَّاكَ اللَّهُ الْبِرَّ ، يَا أَبَرَ الْأَبْنَاءِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، بَعْدَ مُعَانَاةِ الْمَشَقَّةِ وَالْعَنَاءِ ، وَتَنْفَسَ الصُّعْدَاءُ ، تَأَقَّتِ النَّفْسُ لِرَوْضَةِ الشَّعْرِ ؛ فَأَدْخَلْنِيهَا طَالَ بَقَاؤُكَ .

◇ إِلَيْهَا ، إِلَيْهَا يَا بُنَيَّ ، فَهِيَ رَيَّانَةٌ بِالسَّحْرِ ، شَذِيَّةٌ بِالْعَطْرِ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي سَنَجِنِي مِنْ رَوْضِهِ الْيَوْمَ ؟ .

◇ إِنَّهُ سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ الْيَشْكُرِيُّ .

◆ وَمَنْ سُؤَيْدٌ هَذَا - طَالَ بَقَاؤُكَ - فَإِنِّي أَرَاكَ تُغْرِبُ وَتُبْعِدُ .

◇ بَلْ أَسْتَطْرِفُ ، وَأَتَحَاشَى الْمُكَرَّرَ الْمَمْلُولَ .

◆ حَسَنٌ حَسَنٌ .

◇ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ سُؤَيْدًا وَأَمْثَالَهُ مِنَ الْمَعْمُورِينَ ، كَمَا نَعْرِفُ أَبَا الطَّيِّبِ وَأَمْثَالَهُ مِنَ الْمَشْهُورِينَ .

◆ لَا رَيْبَ فِي أَنَّ سُؤَيْدًا هَذَا شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ .

◇ بَلْ هُوَ إِسْلَامِيٌّ ، تُؤَفِّي قَرِينًا مِنْ سَنَةِ سِتِّينَ لِلْهِجْرَةِ .

◆ وما موضوع القصيدة التي اخترتها من شعره ؟ .

◇ فيها أكثر من موضوع .

◆ أكثر من موضوع في قصيدة واحدة ١١ .

◇ وما في ذلك ؟ أليس في الروض أكثر من زهرة ، ولكل زهرة لون ، ولكل لون عطر ؟ .

◆ تشبيه جميل (بصوت تخائب) .

◇ وإذا أثبتت إلا أن يكون لها موضوع ؛ فموضوعها : خواطر فارس شاعر .

◆ عنوان طريف .

◇ لقصيدة طريفة .

◆ أنشدنيها - يا أبت - أنشدنيها طال عمرك .

◇ قال سؤيد :

بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا^(١) فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ
خُرَّةً تَجْلُو شَتِيَّتَا وَاضِحًا كَشَعَاعِ الشَّمْسِ فِي الْغَيْمِ سَطَعَ
صَقَلْتُهُ بِقَضِيبٍ نَاضِرٍ مِنْ أَرَاكِ طَيِّبٍ حَتَّى نَصَعُ^(٢)
أَبْيَضَ اللَّوْنِ لَذِيذًا طَعْمُهُ طَيِّبَ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدَعُ
تَمْنَحُ الْمِرَاةَ وَجْهًا وَاضِحًا مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي الصُّحُورِ لَزَّتْ

(١) رابعة : هو اسم محبوبته ، وبسطت الحبل ، أي قربت سبل المودة .

(٢) يصف الشاعر فمها بالنقاء وأنها تصقل أسنانها وتجولها بالأراك أي المراك .

لَا أَلَا قِيَهَا - وَقَلْبِي عِنْدَهَا -
وَكَذَاكَ الْحُبُّ مَا أَشْجَعُهُ
فَأَبَيْتُ اللَّيْلَ مَا أَزْقَدُهُ
وَإِذَا مَا قُلْتُ: لَيْلٌ قَدْ مَضَى
غَيْرَ إِلَمَامٍ إِذَا الطَّرْفُ مَجَّعٌ
يُزَكِّبُ الْهَوَلَ وَيَغْصِي مَنْ وَزَعٌ^(١)
وَيُعْنِيَنِي إِذَا نَجَمٌ طَلَعَ
عَطَفَ الْأَوَّلُ مِنْهُ فَرَجَعَ

◆ رَائِعٌ سُؤْيُدُ هَذَا، رَائِعٌ حَقًّا ۱۱ .

◇ كَيْفَ بِاسْتِقْرَارٍ حُرٍّ سَاخِطٍ
لَا يُرِيدُ الدَّهْرَ عَنْهَا حَوْلًا
بِبِلَادٍ لَيْسَ فِيهَا مُتَسَعٌ
جُرْعُ الْمَوْتِ، وَلِلْمَوْتِ جُرْعٌ

◆ إِنَّهُ حُبُّ الْوَطَنِ [بِصَوْتِ نَحَابِثٍ] .

◇ رَبِّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظًا قَلْبُهُ
وَيَزَانِي كَالشَّجَا^(٢) فِي حَلْقِهِ
مُزِيدٌ يَخْطِرُ مَا لَمْ يَرِنِي
وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَأَقِيْتُهُ
فَرٌّ مِنِّي هَارِبًا شَيْطَانُهُ
سَاجِدَ الْمِنْخَرِ لَا يَرْفَعُهُ
وَرَأَى مِنِّي مَقَامًا صَادِقًا
وَلِسَانًا صَيْرِفِيًّا صَارِمًا
قَدْ تَمَنَّى لِي سَرًّا لَمْ يُطْعِ
عَسِيرًا مَخْرُجُهُ مَا يُنْتَزَعُ
فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي انْقَمَعَ^(٣)
وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعَ^(٤)
حَيْثُ لَا يُعْطِي، وَلَا شَيْئًا مَنَعَ
خَاشِعَ الطَّرْفِ، أَصَمَّ الْمُسْتَمْعِ
ثَابِتَ الْمَوْطِنِ كَتَامَ الْوَجَعِ
كَحَسَامِ الشَّيْفِ، مَا مَسَّ قَطَعَ

(١) الوازع: هو الناصح بالبعد عن طرق المضرة.

(٢) الشجا: ما يعرض ويعلق بالحلق من عظم ونحوه.

(٣) انقمع: خفي وتوارى.

(٤) أي رتع في السرعى وأكل، وكان لحمي له طعام.

◆ حَقًّا إِنَّهَا لَخَوَاطِرُ شَاعِرِ قَارِسٍ يَا أَبَتِ ...
أَفِي دِيْوَانٍ يَشْعُرُنَا الْعَرَبِيُّ مِثْلُ هَذَا ١٩ .

◇ رَأَجَمَلُ مِنْ هَذَا وَأَكْمَلُ .

* * *

◆ أَبَتِ ، قَالَ سُؤَيْدٌ فِي وَصْفِ رَابِعَةٍ :

تَسْنَحُ الْمِرْآةَ وَجْهَهَا وَاضِحًا مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي الصُّحُورِ ارْتَفَعَ
فَمَا قَرْنُ الشَّمْسِ يَا أَبَتِ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ قَرْنُ الشَّمْسِ : أَوَّلُهَا .

◆ أَوَّلُهَا ١٩ .

◇ نَعَمْ أَوَّلُهَا يَا بُنَيَّ ، وَقَدْ حَفَلَتْ كُتُبُ اللُّغَةِ بِأَسْمَاءِ لِأَوَائِلِ الْأَشْيَاءِ ؛ عَزَّ أَنْ تَجِدَ
لَهَا نَظِيرًا فِي لُغَةٍ أُخْرَى غَيْرِ لُغَةِ الْقُرْآنِ .

◆ أَفَلَا أَغْنَيْتِ ثَرَوَتِي اللُّغَوِيَّةَ بِطَائِفَةٍ مِنْهَا ، دَامَ عَطَاؤُكَ .

◇ جَاءَ فِي أُمَّهَاتِ كُتُبِ اللُّغَةِ :

الضُّبْحُ : أَوَّلُ النَّهَارِ	وَ	الْفَسَقُ : أَوَّلُ اللَّيْلِ
وَالرُّسْمِيُّ : أَوَّلُ الْمَطَرِ	وَ	الْبَارِضُ : أَوَّلُ النَّبْتِ
وَاللَّبَأُ : أَوَّلُ اللَّبَنِ	وَ	السَّلَافُ : أَوَّلُ الْعَصِيرِ
وَالْبَاكُورَةُ : أَوَّلُ الْفَاكِهَةِ	وَ	الْبِكْرُ : أَوَّلُ الْوَلَدِ
وَالطُّلَيْعَةُ : أَوَّلُ الْجَيْشِ	وَ	النَّهْلُ : أَوَّلُ الشَّرْبِ
وَالرُّخْطُ : أَوَّلُ الشَّيْبِ	وَ	النُّعَاسُ : أَوَّلُ النَّوْمِ

وَالْحَافِرَةُ : أَوَّلُ الْأَمْرِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى لِسَانِ مُشْرِكِي
قُرَيْشٍ : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّا لَمَزْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ ^(١) أَيِ إِلَى حَالَتِنَا الْأُولَى .
وَالْفَرَطُ : أَوَّلُ الْوَرَادِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : (أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْخَوَاضِ) ^(٢) .

◆ مَا هَذِهِ اللُّغَةُ يَا أَبَتِ ، مَا هَذِهِ اللُّغَةُ ١١٢ .

◇ وَأَيْضًا ... الزَّفِيرُ : أَوَّلُ صَوْتِ النَّارِ .
وَالِإِسْتِهْلَالُ : أَوَّلُ صِيَّاحِ الْمَوْلُودِ إِذَا وُلِدَ .
وَالْتَبَطُ : أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ مِنْ مَاءِ الْبَيْتْرِ إِذَا حُفِرَتْ .
وَالْفَرَعُ : أَوَّلُ مَا تُنْتِجُهُ النَّاقَةُ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَذْبَحُهُ لِأَصْنَامِهَا .
◆ تَبَّا لَيْتَكَ الْأَصْنَامَ .

◇ وَأَيْضًا ... شَرْخُ الشُّبَابِ : أَوَّلُهُ ، وَكَذَلِكَ رَيْعَانُهُ ، وَفَيْعَتُهُ .
وَرَيْقُ الْغَيْثِ : أَوَّلُ سُؤْبُوهِ ^(٣) ، وَكَذَلِكَ رَيْقُ الشُّبَابِ : أَوَّلُهُ .

◆ مَا هَذَا يَا أَبَتِ مَا هَذَا !! .

◇ وَتَبَاشِيرُ الصُّبْحِ : أَوَّلُهُ ...
وَعُرُوكُ الْجَارِيَةِ : أَوَّلُ بُلُوغِهَا مَبْلَغَ النِّسَاءِ .

◆ كَمْ هِيَ غَنِيَّةٌ هَذِهِ اللُّغَةُ ١١ .

◇ أَكْثَرُ مِمَّا تَنْصَوِّرُ ، وَأَبْعَدُ مِمَّا تَنْخِيلُ .

◆ لَا عُذْرَ مَعَ هَذَا الْغِنَى لِمَنْ تَعْنُ لَهُ ^(٤) خَاطِرَةٌ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَهَا أَكْثَرَ مِنْ كَلِمَةٍ .

(٣) الشُّبُوبُ : الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ .

(٤) تَعْنُ لَهُ : تَخْطُرُ عَلَيْهِ بِهِ .

(١) سُورَةُ النَّازِعَاتِ آيَةُ ١٠ .

(٢) الْبَحَارِيُّ ٦٥٧٥ ، وَمُسْلِمٌ ٢٢٨٩ .

◇ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِّنَّا عَنْ هَذِهِ الثَّرْوَةِ غَائِلُونَ .

* * *

◆ أَتَيْتُ ، عَوِّدْتَنِي بِأَنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ جُلُوسَةٍ طُرْفَةً ، فَأَتَيْنَ طُرْفَةُ الْيَوْمِ طَالًا تَقَاوُكَ ؟ .

◇ إِلَيْكَ مَا طَلَبْتَ وَأَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ :

لَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَدِمَ عَلَيْهِ وَفُودُ أَهْلِ كُلِّ بَلَدٍ ... فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَفَدُ أَهْلِ الْجَبَّارِ ؛ فَاشْرَأَبَ^(٢) مِنْهُمْ غُلَامًا لِلْكَلامِ ؛ فَقَالَ عُمَرُ :

يَا غُلَامُ ، لِيَتَكَلَّمَ مَنْ هُوَ أَسَرُّ مِنْكَ .

فَقَالَ الْغُلَامُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِذَا مَنَعَ اللَّهُ الْعَبْدَ لِسَانًا لَا يَفْطَأُ وَقَلْبًا حَافِظًا ؛ فَقَدْ أَجَادَ الْإِخْتِيَارَ ... وَلَوْ أَنَّ الْأُمُورَ بِالسُّرِّ لَكَانَ هَا هُنَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِكَ مِنْكَ .

فَقَالَ عُمَرُ : صَدَقْتَ ، تَكَلَّمْ ، فَهَذَا هُوَ السَّخَرُ الْحَلَالُ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ وَفَدُ التَّهْنِئَةِ لَا وَفَدُ الْمَرْزُوقَةِ^(٣) ، وَلَمْ نُقَدِّمْنَا إِلَيْكَ رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً ... لِأَنَّا قَدْ أَمِنَّا فِي أَيَّامِكَ مَا خِفْنَا ، وَأَذْرَكْنَا مَا طَلَبْنَا .

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ حَاضِرًا ، فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِ عُمَرَ قَدْ تَهَلَّلَ عِنْدَ ثَنَاءِ الْغُلَامِ عَلَيْهِ .

فَقَالَ الْغُلَامُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا يَغْلِبَنَّ جَهْلُ الْقَوْمِ بِكَ مَعْرِفَتَكَ بِنَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ قَوْمًا خَدَعَهُمُ الثَّنَاءُ وَغَرَّهُمُ^(٤) الشُّكْرُ ... فَزَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ ؛ فَهَوَّوْا فِي النَّارِ ، أَعَاذَكَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ، وَالْحَقُّكَ بِسَالِفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ .

فَبَكَى عُمَرُ حَتَّى خِيفَ عَلَيْهِ ...

وَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَخْلِنَا مِنْ وَاعِظٍ .

(١) عمر بن عبد العزيز : انظره في كتاب « صور من حياة التابعين » للمؤلف .

(٢) فاشرب منهم : رفع أحدهم رأسه يريد أن يتكلم .

(٣) وفد المرزلة : أي طلب العطاء . (٤) غرهم الشكر : خدعهم شكر الناس إياهم ؛ فكبروا في الأرض .

◆ مَا هَؤُلَاءِ الرُّجَالُ وَمِنْ أَيِّ تُرَابٍ جُعِلُوا ۚ .

س: ◇ هُمْ مِنْ تُرَابِ الْبَشَرِ ، لَكِنَّهُمْ جُعِلُوا بِمَاءِ الْإِسْلَامِ ، وَصُبُّوا فِي قَوَالِبِ الْإِيمَانِ ،
فَرَأَوْا مَفْرَقَ الدُّنْيَا (١) ... وَكَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .

* * *

(١) فرأوا مفرق الدنيا : أي أنهم زينتوا رأس الدنيا بمفاخرهم .

كَيْفِيَّةُ تَكُونِ الْحُرُوفِ

- ◆ أَيْتِ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .
- ◆ أَيْتِ ، قُلْتَ فِي جَلْسَةِ سَابِقَةٍ : إِنَّ عِبْقَرِيَّةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَسْجِي أَوَّلَ مَا تَسْجَلُ فِي حَرْفِهَا .
- ◇ نَعَمْ ، قُلْتَ ذَلِكَ ، وَأَعُوذُ فَأَكْرِزُهُ الْيَوْمَ .
- ◆ وَقُلْتَ - طَالَ بَقَاؤُكَ - إِنَّ لِلْحُرُوفِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ دَلَالَةً عَلَى الْمَعْنَى ، وَإِنَّ ذَلِكَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ عِبْقَرِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .
- ◇ وَقُلْتَ ذَلِكَ أَيْضًا ، وَأَعُوذُ فَأَقْرِزُهُ الْيَوْمَ .
- ◆ وَلَكِنْ أَنِّي ^(١) يَكُونُ لِلْحُرُوفِ - وَهِيَ أَصَوَاتٌ مُبْهَمَةٌ - أَنْ تَدُلَّ عَلَى الْمَعْنَى ١١٩ .
- ◇ لَا تَسْتَطِيعُ إِذْرَاكَ ذَلِكَ - يَا بَنِي - إِلَّا إِذَا عَرَفْتَ كَيْفَ تَحْدُثُ الْحُرُوفُ وَتَتَكَوَّنُ .

(١) أَنَّى : كَيْفَ ؟ .

◆ بَحْثُ طَرِيفٍ ، وَكَيْفَ تَتَكَوَّنُ الْحُرُوفُ يَا أَبَتِ ۱؟ .

◇ قَبْلَ أَنْ تَقِفَ عَلَى كَيْفِيَّةِ تَكْوِينِ الْحُرُوفِ ؛ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَلِمَ بِالْجِهَازِ الصَّوْتِيِّ عِنْدَ الْإِنْسَانِ وَتَقْسِيمَاتِهِ .

◆ وَمِمَّ يَتَأَلَّفُ هَذَا الْجِهَازُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ يَتَأَلَّفُ هَذَا الْجِهَازُ الْعَجِيبُ : مِنَ الرَّئِثَيْنِ ، وَهُمَا مِفْتَاحُ الْهَوَاءِ .
ثُمَّ مِنَ الْقَصَبَةِ الْهَوَائِيَّةِ ؛ الَّتِي يَجْرِي فِيهَا الْهَوَاءُ الْمُنْبَعِثُ مِنَ الرَّئِثَيْنِ .
ثُمَّ مِنَ الْجِبَالِ الصَّوْتِيَّةِ ؛ الَّتِي تَهْتَزُّ عِنْدَ مُلَامَسَةِ الْهَوَاءِ لَهَا ، فَتَحْدُثُ بِاهْتِزَازِهَا الْأَصْوَاتَ .

◆ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ !! [بِصَوْتٍ خَائِبٍ لَا يَقْطَعُ التَّعْلِيمَ] .

◇ ثُمَّ مِنْ تَجْوِيفِ الْحَلْقِ ، ثُمَّ مِنْ تَجْوِيفِ الْقَمِ ، ثُمَّ مِنَ الشَّغْرِ (١) .

◆ مَا أَعْظَمَ خَلْقَ اللَّهِ !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَلِتَجْوِيفِ الْحَلْقِ حَاجِزٌ مُتَحَرِّكٌ هُوَ اللَّهَاءُ ، وَلِتَجْوِيفِ الْقَمِ حَاجِزٌ مُتَحَرِّكٌ أَيْضًا هُوَ اللِّسَانُ ، وَلِلشَّغْرِ حَاجِزٌ ثَالِثٌ هُوَ الشَّفَتَانِ .

◆ سُبْحَانَ رَبِّي ! لَقَدْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ! .

◇ وَمُمَيِّزُهُ بِهَذَا الْجِهَازِ الصَّوْتِيِّ الْمَرِنِ ، الَّذِي يُمَكِّنُهُ مِنْ إِخْرَاجِ عَدَدٍ لَا يُحْصَى مِنَ الْأَصْوَاتِ .

◆ وَلَكِنْ كَيْفَ يَتِمُّ النُّطْقُ بِالْحُرُوفِ فِي هَذَا الْجِهَازِ الْمُعَقَّدِ ؟ .

(١) الشَّغَرُ : الْأَسْنَانُ وَالْقَمِ .

◇ بِسَاطَةِ ، بِسَاطَةِ بِالْعَةِ يَا بُنَيَّ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ يَنْدْفِعُ الْهَوَاءُ مِنَ الرَّئِثَيْنِ مَارًّا بِالْقَصَبَةِ الْهَوَائِيَّةِ ، فَيَحْرُكُ الْجِبَالَ الصَّوْتِيَّةَ وَيَهْزُهَا هَزًّا يَحْدُثُ مَعَهُ الصَّوْتُ ، ثُمَّ يَمُرُّ الْهَوَاءُ الَّذِي يَحْمِلُ الصَّوْتَ بِتَجْوِيفِ الْخَلْقِ ، ثُمَّ بِتَجْوِيفِ الْفَمِ ، ثُمَّ بِالشَّغْرِ .

◆ طَرِيفٌ طَرِيفٌ جِدًّا .

◇ وَهُوَ حِينَ يَمُرُّ بِهِذِهِ التَّجْوِيفَاتِ الثَّلَاثَةِ ، إِمَّا أَنْ يُتْرَكَ لَهُ مَجَالُ الْإِنْطِلَاقِ دُونَ أَنْ يَتَحَوَّلَ دُونَهُ حَائِلٌ ، وَإِمَّا أَنْ يُسَدَّ الطَّرِيقُ أَمَامَهُ بِأَحَدِ الْحَوَاجِزِ الثَّلَاثَةِ ، فِي أَوْضَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَتَحْدُثُ بِذَلِكَ أَصْوَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، هِيَ الْحُرُوفُ .

◆ زَائِعٌ زَائِعٌ حَقًّا .

◇ وَهَذَا هُوَ السَّرُّ فِي اخْتِلَافِ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ .

◆ مَخَارِجُ الْحُرُوفِ ، كَلِمَةٌ كُنْتُ أَسْمَعُهَا وَلَا أَفْهَمُ الْمُرَادَ مِنْهَا عَلَى وَجْهِ الضُّبْطِ . وَلَكِنْ ...

◇ وَلَكِنْ مَاذَا ؟ .

◆ وَلَكِنْ مَوْضُوعُ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ مَا يَزَالُ فِي طَوْرِ الْإِجْمَالِ ، وَلَا بُدَّ لِهَذَا الْإِجْمَالِ مِنْ تَفْصِيلٍ ، إِذَا أُذِنَتْ .

◇ إِلَيْكَ التَّفْصِيلُ يَا بُنَيَّ ، إِلَيْكَ التَّفْصِيلُ ... إِذَا مَرَّ الْهَوَاءُ بِالْجِبَالِ الصَّوْتِيَّةِ وَانْطَلَقَ نَحْوَ الشَّغْرِ دُونَ أَنْ يَغْتَرِضَهُ مُغْتَرِضٌ ؛ حَدَّثْتُ حُرُوفُ الْخَلْقِ وَهِيَ سِتَّةٌ .

◆ سِتَّةٌ أَمْ ثَلَاثَةٌ ؟ طَالَ بَقَاؤُكَ .

◇ بَلْ هِيَ سِتَّةٌ يَا بُنَيَّ : ثَلَاثَةٌ مِنْهَا طَوِيلَةٌ ، وَثَلَاثَةٌ قَصِيرَةٌ .

◆ وَمَا الثَّلَاثَةُ الطَّوِيلَةُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ هِيَ : الْأَلِفُ ، وَالْوَاوُ ، وَالْيَاءُ ، « آ ، أُ ، إِي » .

◆ وَمَا الثَّلَاثَةُ الْقَصِيرَةُ دَامَ فَضْلُكَ ؟ .

◇ هِيَ الْفَتْحَةُ وَالضَّمَّةُ وَالْكَسْرَةُ « َ ُ ِ » وَتُدْعَى حُرُوفُ الْمَدِّ
السَّتَّةُ بِالْحُرُوفِ الْجَوْفِيَّةِ أَوْ الْهَوَائِيَّةِ .

◆ هَذَا إِذَا لَمْ يَغْتَرِضِ الصَّوْتُ مُغْتَرِضٌ .

◇ نَعَمْ ، أَمَّا إِذَا اعْتَرَضَهُ مُغْتَرِضٌ بِسَبَبِ أَحَدِ الْحَوَاجِزِ الثَّلَاثَةِ ؛ فَتَحْدُثُ أَنْوَاعٌ
أُخْرَى مِنَ الْأَصْوَاتِ أَوْ الْحُرُوفِ ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ انْجِبَاسٌ ^(١) الْهَوَاءِ
كُلُّنَا أَوْ جُزْئِيًّا يُسَمَّى : مَخْرَجَ الْحَرْفِ .

◆ إِذَنْ هَذَا هُوَ السَّرُّ فِي تَعَدِّدِ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ .

◇ نَعَمْ ، وَهَذَا هُوَ السَّرُّ فِي اخْتِلَافِ أَصْوَاتِ الْحُرُوفِ ، وَعَدَمِ الْيَبَاسِ بَعْضُهَا
بِبَعْضٍ ... وَهُوَ السَّرُّ أَيْضًا فِي تَفَاوُتِ صِفَاتِهَا ؛ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى تَفَاوُتِ الْمَعَانِي
الَّتِي تُؤَدِّيهَا .

◆ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي تَفَاوُتُ الصِّفَاتِ بَيْنَ الْحُرُوفِ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ إِنَّ انْجِبَاسَ الْهَوَاءِ حِينَ لَحْذُوثِ الْحَرْفِ ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ تَامًا بِحَيْثُ لَا يُنْطَقُ

(١) انحباس : انقطاع .

بِالْحَرْفِ إِلَّا بَعْدَ إِزَالَةِ الْحَاجِزِ ...

◆ وَإِذَا ؟ [بَصُرَتْ نَحَابِتٌ لَا تَقْطَعُ الشَّامِخَ] .

◇ وَإِذَا أَنْ يَكُونَ نَاقِصًا ؛ بِحَيْثُ يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنَ الْهَوَاءِ مَعَ خُرُوجِ صَوْتِ الْحَرْفِ فِي آيٍ وَاحِدٍ .

◆ طَيِّبٌ ، مَفْهُومٌ [بَصُرَتْ نَحَابِتٌ] .

◇ وَتُسَمَّى حُرُوفُ النَّوعِ الْأَوَّلِ : الْحُرُوفُ الْمَجْهُورَةُ .

◆ الْمَجْهُورَةُ ؟ .

◇ نَعَمْ الْمَجْهُورَةُ ، بَيْنَمَا تُسَمَّى حُرُوفُ النَّوعِ الثَّانِي : الْحُرُوفُ الْمَهْمُوسَةُ .

◆ وَمَا الْحُرُوفُ الْمَجْهُورَةُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ الْحُرُوفُ الْمَجْهُورَةُ ، هِيَ : الْهَمْزُ ، وَالْبَاءُ ، وَالْجِيمُ ، وَالذَّالُ ، وَالزَّاءُ ، وَالزَّايُ ، وَاللَّامُ ، وَالْمِيمُ ، وَالثَّوْنُ .

◆ وَالْحُرُوفُ الْمَهْمُوسَةُ ؟ .

◇ الْحُرُوفُ الْمَهْمُوسَةُ ، هِيَ : مَا تَبَقَّى مِنْ حُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ ، وَيَجْمَعُهَا قَوْلُكَ : « فَحْتُهُ شَخْصٌ سَكَتٌ » .

◆ أَبَتِ ، أَلَيْهَذَا التَّفْسِيرُ نَظِيرٌ عِنْدَ الْغَرَبِيِّينَ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ لِلَّهِ أَنْتُمْ مَعْشَرَ السُّبَّابِ ! كَمْ تُلْحُونَ عَلَى الْغَرَبِيِّينَ ، وَكَمْ تَتَطَلَّعُونَ إِلَى مَا عِنْدَهُمْ ، كَأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ لَنَا مِنْهُمْ شَهَادَةً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

- ◆ غَفُوكَ يَا أَبْتَ عَفُوكَ ، مَا إِلَى هَذَا ذَهَبْتُ ، وَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ .
- ◇ هَذَا التَّقْسِيمُ الَّذِي عَرَفْنَاهُ مِنْذُ عَشْرَةِ قُرُونٍ لَمْ تَعْرِفْهُ «أُرُوبَّا» إِلَّا فِي هَذَا الْعَصْرِ ؛ فَسَمُّوا الْحُرُوفَ الْمَجْهُورَةَ : بِالْحُرُوفِ الْمُغْلَقَةِ ، وَسَمُّوا الْحُرُوفَ الْمَهْمُوسَةَ : بِالْحُرُوفِ النَّافِحَةِ .
- ◆ مَغِيرَةٌ يَا أَبْتَ ؛ فَقَدْ أَرَهَقْتُكَ وَلَكِنْ ...
- ◇ وَلَكِنْ مَاذَا ؟ .
- ◆ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ ، أَلِلْحُرُوفِ صِفَاتٌ أُخْرَى غَيْرَ الْجَهْرِ وَالْهَنْسِ ؟ .
- ◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَقَدْ قَسَمَ عَلَمَاؤُنَا الْحُرُوفَ أَيْضًا إِلَى شَدِيدَةٍ ، وَرِخْوَةٍ ، وَمُتَوَسِّطَةٍ .
- ◆ شَدِيدَةٍ ، وَرِخْوَةٍ ، وَمُتَوَسِّطَةٍ ؟ !
- ◇ نَعَمْ .
- ◆ وَمَا الْحُرُوفُ الشَّدِيدَةُ يَا أَبْتَ ؟ .
- ◇ هِيَ تِلْكَ الَّتِي يَمْتَنِعُ أَنْ يَجْرِيَ مَعَهَا الصَّوْتُ ، وَلَا يَتِمَّ كُنُ الْمَرْءِ مِنْ مَدِّ الصَّوْتِ فِيهَا .
- ◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .
- ◇ مِنْ مِثْلِ : الْقَافِ ، وَالْجِيمِ ، وَالذَّالِ ؛ فَتَقُولُ الرِّقُّ ، وَالْفَجْجُ ، وَالْمَدُّ .
- ◆ وَالرَّخْوَةُ يَا أَبْتَ ؟ .

◇ الرُخْوَةُ : هِيَ تِلْكَ الَّتِي يَجْرِي فِيهَا الصُّوْتُ ؛ تَمَالُيْنِ ، وَالشَّيْنِ ، وَالْحَاءِ ...
فَنَقُولُ : الْحِجْسُ ، وَالرُّشْ ، وَالشُّعْ .

◆ وَالْمُتَوَسِّطَةُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ الْمُتَوَسِّطَةُ : هِيَ تِلْكَ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الشَّدِيدَةِ وَالرُّخْوَةِ ، وَيَجْمَعُ حُرُوفَهَا
قَوْلُكَ : « لَمْ يَزِدْغْنَا » .

◆ أَهْذِهِ هِيَ جَمِيعُ صِفَاتِ الْحُرُوفِ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ بَلْ لَهَا صِفَاتٌ أُخْرَى يَا بُنَيَّ ، فَهُنَاكَ حُرُوفُ الْقَلْقَلَةِ وَهِيَ : الْقَافُ ، وَالطَّاءُ ،
وَالْبَاءُ ، وَالْجِيمُ ، وَالذَّالُ .

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ [بِصَوْتِ تَحَابِتٍ] .

◇ وَحُرُوفُ الذَّلَاقَةِ وَهِيَ : الْيَاءُ ، وَالرَّاءُ ، وَالْفَاءُ ، وَاللَّامُ ، وَالْمِيمُ ، وَالتَّوْنُ .
وَحُرُوفُ الصَّفِيرِ وَهِيَ : الصَّادُ وَالسَّيْنُ .

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ [بِصَوْتِ تَحَابِتٍ] .

◇ وَحُرُوفُ اللَّيْنِ ، وَهُمَا : الْوَاوُ ، وَالْيَاءُ السَّاكِنَتَانِ ... وَحُرُوفُ الْغَنَّةِ : وَهُمَا الْمِيمُ ، وَ
التَّوْنُ ... وَحُرُوفُ التَّقْسِي : وَهُوَ الشَّيْنُ .

◆ وَلَكِنْ مَا الصَّلَاةُ بَيْنَ صِفَاتِ الْحُرُوفِ هَذِهِ ؛ وَبَيْنَ دَلَالَتِهَا عَلَى الْمَعَانِي ؟ .

◇ ذَلِكَ مَا سَتَعَلَّمُهُ فِي جُلُوسَةِ قَادِمَةٍ ، بِإِذْنِ اللَّهِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

* * *

- ◆ حَدِيثُكَ يَا أَبَتَ عَنْ جِهَازِ الصُّوتِ وَتَقْسِيمَاتِهِ جَمَعَ بَيْنَ الْمُتَعَةِ وَالْفَائِدَةِ .
- ◇ أَمَتَعَ اللَّهُ بِكَ ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ مُزْهِقًا صَغَبًا .
- ◆ طَلَاوَةُ كَلَامِكَ ؛ تَجْعَلُ الصَّغْبَ سَهْلًا وَالْعَسِيرَ يَسِيرًا .
- ◇ طَلَاوَةُ حَدِيثِي !! .
- ◆ نَعَمْ طَلَاوَةُ حَدِيثِكَ ، أَفِي ذَلِكَ شَيْءٌ يُؤْخَذُ عَلَيَّ ؟ .
- ◇ لَا شَيْءَ ، إِلَّا أَنَّكَ فَتَحْتَ مَا يَجِبُ أَنْ يُضْمَّ .
- ◆ فَتَحْتَ مَا يَجِبُ أَنْ يُضْمَّ ! لَمْ أَدْرِكْ مَا عَنَيْتَهُ ؛ طَالَ بَقَاؤُكَ .
- ◇ نَعَمْ فَتَحْتَ مَا يَجِبُ أَنْ يُضْمَّ ؛ فَقُلْتُ : طَلَاوَةُ حَدِيثِكَ بِفَتْحِ الطَّاءِ ، وَالصَّوَابُ : ضَمُّهَا .
- ◆ جُزَيْتَ الْخَيْرَ ، أَكْتُبُ ذَلِكَ فِي بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » ؟ .
- ◇ نَعَمْ ، اكْتُبْهُ ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ تُضِيفَ إِلَيْهِ أَمْثَالَهُ .
- ◆ وَمَا أَمْثَالُهُ ، طَالَ عُمُرُكَ ؟ .
- ◇ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ مَضْمُومَةٌ ، وَالْعَوَامُّ وَبَعْضُ الْخَوَاصِّ يَفْتَحُونَهَا أَوْ يَكْسِرُونَهَا .
- ◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .
- ◇ مِنْ مِثْلِ كَلِمَةِ جُدَّة الْمَدِينَةُ الْمَعْرُوفَةُ ؛ فَالْعَامَّةُ تَقُولُ : مَدِينَةُ جَدَّة بِفَتْحِ الْجِيمِ أَوْ كَسْرِهَا ، وَالصَّوَابُ : ضَمُّهَا .

◆ أَمَّاكَ شَيْءٌ آخَرُ مِنْ هَذَا الْبَابِ لُقِيتَ الْخَيْرَ ؟ .

◇ نَعَمْ ، الْعَامَّةُ تَقُولُ : خَفَّاشٌ عَنْ طَائِرِ اللَّيْلِ الْمَعْرُوفِ ؛ يَفْتَحِ الْخَاءِ ، وَالصَّوَابُ : ضَمُّهَا .

◆ وَأَيْضًا .

◇ وَالْعَامَّةُ تَقُولُ أَيْضًا : جَعَلْتُ هَذَا الْأَمْرَ نَضَبَ عَيْنِي ؛ يَفْتَحِ الثَّوْنِ ، وَالْأَكْثَرُونَ يَرَوْنَ أَنَّ هَذَا لَحْنٌ لَا سَنَدَ لَهُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ؛ وَإِنَّمَا صَوَابُهُ : الضَّمُّ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَأَمَلَيْتَ ذَلِكَ عَلَيَّ ضَنًّا بِهِ أَنْ يَضِيعَ .

◇ اكْتُبْ : كَثِيرًا مَا تَفْتَحُ الْعَامَّةُ مَا وَرَدَ مَضْمُونًا عَنِ الْعَرَبِ .

◆ نَعَمْ .

◇ فَتَقُولُ : لِكَلَامِ فُلَانٍ طَلَاوَةٌ يَفْتَحِ الطَّاءِ ، وَالصَّوَابُ : ضَمُّهَا .

◆ نَعَمْ .

◇ وَتَقُولُ : هَذِهِ مَدِينَةُ جَدَّةَ يَفْتَحِ الْجِيمِ أَوْ كَسَرِهَا ، وَالصَّوَابُ : ضَمُّهَا .

◆ نَعَمْ .

◇ وَتَقُولُ : عَنْ طَائِرِ اللَّيْلِ خَفَّاشٌ يَفْتَحِ الْخَاءِ ، وَالصَّوَابُ : ضَمُّهَا .

◆ نَعَمْ .

◇ وَتَقُولُ : جَعَلْتُ الْأَمْرَ نَضَبَ عَيْنِي يَفْتَحِ الثَّوْنِ ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ اللُّغَةِ يَرَوْنَ أَنَّ هَذَا لَحْنٌ ؛ وَالصَّوَابُ : ضَمُّهَا .

◆ جُزِيتَ الْخَيْرَ يَا أَبَتِ ، وَعَدَاكَ ذَمٌّ .

◇ وَلَقِيتَ الْبِرَّ يَا بُنَيَّ ، وَعَدَاكَ لَحْنٌ فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَرَوْضَةُ الشَّعْرِ ، أَيْنَ مِنِّي شَذَاهَا^(١) ؟ .

◇ هُوَ مِنْكَ إِذَا قَرِيبٌ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَلَمَمْتَ بِرَوْضِهِ ؟ .

◇ مَحْمُودُ غُنَيْمٍ^(٢) .

◆ يَبْدُو أَنَّهُ مُعَاصِرٌ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُ شَاعِرٌ مُعَاصِرٌ .

◆ وَمَا الزَّهْرَةُ الَّتِي جَنَيْتَهَا مِنْ رَوْضِهِ ؟ .

◇ قَصِيدَةٌ عُنْوَانُهَا « سَمَرُ^(٣) الْأَدْبَاءِ » .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟ .

◇ يَقُولُ :

مَنْ هَؤُلَاءِ الْمَعْشَرُ الشَّمَارُ^(٤) بِحَدِيثِهِمْ تَتَعَطَّرُ الْأَشْحَارُ

كَالِفُوا^(٥) ، وَلَكِنْ بِالْبَيَانِ وَسِحْرِهِ وَمِنْ الْبَيَانِ عَرَائِشُ أَبْكَارُ

يَتَطَارَحُونَ^(٦) الْقَوْلَ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَحْكِي كُفُوسَ الرِّاحِ حِينَ تُدَارُ

(١) شذاها : رائحتها الطيبة .

(٢) انظره في كتاب « الذَّوْحَةُ الْمُبَارَكَةُ » للمؤلف .

(٣) السمر : الحديث ليلاً .

(٤) الشمار : الحاضرون مجلس السمر .

(٥) كالِفُوا : أحبوا الشيء وتعلقوا به .

(٦) يتطارحون : يتحاورون ويتبادلون .

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ النَّدِيَّ عَلَيْهِمْ
 مِنْ كُلِّ رَاوِيَةٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ
 مَسْحَدٌ لَبِي كَأَنَّ حَدِيثَهُ
 إِنْ قَالَ خَلَّتْ^(٣) «الْأَضْمِي» أَعَارَهُ
 يَتَسَابِقُونَ إِلَى الْبَيَانِ كَأَنَّهُمْ
 لَهُمْ دُعَابَاتٌ تُسَاقُ فَلَا تَرَى
 يَتَنَدَّرُونَ وَلَا ابْتِدَالَ؛ وَإِنَّمَا
 أَحْيَا لَنَا الْعَظَمَ الرَّمِيمَ؛ فَتَارَةً
 خَمْرًا، مَنَابِتُ كَرَمِهَا الْأَسْفَارُ^(١)
 نُفِشَتْ عَلَى صَفَحَاتِهِ الْأَخْبَارُ
 زَهْرُ الرِّيَاضِ يَرْفُهُ «آذَارُ»^(٢)
 شَفَتِيهِ، لَوْ أَنَّ الشُّفَاةَ تُعَارُ
 جُرُودَ مَذَاكِ ضَمَّهَا مِضْمَارُ
 جِلْمًا يَنْدُ^(٤)، وَلَا يَطِيشُ وَقَارُ
 تُرْعَى الْحُقُوقُ، وَتُحْفَظُ الْأَقْدَارُ
 مَعَنَا الْوَلِيدُ، وَتَارَةً بَشَارُ

☆ ☆ ☆

نَا لَا أَشْبَهُ بِالْجُمَانِ^(٥) حَدِيثُهُمْ
 خَذَقُوا^(٦) الْبَيَانَ قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ
 كُلُّ يَهْبُ مُنَافِعًا^(٧) عَنْ رَأْيِهِ
 فَإِذَا بِهِمْ قَلْبُوا النَّدِيَّ^(٨) مَعَارِكًا
 يَا رَبِّ لَيْلٍ حَالِكٍ يُحْيِيُونَهُ
 مَا النَّاسُ إِلَّا كَاتِبٌ أَوْ شَاعِرٌ
 إِنَّ الْجَوَاهِرَ كُلَّهَا أَحْجَارُ
 وَلِكُلِّ عَصْرِ بَيْتُهُمْ أَنْصَارُ
 ضِدَّ الْخُصُومِ، كَأَنَّهُ إِغْصَارُ
 حَتَّى كَأَنَّ النَّقْعَ^(٩) فِيهِ مُثَارُ
 يَرْوِئِعِ الْآدَابُ؛ فَهَوَ نَهَارُ
 أَوْ نَاقِدٌ، وَسِوَاهُمْ أَصْفَارُ

* * *

(١) الأسفار: جمع سفر وهو الكتاب.
 (٢) آذار: الشهر الثالث من السنة الشمسية ويوافق شهر مارس.
 (٣) خلت: ظننت.
 (٤) الجلم: هو العقل، يند: ينحرف أو يميل عن الأدب.
 (٥) الجمَان: اللؤلؤ، أو حب يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ.
 (٦) خذقوا: أتقنوه وأحسنوا صياغته.
 (٧) منافعًا: مدافعًا.
 (٨) الندى: النادي أو مجلس الشعر.
 (٩) النقع: هو الغبار الذي يثار أثناء المعارك.

◆ أَيْتِ ، قَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ الْأُدَبَاءَ :

يَتَسَابَقُونَ إِلَى الْبَيَانِ كَأَنَّهُمْ
مِمَّا الْجُرُودُ الْمَذَاكِي طَالَ بَقَاؤُكَ ؟

◇ الْجُرُودُ ، وَالْمَذَاكِي : نَعْتَانِ مِنَ نُعُوتِ الْخَيْلِ الْكَرِيمَةِ ، وَقَدْ بَالَعَ الْعَرَبُ فِي
ذِكْرِ أَوْصَافِ الْخَيْلِ مُبَالَغَةً تَدُلُّ عَلَى مَدَى عِنَايَتِهِمْ بِهَذَا الْحَيَوَانِ الْعَرِيقِ .

◆ فَمَاذَا قَالُوا يَا أَيْتِ ؟

◇ قَالُوا : إِذَا كَانَ الْفَرَسُ كَرِيمَ الْأَصْلِ رَائِعَ الْخَلْقِ ، فَهُوَ : عَتِيقٌ .

وَإِذَا كَانَ ثَمًا حَسَنَ الصُّورَةِ ، فَهُوَ : مُطَهَّمٌ .

فَإِذَا كَانَ سَامِيَّ الطَّرْفِ ^(١) حَدِيدَ الْبَصَرِ ^(٢) ، فَهُوَ : طَمُوحٌ .

فَإِذَا كَانَ طَوِيلَ الْعُنُقِ وَالْقَوَائِمِ ، فَهُوَ : سَلَهَبٌ .

فَإِذَا كَانَ مُنْطَوِي الْكَشْحِ ^(٣) ، فَهُوَ : نَهْدٌ أَقْبٌ .

◆ رَائِعٌ رَائِعٌ .

◇ فَإِذَا كَانَ طَوِيلَ الذَّنْبِ ، فَهُوَ : ذَيَالٌ .

فَإِذَا كَانَ مُسْتَتِيماً الْخَلْقِ مُسْتَعِدًّا لِلْعَدُوِّ ، فَهُوَ : طِمِرٌّ .

فَإِذَا كَانَ ضَخْمًا قِيلَ لَهُ : هَيْكَلٌ ؛ تَشْبِيهَا لَهُ بِالْهَيْكَلِ : وَهُوَ الْبِنَاءُ الْمُزْتَفِعُ .

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ .

◇ فَإِذَا كَانَ رَقِيقَ شَعْرِ الْجِلْدِ قَصِيرَةً ، فَهُوَ : أَجْرَدٌ ، وَجَنَعُهُ مَجْرَدٌ .

◆ هَذَا مَا سَأَلْتُ عَنْهُ [بِقُرْبِ تَحَابِتِ] .

(١) سامي الطرف : كبير النفس ينظر بعزة واستعلاء .

(٢) حديد البصر : سليم العينين دقيق النظر . (٣) الكشح : ما بين الخاصرة و الضرع في جانب الإنسان .

◇ فَإِذَا كَانَ ثَمَّ السَّنُّ كَامِلَ الْقُوَّةِ ، فَهَؤُ : مُلَهُ كَمَى ، وَالْجَمْعُ مَذَالِكِ .

◆ وَهَذَا أَيْضًا جَوَابُ مَا سَأَلْتُ [بِهَضْبِ عِلَابِ].

◇ وَلَوْ رُحْتُ أَسْتَقْصِي لَكَ مَا قَالُوهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ ؛ لَطَالَ بِنَا الْمَقَالُ ...
وَإِنَّمَا قَطَفْنَا مِنَ الرُّوْضِ زَهْرَةً ، وَأَخَذْنَا مِنَ الْبَحْرِ قَطْرَةً .

* * *

◆ وَأَخِيرًا ... فَأَيْنَ طُرْفَةُ الْجَلْسَةِ ؟ طَالَ بِقَاؤُكَ .

◇ هَا هِيَ ذِي ، وَأَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ :

رَوَى ابْنُ حِجَّةَ الْحَمَوِيُّ فِي كِتَابِهِ « ثَمَرَاتُ الْأَوْرَاقِ » أَنَّهُ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَرْضٌ قَرِيبَةٌ مِنْ أَرْضِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ؛ فِيهَا عَبِيدٌ لَهُ مِنَ الزُّنُوجِ يُعَمَّرُونَهَا ... فَدَخَلُوا فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ؛ فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ :
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّهُ يَا مُعَاوِيَةُ إِنْ لَمْ تَمْنَعْ عَبِيدَكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي أَرْضِي ؛ كَانَ لِي
وَلَكَ شَأْنٌ^(١) .

فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْكِتَابِ ، دَفَعَهُ^(٢) إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ ... فَلَمَّا قَرَأَهُ ، قَالَ
مُعَاوِيَةُ لَهُ :
مَا تَرَى ؟

قَالَ : أَرَى أَنْ تُنْفِذَ إِلَيْهِ جَيْشًا ؛ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ عِنْدَكَ يَأْتُوكَ بِرَأْسِهِ .
فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، بَلْ عِنْدِي خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ .
ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ يَدَاوَاةٌ وَقِرْطَاسٌ ، وَكَتَبَ :

وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِكَ يَا ابْنَ حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ سَاءَ عَنِّي وَاللَّهِ
مَا سَاءَكَ ، وَالْدُّنْيَا هَيْئَةً عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاكَ ، وَقَدْ كَتَبْتُ لَكَ صَكًّا

(١) شَأْنٌ : أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ .

(٢) دَفَعَهُ إِلَى ابْنِهِ : نَآوَلَهُ لِابْنِهِ .

بِالْأَرْضِ وَالْعَبِيدِ، وَأَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ ... فَلْتُضِيفِ الْأَرْضَ إِلَى أَرْضِكَ،
وَالْعَبِيدَ إِلَى عِبِيدِكَ وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا وَقَفَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ، كَتَبَ إِلَيْهِ :
وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - فَلَا عَدِيمَ ^(١) الرَّأْيِ الَّذِي
أَحَلَّهُ مِنْ قُرَيْشٍ هَذَا الْمَحَلُّ، وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ ابْنِ الزُّبَيْرِ؛ رَمَاهُ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ، وَقَالَ لَهُ :
يَا بُنَيَّ، إِذَا رُمِيَ بِهَذَا الدَّاءِ؛ فَدَاوِهِ بِهَذَا الدَّوَاءِ.

◆ مَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ الَّتِي كَانَ يَتَحَلَّى بِهَا مُعَاوِيَةُ يَا أَبَتِ !! .

◇ إِنَّهَا الْأَخْلَاقُ الَّتِي خَلَقَ بِهَا الْقُرْآنُ أَتْبَاعَهُ، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ
كِتَابِهِ : ﴿ إِذْ دَفَعَ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ ﴾ ^(٢) وَقَدْ دَفَعَ مُعَاوِيَةُ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَأَعْتَرَفَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِخِلَافِهِ.

◆ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ.

◇ نَعَمْ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ.

* * *

(١) فلا عدم الرأي : دعاء له بأن يكون رأيه سديدًا دائمًا.

(٢) سورة فصلت الآية ٣٤.

الْجَلْسَةُ التَّاسِعَةُ

الْقِيمُ التَّعْبِيرِيَّةُ لِلْحُرُوفِ

- ◆ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا أَبَتِ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .
- ◆ مَا أَجْمَلَ رَدُّ تَحِيَّتِكَ يَا أَبَتِ ! .
- ◇ بَلْ مَا أَجْمَلَ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ ، أَلَمْ يَأْمُرْنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْ نَرُدَّ التَّحِيَّةَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا .
- ◆ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ .
- ◇ الْحَمْدُ لِلَّهِ ! ... الْحَمْدُ لِلَّهِ ! .
- ◆ أَبَتِ ، قُلْتُ فِي جَلْسَةٍ سَابِقَةٍ : إِنَّ عَبَقْرِيَّةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَتَجَلَّى أَوَّلَ مَا تَتَجَلَّى فِي حُرُوفِهَا .
- ◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بَنِي .
- ◆ وَقُلْتُ : إِنَّ عَبَقْرِيَّةَ الْحُرُوفِ عِنْدَنَا بَرَزَتْ فِي اسْتِخْدَامِ الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلْجِهَازِ الصَّوْتِيِّ أَوْفَى اسْتِخْدَامِ وَأَكْمَلُهُ .

- ◇ نَعَمْ وَقُلْتُ ذَلِكَ أَيْضًا .
- ◆ وَقُلْتُ شَيْئًا ثَالِثًا يَا أَبَتِ ، قُلْتَ : إِنَّ لِلْخُرُوفِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ دَلَالَةً عَلَى الْمَعَانِي .
- ◇ ذَلِكَ مَا هَدَى إِلَيْهِ الْبَحْثُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَا بُنَيَّ .
- ◆ وَوَعَدْتُ بِأَنْ تَجْلُوَ لِي ذَلِكَ أَوْفَى جَلَاءٍ .
- ◇ وَوَفَاءً بِالْوَعْدِ إِلَيْكَ الْبَيَانُ .
- ◆ وَرَغْبَةً فِي الْمَعْرِفَةِ إِلَيْكَ سَمْعِي كُلَّهُ ، فَكُلِّي آذَانُ .
- ◇ وَصَفَ الْبُحْثِيُّ ذُنْبًا جَائِعًا اقْتَعَدَ^(١) فِي مَكَانٍ مِنَ الصَّخْرَاءِ ، يَتَرَبَّصُ^(٢) بِفَرَسَةٍ يَسُدُّ بِهَا رَمَقَهُ^(٣) ، وَقَدْ أَخَذَتْهُ رِغْدَةٌ^(٤) الْجُوعِ وَحُمَةُ الْقَرَمِ^(٥) ، فَقَالَ :
- يُقَضِّضُ غَضَلًا فِي أَسْرَتِهَا الرَّدَى
- كَقَضَضَةِ الْمَقْرُورِ أَرْعَدَهُ الْبَرْدُ
- ◆ مِنْ فَضْلِكَ يَا أَبَتِ أَعِذْ عَلَيَّ الْبَيْتَ ، وَتَمَهَّلْ فِي إِنْشَادِهِ .
- ◇ يُقَضِّضُ غَضَلًا فِي أَسْرَتِهَا الرَّدَى
- كَقَضَضَةِ الْمَقْرُورِ أَرْعَدَهُ الْبَرْدُ
- ◆ رَائِعٌ يَا أَبَتِ ، رَائِعٌ حَقًّا ، فَأَنَا عَلَى الرَّغَمِ مِنْ أَنَّي لَمْ أَفْهَمْ مَعْنَى الْبَيْتِ فَهَمًّا دَقِيقًا

(١) اقْتَعَدَ : قَعَدَ .

(٢) يَتَرَبَّصُ : يَنْتَظِرُ .

(٣) الرَّمَقُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ .

(٤) رِغْدَةُ الْجُوعِ : شِدَّةُ الْجُوعِ وَرِعْشَتُهُ لِلْجِسْمِ .

(٥) الْقَرَمُ : الْجُوعُ الشَّدِيدُ .

مُفَضَّلًا ... إِلَّا أَنَّ الْمَوْسِيقَى الْمُنْبِغَةَ مِنْ تَكَرَّرِ بَعْضِ حُرُوفِهِ ؛ أَثَارَتْ فِي جَسَدِي
رِغْدَةً كَرِغْدَةِ الْجُوعِ الَّتِي كَانَتْ تَهْزُ جِسْمَ هَذَا الْحَيَوَانِ الْمُفْتَرِسِ الْجَائِعِ .

◇ طَيِّبٌ طَيِّبٌ هَذَاكَ اللَّهُ .

◆ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْمَوْسِيقَى أَعَانَتْ عَلَى رَسْمِ الصُّورَةِ الَّتِي أَرَادَ الشَّاعِرُ التَّغْيِيرَ عَنْهَا .

◇ مَرْحَى يَا بُنَيَّ مَرْحَى ، لَقَدْ بَدَأْتَ تَكْشِفُ السِّرَّ ، لَقَدْ أَخَذْتَ تَسْتَشِفُّ (١)
الْمَعَانِي مِنْ وَرَاءِ الْحُرُوفِ ، وَلَكِنْ قُلْ لِي مَا الْحُرُوفُ الَّتِي كَرَّرَهَا الشَّاعِرُ
فَأَوْحَتْ لَكَ بِمَا أَوْحَتْ ؟ .

◆ إِنَّهَا الْقَافُ الْمُتَحَرِّكَةُ الْمَثْلُوءَةُ بِالضَّادِ السَّاكِنَةِ فِي قَوْلِهِ :

يُقَضِّضُ (٢) عُضْلًا (٣) كَقَضِضَةِ الْمَقْرُورِ

◇ حَسَنٌ حَسَنٌ ، وَأَيْضًا ؟ .

◆ وَالرَّاءُ أَيْضًا يَا أَبَتِ ، مَا أَبْرَعَ هَذِهِ الرَّاءُ !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ حَشَدَ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِثْلًا مِنَ الرَّاءَاتِ ؛ فَدَلَّتْ
بِتَرَادُفِ جُزْئِهَا الْمَوْسِيقِيِّ عَلَى الْحَرَكَةِ ، وَالْجِدَّةِ ، وَالتَّائِبِ ، وَالِاسْتِمْرَارِ .
اسْتَمِعْ إِلَيْهَا وَتَأَمَّلْ دَلَالَتَهَا يَا بُنَيَّ .

يُقَضِّضُ عُضْلًا فِي أُسْرَتِهَا (٤) الرَّدَى

كَقَضِضَةِ الْمَقْرُورِ أَرْعَدَهُ الْجَزْدُ

◆ عَفْوَكَ يَا أَبَتِ ، هَذِهِ الدَّلَالَةُ الَّتِي بَدَتْ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، أَهِيَ مِنْ قَبِيلِ

(١) استشف الشيء: أبصره من خلال غيره .

(٢) يقضض: تضطرب أسنانه ويضرب بعضها بعضًا .

(٣) عضلاً : أنياباً معوجة صلبة .

(٤) في أسرتها : فيما يبدو منها .

الصُّدْقَةُ ، أَمْ إِنَّ لِهَذِهِ الرَّاءِ وَأَمْثَالِهَا دَلَالَاتٍ لَا تُحْطَى ؟ .

◇ مِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ لِلْحُرُوفِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ قِيَمًا تَغْيِيرِيَّةً بَيَانِيَّةً ...
وَذَلِكَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ عِبْقَرِيَّةِ هَذِهِ اللُّغَةِ ، وَقَدْ اهْتَدَى إِلَى هَذَا السِّرِّ الْقُدَمَاءُ ؛
كَمَا اهْتَدَى إِلَيْهِ الْمُحَدِّثُونَ .

◆ الْقُدَمَاءُ ١١ مِنْ أَمْثَالِ مَنْ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ يَقِفُ فِي ذُرْوَةِ هَؤُلَاءِ ابْنُ جَنِّي صَاحِبُ كِتَابِ « الْخَصَائِصِ » وَكِتَابِ « سِرِّ
صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ » وَبَجَرِي وَرَأَاهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ .

◆ أَفِي الذَّهْنِ نُبْذَةُ مِمَّا قَالَهُ الْقُدَمَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ ؟ .

◇ عَشْرَاتُ التَّبْدِ يَا بُنَيَّ ، فَالْسَّكَاكِي صَاحِبُ كِتَابِ « مِفْتَاحِ الْعُلُومِ » يَرَى
لِلْحُرُوفِ دَلَالََةً فِي ذَوَاتِهَا - عَلَى الْمَعْنَى - وَيَضْرِبُ لِذَلِكَ مَثَلًا بِحَرْفِي
« الْفَاءِ » وَ« الْقَافِ » .

◆ فَمَاذَا يَقُولُ ؟ .

◇ يَقُولُ : إِنَّ حَرْفَ « الْفَاءِ » مَثَلًا حَرْفٌ شَفَوِيٌّ رَقِيقٌ الْمَوْسِيقَى ، وَإِنَّ حَرْفَ
« الْقَافِ » حَرْفٌ حَلْقِيٌّ مُقْلَقٌ شَدِيدُ الْجَزْسِ .

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ .

◇ وَإِنَّ وَاضِعَ اللُّغَةِ أَدْرَكَ هَذَا السِّرَّ وَرَاعَاهُ ، فَوَضَعَ كَلِمَةَ الْقَضْمِ الْمَبْدُوءَ بِالْفَاءِ
الرَّقِيقَةَ ؛ لِيَتَدُلَّ عَلَى الْكَسْرِ الْخَفِيفِ الَّذِي لَا يَتَثَوَّنُ فِيهِ وَلَا انْفِصَالٌ ... بَيْنَمَا
وَضَعَ كَلِمَةَ الْقَضْمِ ؛ لِيَتَدُلَّ عَلَى الْكَسْرِ الشَّدِيدِ الَّذِي تَبَيَّنُ^(١) فِيهِ أَجْزَاءُ

(١) تَبَيَّنَ : تَنْفَصَلَ وَتَبَعَدَ .

الْمَكْشُورِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ .

◆ رَائِعَةٌ تِلْكَ اللُّغَةُ يَا أَبَتِ ، وَلَكِنْ مَنْ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ تَنْبُتُهُ إِلَى ذَلِكَ .

◇ كَثِيرٌ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ تَنْبُتُهُوا لِهَذَا السِّرِّ وَكَشَفُوا عَنْ مُحَبَّاتِهِ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَنْ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ أَحْمَدِ تَيْمُورِ^(١) فِي كِتَابِهِ « مِنْ أَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ » ، وَعَبَّاسِ مَحْمُودِ الْعَقَّادِ فِي كِتَابِهِ « اللُّغَةُ الشَّاعِرَةُ » ، وَالشَّيْخِ طَاهِرِ الْجَزَائِرِيِّ فِي كِتَابِهِ « الْكَافِي فِي اللُّغَةِ » ، وَعَبْدِ اللَّهِ الْعَلَايِلِي فِي مُقَدِّمَتِهِ لِدِرَاسَةِ لُغَةِ الْعَرَبِ ، وَالدُّكْتُورِ إِبْرَاهِيمِ أُنَيْسٍ فِي كِتَابِهِ « مِنْ أَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ » ، وَكِتَابِهِ « دَلَالَةُ الْأَلْفَاظِ » ، وَمُحَمَّدِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِهِ « فِقْهُ اللُّغَةِ وَخَصَائِصُ الْعَرَبِيَّةِ » وَغَيْرِهِمْ ، وَغَيْرِهِمْ مَعْنُ تَعْلَمُ وَمَعْنُ لَا تَعْلَمُ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ لَوْ كَانَ فِي الْوَقْتِ مُتَسَمِّعٌ لِحَدِيثِكَ بِمَا يَقُولُونَ .

◆ إِذَنْ إِلَى جُلُوسَةِ قَادِمَةٍ .

◇ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

◆ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

* * *

◆ أَبَتِ ، لَدَيْ سَوْأَلٍ فَهَلْ تَأْذَنُ ؟ .

(١) أحمد تيمور باشا: انظره في كتاب « الدوحة المباركة » للمؤلف .

◇ قُلْ ، وَأَوْجِزْ .

◆ أَبَتِ ، أَمْرٌ دَلَالَةٌ الْحُرُوفِ عَلَى الْمَعْنَى ، أَهْوَ قَاصِرٌ عَلَى لُغَتِنَا ، أَمْ هُوَ عَامٌّ يَشْمَلُ سَائِرَ اللُّغَاتِ ؟

◇ لَنْ أُجِيبَكَ عَلَى سُؤَالِكَ حَتَّى تَنْفِي عَنْهُ اللَّحْنَ .

◆ أَوْ فِيمَا قُلْتَهُ لَحْنٌ ۱۱؟

◇ لَحْنٌ وَآيٌ لَحْنٍ .

◆ وَأَيْنَ اللَّحْنُ يَا أَبَتِ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟

◇ أَنْتَ قُلْتَ عَنْ مَوْضُوعٍ دَلَالَةٌ الْحُرُوفِ عَلَى الْمَعْنَى : أَهْوَ قَاصِرٌ عَلَى لُغَتِنَا ، وَكَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَ كَلِمَةَ مَقْصُورٍ بَدَلًا مِنْ قَاصِرٍ .

◆ مَقْصُورٍ بَدَلًا مِنْ قَاصِرٍ ۱؟

◇ نَعَمْ مَقْصُورٍ بَدَلًا مِنْ قَاصِرٍ .

◆ أَهْنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مَقْصُورٍ ، وَقَاصِرٍ ؟

◇ فَرْقٌ كَبِيرٌ .

◆ وَمَا هُوَ دَامَ عِزُّكَ ؟

◇ الْقَاصِرُ اسْمٌ فَاعِلٍ مِنْ قَصَرَ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ بِمَعْنَى خَصَّهُ بِهِ فَهُوَ قَاصِرٌ .
أَمَّا الْمَقْصُورُ فَهُوَ الْمَخْصُوصُ ، تَقُولُ : هَذَا الْأَمْرُ مَقْصُورٌ عَلَى فُلَانٍ أَيْ
مَخْصُوصٌ بِهِ لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ .

◆ أَسْمَعْ لِي بِأَنْ أُضِيفَ ذَلِكَ إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مَذْكُرَاتِي ؟ .

◇ أُضِيفُهُ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَأَمْلَيْتَهُ عَلَيَّ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً .

اَكْتُبْ ... لَا يُقَالُ : هَذَا الْأَمْرُ قَاصِرٌ عَلَى فُلَانٍ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : هَذَا الْأَمْرُ مَقْصُورٌ عَلَى فُلَانٍ ؛ لِأَنَّ الْقَاصِرَ : هُوَ مَنْ يَقُومُ بِعَمَلِ الْقَصْرِ ، أَمَّا الْمَقْصُورُ : فَهُوَ الْمَخْصُوصُ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ يَا أَبَتِ .

◇ وَلَقَاكَ الْحِكْمَةَ يَا بُنَيَّ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ ، هَلْ نَسِيتَهَا ؟ .

◇ إِنْ نَسِيتُهَا أَنَا فَلَنْ تَنْسَاهَا أَنْتَ .

◆ وَمَنِ الشَّاعِرُ الَّذِي سَنَدُخُلُ رَوْضَهُ ؟ .

◇ أَبُو الشُّمَقْمَقِ .

◆ أَبُو الشُّمَقْمَقِ !! أَهَذَا اسْمُهُ ؟ .

◇ بَلْ هِيَ كُنْيَتُهُ .

◆ وَمَا اسْمُهُ ؟ .

◇ اسْمُهُ : مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ .

◆ وفي أي عصر وجد ؟

◇ في العصر العبّاسي الأول ؛ فقد تُوفي نحو ثمانين ومائة للهجرة .

◆ إذن هو من معاصري بشار بن بُريد .

◇ نعم يا بُني ، وقد اتّصل كلُّ منهما بصاحبه .

◆ وما وجه هذه الصّلة ؟

◇ كان بشار يدفع له جزية مقدارها مائتا درهم كلَّ عام .

◆ ولماذا ؟!!

◇ لتتقي بذلك هجاءه^(١) ، ويكف عنه لسانه .

◆ بشار !!! الشاعر السليط الذي كانت ترهب الدنيا لسانه ؛ يشترى سكوت أبي الشّعمق عنه بمائتي درهم في كلِّ عام !! .

◇ نعم يا بُني ، فقد كان في شعر أبي الشّعمق خفة وسهولة ؛ تُسران حفظه وإنشاده .

◆ وذلك ما كان يخشاه بشار .

◇ نعم ذلك ما كان يخشاه .

◆ أله ديوان مطبوع ؟

◇ ليس له ديوان يا بُني غير أن المشرق الألماني « غوستاف فون غرنباوم »

(١) الهجاء : السب وتعميد المعانيب بالشعر .

جَمَعَ شِعْرَهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي دَعَاهُ « شُعْرَاءُ عَبَّاسِيُونَ » .

◆ وَهَلْ نُشِرَ الْكِتَابُ ؟ .

◇ نَشَرَهُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ يُوسُفَ نَجْمٌ فِي بَيْرُوتَ عَامَ ١٩٥٩ م .

◆ وَمَا الَّذِي اصْطَفَيْتَهُ مِنْ شِعْرِهِ ؟ .

◇ صُورًا وَضَفِيفَةً رَائِعَةً ؛ يَصِفُ فِيهَا فَقْرَهُ وَشَوْءَ حَالِهِ .

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ يَصِفُ سُكْنَاهُ فِي الْعَرَاءِ :

خَرَجْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ وَالْقِيَابِ	فَلَمْ يَحْسَرْ عَلَى أَحَدٍ حِجَابِي
فَمَنْزِلِي الْفَضَاءُ وَسَقْفُ بَيْتِي	سَمَاءُ اللَّهِ أَوْ قِطْعُ السَّحَابِ
فَأَنْتَ إِذَا أَرَدْتَ دَخَلْتَ بَيْتِي	عَلَيَّ مُسَلِّمًا مِنْ غَيْرِ بَابِ
لَأَنْتِي لَمْ أَجِدْ مِصْرَاعَ ^(١) بَابِ	يَكُونُ مِنَ السَّحَابِ إِلَى الثَّرَابِ

◆ إِنَّهُ لَفِكَةٌ خَفِيفُ الظِّلِّ .

◇ إِنَّهُ كَذَلِكَ يَا بَنِيَّ .

◆ أَمَّا مِنْ صُورَةٍ أُخْرَى ؟ .

◇ أَكْثَرُ مِنْ صُورَةٍ ، فَاسْمَعْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَصِفُ خِصَاصَتَهُ^(٢) وَخُلُوَ بَيْتِهِ مِمَّا يُشْبِعُ
السُّنُورَ^(٣) ، فَيَقُولُ :

(١) مصراع الباب : أحد جزأيه ، ولكل باب مصراعان .

(٢) خصاصته : فقره الشديد .

(٣) السُّنُور : القطر .

وَأَقَامَ السُّنُورُ فِي الْبَيْتِ حَوْلًا

مَا يَرَى فِي جَوَائِبِ الْبَيْتِ قَارَةً

يَنْقُضُ الرَّأْسَ مِنْهُ ، مِنْ شِدَّةِ الْجُودِ^(٢)

عِ وَغَيْشٍ فِيهِ أَذَى وَمَرَارَةٌ

قُلْتُ لَمَّا رَأَيْتُهُ نَاكِسَ الرَّأْسِ^(٢)

سِ كَيْبَتًا فِي الْجَوْفِ مِنْهُ حَرَارَةٌ

قُلْتُ مِزْ رَاشِدًا إِلَى بَيْتِ خَانَ

مُخَصَّبَ رَحْلُهُ كَثِيرِ الثُّجَارَةِ

◆ أَبْقِي فِي الْوَقْتِ مُتَّسِعَ لُصُورَةٍ ثَالِثَةٍ ؟

◇ أَرَاكَ اسْتَمْرَأْتَ^(١) شِعْرَهُ .

◆ إِنَّهُ لَحُلُوٌّ طَلِيٌّ^(٢) .

◇ وَمَا دُمْتَ قَدْ اسْتَخْلَيْتَهُ وَاسْتَطَلَيْتَهُ ؛ فَاسْتَمِعْ إِلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فَهُمَا أَطْرَفُ
مِمَّا سَمِعْتَ آتِفًا .

◆ وَمَا مَوْضُوعُهُمَا ؟

◇ فَقَرُّهُ وَحَاجَتُهُ إِلَى دَابَّةٍ يَرْكَبُهَا ، فَهُوَ يَرَى جَمِيعَ النَّاسِ يَمْلِكُونَ رَوَاجِلَ
تَحْمِيلُهُمْ ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا قَدَمَيْهِ وَتَغْلِيهِ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهِمَا ؟

(١) استمرأ : استنلد .

(٢) طلي : جميل رائع .

◇ يَقُولُ :

أَتَرَانِي أَرَى مِنَ الذُّهْرِ يَوْمًا

لِي فِيهِ مَطِيَّةٌ^(١) غَيْرُ رَجُلِي

كُلَّمَا كُنْتُ فِي جَمِيعٍ^(٢) فَقَالُوا :

قَرَّبُوا لِلرَّحِيلِ^(٣)، قَرَّبْتُ نَعْلِي

◆ إِذَا عُرِفَ السَّبَبُ بَطُلَ الْعَجَبُ .

◇ أَيُّ سَبَبٍ وَأَيُّ عَجَبٍ ؟ .

◆ سَبَبُ خَوْفٍ بَشَارٍ مِنْ لِسَانِهِ ، فَهُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يُرْهَبَ وَيُخَافَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، أَمْنِهْنِي حَتَّى أَكْتُبَ هَذِهِ التُّنْفَ الطَّرِيفَةَ مِنْ شِعْرِ أَبِي الشَّمَقَمَتِي فِي طُرْسٍ لِأُحْفَظَهَا .

◇ وَهَلْ يُكْتُبُ فِي الطُّرْسِ ؟ .

◆ أَيْنَ يُكْتُبُ إِذَنْ ؟ !! .

◇ يُكْتُبُ فِي الْقِرْطَاسِ أَوْ الْوَرَقِ .

◆ أَهْنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الطُّرْسِ وَالْقِرْطَاسِ ؟ ! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ .

(١) مطية : ركوبة .

(٢) في جميع : أي في جماعة .

(٣) قربوا للرحيل : هبوا ركائبكم للرحيل .

◆ وَمَا الْفَرْقُ ؟ .

◇ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا هُوَ أَنَّ الطُّرْسَ خَاصٌّ بِالْوَرَقِ الْمَكْتُوبِ ، أَمَّا الْقِرْطَاسُ فَيُطْلَقُ عَلَى الصَّحِيفَةِ قَبْلَ أَنْ يُكْتَبَ فِيهَا .

◆ أَثْبِتْ هَذَا فِي بَابِ « لَا يُقَالُ كَذَا إِلَّا إِذَا كَانَ كَذَا » ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بَنِي أَثْبِتْهُ ، وَأَضِفْ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ بَابِهِ .

◆ وَمَا هُوَ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ أَضِفْ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا يُقَالُ لِلثُّوبِ : حُلَّةٌ إِلَّا إِذَا كَانَ ثَوْبَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ .
وَلَا يُقَالُ لِلْقَوْمِ : رُفْقَةٌ إِلَّا مَا دَامُوا مُنْضَمِّينَ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ أَوْ مَسِيرٍ وَاحِدٍ ،
فَإِذَا تَفَرَّقُوا ذَهَبَ مِنْهُمْ اسْمُ الرُّفْقَةِ ، وَلَمْ يَذْهَبْ عَنْهُ اسْمُ الرَّفِيقِ .

وَلَا يُقَالُ لِلذَّهَبِ : تَبَرَّ إِلَّا مَا دَامَ غَيْرَ مَصْرُوعٍ .

وَلَا يُقَالُ لِلشَّمْسِ : الْغَرَالَةُ إِلَّا عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ .

وَلَا يُقَالُ لِلْمَجْلِسِ : النَّادِي إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهِ أَهْلُهُ .

وَلَا يُقَالُ لِلْبَخِيلِ : شَحِيحٌ إِلَّا إِذَا كَانَ مَعَ بُخْلِهِ حَرِيصًا .

وَلَا يُقَالُ لِلنَّمَاءِ الْمَالِحِ : أَجَاجٌ إِلَّا إِذَا كَانَ مَعَ مُلُوحِيهِ مُرًا .

وَلَا يُقَالُ لِلْإِشْرَاعِ فِي السَّبْرِ : إِهْطَاحٌ إِلَّا إِذَا كَانَ مَعَهُ خَوْفٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ

تَعَالَى : ﴿ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ ^(١) .

وَلَا يُقَالُ لِلْإِشْرَاعِ : إِهْزَاحٌ إِلَّا إِذَا كَانَ مَعَهُ رِعْدَةٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ

قَوْمٍ لُوطٍ : ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ ^(٢) .

وَلَا يُقَالُ لِلْفَرَسِ : مُحَجَّجٌ إِلَّا إِذَا كَانَ الْبَيَاضُ فِي قَوَائِمِهِ الْأَرْبَعِ ، أَوْ فِي

ثَلَاثٍ مِنْهَا .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا أَبَتِ ، فَقَدْ كَفَيْتَ وَرَفَيْتَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، أَرْجُو أَلَّا يَضِيقَ الْوَقْتُ عَنْ طُرْفَةِ الْجَلْسَةِ ؛ فَأَنَا مَشُوقٌ إِلَى سَمَاعِهَا .

◇ لَيْتَكَ تَحْرِصُ عَلَى غَيْرِهَا كَمَا تَحْرِصُ عَلَيْهَا .

◆ أَبَتِ ، إِنَّ الثُّفُوسَ تَمَلُّ ، وَالْعُقُولَ تَكِلُ^(١) ، وَفِي هَذِهِ الطَّرَفِ فَايِدَةٌ وَمُتَعٌ .

◇ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ؛ فَاسْتَمِعْ إِلَى هَذِهِ الطَّرْفَةِ ...

جَاءَ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ أَنَّ ابْنَ كِلْدَةَ الثَّقَفِيِّ وَقَدْ عَلَى كِسْرَى ، فَقَالَ لَهُ :
مَنْ أَنْتَ ؟ .

قَالَ : الْحَارِثُ بْنُ كِلْدَةَ .

قَالَ : أَعَرَبِيٌّ أَنْتَ ؟ .

قَالَ : نَعَمْ ، وَمِنْ صَمِيمِهَا^(٢) .

قَالَ : فَمَا صِنَاعَتُكَ ؟ .

قَالَ : طَبِيبٌ .

قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ الْعَرَبُ بِالطَّبِيبِ مَعَ جَهْلِهَا ، وَضَعْفِ عُقُولِهَا ، وَقَلَّةِ قَبُولِهَا ،
وَسُوءِ غِذَائِهَا .

فَقَالَ : ذَلِكَ أَجْدَرُ أَتَيْهَا الْمَلِكُ إِذَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصُّفَةِ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى مَا يُضْلِحُ
جَهْلَهَا ، وَيُقِيمُ عَوَجَهَا ، وَيَسُوسُ أَبْدَانَهَا ...

وَإِنَّ الْعَرَبَ فِيهِمْ مَا فِي النَّاسِ مِنْ جَاهِلٍ وَعَالِمٍ ، وَعَاجِزٍ وَحَازِمٍ .

قَالَ الْمَلِكُ : فَمَا الَّذِي تَجِدُ فِي أَخْلَاقِهِمْ ، وَتَحْفَظُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ ؟ .

فَقَالَ الْحَارِثُ : لَهُمْ أَنْفُسٌ سَخِيَّةٌ ، وَقُلُوبٌ جَرِيَّةٌ^(٣) ، وَعُقُولٌ مَرَضِيَّةٌ ،

(١) الْكَلَّ : الضَّعْفُ .

(٢) صَمِيمُ الشَّيْءِ : هُوَ الْمَحْضُ الْخَالِصُ ، وَصَمِيمُ الْعَرَبِ أَصْلُهُمُ الَّذِي لَمْ يَخْتَلَطْ بِنَسَبٍ غَيْرِهِمْ .

(٣) جَرِيَّةٌ : تَخْلِفُ لَجَرِيَّةٍ .

وَأَحْسَبْتُ نَقِيَّةً، وَإِنَّ الْكَلَامَ لَيَمْرُوقٌ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ مُزُوقَ الشَّهْمِ مِنَ الْوَتْرِ،
وَيَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَهُوَ أَلَيْنُ مِنَ الْمَاءِ وَأَعَذَبُ مِنَ الْهَوَاءِ...
يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ، وَيَضْرِبُونَ الْهَمَامَ، وَعِزُّهُمْ لَا يُرَامُ^(١)، وَجَارُهُمْ لَا يُضَامُ...
وَلَا يَقْرُونَ بِفَضْلِ أَحَدٍ مِنَ الْأَقْوَامِ مَا خَلَا الْمَلِكُ الْهَمَامَ؛ الَّذِي لَا يُقَاسُ بِهِ
أَحَدٌ مِنَ الْأَنْامِ.

فَقَالَ كِسْرَى: إِلَهِي دُرُّكَ مِنْ عَرَبِي، لَقَدْ أَصَبْتَ عِلْمًا، وَمُلِئْتَ فِطْنَةً
وَفَهْمًا...

ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ يُوصَلَ، وَأَنْ تُقْضَى حَوَائِجُهُ.

* * *

(١) لا يرَام: لا يصل إليه.

الْجَلْسَةُ الْعَاشِرَةُ

الدَّلَالَاتُ الصَّوْتِيَّةُ لِلْحُرُوفِ

- ◆ أَيْتِ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَهُدَاهُ .
- ◆ أَيْتِ ، قُلْتُ فِي جَلْسَةٍ سَابِقَةٍ : إِنَّ لِلْحُرُوفِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ دَلَالَةً عَلَى الْمَعَانِي .
- ◇ نَعَمْ قُلْتُ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ فِيمَا مَضَى ، وَأَعُودُ فَأَوْكُذُهُ الْآنَ .
- ◆ وَقُلْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - إِنَّ الْقَدَمَاءَ مِنْ لُغَوِيِّنَا قَدْ اهْتَدَوْا إِلَى ذَلِكَ ، وَسُفِّتَ بَعْضُ الشُّوَاهِدِ عَلَى مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ .
- ◇ نَعَمْ ، وَقُلْتُ ذَلِكَ أَيْضًا ، وَاسْتَشْهَدْتُ لَهُ .
- ◆ وَلَكِنْ - يَا أَيْتِ - مَا مَوْقِفُ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ ؟ .
- ◇ لِلْمُحَدِّثِينَ يَا بُنَيَّ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ جَوَلَاتٌ رَائِعَةٌ ؛ كَشَفْتُ عَنْ سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِ عِبْقَرِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ كَشَفْنَا مُبِينًا .

◆ وَمَاذَا قَالُوا فِي ذَلِكَ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ لَا الْحَضَرِ ... يَقُولُ الْأُسْتَاذُ مُحَمَّدُ الْمُبَارَكُ عُضْوُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ فِي « دِمَشْقَ » : إِنَّ الْبَحْثَ هَذَاهُ إِلَى أَنَّ حُرُوفَ « الْعَيْنِ » مَثَلًا يَدُلُّ عَلَى الْإِسْتِثَارِ ، وَالْغَيْبَةِ ، وَالْخَفَاءِ .

◆ وَهَلْ يَسُوقُ شَاهِدًا عَلَى ذَلِكَ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، إِنَّهُ يُورِدُ طَائِفَةً كَبِيرَةً مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَبْدَأُ بِحَرْفِ « الْعَيْنِ » وَتَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْمَذْكُورِ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ : غَابَ ، وَغَارَ ، وَغَالَ^(١) ، وَغَامَ ، وَغَمَدَ ، وَغَمَرَ ، وَغَمَضَ ، وَغَمَطَ^(٢) ، وَغَرَبَ ، وَغَرَزَ ، وَغَرَسَ ، وَغَرِقَ ، وَغَرِمَ ، وَغَلَقَ ، وَغَلَفَ ، وَغَبَشَ^(٣) ، وَغَبَرَ ، وَغَبِيَ ، وَغَشَى ، وَغَطَى .

◆ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أُضِيفَ أَنَا إِلَى ذَلِكَ ... الْغَفْلَةُ ، وَالْغِرَّةُ^(٤) ؛ فَهُمَا تَدُلُّانِ عَلَى الْخَفَاءِ أَيْضًا .

◇ لَمْ يُخْطِئَكَ التَّوْفِيقُ فِيمَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ لَمْ تَغِيْبَا عَنْ ذَهْنِ الرَّجُلِ يَا بُنَيَّ . فَقَدْ سَاقَهُمَا فِي جُمْلَةٍ مَا سَاقَ مِنْ أَلْفَاظٍ .

◆ أَخَجَلْتَنِي يَا أَبَتِ ، فَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّي اسْتَذْرَكْتُ عَلَيْهِ شَيْعًا لَمْ يَفِطْنِ إِلَيْهِ .

◇ وَهَذَاهُ الْبَحْثُ أَيْضًا - يَا بُنَيَّ - إِلَى أَنَّ حُرُوفَ « الْقَافِ » يَمَّا فِيهِ مِنْ قَلَقَلَةٍ

(١) غَال : اهْتَدَى عَلَى الْمَالِ أَوْ عَلَى النَّفْسِ فَقَتَلَهَا .

(٢) غَمَطَ : أَنْكَرَ .

(٤) الْغِرَّةُ : الْغَفْلَةُ ، وَسَدَاجَةُ الطُّغْرُلَةِ .

(٣) الْغَبَشُ : هَرُ الْغَشِّ وَالْخُدَاعِ ، وَظُلْمَةُ آخِرِ اللَّيْلِ .

وَقُوَّةٌ يُفِيدُ مَعْنَى الْإِصْطِدَامِ ، وَالْإِنْصَالِ .

◆ وَهَلْ سَأَى عَلَى ذَلِكَ أَمْثَلَةٌ أَيْضًا ؟

◇ كَثِيرًا جِدًّا .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟

◇ مِنْ أَمْثَالِ : دَقٌّ ، وَشَقٌّ ، وَعَقٌّ ، وَفَلَقٌ ، وَمَزَقٌّ .

◆ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أُضِيفَ أَنَا إِلَى ذَلِكَ بَعْضَ الْكَلِمَاتِ هِيَ : زَعَقٌ ، وَصَعَقٌ ، وَخَفَقٌ ، وَطَرَقٌ .

◇ أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ أَحْسَنْتَ ، فَهَأَنْتَذَا بَدَأْتَ تَتَصَوَّرُ الْمَوْضُوعَ وَتَعْيِيهِ .

◆ وَهَلْ وَقَفَ عِنْدَ هَذَيْنِ الْحَرْفَيْنِ - يَا أَبَتِ - ؟

◇ بَلْ عَرَضَ لِكَثِيرٍ مِنْ حُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَكَشَفَ دَلَالَتَهَا الصُّوْنِيَّةَ .

◆ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا يَا أَبَتِ .

◇ نَعَمْ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا ، وَأَتَابَ أَشْلَافَنَا عَلَى مَا بَدَلُوا فِي سَبِيلِ هَذِهِ اللُّغَةِ الْكَرِيمَةِ جَمْعًا وَتَدْوِينًا ، وَبَحْثًا وَتَفْقِيدًا ، مِمَّا لَا نَظِيرَ لَهُ عِنْدَ الْأُمَمِ الْأُخْرَى يَا بُنَيَّ .

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ نَوَّهْتُ^(١) بِمُشَارَكَةِ الْأُسْتَاذِ الْعَقَّادِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟

◇ الْعَقَّادُ ، رَجِمَ اللَّهُ الْعَقَّادَ يَا بُنَيَّ ، وَأَجْزَلَ مَثُوبَتَهُ كِفَاءً مَا قَدَّمَهُ لِلُّغَةِ الضَّادِ مِنْ

(١) نومت : اشرت إلى الأمر .

خِدْمَاتٍ تُذَكِّرُ فَتُشْكِرُ ... نَعَمْ ، لَقَدْ تَنَاوَلَ الْعَقَّادُ هَذَا الْمَوْضُوعَ عَلَى وَجْهِ
يَتَّفِقُ مَعَ عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ وَعُغْمِقِهِ ، وَقَالَ فِيهِ مَا يُقْنِعُ وَمَا يُعْجِبُ .

◆ وَأَيْنَ أَثْبَتَ آرَاءَهُ هَذِهِ ؟ .

◇ فِي كِتَابَيْهِ اللَّذَيْنِ دَعَا أَحَدَهُمَا : بِاللُّغَةِ الشَّاعِرَةِ ، وَدَعَا ثَانِيَهُمَا : بِأَشْنَابِ
مُجْتَمِعَاتٍ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ .

◆ أَتَيْتَ ، أَهْنَاكَ فَائِدَةٌ يَجْتَنِيهَا الدَّارِسُونَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْمَبْحَثِ ، أَمْ إِنَّهُ تَرَفُّ
عَقْلِيٍّ مُمْتِنِعٍ وَكَفَى ؟ .

◇ لِهَذَا الْمَبْحَثِ فَوَائِدُ جَمَّةٌ يَا بُنَيَّ ، فَإِذْرَاكَ الْقِيَمَ الصَّوْتِيَّةَ الْبَيَانِيَّةَ لِلْحُرُوفِ ،
وَحُسْنَ الْإِفَادَةِ مِنْ هَذِهِ الْقِيَمِ فِي مَجَالَاتِ التَّعْبِيرِ ؛ نُرْوَةٌ بَيَانِيَّةٌ لَا تُقَدَّرُ .

◆ وَهَلْ أَفَادَ شُعْرَاؤُنَا مِنْ ذَلِكَ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ .

◆ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ أَجْزَلَ اللَّهُ ثَوَابَكَ .

◇ لَقَدْ اسْتَعَانَ كَثِيرٌ مِنْ شُعْرَائِنَا بِدَلَالَةِ الْحُرُوفِ عَلَى الْمَعَانِي ، وَاسْتَحْدَمُوا
ذَلِكَ فِي الشُّعْرِ بِعَامَّةٍ وَفِي الرُّوْيِ بِخَاصَّةٍ .

◆ حَسَنٌ حَسَنٌ .

◇ فَأَصْبَحَ لِلْكَلِمَةِ يَا بُنَيَّ دَلَالَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا لُغَوِيَّةٌ تُسْتَفَادُ مِنْ مَعْنَاهَا الرُّصْفِيُّ ،
وَأُخْرَى صَوْتِيَّةٌ تُسْتَفَادُ مِنْ جَزِيئِهَا ^(١) الْمَوْسِيقِي .

(١) المجزأ : هو نغمة الصوت .

◆ جَزَيْتَ الْخَيْرَ يَا أَبَتِ عَلَيَّ مَا أَوْضَحْتَ وَبَيَّنْتَ .

◇ وَنَفَعَكَ وَنَفَعَ اللَّهُ بِكَ يَا بُنَيَّ .

◆ آمِينَ .

◇ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، إِنَّ جَلَسَاتِنَا هَذِهِ تُشْعِرُنِي يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ بِحَقِّ هَذِهِ اللُّغَةِ عَلَيْنَا ، وَأَنَّ
الْوَاحِدَ مِنَّا لَوْ أَمَضَى عُمُرَهُ كُلَّهُ فِي خِدْمَتِهَا ؛ لَمَا ضَاعَ مِنْ عُمُرِهِ شَيْءٌ .

◇ يَمْضِي عُمُرُهُ كُلُّهُ فِي خِدْمَةِ اللُّغَةِ ۱۱۹ .

◆ نَعَمْ يَا أَبَتِ ، يَمْضِي عُمُرُهُ كُلُّهُ فِي خِدْمَتِهَا وَهُوَ قَلِيلٌ فِي حَقِّهَا .

◇ وَكَيْفَ يَمْضِي الْمَرْءُ عُمُرَهُ ؟ .

◆ أَبَتِ ، أَتُرَانِي وَقَعْتُ فِي الْفَخِّ ؟ .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا الَّذِي قُلْتُهُ حَتَّى وَقَعْتُ فِي الْكَيْمِ الَّذِي نَصَبْتَهُ لِي ؟ .

◇ أَنَا مَا نَصَبْتُ لَكَ شَيْعًا ، بَلْ يَدَاكَ أَوْكَا^(١) وَفُوكَ نَفَخَ .

◆ وَمَا الَّذِي تُنْكِرُهُ مِنَّا قُلْتُهُ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

(١) أوكاء: هو رباط القرية ، وأوكنا : يعني ربطنا القرية ... والعبارة « يداك أوكنا وفوك نفخ » : مثل للمهمل في عمله ، كاللدي لا يجيد رباط القرية بعد نفخها ثم يعبر النهر عليها فينك رباطها ، فيفرك ، يقال له : يداك أوكنا وفوك نفخ ، أي أنت الذي صنعت بنفسك هذا .

◇ أَنْكِرُ قَوْلَكَ : أَمْضَى الْحَرْءُ عُمرَهُ .

◆ وَمَا فِي ذَلِكَ ؟ أَلَيْسَ كَلِمَةُ أَمْضَى فَلَانْ عُمرَهُ تَغْنِي : قَضَى فَلَانْ عُمرَهُ .

◇ كَلَّا يَا بُنَيَّ كَلَّا ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَوَهَّمُونَ مَا تَوَهَّمْتَهُ فَيَقُولُونَ : أَمْضَى أَحْمَدُ يَضَعُ سَنَوَاتٍ فِي دِيَارِ الْعُرْبَةِ ، وَ أَمْضَى مُحَمَّدٌ الصَّيْفُ بِالطَّائِفِ ، وَهُمْ يُرِيدُونَ قَضَى .

◆ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ أَمْضَى وَ قَضَى ؟ طَالَ بَقَاؤُكَ .

◇ إِنَّ أَمْضَى الْمُتَعَدِّيَّةَ - يَا بُنَيَّ - تُفِيدُ مَعْنَى الْإِنْجَازِ وَالتَّنْفِيدِ ، فَتَقُولُ : أَمْضَى عَلِيٌّ الْبَيْعَ ، وَأَمْضَى هِشَامُ الْعَقْدَ بِمَعْنَى أَنْفَذَاهُ وَأَجَازَاهُ .

◆ وَمَضَى اللَّازِمَةُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ مَضَى اللَّازِمَةُ يُفِيدُ مَعْنَى الْإِنْقِضَاءِ ، فَتَقُولُ : مَضَى عَلِيٌّ وَجُودِي فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ شَهْرًا ؛ أَيِ انْقَضَى عَلَيَّ وَجُودِي فِيهَا شَهْرًا .

◆ أَبَتِ ، أَتَسْمَحُ لِي بِأَنْ أُضِيفَ ذَلِكَ إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مَذَكَّرَاتِي ؟ .

◇ أَضِيفُهُ عَلَيَّ بَرَكَةَ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

◆ هَلَا تَفْضُلْتَ فَأَمَّا يَنْتَهُ عَلَيَّ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً .

اكتُبْ : لَا يُقَالُ : أَمْضَى فَلَانْ شَهْرًا فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : قَضَى فَلَانْ شَهْرًا فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ ... لِأَنَّ أَمْضَى الْمُتَعَدِّيَّةَ تُفِيدُ الْإِنْجَازَ وَالتَّنْفِيدَ ؛

حَيْثُ تَقُولُ : أَمْضَى فَلَانَ الْبَيْعِ أَيْ أَنْفَذَهُ ، وَأَنْجَزَهُ ، وَأَجَازَهُ .
أَمَّا مَضَى اللَّارِمَةُ فَتُفِيدُ مَعْنَى الْإِنْقِضَاءِ ، فَتَقُولُ : مَضَى عَلَى رُجُودِي فِي
الْمَصِيفِ شَهْرٌ بِمَعْنَى انْقَضَى شَهْرٌ عَلَى رُجُودِي فِي الْمَصِيفِ .

◆ مَتَّعَكَ اللَّهُ يَا أَبَتِ بِالصُّحَّةِ ، وَمَدَّ فِي عُمرِكَ .

◇ وَوَفَّقَكَ لِلْخَيْرِ وَالْبِرِّ يَا بُنَيَّ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ ، أَتَيْنَ رَوْضَةَ الشُّعْرِ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟

◇ هِيَ مِنْكَ قَرِيبٌ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي جَنَيْتَ مِنْ رَوْضِهِ ؟

◇ ابْنُ الرُّومِيِّ .

◆ الشَّاعِرُ الْهَجَّاءُ الشَّاخِرُ ؟

◇ إِنَّهُ هُوَ .

◆ يَقُولُونَ يَا أَبَتِ إِنَّهُ عَاشَ بِالْهَجَاءِ ؛ فَكَانَ يَتَكَسَّبُ بِهِ .

◇ وَقَدْ مَاتَ بِالْهَجَاءِ أَيْضًا .

◆ وَكَيْفَ ؟

◇ لَقَدْ هَجَا الْقَاسِمَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَزِيرَ الْمُعْتَصِمِ هَجَاءً لَاذِعًا مُرًّا .

◆ فَمَاذَا كَانَ أَمْرُهُ ؟

◇ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ دَسَّ إِلَيْهِ أَحَدَ غِلْمَانِهِ ؛ فَأَطَعَمَهُ قِطْعَةً مِنَ الْحَلْوَى مَسْمُومَةً
وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ ... فَلَمَّا أَحَسَّ بِالسُّمِّ نَهَضَ ، فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ :
إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ؟ .

فَقَالَ : إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي بَعَثْتَنِي إِلَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ : إِذَنْ سَلِّمْ عَلَى وَالِدَيْ .
فَقَالَ : مَا طَرِيقِي عَلَى النَّارِ .

◆ لِلَّهِ أَبُوهُ ! أَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ يَفِطِنُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْجَوَابِ .

◇ أَصْحَابُ الْبَدِيهَةِ - يَا بُنَيَّ - لَا تُفَارِقُهُمْ بِيَدَيْهِتُهُمْ أَبَدًا .

◆ وَمَا الزَّهْرَةُ الَّتِي جَنَيْتَهَا مِنْ رَوْضِهِ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ قِطْعَةٌ ...

◆ فِي الْهَجَاءِ طَبْعًا .

◇ لَيْسَتْ فِي الْهَجَاءِ قِطْعًا .

◆ وَلَكِنْ فِي مَاذَا ؟ !

◇ فِي التَّعْبِيدِ وَالزُّهْدِ .

◆ فِي التَّعْبِيدِ وَالزُّهْدِ !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَعُنْوَانُ الْقِطْعَةِ « عَابِدٌ فِي لَيْلٍ » .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟ ...

◆ يَقُولُ :

بَاتَ يَدْعُو الْوَاحِدَ الصَّمَدَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ مُغْتَمِدَا
نَادِمٌ لَمْ تُبْقِ حَسْرَتُهُ مِنْهُ لَا رَوْحًا وَلَا جَسَدَا
قَدْ جَفَّتْ عَيْنَاهُ غُمْضَهُمَا وَالْخَلِيُّ الْقَلْبِ مَا رَقَدَا
فِي حَشَاهُ مِنْ مَخَافَتِهِ حُرُوقَاتٍ تَلْدَعُ الْكِيدَا
كُلَّمَا مَرَّ الْوَعِيدُ بِهِ سَحَّ دَمْعُ الْعَيْنِ فَاطْرَدَا^(١)
لَوْ تَرَاهُ وَهُوَ مُنْتَصِبٌ مُشْعِرٌ^(٢) أَجْفَانَهُ الشُّهُدَا
وَوَهَتْ أَرْكَانُهُ جَزَعَا وَازْتَقَتْ أَنْفَاسُهُ صُغَدَا
قَائِلٌ يَا مُنْتَهَى أَمَلِي نَجِّنِي مِمَّا أَخَافُ غَدَا
أَنَا عَبْدٌ غَرَّنِي^(٣) أَمَلِي وَكَأَنَّ الْمَوْتَ قَدْ وَرَدَا
وَحَطِئَتَايَ الَّتِي سَلَفَتْ لَسْتُ أَحْصِي بَعْضَهَا عَدَدَا
فَلِي الْوَيْلُ الطَّوِيلُ غَدَا لَيْتَ عُمْرِي قَبْلَهَا نَفَدَا
وَيْحَ عَيْنِي سَاءَ مَا نَظَرْتُ وَيْحَ قَلْبِي سَاءَ مَا اعْتَقَدَا
لَيْتَ عَيْنِي قَبْلَ نَظَرَتِهَا كَحَلَّتْ أَجْفَانُهَا رَمَدَا

* * *

◆ أَبَيْتَ ، قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي وَصْفِ الْعَابِدِ :

كُلَّمَا مَرَّ الْوَعِيدُ بِهِ سَحَّ دَمْعُ الْعَيْنِ فَاطْرَدَا
فَمَا مَعْنَى سَحَّ دَمْعُ الْعَيْنِ ؟ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟

(١) فاطردا : جاء الدمع دفعة بعد دفعة يطرد بعضه بعضًا .

(٢) مُشْعِر أَجْفَانِهِ : يجعل أَجْفَانَهُ تشعر بالسهاد .

(٣) غَرَّنِي أَمَلِي : خدعني الأمل والثقة بطول العمر .

◇ السُّحُ يَا بُنَيَّ : سُرْعَةُ الْمَطَرِ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ مَجَازًا فِي الْبُكَاءِ .

◆ يَتَدَوُّ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ اسْتَعْمَلُوا فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْبُكَاءِ أَكْثَرَ مِنْ لَفْظَةٍ .

◇ بَلْ إِنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ مَا اسْتَعْمَلُوهُ مِنْ أَلْفَافٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْبُكَاءِ ؛ لَأَلْفَتْ رِسَالَةً صَغِيرَةً .

◆ أَيْتَسِعُ الْمَجَالُ لِإِيزَادِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَافِ ؟ .

◇ إِلَيْكَ طَائِفَةٌ مِنْهَا ، وَمَتَى ضِغْتُ دَرْعًا بِهَا أَعْلِمْنِي حَتَّى أَكْفُ عَنِ الْمُتَابَعَةِ .

◆ إِلَى هَذَا الْمَدَى !! .

◇ نَعَمْ إِلَى هَذَا الْمَدَى ، وَإِلَى أَبْعَدَ مِنْ هَذَا الْمَدَى .

◆ فَمَاذَا قَالُوا فِي ذَلِكَ ؟ .

◇ قَالُوا : بَكَى الرَّجُلُ ، وَاسْتَعْبَرَ ، وَاسْتَدْمَعَ ، وَأَسْبَلَ^(١) عَبْرَتَهُ ، وَآذَرَى^(٢) دُمُوعَهُ ، وَأَرْسَلَ عَيْنَيْهِ .

وَقَالُوا أَيْضًا : دَمَعَتْ عَيْنَا الرَّجُلِ ، وَفَرَقَتْ آمَاقُهُ^(٣) ، وَسَحَّتْ جُفُونُهُ ، وَفَاضَتْ شُرُونُهُ^(٤) ، وَسَالَتْ غُرُوبُهُ^(٥) ، وَأَسِيلَتْ عَبْرَتَهُ .

وَقَالُوا أَيْضًا : وَكَفَتِ الدُّمُوعُ ، وَتَقَاطَرَتْ ، وَتَسَاقَطَتْ ، وَتَحَدَّرَتْ ، وَتَصَبَّبَتْ ، وَسَفَحَتْ ، وَانْسَكَبَتْ ، وَانْسَجَمَتْ ، وَهَطَلَتْ ، وَهَمَلَتْ ، وَهَمَعَتْ ، وَهَمَلَتْ ...

(١) أسبل : أسال دمه .

(٢) أذرى : ذرت العين دمعها ، أسالته .

(٣) الآماق : واحدها ماق وهو طرف العين مما يلي الأنف ، وهو مجرى الدموع .

(٤) شرون العين : مجاريها الدمعية .

(٥) الغروب : مجاري الدمع .

◆ مَا هَذَا يَا أَبَتِ ، مَا هَذَا ۱۱ .

◇ وَقَالُوا أَيْضًا : اَلْهَمَرَّتِ الدُّمُوعُ ، وَاسْتَهَلَّتِ الْعَبْرَاتُ .
وَقَالُوا أَيْضًا : هَذَا خَطْبٌ يَسْتَرْكِفُ ^(١) الدَّمْعَ ، وَ يَسْتَنْدِرِفُ الْجُفُونَ ،
وَ يَسْتَلِيرُ الشُّوْنَ ، وَ يَسْتَمْطِرُ شَايِبَ ^(٢) الْعُيُونِ .
وَقَالُوا أَيْضًا : فَلَانٌ ذُو عَيْنٍ عَبْرَى ، وَمَقْلَةٌ شَكْرَى ، وَ دَمْعَةٌ تَشْرَى .
حَسْبُكَ أُمُّ أَرْيَدُكَ .

◆ بَلْ زِدْنِي يَا أَبَتِ ، زِدْنِي .

◇ وَيَقُولُونَ : لَقَدْ لَجَّ فَلَانٌ فِي الْإِسْتِعْبَارِ ، وَاسْتَرْسَلَ فِي الْبُكَاءِ ، وَاسْتَسَلَّمَ
لِلْعَبْرَةِ ، وَيَقُولُونَ أَيْضًا : بَكَى فَلَانٌ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ ، وَ بَلَّ نَحْرَهُ ...
وَيَقُولُونَ : بَكَى فَلَانٌ حَتَّى خَفَّتْهُ الْعَبْرَةُ ، وَ شَرِقَ بِمَاءِ دَمْعِهِ ، وَ شَرِقَتْ
عَيْنُهُ بِمَائِهَا .
وَيَقُولُونَ : تَشَجَّ الْبَاكِي : إِذَا غَصَّ بِالْبُكَاءِ فَرَدَّدَ صَوْتُهُ فِي صَدْرِهِ وَلَمْ يُخْرِجْهُ ،
وَ أَجْهَشَ الرَّجُلُ : إِذَا تَهَيَّأَ لِلْبُكَاءِ ، وَ تَرَفَّرَقَ الدَّمْعُ فِي عَيْنِ الرَّجُلِ : إِذَا دَارَ
فِي جَمَلِاقِهَا ، وَ اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ بِالدَّمْعِ : إِذَا امْتَلَأَتْ وَ لَمْ تَفِيضًا .
وَيَقُولُونَ : غَاضَ دَمْعُ الرَّجُلِ : إِذَا اخْتَبَسَ وَ وَقَفَ ...
وَيَقُولُونَ : كَفَكَفَ الرَّجُلُ دَمْعَهُ وَ تَهَنَّهُهُ : إِذَا مَسَحَهُ وَ كَفَّهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .
وَيَقُولُونَ ...

◆ حَسْبِي يَا أَبَتِ ، حَسْبِي ، إِلَهَ هَذِهِ اللُّغَةُ مَا أَعَمَّقَ بَحْرَهَا ! .

◇ وَمَا أَكْثَرَ دَرْهَا أَيْضًا ! . وَلَكِنْ أَهْلَهَا عَنْهَا غَافِلُونَ .

* * *

(١) يستركف الدمع : استقطره واستدعى جريانه .

(٢) الشايب : دفعات المطر ، وهي هنا دفعات الدموع .

◆ أبت ، أزوجو ألا تنسى طرفة اليوم .

◇ أنساها ۱۱ كيف أنساها وأنت وراءها .

◆ إذن هاتيها ، وأجزل الله ثوابك .

◇ إليك ما طلبت .

يَسْمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ رَاكِبٌ ؛ إِذْ تَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ ؛ فَأَمْسَكَ
بِعَيْنَيْ فَرَسِهِ ، وَقَالَ :

سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ تَضْرِبَ عُنُقِي .

فَبَيَّهَتْ عَبْدُ اللَّهِ ، وَقَالَ : أَمَعْتُوهُ أَنْتَ ؟ !

قَالَ : لَا وَرَأْسِ الْأَمِيرِ .

قَالَ : فَمَا الْخَيْرُ ؟ .

قَالَ : لِي خَصْمٌ أَلَدُّ قَدْ لَزِمَنِي وَالْحُجَّ ؛ وَضَيَّقَ عَلَيَّ ، وَلَيْسَ لِي بِهِ طَاقَةٌ .

قَالَ : وَمَنْ خَصْمُكَ ؟ .

قَالَ : الْفَقْرُ .

فَالْتَفَتَ عَبْدُ اللَّهِ لِفَتَاهُ ، وَقَالَ : إِدْفَعْ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ خُذْهَا وَنَحْنُ سَائِرُونَ .

وَلَكِنْ إِذَا عَادَ إِلَيْكَ خَصْمُكَ مُتَغَشِّمًا^(١) ؛ فَأَيْنَا مُتَظَلِّمًا .

فَأَيْنَا مُنْصِفُوكَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : إِنَّ مَعِيَ مِنْ مَجُودِكَ مَا أُذِحُّ بِهِ حُجَّةَ خَصْمِي بَقِيَّةَ عُمْرِي .

ثُمَّ أَخَذَ الْمَالَ وَانْصَرَفَ .

* * *

(١) متغشما : مجترقا ظالما .

الجلسة الحادية عشرة

أَوَّلُ كِتَابٍ عَرَبِيٍّ بِالْحَرْفِ اللَّاتِينِيِّ

◆ أَيْتِ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاؤه .

◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .

◆ قَرَأْتُ أَمْسٍ - يَا أَيْتِ - تَقْرِيطًا لِكِتَابٍ أَصْدَرْتَهُ مَكْتَبَةُ أَنْطُوَانِ فِي « بِيْرُوت » .
قَالَ مُقَرِّطُهُ عَنْهُ : إِنَّهُ أَوَّلُ كِتَابٍ عَرَبِيٍّ كُتِبَ بِالْحَرْفِ اللَّاتِينِيِّ .

◇ أَوْ لَمْ تَحْفَظِ اسْمَ الْكِتَابِ ؟

◆ لَمْ يَغْلِقِ اسْمُهُ فِي ذِهْنِي يَا أَيْتِ ، فَقَدْ كَانَ غَرِيبًا .

◇ لَا بَأْسَ ، اسْمُ الْكِتَابِ « يَارَا » وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْكَ ، قَابِعٌ فِي الْمَكْتَبَةِ الَّتِي عَلَى
يَسَارِكَ ؛ فَهَاتِيه .

◆ الْكِتَابُ عِنْدَنَا يَا أَيْتِ !! وَفِي الْمَكْتَبَةِ الَّتِي عَلَى يَسَارِي ! لَقَدْ تَمَنَيْتُ أَنْ أَظْفَرَ
بِهِ فِي نَجْوَةٍ (١) مِنْكَ ؛ فَرَجَدْتُ عَنْكَ .

◇ فِي نَجْوَةٍ مِنِّي ! وَلِمَاذَا ؟

(١) في الجملة منك : بعيدًا عنك .

◆ لِأَنِّي ...

◇ لِأَنَّكَ مَاذَا؟ .

◆ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذِهِ الْكُتُبَ ، وَتَعُدُّهَا هَذَا لِثَرَاتِنَا ، وَحَزَبًا تُشْنُ عَلَى
وُجُودِنَا .

◇ إِنَّ كُرْهِي لِهَذِهِ الْكُتُبِ ، وَإِذْرَاكِي لِلْخَطَرِ الَّذِي يَكُمُنْ وَرَاءَهَا لَا يَمْنَعُنِي مِنْ
شِرَائِهَا ، وَإِنَّمَا يَدْفَعُنِي إِلَى اقْتِنَائِهَا .

◆ أَفَهُمْ مِنْ هَذَا أَنَّكَ لَا تُمَانِعُ فِي قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ؟ .

◇ أُمَانِعُ فِي قِرَاعَتِهِ !! وَأَنَا مَا اشْتَرَيْتُهُ إِلَّا لِأَقْرَأَهُ أَنَا ، وَلِيَقْرَأَهُ أَمْثَالُكَ .

◆ هَانَذَا قَدْ أَحْضَرْتُ الْكِتَابَ ، فَهَلْ أَقْرَأُ ؟ .

◇ إقْرَأْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ .

[يَتَأَمَّلُ الْكِتَابَ وَتُتِمِّمُ بَعْضَ الْمَقَاطِعِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفْصَحَ عَنْ شَيْءٍ] .

◇ مَا بِكَ ؟ مَا لَكَ تُتِمِّمُ ثُمَّ لَا تُفْصِحُ وَلَا تُبَيِّنُ !! ... إقْرَأْ .

◆ لَا أَسْتَطِيعُ الْقِرَاءَةَ يَا أَبَتِ ؛ فَأَنَا لَا أَفْهَمُ شَيْئًا مِمَّا هُوَ مَسْطُورٌ أَمَامِي ، أَتَفْضَلُ
بِقِرَاءَةِ شَيْءٍ مِنَ الْكِتَابِ أَمْ إِنَّكَ ...

◇ نَعَمْ إِنِّي لَسْتُ بِأَحْسَنَ مِنْكَ حَالًا فِي قِرَاءَةِ هَذَا الْكِتَابِ .

◆ أَكُنْتُ تَعْلَمُ هَذَا يَا أَبَتِ قَبْلَ شِرَاءِ الْكِتَابِ ؟ أَمْ إِنَّكَ فُوجِئْتَ بِهِ بَعْدَ أَنْ اشْتَرَيْتَهُ ؟ .

◇ بَلْ عَرَفْتُ هَذَا قَبْلَ أَنْ أُشْتَرِيَ الْكِتَابَ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ حَافِزًا عَلَيَّ
شِرَائِهِ .

◆ حَافِظًا عَلَى سِرَائِهِ ١١ .

◇ نَعَمْ ، لَقَدْ اسْتَرَيْتُهُ لِأَنَّهُ لَا يُقْرَأُ ... وَاحْتَفَظْتُ بِهِ وَثِيقَةً لِلتَّارِيخِ ، وَشَاهِدًا عَلَى بَطْلَانِ الدَّعْوَةِ إِلَى اضْطِنَاعِ الْحَرْفِ اللَّاتِينِيِّ وَإِحْلَالِهِ مَحَلَّ الْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ .

◆ وَلَكِنْ مَا السِّرُّ فِي عَجْزِنَا عَنْ قِرَاءَتِهِ ؟! وَنَحْنُ نَعْرِفُ الْأَبْجَدِيَّةَ اللَّاتِينِيَّةَ الَّتِي كُتِبَ بِهَا الْكِتَابُ ؛ كَمَا نَعْرِفُ الْأَبْجَدِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ .

◇ السِّرُّ ... لَوْ أَنَّكَ اسْتَحْضَرْتَ مَا قُلْنَاهُ فِي جُلُوسَاتِنَا السَّابِقَةِ ؛ لَمَا أَعْيَاكَ كَشْفُ السِّرِّ .

◆ عَفْوَكَ يَا أَبَتِ ، عَرَفْتُ ، عَرَفْتُ السِّرَّ ، إِنَّهُ يَكْمُنُ فِي وَفَاءِ الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَغِنَاهَا ، وَقُصُورِ الْأَبْجَدِيَّةِ اللَّاتِينِيَّةِ وَفَقْرِهَا .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَفِي الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ تِسْعَةُ حُرُوفٍ لَيْسَ لَهَا مَا يُقَابِلُهَا فِي الْأَبْجَدِيَّةِ اللَّاتِينِيَّةِ ، أَتَذْكُرُهَا .

◆ نَعَمْ يَا أَبَتِ ، إِنَّهَا : الْهَمْزُ ، وَالْحَاءُ ، وَالْخَاءُ ، وَالصَّادُ ، وَالضَّادُ ، وَالطَّاءُ ، وَالظَّاءُ ، وَالْعَيْنُ ، وَالغَيْنُ .

◇ بُورِكَ فَيْكَ بُورِكَ فَيْكَ ، هَذِهِ تِسْعَةُ حُرُوفٍ فِي الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ لَا نَظِيرَ لَهَا فِي الْأَبْجَدِيَّةِ اللَّاتِينِيَّةِ .

◆ وَمَا الَّذِي فَعَلَهُ صَاحِبُ كِتَابِ « يَارَا » لِاسْتِكْمَالِ هَذَا النِّقْصِ ، قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ الْعَرَبِيَّةَ بِالْأَبْجَدِيَّةِ اللَّاتِينِيَّةِ .

◇ رَكِبَ لِلْأَمْرِ مَرْكَبًا خَشِيتَا يَا بُنَيَّ ؛ فَاسْتَعْمَلَ الْأَحْرَفَ اللَّاتِينِيَّةَ السُّتَّةَ وَالْعِشْرِينَ ، وَاسْتَعْمَلَ مَعَهَا سَبْعَةَ حُرُوفٍ جَدِيدَةٍ اخْتَرَعَهَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ،

وَاسْتَعْمَلَ فَوْقَ ذَلِكَ أَحَدَ عَشَرَ حَرْفًا لَا تَبِينِيًّا ؛ بَعْدَ أَنْ زَادَ عَلَيْهَا طَائِفَةً مِنَ
الْإِشَارَاتِ الْخَاصَّةِ لِتُؤَدِّيَ بَعْضُ الْأَصْوَاتِ .

◆ أَعُوذُ بِاللَّهِ ! لَقَدْ أَصْبَحَ عَدَدُ حُرُوفِ هَذِهِ الْأَبْجَدِيَّةِ الْجَدِيدَةِ أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ
حَرْفًا .

◇ نَعَمْ ، أَصْبَحَ عَدَدُ حُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ الْمُخْتَرَعَةِ أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ حَرْفًا .

◆ الْآنَ أَذْرِكُكَ السِّرَّ فِي عَجْزِي عَنْ قِرَاءَةِ سَطْرِ وَاحِدٍ مِنْ « يَارَا » .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ اِحْتِاجَ صَاحِبُ كِتَابِ « يَارَا » إِلَى أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ حَرْفًا ؛
لِتَنُوبَ مَنَابِ الْحُرُوفِ الْقَرِيبَةِ الثَّمَانِيَّةِ وَالْعِشْرِينَ ، وَلِتُؤَدِّيَ مَا تُؤَدِّيهِ .

◆ أَيْغْنِي هَذَا أَنْ عَلَيَّ أَنْ أَتَقِنَ أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ حَرْفًا لِأَتِمَّكَنَ مِنْ قِرَاءَةِ « يَارَا » ؟

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَعْتَقِدَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا تَفْسِيرٌ ! بَلْ غَايَةُ التَّفْسِيرِ ، وَأَنْ
عَلَى الْعَرَبِ أَنْ يَأْخُذُوا بِهِ إِذَا كَانُوا يُرِيدُونَ مَحْوَ الْأُمِّيَّةِ ، وَتَعْلِيمَ الْبُذُرِ وَالْخَضَرِ .

◆ أَبَتِ ، هَذَا كَلَامٌ لَهُ خَبِيءٌ^(١) ، مَعْنَاهُ لَيْسَتْ لَنَا عُقُولٌ .

◇ بَلْ هَذَا كَلَامٌ لَهُ خَبِيءٌ ، مَعْنَاهُ لَيْسَتْ لَهُمْ عُقُولٌ ، أَوْ لَهُمْ عُقُولٌ وَلَكِنَّهَا
تُخْفِي غَيْرَ مَا تُظْهِرُ ، وَتُسِرُّ غَيْرَ مَا تُغْلِي .

* * *

◆ أَبَتِ ، دَامَ سُرُورُكَ - إِنِّي لَفِي شَوْقٍ لِلتَّنَزُّهِ فِي رَوْضَةِ الشُّعْرِ أَفَمَا أَنْ الْأَوَانُ ؟

◇ قَبْلَ أَنْ تَتَنَزَّهَ فِي رَوْضَةِ الشُّعْرِ - عَلَى حَدِّ تَغْيِيرِكَ - عَلَيْكَ أَنْ تُنَزَّهَ لِسَانَكَ عَنِ
الْخَطَا .

(١) له خبيء: أي له معنى خفي مخبأ في نفس فاعله .

◆ وَهَلْ جَرَى عَلَى لِسَانِي خَطَأٌ حَتَّى أَنْزَهُ مِنْهُ ١١٩ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَقَدْ وَضَعْتَ كَلِمَةَ التَّنْزُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، وَاسْتَعْمَلْتَهَا فِي غَيْرِ مَعْنَاهَا .

◆ أَلَيْسَ مَعْنَى التَّنْزُهُ هُوَ الْخُرُوجُ إِلَى الْبَسَاتِينِ ، وَالتَّمَتُّعُ بِمَا فِيهَا مِنْ مَاءٍ وَخَضِرَةٍ ؟

◇ بَلِ التَّنْزُهُ هُوَ التَّبَاعُدُ عَنِ الْمِيَاهِ وَالْأَرْيَافِ ، وَعَلَيْهِ فَقَدْ قِيلَ : فُلَانٌ يَتَنَزَّهُ عَنِ الْأَفْذَارِ أَيْ يَتَبَاعَدُ مِنْهَا .

وَقِيلَ أَيْضًا : إِنَّ فُلَانًا لَتَنَزَّهُ كَرِيمٌ ؛ إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنَ اللَّؤْمِ .
وَيُقَالُ أَيْضًا : « تَنَزَّهُوا بِحَزْمِكُمْ عَنِ الْقَوْمِ » أَيْ تَبَاعَدُوا بِهِمْ عَنِ الْقَوْمِ .
وَيُقَالُ : هَذَا مَكَانٌ نَزِيهٌ أَيْ إِنَّهُ خَالٍ لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ .

◆ أَبَتِ ، وَهَلْ قَطِنَ الْقَدَمَاءُ لِيُثَلِّ هَذَا الْخَطَأُ ؟

◇ فَطِثُوا إِلَيْهِ وَنَبَّهُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : وَمِمَّا تَضَعُهُ الْعَامَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ قَوْلُهُمْ : خَرَجْنَا نَتَنَزَّهُ إِذَا خَرَجْنَا إِلَى الْبَسَاتِينِ ، وَإِنَّمَا التَّنْزُهُ : التَّبَاعُدُ عَنِ الْمِيَاهِ وَالْأَرْيَافِ ، وَقَالَ : الْفَيُّوزِبَادِيُّ ...

◆ صَاحِبُ الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ ؟

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، قَالَ : التَّنْزُهُ التَّبَاعُدُ ، وَمَكَانٌ نَزِيهٌ وَنَزِيهٌ ، وَأَمَكْنَةُ نَزْهَةٍ وَنَزِيهَةٍ بَعِيدَةٌ عَنِ الرَّيْفِ وَغَمَقِ الْمِيَاهِ^(١) ، وَنَزْهُ الرَّجُلُ نَزَاهَةً تَبَاعَدَ عَنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ... ثُمَّ أَرَدَفَ يَقُولُ : وَاسْتَعْمَالَ التَّنْزُهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْبَسَاتِينِ وَالرِّيَاضِ غَلْطٌ قَبِيحٌ .

(١) غَمَقَ الْمِيَاهُ : كَثُرَ الْمِيَاهُ .

♦ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَلَكِنْ هَذَا الْإِسْتِعْمَالُ كَثِيرٌ وَشَائِعٌ .

◇ إِنَّ شُيُوعَ الْخَطَا - كَمَا قُلْتُ لَكَ - لَا يَجْعَلُهُ صَوَابًا ، وَإِنَّ شُيُوعَ الشَّرِّ لَا يَجْعَلُهُ خَيْرًا .

♦ أَضَعُ هَذَا فِي بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » ؟ .

◇ ضَعُهُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .

* * *

♦ أَبْتِ ، أَخَافُ أَنْ يَكُونَ وَقُرْعِي فِي الْخَطَا سَبَبًا فِي حِرْمَانِي مِنَ الْإِسْتِمْتَاعِ بِجَنَّتِي رَوْضَةِ الشَّعْرِ .

◇ لَنْ تُحْرَمَ مِنْهَا - بِإِذْنِ اللَّهِ - فَمَا شَوْقُكَ إِلَيْهَا بِأَكْثَرِ مِنْ شَوْقِي ، وَلَا رَغْبَتُكَ فِيهَا بِأَسَدَّ مِنْ رَغْبَتِي .

♦ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي جَنَيْتَ مِنْ رَوْضِهِ الْيَوْمَ يَا أَبْتِ ؟ .

◇ هُمَا شَاعِرَانِ اثْنَانِ وَلَيْسَ بِشَاعِرٍ .

♦ عَجَلْ بِأَوْلَاهِمَا طَالَ بَقَاؤُكَ .

◇ أَوْلَاهُمَا يَا بُنَيَّ ، يَحْتَيِ بَنُ طَالِبِ الْحَنَفِيِّ .

♦ وَمَنْ يَحْتَيِ هَذَا يَا أَبْتِ ؟ فَأَنْتَ مَا تَذْكُرُ لِي شَاعِرًا أَعْرِفُهُ .

◇ وَمَا الْفَائِدَةُ مِنْ ذِكْرِ مَنْ تَعْرِفُ ؟ ... يَحْتَيِ هَذَا يَا بُنَيَّ شَاعِرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْفُرْسَانِ .

♦ وَمِنْ أَيِّ مَوْطِنٍ هُوَ ؟ .

- ◇ إنه من أبناء اليمامة .
- ◆ في أرض نجد من شبه الجزيرة العربية .
- ◇ إنها اليمامة التي تعرف .
- ◆ وفي أي عصر عاش ؟
- ◇ في العصر العباسي الأول .
- ◆ وما موضوع الأبيات التي اختارتها له ؟
- ◇ إنها أبيات يحن فيها إلى اليمامة ، وللابيات قصة .
- ◆ وما قصتها يا أبت ؟
- ◇ كَانَ الشَّاعِرُ مِثْلًا^(١) - يَا بُنَيَّ - وَقَدْ اسْتَدَانَ حَتَّى ثَقُلَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ وَعَجَزَ عَنْ وَفَائِهِ ، فَهَرَبَ مِنْ دَيْنِهِ ، وَابْتَعَدَ عَنْ مَرَاتِعِ طُفُولِيهِ وَمَغَانِي شَبَابِهِ ... فَجَعَلَ يَحْنُ إِلَى الْيَمَامَةِ ، وَيَصُورُ حَيْنَهُ قَصَائِدَ .
- ◆ وَمَاذَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ يَا أبت ؟
- ◇ عَزَفَ الرَّثِيدُ خَبْرَهُ وَسَمِعَ شِعْرَهُ ، فَأَمَرَ بِقَضَاءِ دَيْنِهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ .
- ◆ لَا رَيْبَ فِي أَنَّ ذَلِكَ فَرَجَ كَرْبِهِ وَأَفْرَحَ فُؤَادَهُ ، وَأَعَادَهُ إِلَى الْيَمَامَةِ الَّتِي طَالَمَا حَنَّ إِلَيْهَا وَتَشَوَّقَ .
- ◇ بَلْ لَمْ يَجِدْ وَفَّقًا لِلْفَرَحِ أَوْ مَجَالًا لِلْعُودَةِ .

(١) متلاً : كثر إتلاف المال .

◆ وَلِمَ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ لِأَنَّ خَيْرَ وَقَاءٍ دِينِهِ قَدْ بَلَغَهُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ .

◆ قِصَّةٌ مُخْزِنَةٌ يَا أَبَتِ .

◇ وَكَمْ فِي الْحَيَاةِ مِنْ مُخْزِنَاتٍ ! .

◆ وَمَا الَّذِي قَالَهُ فِي حَيْنِهِ إِلَى الْيَمَامَةِ ؟ .

◇ قَالَ :

إِذَا ارْتَحَلْتُ نَحْوَ الْيَمَامَةِ رِفْقَةً
دَعَاكَ الْهَوَىٰ وَاهْتَاَجَ قَلْبُكَ لِلذُّكْرِ
كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ
جَنَاحُ غُرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَىٰ وَكْرٍ^(١)
أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْذُّمُّوعُ كَأَنَّهَا
جَدَاوِلُ مَاءٍ فِي مَسَارِبِهَا تُجْرِي
أَلَا هَلْ لِشَيْخٍ وَابِنٍ سِتْنِ حِجَّةٍ
بَكَى طَرَبًا نَحْوَ الْيَمَامَةِ مِنْ عُذْرِ
تَعَزُّيْتُ^(٢) عَنْهَا كَارِهَا فَنَكَّرْتُهَا
وَكَانَ فِرَاقِهَا أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ

◆ رَجِمَ اللَّهُ يَحْيَىٰ بْنَ طَالِبٍ يَا أَبَتِ ؛ فَقَدْ أَشْجَىٰ وَأَخْزَنَ .

(١) رَامَ نَهْضًا : أَرَادَ النُّهُوضَ وَالْإِرْتِفَاعَ إِلَىٰ وَكْرِهِ ، أَيِ عَشِهِ . (٢) تَعَزَّيْتُ عَنْهَا : تَسَلَّيْتُ عَنْهَا .

◇ رَحِمَهُ اللَّهُ .

◆ وَالشَّاعِرُ الثَّانِي .

◇ الشَّاعِرُ الثَّانِي هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرَ الرِّيَّاسِيِّ .

◆ وَمَنْ مُحَمَّدٌ هَذَا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ شَاعِرٌ عَبَّاسِيٌّ عَزَفَ عَنِ الْخُلَفَاءِ وَصَدَفَ^(١) عَنِ الْأَمْرَاءِ ، وَانْقَطَعَ لِنَفْسِهِ .

◆ شَاعِرٌ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ يَعْرِفُ عَنِ الْخُلَفَاءِ ؛ وَفِي أَيْدِيهِمُ الْخَيْرُ وَالْعَطَاءُ ١١ .

◇ الْعَطَاءُ بِيَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَا بُنَيَّ ، وَمَا قُدِّرَ لِمَاضِيٍّ^(٢) الْمَرْءِ أَنْ يَمْضُغَاهُ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَمْضُغَاهُ ، فَطُوبَى لِمَنْ أَكَلَهَا بَعِزٌّ .

◆ نَعَمْ طُوبَى لِمَنْ أَكَلَهَا بَعِزٌّ وَلَمْ يَأْكُلَهَا يَذُلٌّ ...
وَمَا مَوْضُوعُ الْقِطْعَةِ الَّتِي اخْتَرَتْهَا لَهُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ إِنَّهَا قِطْعَةٌ يَصِفُ بِهَا بُسْتَانَهُ .

◆ مَوْضُوعٌ طَرِيفٌ ، وَمَا الَّذِي يَقُولُهُ فِي وَصْفِ بُسْتَانِهِ .

◇ لِي بُسْتَانٌ أُنِيقُ زَاهِرٌ نَاضِرُ الْخُضْرَةِ رَيَّانٌ يَرِفُ
لِمَجَارِي الْمَاءِ فِيهِ سَتَنٌ^(٣) كَيْفَمَا صَرَفَتْهُ فِيهِ انْصَرَفُ
تَمْلِكُ الرِّيحُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ فَإِذَا لَمْ يُؤْنِسِ الرِّيحَ وَقَفَ
يَنْطَوِي اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَإِذَا وَاجَهَ الشُّرُقَ تَجَلَّى وَانْكَشَفَ

(١) صدَف : ابتعد .

(٢) تَمْضَغُ الطَّعَامُ : أَيِ لَاحَ بِأَسْنَانِهِ .

(٣) سَتَنٌ : طَرِيقٌ .

صَابِرٌ لَيْسَ بِبَالِي كَثْرَةِ جُزٍّ بِالْمِنْجَلِ أَوْ مِنْهُ تُتِفَ
فَتَرَى الْأَطْبَاقَ لَا تُنْهَلُ صَادِرَاتٍ وَارِدَاتٍ تَخْتَلِفُ
لِلَّهِ بُسْتَانُهُ مَا أَكْرَمَهُ ؛ فَالْأَطْبَاقُ الْمَلَأَى مِنْ ثَمَرِهِ الشَّهِي تَخْتَلِفُ بَيْنَ جَنَابَيْهِ
صَادِرَةٌ وَارِدَةٌ .

◇ بَلْ لِلَّهِ الشَّاعِرُ مَا أَبْرَعَهُ ... فَقَدْ صَوَّرَ فَأَبْدَعَ ، وَوَصَفَ فَأَتَقَنَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، قَالَ طَالِبُ بْنُ يَحْيَى الْحَنْفِيُّ فِي أُبَيَّاتِهِ الَّتِي سَمِعْتَاهَا آيَفَا :
أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالِدُمُوعٍ كَأَنَّهَا جَدَاوِلُ مَاءٍ فِي مَسَارِبِهَا تَجْرِي
فَمَا الْمُرَادُ بِالْمَسَارِبِ ؟ .

◇ الْمَسَارِبُ يَا بُنَيَّ ، جَمْعٌ مُفْرَدُهُ مَسْرَبٌ ، وَالْمَسْرَبُ اسْمٌ مَكَانٍ مِنَ الْفِعْلِ
سَرَبَ .

◆ وَمَا مَعْنَى سَرَبَ ؟ .

◇ السَّرَبُ : خُرُوجُ الْمَاءِ مِنَ الْقِرْبَةِ خَاصَّةً .

◆ وَهَلْ جَعَلَ الْقَرْبُ لِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ مَوَاضِعِ خُرُوجِ الْمَاءِ اسْمًا خَاصًّا بِهِ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ .

◆ فَمَاذَا قَالُوا ؟ .

◇ قَالُوا : سَحَّ الْمَاءُ : إِذَا جَرَى مِنَ السَّحَابِ ، وَتَبَعَ : إِذَا جَرَى مِنَ النَّبْتِ ،
وَاتَّبَعَسَ : إِذَا خَرَجَ مِنَ الْحَجَرِ ، وَقَاضَ : إِذَا جَرَى مِنَ النَّهْرِ ، وَوَكَفَ :

إِذَا جَرَى مِنَ السَّقْفِ ، وَرَشَحَ : إِذَا جَرَى مِنَ الْإِنَاءِ ، وَانْسَكَبَ : إِذَا جَرَى
مِنَ الْعَيْنِ ، وَسَرَبَ : إِذَا جَرَى مِنَ الْقَرِيَةِ .

◆ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الشَّاعِرُ قَدْ شَبَّهَ عَيْنَيْهِ بِقَرْبَتَيْنِ سَرَبَ مِنْهُمَا الْمَاءُ .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُتَيَّ ، وَزَادَكَ اللَّهُ فَهْمًا وَعِلْمًا .

* * *

◆ أَبَيْتَ ، أَتَيْنَ طُرْفَةَ الْجَلْسَةِ دَامَ سُورُوكَ ؟ .

◇ طُرْفَةُ الْجَلْسَةِ ... طُرْفَةُ الْجَلْسَةِ ، إِلَيْكَ طُرْفَةُ الْجَلْسَةِ .
كَانَ أَبُو عَلْقَمَةَ مَعْرُوفًا بِالنَّشَاطِ وَالْإِغْرَابِ فِي الْكَلَامِ^(١) ، فَدَخَلَ عَلَى أُعَيْنَ
الطَّيِّبِ وَقَالَ لَهُ :

أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ ، إِنِّي أَكَلْتُ مِنْ لُحُومِ هَذِهِ الْجَوَازِلِ^(٢) ، فَطَيِّسْتُ طَسَاءً^(٣) ...
فَأَصَاتَنِي وَجَعَ مَا بَيْنَ الْوَابِكَةِ إِلَى دَأْبَةِ الْعُنُقِ^(٤) ، فَلَمْ يَزَلْ يَزُوبُ حَتَّى خَالَطَ
الْجِلْبَ وَالشَّرَاسِيفَ ... فَهَلْ عِنْدَكَ دَوَاءٌ ؟ .

فَقَالَ أُعَيْنُ : نَعَمْ ...

خُذْ خِرْبِقًا وَشَبْرَقًا ، فَزَهْرِقُهُ وَزَقْرِقُهُ ، وَاغْسِلْهُ بِمَاءِ رَوْثٍ وَاشْرِبْهُ .
فَقَالَ عَلْقَمَةُ : لَمْ أَفْهَمْ عَنْكَ .

فَقَالَ أُعَيْنُ : أَفْهَمْتُكَ كَمَا أَفْهَمْتُنِي .

* * *

(١) الإغراب في الكلام : الإتيان بكلام غريب لا يفهم السامع معناه .

(٢) الجوازِل : أي الفرائخ .

(٣) طَسَاءٌ : أي تخمة .

(٤) دَأْبَةُ الْعُنُقِ : أي ما بين طرف الكنف إلى قرة العنق .

الجلسة الثانية عشرة

الدعوة إلى إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي

- ◆ أبت ، سلام الله عليك ورحمته ورضاه .
- ◇ عليك سلام الله ورحمته وهداه .
- ◆ أبت ، لا يزال في النفس شيء من ذلك الكتاب العربي الذي كُتب بالحروف اللاتينية .
- ◇ تقصّد كتاب « يارا » الذي ألفه سعيد عقل ، وأخرجته مكتبة أنطوان في « بيروت » .
- ◆ نعم يا أبت نعم ، وهل هناك كتاب عربي غير « يارا » كُتب بالحرف اللاتيني ؟ .
- ◇ المعروف أن هذا الكتاب هو أول كتاب عربي كُتب بالحرف اللاتيني ، ولكن ما الذي في نفسك منه ؟ .
- ◆ لقد أخذت الكتاب بعد جلستنا السابقة وأطلت النظر فيه ، واجتهدت في أن أقرأ مقطوعة واحدة مما جاء فيه ، فلم أفليح .

◇ أَنِّي لَكَ أَنْ تُفْلِحَ فِي قِرَاءَةِ قِطْعَةٍ مِنْهُ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ صَاحِبُهُ فِي كِتَابَتِهِ
الْأَحْرُوفَ اللَّاتِينِيَّةَ السُّتَّةَ وَالْعِشْرِينَ ، وَاسْتَعْمَلَ مَعَهَا سَبْعَةَ حُرُوفٍ جَدِيدَةٍ
اخْتَرَعَهَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ فَوْقَ ذَلِكَ أَحَدَ عَشَرَ حَرْفًا لَاتِينِيًّا ؛ بَعْدَ أَنْ
زَادَ عَلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْإِشَارَاتِ الْخَاصَّةِ لِتَوْذِي بَعْضِ الْأَصْوَاتِ .

◆ نَعَمْ يَا أَبَتِ نَعَمْ ، لَقَدْ لَاحِظْتُ أَنَّ عَدَدَ حُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ الْمُخْتَرَعَةِ قَدْ بَلَغَ
أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ حَرْفًا ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي جَعَلَنِي أَعْجَزُ عَنِ الْقِرَاءَةِ .
◇ وَهَذَا مَا أَعْجَزَنِي أَيْضًا .

◆ أَبَتِ ، لَقَدْ جَاءَ فِي تَقْرِيطِ « يَارَا » أَنَّهُ أَوَّلُ كِتَابٍ عَرَبِيٍّ كُتِبَ بِالْحُرُوفِ
اللَّاتِينِيَّةِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ .

◆ فَهَلْ يَغْنِي هَذَا أَنَّ مُحَاوَلَةَ إِحْلَالِ الْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ مَحَلَّ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ
جَدِيدَةٍ ؛ نَشَأَتْ مَعَ هَذَا الْكِتَابِ ؟ .

◇ بَلْ هِيَ قَدِيمَةٌ تَرْجِعُ إِلَى الْعَقْدِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقُرُونِ الْعِشْرِينَ .

◆ وَمَنْ أَوَّلُ مَنْ نَادَى بِهَا يَا أَبَتِ ؟ .

◇ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ نَادَى بِهَا فِي مِصْرَ قَاضٍ إِنْكِلِيزِيٌّ .

◆ قَاضٍ إِنْكِلِيزِيٌّ ١١ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ .

◆ وَمَاذَا يُدْعَى هَذَا الْقَاضِي ؟ .

- ◇ يدعى « ولعز » ، كَانَ يَعْمَلُ فِي الْمَحْكَمَةِ الْمُخْتَلَطَةِ .
- ◆ وَمَا عَلاَقَةُ هَذَا الْقَاضِي الْإِنْكِلِيزِيِّ بِالْمَوْضُوعِ ، وَمَا الدَّافِعُ الَّذِي يَدْفَعُهُ إِلَيْهِ ؟ .
- ◇ لَا شَيْءَ يَا بُنَيَّ ؛ إِلَّا الْغَيْرَةُ عَلَى لُغَةِ الصَّادِ ! وَالْحِرْصُ عَلَى مَصْلَحَةِ النَّاطِقِينَ بِهَا .
- ◆ أَمَرُ يَدْعُو إِلَى الدَّهْشَةِ !! .
- ◇ لَا يَدْعُو إِلَى الدَّهْشَةِ فَحَسْبُ ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى الرِّيْبَةِ أَيْضًا .
- ◆ وَهَلْ شَايَعُهُ^(١) فِي دَعْوَتِهِ هَذِهِ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْكِتَابَةِ ؟ .
- ◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ .
- ◆ وَمَنْ الَّذِي شَايَعُهُ فِي هَذِهِ الدُّعْوَةِ ؟ ! .
- ◇ شَايَعُهُ - مَعَ بَالِغِ الْأَسْفِ يَا بُنَيَّ - بَعْضُ الْمَفْتُونِينَ بِكُلِّ جَدِيدٍ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ غَرَضٌ ، وَبَعْضُ الْمَشْبُوهِينَ مِمَّنْ فِي نَفْسِهِمْ مَرَضٌ .
- ◆ أَتَكَانَ يَتَنَ هَوْلَاءِ - يَا أَبَتِ - رِجَالٌ مَعْرُوفُونَ ؟ .
- ◇ كَانَ يَتَنَّهُمْ عَبْدُ الْعَزِيزِ فَهَمِي ، وَكَانَ يَتَنَّهُمْ سَلَامَةُ مُوسَى .
- ◆ أَنَا أَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَهَمِي ، وَلَكِنْ مَعْرِفَتِي بِسَلَامَةِ مُوسَى ضَعِيفَةٌ . فَهَلَّا عَرَفْتَنِي بِهِ يَا أَبَتِ ؟ .
- ◇ سَأَتَرُكَ لَهُ الْمَجَالَ لِیَعْرِفَكَ بِنَفْسِهِ .
- ◆ لَعَنَهُ أَرْوَاحُ حَيَاتِهِ بِقَلَمِهِ ؛ كَمَا یَفْعَلُ بَعْضُ الرِّجَالِ .

(١) شايعه : مال إلى رأيه وأيده .

◇ لَا - يَا بُنَيَّ - وَإِنَّمَا تَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ «الْيَوْمَ وَالْغَدُ» .

◆ فَمَادَا قَالَ ؟ .

◇ قَالَ : كُلَّمَا ازْدَدْتُ خَبْرَةً وَتَجَرِبَةً وَثِقَافَةً ؛ تَوَضَّحَتْ أَمَامِي أَغْرَاضِي فِي الْأَدَبِ ... فَهِيَ تَتَلَخَّصُ فِي أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ - أَهْنَاءُ الشَّرْقِ - أَنْ نَخْرُجَ مِنْ آسِيَا ، وَأَنْ نَلْحَقَ بِأُرُوبًا ... فَإِنِّي كُلَّمَا زَادَتْ مَعْرِفَتِي بِالشَّرْقِ زَادَتْ كَرَاهِيَّتِي لَهُ ، وَشُعُورِي بِأَنَّهُ غَرِيبٌ عَنِّي ... وَكُلَّمَا ازْدَادَتْ مَعْرِفَتِي بِأُرُوبًا زَادَ حُبِّي لَهَا وَتَعَلَّقِي بِهَا . وَزَادَ شُعُورِي بِأَنَّهُا مِنِّي وَأَنَا مِنْهَا . هَذَا هُوَ مَذْهَبِي الَّذِي أَعْمَلُ لَهُ طَوْلَ حَيَاتِي سِرًّا وَجَهْرَةً ، فَأَنَا كَافِرٌ بِالشَّرْقِ مُؤْمِنٌ بِالْغَرْبِ .

◆ أَعُوذُ بِاللَّهِ ! أَحَقُّ هَذَا الَّذِي تَسْمَعُهُ أَذُنَايَ يَا أَبَتِ !! .

◇ هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّجُلُ عَنْ نَفْسِهِ .

◆ أَوْ مِنْ حَقِّ مِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ أَنْ يُسَيِّدِيَ النَّصِيحَةَ إِلَى أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَكْرَهُهُمْ كُلُّ هَذَا الْكَرْهُ ؟ ! .

◇ مِنْ حَقِّهِ - يَا بُنَيَّ - أَنْ يَقُولَ مَا يَشَاءُ ، وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِنَا نَحْنُ أَنْ نَرُدَّ الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ .

◆ أَبَتِ - مَعْذِرَةً - أَرَأَا شُغْلَنَا بِسَلَامَةِ مُوسَى عَنْ «يَارَا» وَعَنْ أَمْرِ الدَّغْوَةِ إِلَى إِخْلَالِ الْحَرْفِ اللَّاتِينِيِّ مَحَلَّ الْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ .

◇ الْحَدِيثُ - يَا بُنَيَّ - ذُو شُجُونٍ ، وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ ، وَمَعْرِفَةُ مَنْ قَالَ ؛ تَقِفُكَ عَلَى سِرِّ مَا قَالَ .

◆ أَيْتِ ، سَامِخْنِي إِذَا كُنْتُ قَدْ أَثْقَلْتُ عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ خُطُورَةُ الْمُضْضِعِ
تَجْعَلُنِي أَلْحَ وَالْحِفُّ فِي السُّؤَالِ .

◇ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ، فَتَحْنُ - كَمَا قُلْتَ لَكَ مِنْ قَبْلُ - مَا اجْتَمَعْنَا هُنَا إِلَّا لِتَسْأَلَ
وَأُجِيبَ ؛ إِذَا كَانَ لِسُؤَالِكَ عِنْدِي جَوَابٌ .

◆ أَيْتِ ، وَمَاذَا كَانَتْ ثَمَرَةُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ فِي مِضْرَ ؟ .

◇ كَانَتْ ثَمَرَتُهَا مَشْرُوعًا لِإِخْلَالِ الْحَرْفِ اللَّاتِينِيِّ مَحَلَّ الْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ ؛ تَقْدَمُ
بِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ فَهَمِي إِلَى الْمَجْمَعِ اللُّغَوِيِّ بِمِضْرَ لِدِرَاسَتِهِ وَإِقْرَارِهِ .

◆ وَكَيْفَ اسْتَقْبَلَ هَذَا الْمَشْرُوعُ يَا أَيْتِ ؟ .

◇ أَسْوَأَ اسْتِقْبَالٍ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ لَقَدْ تَصَدَّقْتُ نَفَرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ وَوَأَدَّوهُ فِي مَهْدِهِ .

◆ يَبْدُو أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى « مِضْرَ » وَخَذَهَا ، وَإِنَّمَا وَجَدَتْ فِي
بَعْضِ الْأَقْطَارِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُخْرَى .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، فَقَدْ قَامَ فِي « لُبْنَانَ » كُلُّ مِنْ مِيشَالٍ فَعَالِي ، وَجَبُورِ عَبْدِ
الثَّوْرِ ، وَأَنْبَسِ فَرِيحَةَ ، وَسَعِيدِ عَقْلٍ يَدْعُونَ إِلَى إِخْلَالِ الْعَامِيَّةِ مَحَلَّ
الْفُضْحَى ، وَكِتَابَتِهَا بِالْحَرْفِ اللَّاتِينِيِّ بَدَلًا مِنَ الْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ .

◆ وَمَاذَا كَانَتْ ثَمَرَةُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ فِي « لُبْنَانَ » ؟ .

◇ كَانَتْ ثَمَرَتُهَا كِتَابُ « يَارَا » ... فَهُوَ الَّذِي نَقَلَ هَذِهِ الدَّعْوَةَ مِنْ مَجَالِ النَّظَرِ

إِلَى مَيْدَانِ التَّطْبِيقِ .

◆ وَهَلْ تَصَدَّى لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ أَحَدٌ فِي «لُبَنَانَ» ؟ .

◇ تَصَدَّى لَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْغَيْبَةِ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتُرَاثِهَا الشِّمِينَ .

◆ وَمَنْ أَقْوَى مَنْ تَصَدَّى لَهَا ؟ .

◇ أَقْوَى مَنْ تَصَدَّى لَهَا كِتَابُ «يَارَا» ، فَهُوَ الَّذِي قَتَلَهَا فِي الْمَهْدِ .

◆ حَقًّا يَا أَبَتِ ، إِنَّ كِتَابَ «يَارَا» ، هُوَ الَّذِي وَأَدَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ فِي مَهْدِهَا .

◇ إِنَّ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ الْبَرَّاقَةَ كَثِيرًا مَا تَخْدَعُ النَّاسَ يَا بُنَيَّ ؛ فَإِذَا وُضِعَتْ مَوْضِعَ التَّطْبِيقِ تَبْدَى عَوَارِهَا^(١) وَظَهَرَ زَيْفُهَا .

◆ إِنَّهَا كَالسَّرَابِ يَا أَبَتِ .

◇ نَعَمْ إِنَّهَا كَالسَّرَابِ الْخَادِعِ يَخْسِبُهُ الظُّمَأُنُ مَاءً ؛ فَإِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا .

◆ وَإِنَّ قَاعِدَةَ الْبَقَاءِ لِلْأَصْلَحِ تَسْرِي عَلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ يَا أَبَتِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ إِذْ يَقُولُ :

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) .

◆ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ .

* * *

◆ أَبَتِ ، عَفْوُكَ ، بِمُنَاسَبَةِ الْحَدِيثِ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى إِخْلَالِ الْحَرْفِ اللَّاتِينِيِّ

مَحَلَّ الْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ شَيْئًا وَلَكِنِّي ...

(١) عَوَارِهَا : عِيْبَاهَا .

(٢) سورة الرعد الآية ١٧ .

◇ وَلَكِنَّكَ مَاذَا ؟ .

◆ وَلَكِنِّي مُتَخَرِّجٌ مِنْ قَوْلِهِ .

◇ قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ غَيْرِ حَرْجٍ .

◆ أَبَيْتَ ، مَا بَالُ أَصْحَابِ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ الْمَشْبُوهَةِ يَشْرَحُونَ وَيَمْرَحُونَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ يَتَصَدَّقُ لَهُمْ .

◇ هَا نَحْنُ أَوْلَاءُ نَتَصَدَّقُ لَهُمْ .

◆ مَا هَكَذَا يَكُونُ التَّصَدُّقُ .

◇ إِذَنْ كَيْفَ يَكُونُ فِي رَأْيِكَ ١٢ .

◆ كَانَ عَلَى الذَّادَةِ عَنْ لُغَةِ الْقُرْآنِ أَنْ يُخْرِجُوا فِي الرَّدِّ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ أَكْثَرَ مِنْ كِتَابٍ ، كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُرْسِلُوا عَشْرَاتِ الْمَقَالَاتِ إِلَى أُمَّهَاتِ الصُّحُفِ وَكُبْرَيَاتِ الْمَجَلَّاتِ .

◇ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا بُنَيَّ ؛ فَقَدْ دَعَوْتُ إِلَى رِسَادٍ ، وَلَكِنَّ دَعْوَتَكَ لَمْ تَبْرَأْ مِنَ اللَّعْنِ .

◆ وَمَا الَّذِي قُلْتُهُ حَتَّى وَقَعْتُ فِي اللَّعْنِ ١٣ .

◇ قُلْتُ : إِنَّ عَلَى الذَّادَةِ عَنْ لُغَةِ الْقُرْآنِ أَنْ يُرْسِلُوا عَشْرَاتِ الْمَقَالَاتِ إِلَى أُمَّهَاتِ الصُّحُفِ .

◆ وَمَاذَا كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ طَالَ عُمرُكَ ؟ .

◇ كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ عَلَى الذَّادَةِ عَنْ لُغَةِ الْقُرْآنِ أَنْ يُرْسِلُوا بِعَشْرَاتِ الْمَقَالَاتِ .

◆ وَمَلْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ قَوْلِنَا : يُرْسِلُونَ عَشْرَاتِ الْمَقَالَاتِ ، وَقَوْلِنَا : يُرْسِلُونَ بِعَشْرَاتِ الْمَقَالَاتِ ؟ .

◇ فَرْقٌ كَبِيرٌ .

◆ وَأَيْنَ يَكْمُنُ هَذَا الْفَرْقُ ؟ .

◇ يَكْمُنُ فِي الْخُرُوجِ عَلَى سَنَنِ الْعَرَبِ فِي اسْتِعْمَالِ الْفِعْلَيْنِ أَرْسَلَ وَ بَعَثَ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ لَقَدْ دَأَبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى الْقَوْلِ : أَرْسَلْتُ لِفُلَانٍ هَدِيَّةً وَبَعَثْتُ إِلَى فُلَانٍ بِرَسُولٍ . وَهُمْ يُخَالِفُونَ سَنَنَ الْعَرَبِ فِي كِلْتَا الْعِبَارَتَيْنِ ، فَالْعَرَبُ تُفَرِّقُ فِي هَذَيْنِ الْفِعْلَيْنِ بَيْنَ مَا يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ ، وَمَا يُحْمَلُ .

فَتَقُولُ فِيمَا يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ : أَرْسَلْتُهُ وَ بَعَثْتُهُ ، وَتَقُولُ فِيمَا يُحْمَلُ : بَعَثْتُ بِهِ وَ أَرْسَلْتُ بِهِ .

◆ فَرْقٌ لَطِيفٌ .

◇ وَعَلَى هَذَا لَا يُقَالُ : بَعَثْتُ لِفُلَانٍ هَدِيَّةً ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : بَعَثْتُ لِفُلَانٍ بِهَدِيَّةٍ ، كَمَا لَا يُقَالُ : بَعَثْتُ إِلَى فُلَانٍ بِغُلَامٍ أَوْ بِرَسُولٍ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : بَعَثْتُ إِلَى فُلَانٍ غُلَامًا أَوْ رَسُولًا .

◆ وَلَكِنْ ...

◇ مَا أَكْثَرَ اسْتِذْرَافِكَ ! وَلَكِنْ مَاذَا ؟ .

◆ عَفْوًا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عَمَّا إِنْ كَانَ هَذَانِ الْإِسْتِغْمَالَانِ قَدْ وَرَدَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ ؟ .

◇ بَلْ وَرَدَا فِي كَلَامِ اللَّهِ .

◆ عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّأْسِ .

◇ قَالَ تَعَالَى : فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ : ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (١) .

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ التَّنْزِيلِ عَلَى لِسَانِ يَلْقَيْسَ : ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٢) .

◆ أَبَتِ ، أَسْمَحْ لِي بِأَنْ أَضِيفَ ذَلِكَ إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ أَضِيفُهُ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

◆ هَلَّا تَقَضَّيْتُ فَأَمْلَيْتُهُ عَلَيَّ ؟ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً ، اكْتُبْ :

جَاءَ فِي دُرَّةِ الْغَوَاصِ يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ : بَعَثْتُ إِلَيْهِ بَعْلَامَ ، وَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ هَدِيَّةً ... فَيُخْطِئُونَ ، لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ فِيمَا يَنْصَرِفُ بِنَفْسِهِ : بَعَثْتُهُ ، وَأَرْسَلْتُهُ ... وَتَقُولُ فِيمَا يُحْمَلُ : بَعَثْتُ بِهِ ، وَأَرْسَلْتُ بِهِ .

(٢) الآية ٣٥ .

(١) الآية ٧٠ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ .

◇ وَلَقَاكَ الْبِرَّ .

* * *

◆ أَبَتْ ، وَرَوْضَةُ الشَّعْرِ ، أَرْجُو أَلَّا أُحْرَمَ مِنْ طِيبِ جَنَاهَا الْيَوْمَ .

◇ لَنْ تُحْرَمَ مِنْ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي سَنِلِمُ بِرَوْضِهِ ؟

◇ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ .

◆ وَمَنْ عَلِيٌّ هَذَا يَا أَبْتَ ؟

◇ شَاعِرٌ فَارِسٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ، ذُو مَذْهَبٍ فِي الدِّينِ وَالسِّيَاسَةِ ، التَّزَمَ بِهِ عَنِ اقْتِنَاعٍ وَنَاضَلَ دُونَهُ بِإِخْلَاصٍ ، وَلَقِيَ فِي سَبِيلِهِ مَا يَلْقَاهُ أَصْحَابُ الْعَقَائِدِ (١) .

◆ وَمَا مَذْهَبُهُ فِي الدِّينِ ؟

◇ لَقَدْ اعْتَنَقَ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ يَوْمَ كَانَ التَّسَنُّنُ يَجْرُ عَلَى أَصْحَابِهِ الْبَلَاءَ ، فَوَالِي أَوْلِيَاءَهُ وَغَادِي أَعْدَاءَهُ ، وَجَرَّدَ لِسَانَهُ لِلدُّوْدِ عَنْهُ وَمُنَاضَلَةَ خُصُومِهِ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ .

◆ وَمَا مَذْهَبُهُ فِي السِّيَاسَةِ ؟

◇ لَقَدْ كَانَ عَبَّاسِيٍّ النَّزْعَةَ مُنْخَرِفًا عَنِ الطَّالِبِيِّينَ .

(١) انظر كتاب « علي بن الجهم » حياته وشعره للمؤلف .

◆ أَمَوَ الشَّاعِرُ الَّذِي يَقُولُ :

عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ

جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَذْرِي وَلَا أَذْرِي

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ إِنَّهُ هُوَ .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي جَنَّبَتْهَا مِنْ رَوْضِهِ ؟ .

◇ قَصِيدَةُ مِنْ عُيُونِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، وَلَهَا قِصَّةٌ .

◆ وَمَا قِصَّتُهَا طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ قِصَّةُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ هِيَ : أَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ قَدْ هَجَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ أَمِيرَ

« خُرَاسَانَ » ، فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ ؛ أَمَرَ أَنْ يُجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ إِلَّا مَا يَشْتُرُ الْعَوْرَةَ ،

وَأَنْ يُضْلَبَ فِي مَيْدَانِ « الشَّاذِيَاخ » ، فَأَنْشَدَ وَهُوَ عَلَى خَشَبَةِ الصُّلْبِ قَصِيدَتَهُ

التَّالِيَةَ :

لَمْ يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيَاخِ صَبِيحَةَ الْإِ(١)

نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلَّةَ عُيُونِهِمْ

هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْتُ فَارَقَ غِيلُهُ

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ مِنْ شِدَائِهِ

مَا غَابَهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِبَاسُهُ

إِنْ يُتَنَذَّلُ فَالْبَدْرُ لَا يُزْرِي(٢) بِهِ أَنْ كَانَ لَيْلَةً تَمُوتُ مَبْدُولًا(٣)

(١) لا يزري به : لا يعبه .

(٢) أي لا يعب البدر في ليلة اكتماله انتشار ضيائه على كل الأرض .

أَوْ يَسْلُبُوهُ الْمَالَ يُخِزُونَ فَقْدُهُ صَيفًا أَلَمَ وَطَارِقًا وَتَرِيَلًا
أَوْ يَخْبِسُوهُ فَلَيْسَ يُخْبَسُ سَائِرٌ مِنْ شِغْرِهِ يَدْعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا
إِنَّ الْمَصَائِبَ مَا تَعَدَّتْ دِينَهُ نَعَمْ وَإِنْ صَعُبَتْ عَلَيْهِ قَلِيلًا
وَاللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ أَمْرِهِ وَكَفَى بِرَبِّكَ نَاصِرًا وَوَكِيلًا
لَنْ تَسْلُبُوهُ - وَإِنْ سَلَبْتُمْ كُلَّ مَا حَوَّلْتُمُوهُ - وَسَامَةٌ وَقَبُولًا
هَلْ تَمْلِكُونَ لِدِينِهِ وَيَقِينِهِ وَجَنَائِهِ «وَبَيَّاهِ» تَبْدِيلًا
لَمْ تَنْقُصُوهُ وَقَدْ مَلَكَتُمْ ظُلْمَهُ مَا النِّقْصُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهُولًا
كَادَتْ تَكُونُ مُصِيبَةً لَوْ أَنَّكُمْ أَوْضَحْتُمْ ذَنْبًا عَلَيْهِ جَلِيلًا
إِنْ كَانَ سَفًّا إِلَى الدَّيْنَةِ أَوْ يَرَى غَيْرَ الْجَمِيلِ مِنَ الْأُمُورِ جَمِيلًا
لَوْ تُنْصِفُ الْأَيَّامَ لَمْ تَغْثُرْ بِهِ إِذْ كَانَ مِنْ عَشْرَاتِهِنَّ مُقِيلًا
وَلَتَعْلَمُنَّ إِذَا الْقُلُوبُ تَكْشَفَتْ عَنْهَا الْأَكِنَّةُ^(١) مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا

* * *

◆ أَيْتٌ ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ :

لَنْ تَسْلُبُوهُ - وَإِنْ سَلَبْتُمْ كُلَّ مَا حَوَّلْتُمُوهُ - وَسَامَةٌ وَقَبُولًا
فَمَا الْمَعْنَى الدَّقِيقُ لِكَلِمَةِ الْوَسَامَةِ ؟ .

◇ الْوَسَامَةُ : صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْحُسْنِ ، وَقَدْ فَصَّلَ الْعَرَبُ الْقَوْلَ فِي حُسْنِ
الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ تَفْصِيلًا عَزُ أَنْ نَجِدَ لَهُ نَظِيرًا فِي آيَةٍ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ .

◆ فَمَاذَا قَالُوا فِي ذَلِكَ ؟ .

(١) الأكنة : الستائر التي تكتنحها وتخفي ما بها .

◇ قَالُوا فِي تَرْتِيبِ الْحُسْنِ الْمَرْأَةُ :

إِذَا كَانَتْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِسْحَةٌ مِنَ الْجَمَالِ ، فَهِيَ : وَضِيئَةٌ ، وَالرَّجُلُ وَضِيءٌ .

فَإِذَا اسْتَعْتَتْ بِجَمَالِهَا عَنِ التَّجَمُّلِ ، فَهِيَ : غَائِيَةٌ .

فَإِذَا كَانَ حُسْنُهَا ثَابِتًا كَأَنَّهُ وَسِيمٌ ، فَهِيَ : وَسِيمَةٌ ، وَالرَّجُلُ وَسِيمٌ .

فَإِذَا قُسِمَ لَهَا حَظٌّ وَافِرٌ مِنَ الْحُسْنِ ، فَهِيَ : قَسِيمَةٌ .

فَإِذَا كَانَ النَّظَرُ إِلَيْهَا يَسُرُّ الرُّوعَ^(١) ، فَهِيَ : رَائِعَةٌ .

فَإِذَا غَلَبَتِ النِّسَاءُ بِحُسْنِهَا ، فَهِيَ : بَاهِرَةٌ .

◆ مَا أَغْنَىٰ هَذِهِ اللَّغَةُ يَا أَبَتِ ، وَمَا أَدَقَّ اسْتِغْمَالُهَا !! .

◇ إِذَا أَرَدْتَ دِقَّةَ الْإِسْتِغْمَالِ ؛ فَاسْتَمِعْ إِلَى مَا يَقُولُهُ عُلَمَاءُ هَذِهِ اللَّغَةِ فِي تَقْسِيمِ الْحُسْنِ عَلَى الْأَعْضَاءِ .

◆ مَاذَا يَقُولُونَ ؟ .

◇ يَقُولُونَ :

الصَّبَاحَةُ فِي الْوَجْهِ ، وَالرَّضَاءُ فِي الْبَشْرِ .

وَالْجَمَالُ فِي الْأَنْفِ ، وَالْحَلَاوَةُ فِي الْعَيْنِ .

وَالْمَلَاخَةُ فِي الْفَمِ ، وَالظُّرْفُ فِي اللِّسَانِ .

وَالرِّشَاقَةُ فِي الْقَدِّ ، وَاللِّبَاقَةُ فِي السَّمَائِلِ .

وَالنُّضَارَةُ فِي اللَّوْنِ ... وَمِنْهُ قَوْلُهُ جَلُّ شَأْنُهُ : ﴿ وَجُودُهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾^(٢) .

وَقَوْلُهُ : ﴿ تَعْرِفُ فِي وَجْهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾^(٣) .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ أَكْرَمَ الْجَزَاءِ ؛ فَقَدْ كَفَيْتَ وَوَفَيْتَ .

(١) الرُّوعُ : أَيِ النَّفْسِ .

(٢) سُورَةُ الْقِيَامَةِ آيَةُ ٢٢ .

(٣) سُورَةُ الْمُطَفِّينِ آيَةُ ٢٤ .

◇ وَجَازَى هَذِهِ اللُّغَةَ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ فَقَدْ أَعْطَتْ يَسَخَاءً ، وَلَبِثَتْ كُلَّ مَطْلَبٍ .

* * *

◆ أَبَتْ ، وَطُرْفَةُ الْيَوْمِ أَرْجُو أَلَّا أُحْرَمَ مِنْهَا .

◇ لَنْ تُحْرَمَ مِنْهَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَهِيَ لَيْسَتْ بِطُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ طُرْفٌ .

◆ تَفَضَّلْ .

◇ سَأَلَ رَجُلٌ آخَرَ مِنْ أَصْحَابِ النَّحْوِ ؛ فَقَالَ : هَلِ الظُّبْيُ مَعْرِفَةٌ أَمْ نَكِيرَةٌ ؟ .

فَقَالَ : إِذَا كَانَ مَشُورِيًّا عَلَى الْمَائِدَةِ ؛ فَهُوَ مَعْرِفَةٌ ...

أَمَّا إِذَا كَانَ فِي الصُّخْرَاءِ يَغْدُو ؛ فَهُوَ نَكِيرَةٌ . [ضَحِكَ] .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا اسْمُ الْمَرْقِ عِنْدَكُمْ ؟ .

فَأَجَابَ : « السَّخِينُ » .

قَالُوا : فَإِذَا بَرَدَ ؟ .

قَالَ لَا نَدْعُهُ يَبْرُدُ . [ضَحِكَ] .

وَسُئِلَ الشَّاعِرُ الْمِصْرِيُّ « إِمَامُ الْعَبْدُ » وَكَانَ أَسْوَدَ اللَّوْنِ ، سُئِلَ :

لِمَ إِذَا تَخْتَارُ رِبْطَةَ عُنُقِكَ بَيَضَاءً ؟ .

فَأَجَابَ : لِيَعْرِفَ النَّاسُ أَنِّي يَنْتَهِي جَنْبِي ، وَأَتَيْنَ يَتَنَدَّى رَأْسِي [ضَحِكَ] .

وَجَلَسَ مَرَّةً يَكْتُبُ ، فَسَقَطَتْ نُقْطَةٌ جَبْرِ عَلَى الْوَرَقِ ؛ فَقَالَ لَهُ حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ :

نَشَفْ عَرَقَكَ [ضَحِكَ] .

* * *

الجلسة الثالثة عشرة

حُرُوفُ الْحَرَكَاتِ

- ◆ أبتِ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاهُ .
- ◆ أبتِ ، مَعْذِرَةٌ ، فَإِنَّهُ مَا يَزَالُ فِي النَّفْسِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدَّعْوَةِ إِلَى إِخْلَالِ
الْحُرُوفِ اللَّاتِينِيِّ مَحَلَّ الْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ .
- ◇ سَأَسْأَلُ هَذَا الشَّيْءَ مِنْ نَفْسِكَ كَمَا تُسَلُّ الشُّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ بِإِذْنِ اللَّهِ .
- ◆ أَنَا أَعْلَمُ ذَلِكَ ؛ فَسُلْطَانُ بَيَانِكَ لَا يُقَاوِمُ ، وَمَنْطِقُ حُجَّتِكَ لَا يُدْحَضُ .
- ◇ بَلْ هُوَ سُلْطَانُ الْحَقِّ ؛ الَّذِي يَدْمَغُ الْبَاطِلَ وَيُزْهِقُهُ .
- ◆ أبتِ ، عَفْوُكَ ... شَعْرَتُ بَعْدَ أَنْ افْتَرَقْنَا فِي الْجَلْسَةِ السَّابِقَةِ شَعْرَتُ ...
- ◇ شَعْرَتُ بِمَاذَا ؟ .
- ◆ شَعْرَتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - أَتَنَّا تَنَاوَلْنَا الْمَوْضُوعَ تَنَاوُلًا خَطَائِيًا عَاطِفِيًا يُرْضِي
وَلَكِنْ لَا يُفْنِغُ ، وَيَحُومُ حَوْلَ الْمَوْضُوعِ وَلَكِنْ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ .

◇ طَيِّبٌ طَيِّبٌ .

◆ أَفَلَدَيْكَ مَانِعٌ مِنْ أَنْ نَتَنَاوَلَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ تَنَاوُلًا عِلْمِيًّا مَوْضُوعِيًّا كَمَا يَقُولُونَ .

◇ مَانِعٌ ... لَيْسَ لَدَيَّ أَيُّ مَانِعٍ ، وَإِنَّمَا عِنْدِي أَكْثَرُ مِنْ دَافِعٍ ؛ فَلَيْسَ أخطرُ عَلَى الْقَضَايَا الْعِلْمِيَّةِ مِنْ مَنْطِقِ الْعَوَاطِفِ .

◆ جُزِيتَ الْخَيْرَ وَالْبِرَّ .

◇ وَجَعَلَكَ اللَّهُ - أَنْتَ وَإِخْوَتَكَ مِنْ أَتْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ - ذَادَةً عَنْ لُغَةِ الْقُرْآنِ نَصُدُونَ عَنْهَا عُذْوَانَ الْعَادِينَ ، وَتَحْمُونَهَا مِنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ .

◆ آمِينَ .

◇ اللَّهُمَّ آمِينَ .

◆ أَتَيْتِ ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ دَعَوْا إِلَى إِخْلَالِ الْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّ مَحَلَّ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّ ، فِيهِمُ الْمُسْتَشْرِقُ الْمُحْكَمُ ، وَالْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ ، وَالْعَالِمُ الْمَجْمَعِيُّ ، أَفَخَرَجَ هَؤُلَاءِ إِلَى النَّاسِ بِدَعْوَتِهِمْ هَذِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَجٍ تُؤَيِّدُهُمْ ، وَمَنْطِقٍ يَسْتَنْدُهُمْ ١٩ .

◇ بَلْ كَانَتْ لَهُمْ حُجَجُهُمْ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا أَتَزَرُّ هَذِهِ الْحُجَجَ وَأَقْوَاهَا ؟ .

◇ إِنَّ مُحَجِّثَهُمُ الْكُبْرَى فِيمَا دَعَوْا إِلَيْهِ - يَا بُنَيَّ - هِيَ أَنَّ رَسْمَ الْكَلِمَاتِ بِالْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ لَا تَتَيَسَّرُ مَعَهُ قِرَاءَةُ النُّصُوصِ قِرَاءَةً مُسْتَرَسِلَةً مَضْبُوطَةً ، وَذَلِكَ لِخُلُوقِ الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ حُرُوفِ الْحَرَكَاتِ .

◆ حُرُوفُ الْحَرَكَاتِ ١١ وَمَا حُرُوفُ الْحَرَكَاتِ ١٢ لَمْ أَفْهَمْ مَا يُرِيدُونَ .

◇ يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا إِنَّ الْأَبْجَدِيَّةَ اللَّاتِينِيَّةَ قَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي تُعَبَّرُ عَنِ الْحَرَكَاتِ ، فَالضَّمَّةُ يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْحَرْفِ " O " « أَوْ » ، وَالْكَسْرَةُ يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْحَرْفِ " I " « آي » ، وَالْفَتْحَةُ يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْحَرْفِ " A " « آ » ، نِسْمًا حَرِمَتْ الْأَبْجَدِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُ الْأُورَبِيَّ يَقْرَأُ الْكَلِمَةَ مَشْكُوتَةً مَضْبُوتَةً مِنْ غَيْرِ لَبْسٍ أَوْ تَحْمِينٍ .

◆ الْمِثَالُ الْمِثَالُ يَا أَبَتِ ، فَالْمِثَالُ يُزِيلُ الْإِشْكَالَ .

◇ الْمِثَالُ ... خُذِ الْمِثَالَ ، يَقُولُ هَؤُلَاءِ الدُّعَاءُ - مَثَلًا - إِنَّ كَلِمَةَ « بَرَّ » وَهُوَ ضِدُّ الْبَحْرِ ، وَ« بَرَّ » وَهُوَ الْقَمْحُ ، وَ« بَرَّ » وَهُوَ الْخَيْرُ ، إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْمُثَلَّثَةُ تُكْتَبُ بِالْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَعَلَى الْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ أَنْ يُعْمَلَ ذِكَاؤُهُ لِضَبْطِهَا ، وَأَنْ يَكِدَّ ذِهْنُهُ لِفَهْمِ الْمُرَادِ مِنْهَا ، وَأَنْ يَسْتَعِينَ عَلَى ذَلِكَ بِالسِّيَاقِ وَالسُّبْقِ ...

وَلَوْ أَنَّهَا كُتِبَتْ بِالْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ ؛ لَأَثْبَتْنَا بَعْدَ الْبَاءِ حَرْفًا يَدُلُّ عَلَى الْحَرَكَةِ الْمَطْلُوبَةِ ، وَلَقَرَأْنَا الْكَلِمَةَ قِرَاءَةً صَحِيحَةً ، وَلَفْهَمْنَا مَعْنَاهَا مِنْ قِرَاءَتِهَا لَا مِنْ السِّيَاقِ وَالسُّبْقِ .

◆ حُجَّةٌ بِالْعَةِ يَا أَبَتِ ، وَمَنْطِقٌ قَوِيمٌ .

◇ صَبْرَكَ يَا بُنَيَّ صَبْرَكَ ، إِذَا جَاءَكَ شَاكٍ وَقَدْ فُقِقَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ فَلَا تَحْكَمْ لَهُ ، فَقَدْ يَكُونُ الْمَشْكُوكُ مِنْهُ قَدْ فُقِقَتْ عَيْنَاهُ كِلَتَاهُمَا .

◆ مُعْذِرَةٌ يَا أَبَتِ ، فَقَدْ تَعَجَّلْتُ .

◇ نَعَمْ لَقَدْ تَعَجَّلْتُ ؛ فَهُمْ جِئْنَا قَاسُوا لُغَتَنَا عَلَى اللُّغَاتِ الْأُورَبِيَّةِ كَانُوا كَمَنْ

يَقِيسُ الْبَيْضَ عَلَى الْبَاذِنَجَانِ ؛ بِجَامِعٍ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا مُدَوَّرٌ .

◆ نُكْتَةُ طَرِيفَةٍ يَا أَبَتِ .

◇ لَيْسَتْ بِنُكْتَةٍ - يَا بُنَيَّ - وَإِنَّمَا هِيَ وَاقِعٌ مِنْ حَيَاةِ بَعْضِ النَّاسِ ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقِيسُونَ أَمْرًا عَلَى آخَرَ لِأَذْنَى مُلَابَسَةٍ ، وَيَنْسَوْنَ أَوْ يَتَنَاسَوْنَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ فُرُوقٍ أَساسِيَّةٍ جَذَرِيَّةٍ .

◆ أَبَتِ عَفْوَكَ ، أَرَأَاكَ نَبْتَعُدُ عَنْ لُبِّ الْمَوْضُوعِ ، وَأَنَا أَتْلَهْفُ لِسَمَاعِ الْحُجَّةِ الَّتِي تَفْرُغُ الْحُجَّةَ ، وَالذَّلِيلُ الَّذِي يَذْمَعُ الدَّلِيلَ .

◇ إِلَيْكَ الْحُجَجُ وَهِيَ كَثِيرَةٌ .

◆ وَأَوَّلُهَا ...

◇ أَوَّلُهَا وَأَبْسَطُهَا : أَنَّ الْأَبْجَدِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ قَدْ اسْتَعْنَتْ عَنْ حُرُوفِ الْحَرَكَاتِ الَّتِي تُكْتَبُ فِي صُلْبِ الْكَلِمَةِ " i ، o ، a " « آ ، أو ، أي » بِالْحَرَكَاتِ الَّتِي تُوضَعُ فَوْقَ الْحُرُوفِ أَوْ تَحْتَهَا ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنَ اللَّبْسِ بَيْنَ « بَرٍّ » ، وَ« بُرٍّ » ، وَ« بَرٌّ » ؛ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَضَعَ لِلْبَاءِ فَشْحَةً أَوْ ضَمَّةً أَوْ كَسْرَةً ، وَكَفَى اللَّهَ الْكَاتِبِينَ شَرَّ حُرُوفِ الْحَرَكَاتِ .

◆ وَهَلْ لِلْحُرُوفِ الْحَرَكَاتِ شَرٌّ ؟ يَا أَبَتِ .

◇ شَرٌّ كَثِيرٌ ، وَدَفَعُ هَذَا الشَّرُّ يُعْتَلُّ الْحُجَّةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ الْحُجَجِ الْكَثِيرَةِ .

◆ الْإِيضَاحُ الْإِيضَاحُ ، طَالَ بَقَاؤُكَ .

◇ إِلَيْكَ الْإِيضَاحُ يَا بُنَيَّ ، إِنَّ لُغَتَنَا تُغَايِرُ اللُّغَاتِ الْأُورُيَّةَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا لُغَةٌ

مُغْرَبَةٌ؛ تَخْتَلِفُ فِيهَا أَحْوَالُ أَوَاخِرِ الْكَلِمَاتِ بِاخْتِلَافِ مَوَاقِعِهَا مِنَ الْجُمْلِ.

◆ وَمَا عِلَاقَةُ ذَلِكَ بِمَوْضُوعِنَا يَا أَبَتِ ؟

◇ عِلَاقَتُهُ هِيَ أَنَّنَا لَوْ أَخَذْنَا بِطَرِيقَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَرَكَاتِ بِحُرُوفٍ تُثَبِّتُ فِي صُلْبِ الْكَلِمَةِ؛ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى وَقُوعِ الْجَمَاهِيرِ الَّتِي لَا تَعْرِفُ قَوَاعِدَ النُّحُو فِي قَبِيضٍ مِنَ الْخَطَا.

◆ صَحِيحٌ صَحِيحٌ .

◇ وَبِذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ السَّوَادُ مِنْ شَعْبِنَا وَالصُّغَارُ مِنْ أَتْنَانَا أَنْ يَكْتُبُوا عِبَارَةً صَحِيحَةً؛ إِلَّا إِذَا اتَّفَقُوا أَحْكَامَ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، وَالْحَالِ وَالْتَّمِيزِ، وَعَرَفُوا التَّوَاصِبَ وَالْجَوَازِمَ، وَوَقَّفُوا عَلَى ضَبْطِ عَيْنِ الْفِعْلِ، وَأَحْكَمُوا نُطْقَ الْأَسْمَاءِ.

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ .

◇ وَبِذَلِكَ يُحَالُ دُونَ أُمَّتِنَا وَدُونَ تَعَلُّمِ الْكِتَابَةِ، وَتَسْوَدُ الْأُمِّيَّةُ غَامَّةً شَعْبِنَا.

◆ أَعُوذُ بِاللَّهِ !

◇ وَبِذَلِكَ - أَيْضًا - تَقْرَأُ غَيْرُونَ أَعْدَائِنَا وَيَبْلُغُونَ مِنَّا مَا يُرِيدُونَ .

◆ الْآنَ فَهَمْتُ قِصَّةَ قِيَاسِ الْبَيْضِ عَلَى الْبَازِئِنَاجِ بِجَامِعٍ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا مُدَوَّرٌ .

◇ وَسَتَفْهَمُهَا أَكْثَرُ فَأَكْثَرُ، إِذَا تَذَكَّرْتَ أَنَّ فِي الْعَرَبِيَّةِ تِسْعَةَ حُرُوفٍ لَا نَظِيرَ لَهَا فِي الْأَبْجَدِيَّةِ اللَّاتِينِيَّةِ الَّتِي يَدْعُونَنَا إِلَى اسْتِعْمَالِهَا .

◆ وَكَيْفَ عَالَجَ دُعَاءُ الْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ هَذِهِ الْمُغْضِلَةَ ؟

◇ عَالَجُوهَا بِإِخْدَى طَرِيقَتَيْنِ : إِخْدَاهُمَا : أَنْ تُؤْخَذَ هَذِهِ الْحُرُوفُ مِنَ الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَنْ تُضَمَّ إِلَى الْأَبْجَدِيَّةِ اللَّاتِينِيَّةِ كَمَا هِيَ .

◆ سَتُصْبِحُ الْأَبْجَدِيَّةُ الْمُفْتَرَحَةُ خَلِيطًا مُشَوَّشًا مُشَوَّهَا غَيْرَ مُتَنَاسِقٍ ! .

◇ وَمَا فِي ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، فَالَّذِي يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ لَا يَسْتَغْلِي الْمَهْرُ !!! .

◆ بَلْ نَخْطُبُ الشَّوْهَاءَ وَنَذْفَعُ غَالِي الْمُهْورِ ! .

◇ هَذَا هُوَ الْإِفْتِرَاحُ الْأَوَّلُ .

◆ وَمَا الْإِفْتِرَاحُ الثَّانِي ؟ .

◇ الْإِفْتِرَاحُ الثَّانِي : هُوَ مَا أَخَذَ بِهِ صَاحِبُ كِتَابِ « يَارَا » .

◆ وَعَلَى آيَةِ أُسُسِ بُنْيِ الْإِفْتِرَاحِ الثَّانِي ؟ .

◇ بُنِيَ عَلَى اسْتِعْمَالِ حُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ اللَّاتِينِيَّةِ كُلِّهَا بَعْدَ أَنْ ضَمَّ إِلَيْهَا صَاحِبُ الْإِفْتِرَاحِ سَبْعَةَ حُرُوفٍ جَدِيدَةٍ اخْتَرَعَهَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَضَافَ إِلَيْهَا أَحَدَ عَشَرَ حَرْفًا لَاتِينِيًّا مَوْشُومَةً بِبَعْضِ الْإِشَارَاتِ الْخَاصَّةِ .

◆ أَعُوذُ بِاللَّهِ ! أَنْخَمِلُ النَّاشِئَ مِنْ أَبْنَائِنَا عَلَى تَعَلُّمِ أَرْبَعَةِ وَأَرْبَعِينَ حَرْفًا بَدَلًا مِنْ ثَمَانِيَّةٍ وَعِشْرِينَ ؛ حَتَّى تُكْتَبَ الْكَلِمَةُ الْعَرَبِيَّةُ بِالْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ !!! .

◇ وَمَا فِي ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ؟ أَلَيْسَ فِي هَذَا تَجْدِيدٌ !!! .

◆ بَلْ إِنَّهُ تَبْدِيدٌ .

◇ نَعَمْ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ تَجْهِيلٌ وَتَبْدِيدٌ .

* * *

◆ أَيْبَ ، يَتَدَوُّ أَنَّ مَنَحَتِ الْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ قَدْ اكْتَمَلَ وَنَضَجَ .

◇ نَضَجَ ، أَمْ نَضِجَ ؟

◆ وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ ، أَمَّاكَ فَرْقٌ بَيْنَ نَضَجَ ، وَ نَضِجَ ؟

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ .

◆ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا طَالَ بَقَاؤُكَ ؟

◇ هُوَ الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْخَطَا وَالصَّوَابِ .

◆ أَيْبَ ، سَدَدْتُ عَلَيَّ الْمَسَالِكَ ، حَتَّى كَذْتُ تَغْفِلُ^(١) لِسَانِي .

◇ مَعَاذَ اللَّهِ ! مَا أَرَدْتُ أَنْ أَغْفِلَ لِسَانَكَ ، وَإِنَّمَا وَدِدْتُ أَنْ أَقُومَ بَيَانَكَ .

◆ وَمَا وَجْهُ الْخَطَا فِي نَضَجَ هَذِهِ ؟

◇ هُوَ أَنَّكَ فَتَحْتَ مِنْهَا مَا يَجِبُ أَنْ يُكْسَرَ .

◆ تُرِيدُ أَنْ أَقُولَ : نَضِجَ بِكْسَرِ الضَّادِ .

◇ لَسْتُ أَنَا الَّذِي أُرِيدُهُ ، وَإِنَّمَا تُرِيدُهُ مِنْكَ الْمُعْجَمَاتُ ، وَمُتَوْنُ اللُّغَةِ ، وَتُرِيدُهُ مِنْكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَيْضًا .

◆ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ .

◇ سَلِمَ الرَّأْسُ ، وَحُفِظَتِ الْعَيْنُ .

(١) تغفل لساني : تمسكه كأنما قيدته بعقال فلا أستطيع الكلام .

◆ وَمَا الَّذِي جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ مُضَدًّا لَذَلِكَ .

◇ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ فِي وَصْفِ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ : ﴿ كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾ (١) .

◆ وَلَكِنْ أَيْنَ أُثِبَتْ هَذَا فِي مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ أُثِبَتْ فِي بَابِ مَا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ مَكْشُورًا ، وَالْعَامَّةُ تَلَحَّنُ فِيهِ فَتَفْتَحُهُ .

◆ أَهْنَاكَ غَيْرُ « نَضَجَ » عَفْوُكَ « نَضِجَ » حَتَّى أَفْتَحَ لَهُ بَابًا فِي مُذَكِّرَاتِي ١٩ .

◇ كَثِيرٌ كَثِيرٌ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ صَعَدَ ، وَصَوَائِبُهَا : صَعِدَ بِكْسَرِ الْعَيْنِ .

وَيَرْجِعُ ، وَصَوَائِبُهَا : يَرْجِعُ بِكْسَرِ الْجِيمِ .

وَالْجَنَازَةُ ، وَصَوَائِبُهَا : الْجَنَازَةُ بِكْسَرِ الْجِيمِ .

وَالْمَرْوَحَةُ ، وَصَوَائِبُهَا : الْمَرْوَحَةُ بِكْسَرِ الْمِيمِ .

وَالْمَبْرُودُ ، وَصَوَائِبُهَا : الْمَبْرُودُ بِكْسَرِ الْمِيمِ .

وَالْمَخْرُزُ ، وَصَوَائِبُهَا : الْمَخْرُزُ (٢) بِكْسَرِ الْمِيمِ .

وَمَنْشَرُ الطَّائِرِ ، وَصَوَائِبُهَا : الْمَنْشَرُ (٣) بِكْسَرِ الْمِيمِ .

وَالْبَطِيخُ ، وَصَوَائِبُهَا : الْبَطِيخُ بِكْسَرِ الْبَاءِ .

وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ لِلشُّورَتَيْنِ الْمَعْرُوفَتَيْنِ ، وَالصُّوَابُ : الْمُعَوَّذَتَيْنِ بِكْسَرِ الْوَاوِ

الْمُسَدَّدَةِ .

وَالْمَنْدِيلُ ، وَالصُّوَابُ : الْمَنْدِيلُ بِكْسَرِ الْمِيمِ .

(١) سورة النساء الآية ٥٦ .

(٢) المخرز : آلة لخرق الجلود وما شابهها .

(٣) المنشر : منقار الطائر .

وَكَلِمَةُ مُلْحَقٍ مِنَ الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: إِنَّ عَذَابَكَ الْجِدِّ بِالْكَفَّارِ مُلْحَقٌ،
وَالصُّوَابُ: مُلْحَقٌ بِكُسْرِ الْحَاءِ.

◆ جُزِيتَ أَلْفَ خَيْرٍ يَا أَبَتِ، فَقَدْ وَفَّيْتَ وَكَفَّيْتَ.

* * *

◆ أَبَتِ، أَخَشَى أَنْ يَكُونَ الْوَقْتُ قَدْ ضَاقَ عَنْ رَوْضَةِ الشَّعْرِ؛ فَأُخْرِمَ مِنْ طِيبِ
شَذَاهَا.

◇ لَنْ تُخْرِمَ مِنْهَا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَقَدْ وَعَدْتُكَ بِأَنْ تَكُونَ لِكُلِّ جَلْسَةٍ طَاقَةٌ مِنْ أَزَاهِيرِ
الشَّعْرِ، وَأَنَا عِنْدَ وَعْدِي.

◆ وَمَنِ الشَّاعِرُ الَّذِي جَنَيْتَ مِنْ رَوْضِهِ الْيَوْمَ؟

◇ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيُّ.

◆ وَاضِعُ عِلْمِ النَّخْوِ؟

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ، وَاضِعُ عِلْمِ النَّخْوِ.

◆ أَبُو الْأَسْوَدِ هَذِهِ كُنْيَتُهُ، فَمَا اسْمُهُ طَالَ عُمْرُكَ؟

◇ اسْمُهُ: ظَالِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سُفْيَانَ بْنِ جَنْدَلٍ الدُّؤْلِيُّ.

◆ مَا هَذِهِ الْقِسْوَةُ فِي الْأَسْمَاءِ: ظَالِمُ بْنُ جَنْدَلٍ!!

◇ وَلَكِنْ شِعْرُهُ لَيْسَ كَذَلِكَ فَمَا هُوَ بِظَالِمٍ، وَلَا هُوَ بِجَنْدَلٍ... وَإِنَّمَا هُوَ أَزْهَى
مِنَ الْبُرُودِ الْيَمَانِيَّةِ^(١)، وَأَنْعَمُ مِنَ الدِّيَبَاجِ^(٢).

(١) الرد: كساء مخطط يلتحف به، والبرود اليمنية المصنوعة في «اليمن» أزهاها وأحسنها منظرا.

(٢) الديباج: الحرير الخالص.

◆ وَكَيْفَ نَشَأَ أَبُو الْأَسْوَدِ، وَمَتَى مَاتَ ؟

◇ كَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَا بُنَيَّ عَالِمًا فَقِيهًا فَارِسًا شَاعِرًا، وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ وَاضِعٌ عِلْمِ
النُّحُو، وَقَدْ مَاتَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَبِسْتَيْنَ لِلْهِجْرَةِ.

◆ وَمَا الزُّهْرَةُ الَّتِي جَنَيْتَهَا مِنْ رَوْضِهِ ؟

◇ هِيَ قِطْعَةٌ رَقِيقَةٌ يَصِفُ فِيهَا حَمَامَةٌ.

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟

◇ يَقُولُ :

وَسَاجِعٍ فِي فُرُوعِ الْأَيْكِ هَيَّجَنِي

لَمْ أَذِرْ لِمِ نَاحٍ مِمَّا بِي وَلَمْ سَجَعَا

أَبَاكِيا إِلْفُهُ مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ

أَمْ جَارِعَا لِلنُّوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَعَا

يَدْعُو حَمَامَتُهُ وَالطَّيْرُ هَاجِعَةٌ

فَمَا هَجَعْتُ لَهُ لَيْلًا وَلَا هَجَعَا

مُوشَّحٌ سُلْدُسًا، خُضِرَ مَنَاكِبُهُ

تَرَى مِنْ الْمِسْكِ فِي أَذْيَالِهِ لُحْمًا

لَهُ مِنَ الْأَسْرِ^(١) طَوِّقٌ فَوْقَ لَبَّتِيهِ

مِنْ الْبَنْفَسَجِ وَالْخَيْرِيِّ^(٢) قَدْ جُمِعَا

(١) الْأَسْرُ : شَجَرٌ عَطْرِيٌّ دَائِمٌ الْخَضِرَةِ أَيْضُ الزَّهْرِ أَوْ وَرْدِهِ .
(٢) الْخَيْرِيُّ : نَبَاتٌ لَهُ زَهْرٌ أَصْفَرٌ ، يُسْتَخْرَجُ دَهْنُهُ وَيَدْخُلُ فِي الْأَدْوِيَةِ .

كَأَنَّمَا عَبَّ مِنْ مُشَوِّدٍ غَالِيَةٍ (١)
 وَحَلُّ مِنْ تَخْتِهِ الْكَافُورُ فَانْتَفَعَا
 كَانَ عَيْنَيْهِ مِنْ حُسْنِ اضْفِرَارِهِمَا
 فَصَانِ مِنْ حَجَرِ الْيَاقُوتِ قَدْ جُمِعَا
 كَانَ رِجْلَيْهِ مِنْ حُسْنِ اخْمِرَارِهِمَا
 مَا رَقَّ مِنْ شَعْبِ الْمَرْجَانِ فَاتَّسَعَا
 شَكَا النَّوَى فَبَكَى خَوْفَ الْأَسَى فَرَمَى
 بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْ أَوْجَاعِهِ وَجَعَا
 وَالرَّيْحُ تَخْفِضُهُ طَوْرًا وَتَرْفَعُهُ
 طَوْرًا، فَمُنْخَفِضًا يَدْعُو وَمُرْتَفِعًا
 كَأَنَّهُ زَاهِبٌ فِي رَأْسِ صَوْمَعَةٍ
 يَتَلَوُ الزُّبُورَ، وَنَجْمُ الصُّبْحِ قَدْ طَلَعَا

* * *

◆ أَيْتٌ، قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ:
 وَسَاجِعٌ فِي فُرُوعِ الْأَيْكِ هَيَّجَنِي
 لَمْ أَذِرْ لِمِ نَاحٍ مِمَّا بِي وَلِمِ سَجَعَا
 فَمَا السَّجْعُ طَالَ بَقَاؤُكَ؟

◇ السَّجْعُ يَا بُنَيَّ: ضَرْبٌ مِنْ أَصْوَاتِ الطُّيُورِ، وَقَدْ فَصَّلَ الْعَرَبُ الْقَوْلَ فِي الْأَصْوَاتِ تَفْصِيلًا عَزَّ أَنْ تَجِدَ لَهُ نَظِيرًا فِي آيَةٍ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ ... فَعَقَّدُوا

(١) الغالية: أخلط من الطيب كالمسك والعنبر.

عِشْرِينَ بَابًا وَنَيْفًا^(١) فِي كُتُبِ اللُّغَةِ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْأَصْوَاتِ .

◆ عِشْرُونَ بَابًا وَنَيْفٌ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْأَصْوَاتِ ١١ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، فَلَمْ يَتْرُكُوا إِنْسَانًا أَوْ حَيَوَانًا أَوْ جَمَادًا ؛ إِلَّا وَفَضَّلُوا الْقَوْلَ فِي صَوْتِهِ .

◆ وَمَاذَا قَالُوا فِي أَصْوَاتِ الطُّيُورِ ؟

◇ قَالُوا :

الْهَدِيدُ ، وَالْهَدِيرُ : صَوْتُ الْحَمَامِ .

وَالْعَنْدَلَةُ : صَوْتُ الْعَنْدَلِيبِ .

وَالسُّفْسَقَةُ : صَوْتُ الْغُصْفُورِ .

وَالنَّعِيقُ ، وَالنَّعِيبُ : صَوْتُ الْغُرَابِ .

وَالصُّفِيرُ : صَوْتُ النَّسْرِ .

وَالزُّقَاءُ ، وَالصُّقَاعُ : صَوْتُ الدِّيكِ .

وَالْقُوقَاةُ ، وَالنُّقْنَقَةُ : صَوْتُ الدَّجَاجَةِ .

وَالصَّرَصَرَةُ : صَوْتُ الْبَازِي .

وَالْقُقْعَقَةُ : صَوْتُ الصُّقْرِ .

وَالسَّجْعُ : صَوْتُ الْقُمْرِيِّ .

◆ جَزَى اللَّهُ عَنَّا لُغَةَ الْقُرْآنِ خَيْرَ الْجَزَاءِ ؛ فَمَا تَرَكَتْ زِيَادَةً لِمُسْتَزِيدٍ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَطُرْفَةُ الْجَلْسَةِ ، أَرْجُو أَلَّا تَنْسَاهَا .

(١) النيف : من العدد من واحد إلى ثلاثة ولا يقال إلا بعد المقد ، يقال عشرون ونيف ، وثلاثون ونيف ، الخ .

◇ إِذَا نَسِيْتُهَا أَنَا فَلَنْ نَنْسَاهَا أَنْتَ .

◆ عَجَّلْ بِهَا عَجَلَ اللَّهِ لَكَ الْخَيْرَ .

◇ جَاءَ فِي كِتَابِ الْمُشْتَطَرِفِ لِلْأُبْسِيهِ : أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ الْمُلَقَّبَ بِالْقَسِّ كَانَ عِنْدَ أَهْلِ مَكَّةَ بِمَنْزِلَةِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ ^(١) فِي الْعِبَادَةِ ، وَقَدْ مَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ بِسَلَامَةٍ وَهِيَ تُغْنِي ؛ فَوَقَفَ يَسْمَعُ غِنَاءَهَا ، فَرَأَاهُ مَوْلَاهَا ^(٢) ، فَقَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ وَتَسْمَعَ ... فَأَتَى .

فَلَمْ يَزَلْ يَهْ حَتَّى دَخَلَ فَعَنَّتُهُ فَأَعْجَبَتْهُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْمَعُهَا وَيُلَاحِظُهَا النَّظَرَ حَتَّى شَغِفَ بِهَا ... فَلَمَّا شَعَرَتْ بِتَعَلُّقِهِ بِهَا وَلَحْظِهِ إِيَّاهَا ؛ غَنَّتْهُ :

رُبَّ رَسُولَيْنِ لَنَا بَلَّغَا رِسَالَةَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَحَا
الطَّرْفُ لِلطَّرْفِ بَعَثْنَاهُمَا فَقَضَيَا حَاجَا ، وَمَا صَرَّحَا
فَهَامَ بِهَا حَتَّى كَادَ يَهْلِكُ ، فَقَالَتْ لَهُ :

إِنِّي وَاللَّهِ أُحِبُّكَ .

قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ .

قَالَتْ : وَأَحِبُّ أَنْ أُوَصِلَكَ .

قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ كَذَلِكَ .

قَالَتْ : فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ ؟ .

قَالَ : أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَاقَةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؛ عَدَاوَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) .

* * *

(١) عطاء بن أبي رباح : انظره في كتاب « صور من حياة التابعين » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي .

(٢) مولاها : سيدها .

(٣) سورة الزخرف الآية : ٦٧ .

الجلسة الرابعة عشرة

كِتَابَةُ اللُّغَاتِ بِالحَرْفِ العَرَبِيِّ

- ◆ أبت ، سلامُ الله عليك ورَحْمَتُهُ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .
- ◆ أبت ، مَا يَزَالُ لَدَيَّ سُؤَالٌ يَتَّصِلُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى إِحْلَالِ الحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ مَحَلُّ الحُرُوفِ العَرَبِيَّةِ ، فَهَلْ تَسْمَحُ ؟ .
- ◇ أَسْمَحُ ! سَلْ يَا بُنَيَّ سَلْ ، فَفِي أَسْئَلَتِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ .
- ◆ جَزَاكَ اللَّهُ أَجْرَلِ الْجَزَاءِ ...
- أبت ، أَيُّهُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا ؟ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ بِالحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ ؛ أَمْ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ بِالحُرُوفِ العَرَبِيَّةِ ؟ .
- ◇ وَمَا عِلَاقَةُ القِلَّةِ أَوْ الكَثَرَةِ بِمَوْضُوعِنَا هَذَا يَا بُنَيَّ ؟ !! .
- ◆ قَدْ لَا تَكُونُ لَهَا عِلَاقَةٌ أَساسِيَّةٌ بِالمَوْضُوعِ وَلَكِنَّهَا تُلْقِي نُورًا عَلَيْهِ ، وَتُعْطِي فِكْرَةً لِلتَّابِحِ .
- ◇ بَلْ إِنَّ مَنَاطِقَ الأَرْقَامِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْقَضَايَا كَثِيرًا مَا يُؤَدِّي إِلَى التَّضْلِيلِ ،

فَصَلَّاحِ الْحُرُوفِ لِلْكِتَابَةِ لَا يُقَاسُ بِكَثْرَةِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ بِهَا أَوْ بِقِلَّتِهِمْ ، وَإِنَّمَا يُقَاسُ بِأَمْرِ آخَرَ .

◆ وَمَا هُوَ طَالَ بِقَاوُكَ ؟ .

◇ إِنَّ صَلَّاحَ الْحُرُوفِ لِلْكِتَابَةِ - يَا بُنَيَّ - يَعُودُ إِلَى أَنْوَاعِ اللُّغَاتِ الَّتِي تُكْتُبُ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ .

◆ أَنْوَاعُ اللُّغَاتِ الَّتِي تُكْتُبُ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ ١١ .

◇ نَعَمْ ، يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، فَفِي الْعَالَمِ ثَلَاثُ أَسْرِ لُغَوِيَّةٍ هِيَ : الْأُسْرَةُ « الْهِنْدِيَّةُ الْجِزْمَانِيَّةُ » ، وَالْأُسْرَةُ « الطُّورَانِيَّةُ » ، وَالْأُسْرَةُ « الْعَرَبِيَّةُ » ، وَهَذِهِ الْأُسْرُ الثَّلَاثُ تُكْتُبُ بِالْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ ، يَتَنَمَا لَا تُكْتُبُ بِالْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ إِلَّا أُسْرَةُ وَاحِدَةٌ .

◆ إِنَّهُ لَأَمْرٌ يَدْعُو إِلَى الْإِعْتِرَازِ ، وَلَكِنْ بِحَاجَةٍ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْإِيضَاحِ .

◇ إِنَّ الْحُرُوفَ الْعَرَبِيَّةَ يَا بُنَيَّ تُكْتُبُ بِهَا اللُّغَةُ الْفَارِسِيَّةُ ، وَاللُّغَةُ الْأُرْدِيَّةُ ، وَاللُّغَةُ التُّرْكِيَّةُ ، وَاللُّغَةُ الْمَلَاوِيَّةُ ، وَذَلِكَ بِالإِضَافَةِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

◆ كَلَامٌ طَيِّبٌ .

◇ وَمِنَ الْمَعْلُومِ - يَا بُنَيَّ - أَنَّ اللَّغَتَيْنِ الْفَارِسِيَّةَ وَالْأُرْدِيَّةَ هُمَا مِنَ الْأُسْرَةِ « الْهِنْدِيَّةِ الْجِزْمَانِيَّةِ » ، وَأَنَّ اللُّغَةَ التُّرْكِيَّةَ هِيَ مِنَ الْأُسْرَةِ « الطُّورَانِيَّةِ » ، وَأَنَّ اللُّغَةَ « الْمَلَاوِيَّةَ » فِيهَا خُصَائِصٌ مِنَ الْأُسْرَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ .

◆ وَهَلِ اسْتَطَاعَتْ الْحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ أَنْ تَنْهَضَ بِكِتَابَةِ جَمِيعِ هَذِهِ اللُّغَاتِ ١١؟ .

◆ نَعَمْ - يَا بُنَيَّ - نَعَمْ ؛ لَقَدْ تَمَكَّنْتَ هَذِهِ الْأُمَمَ جَمِيعُهَا أَنْ تَكْتُبَ لُغَاتِهَا
بِالْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ دُونَ أَنْ تُدْخَلَ عَلَى هَذِهِ الْحُرُوفِ تَعْدِيلًا ، أَوْ تُخْدِتَ فِي
أَشْكَالِهَا تَغْيِيرًا ، أَوْ تَتَصَرَّفَ بِهَا أَيُّ تَصَرَّفَ سِوَى بَعْضِ الْعَلَامَاتِ وَالنَّقْطِ
الَّتِي وَضَعْتَهَا فَوْقَ بَعْضِ الْحُرُوفِ .

◆ أَبَتِ - عَفْوَكَ - أَيْسَلُّمُ الْآخَرُونَ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ ؟ .

◆ هَذِهِ حَقِيقَةٌ لَا جِدَالَ فِيهَا - يَا بُنَيَّ - وَإِنَّ عَلَى كُلِّ عَرَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ
مُسْلِمٍ ، أَنْ يَعْرِفَهَا ، وَأَنْ يَضَعَهَا نُصَبَ عَيْنَيْهِ ؛ لِيَعْرِفَ مَدَى التَّجَنِّي عَلَى اللُّغَةِ
الْعَرَبِيَّةِ ، وَمَبْلَغَ الْبُهْتَانِ فِي شُكْرَى الشَّاكِينَ مِنْ صُعُوبَةِ الْكِتَابَةِ بِالْحُرُوفِ
الْعَرَبِيَّةِ .

◆ أَبَتِ ، بَقِيَ لَدَيَّ سُؤَالٌ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ ، فَأَرْجُو أَنْ يَتَّسِعَ لَهُ صَدْرُكَ .

◆ يَتَّسِعُ صَدْرِي لَهُ ١١ ، صَدْرِي أَوْسَعُ مِنْ فَيْافِي بَنِي أَسَدٍ ؛ فَسَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ .

◆ أَبَتِ - عَفْوَكَ - هَبْ أَنْنَا اسْتَجَبْنَا لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ ، وَأَخْلَلْنَا الْحُرُوفَ اللَّاتِيْنِي
مَحَلَّ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيِّ ، فَمَاذَا تَكُونُ النَّتَائِجُ وَالْآثَارُ فِي تَقْدِيرِكَ ؟ .

◆ تَقُولُ : هَبْ أَنْنَا اسْتَجَبْنَا وَأَخْلَلْنَا ، فَمَنْ هُمُ الَّذِينَ سَيَسْتَجِيبُونَ وَمَنْ هُمُ
الَّذِينَ سَيُحِلُّونَ ١٢ .

◆ أَهْلُ قُطْرِ ... أَيُّ قُطْرِ مِنَ الْأَقْطَارِ الْعَرَبِيَّةِ .

◆ إِنَّ هَذَا الْحَرْفَ الْعَرَبِيَّ - يَا بُنَيَّ - لَيْسَ مِلْكًا لِقُطْرِ عَرَبِيٍّ بَعْضِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِلْكٌ
لِلْعَرَبِ جَمِيعًا ، وَهُوَ لَيْسَ مِلْكًا لِلْعَرَبِ وَحْدَهُمْ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ مِلْكٌ لِمَلَائِكِ
الْمُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ... فِيهِ كُتِبَ قُرْآنُهُمْ ، وَبِهِ دُونَتْ أَحَادِيثُ نَبِيِّهِمْ .

فَمَنْ ذَا الَّذِي سَيَعِيدُ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَى تَغْيِيرِ هَذَا الْحَرْفِ ؟ .
وَإِذَا اجْتَرَأَ فَرِيقٌ مِنْ هَؤُلَاءِ عَلَى تَبْدِيلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ ؛ فَهَلْ يَأْخُذُ الْآخَرُونَ
بِرَأْيِهِ ؟ أَوْ هَلْ يَرْضَى هُوَ بِأَنْ يَنْزِلَ نَفْسُهُ عَنْ بَنِي قَوْمِهِ وَإِخْوَتِهِ فِي الدِّينِ
وَالْعَقِيدَةِ ۱۲ .

◆ عَفْوِكَ ، أَبَتِ ، أَنَا أَفْتَرِضُ ذَلِكَ افْتِرَاضًا ؛ فَأَقُولُ هَبْ أَنَّنَا جَمِيعًا قَدْ اتَّفَقْنَا عَلَى
أَنْ نُحِلَّ الْحُرُوفَ اللَّاتِينِيَّيَ مَحَلَّ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّ ، فَمَآذَا سَتَكُونُ الْأَنَارُ
وَالنَّتَائِجُ فِي نَظْرِكَ ؟ .

◇ لَوْ حَدَّثَ ذَلِكَ يَا بَنِيَّ - لَا سَمَحَ اللَّهُ وَلَا قَدَّرَ - لَوَأْذَنَّا^(١) آَلَافَ آَلَافِ الْكُتُبِ
الَّتِي دُونَتْ بِالْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّيَ خِلَالَ تَارِيخِنَا الْحَضَارِيِّ الطَّوِيلِ الثَّلَاثِي ...

◆ هِيَ هَذِهِ .

◇ وَلَقَطَعْنَا صِلَةَ الْأَبْنَاءِ بِالْآبَاءِ ، وَلَحَرَّمْنَا الْأَوَاخِرَ مِنَ الْبِنَاءِ عَلَى آسَاسِ الْأَوَائِلِ ،
وَلَمَنَعْنَا اللَّاحِقَ مِنَ الْإِفَادَةِ مِنَ السَّابِقِ .

◆ إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُرِيعٌ ۱ .

◇ نَعَمْ إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُرِيعٌ - يَا بَنِيَّ - إِنَّهُ يَجْعَلُ أُمَّتَنَا كَأَنسَانٍ فَقَدْ ذَاكِرَتُهُ ؛ فَانْقَطَعَتْ
صِلَتُهُ بِمَاضِيهِ ، بِكُلِّ مَا فِي هَذَا الْمَاضِي مِنْ تَجَارِبَ وَخِجَرَاتٍ وَمَعَارِفَ ،
وَبَاتَ يَعِيشُ عَلَى حَاضِرِهِ الْقَاصِرِ الْمَحْدُودِ .

◆ لَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◇ نَعَمْ يَا بَنِيَّ لَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَبَدًا ، مَا دَامَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ شَبَابٌ أُمَّتَالُكُمْ يَغَارُونَ

(١) لَوَأْذَنَّا : لَقَتَلْنَا وَأَهْلَكْنَا وَدَفَنَّا مَا حَيَّة .

عَلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ ، وَيُتَأَفَّحُونَ عَنْ حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ
وَالَّذِينَ تَوَعَّمَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ (١) .

* * *

◆ أَيْتِ ، كُنْتُ لَفْتَنِي فِي الْجُلُوسَةِ السَّابِقَةِ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي جَاءَتْ
عَنِ الْعَرَبِ مَكْسُورَةً ، وَالْعَامَّةُ تَلْحَرُ فِيهَا فَتَفْتَحُهَا .

◇ نَعَمْ - يَا بَنِي - لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ .

◆ أَمَّا زَالَ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ يُمَكِّنُ أَنْ يُذَكَّرَ ؛ فَأُضِيفَهُ إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا
لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ هُنَاكَ الْكَثِيرُ الْكَثِيرُ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَرَوِّدْتَنِي بِشَيْءٍ مِنْهُ لِأَزِينَ بِهِ بَيَانِي ، وَأَعْصِمَ بِصَوَابِهِ عَنِ الْخَطَا
لِسَانِي ؟؟ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ .

◇ عَقَّدَ ابْنُ السَّكَيْتِ بَابًا فِي كِتَابِهِ « إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ » لِمَا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ
مَكْسُورَ الْأَوَّلِ ، وَالْعَامَّةُ تُخْطِئُ فِيهِ فَتَفْتَحُهُ أَوْ تَضُمُّهُ .

◆ وَمَاذَا قَالَ فِيهِ ؟ طَالَ عُمْرُكَ .

◇ قَالَ : تَقُولُ الْعَامَّةُ : هَذَا شَيْءٌ رَخْوٌ يَفْتَحِ الرَّاءِ ، وَالصُّوَابُ : رِخْوٌ بِالْكَسْرِ .

(١) انظر كتاب « العدوان على العربية عدوان على الإسلام » للمؤلف .

وَتَقُولُ : هَذَا جُرَابٌ بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَالصَّوَابُ : الْجِرَابُ بِالْكَسْرِ .
وَتَقُولُ : هَذِهِ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةَ بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَالصَّوَابُ : إِرْمِينِيَّةَ بِالْكَسْرِ .
وَتَقُولُ عَنِ الْفَاكِهَةِ الْمَعْرُوفَةِ : هَذَا مُشْمُشٌ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَالصَّوَابُ :
الْمِشْمِشُ بِالْكَسْرِ .
وَتَقُولُ : الدَّهْلِيْزُ يَفْتَحُ الدَّالِ ، وَالصَّوَابُ : الدَّهْلِيْزُ بِالْكَسْرِ .
وَتَقُولُ : الرَّوَّاقُ بِضَمِّ الرَّاءِ ، وَالصَّوَابُ : الرَّوَّاقُ بِالْكَسْرِ .
وَتَقُولُ : الْوُشَّاحُ بِضَمِّ الْوَاوِ ، وَالصَّوَابُ : الْوِشَّاحُ بِالْكَسْرِ .
وَتَقُولُ : التَّرْيَاقُ يَفْتَحُ التَّاءِ ، وَالصَّوَابُ : التَّرْيَاقُ بِالْكَسْرِ .
وَتَقُولُ : الْمِرْفَقُ لِمَا يُرْتَفَقُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ يَفْتَحُ الْمِيمِ ، وَالصَّوَابُ : الْمِرْفَقُ
بِالْكَسْرِ .

◆ لَقَّاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ جَزَاءَ مَا سَدَّدْتَ وَصَوَّبْتَ .

◇ وَنَفَعَكَ اللَّهُ أَنْتَ وَإِخْوَتَكَ مِنْ أَتْبَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا تَتَعَلَّمُونَ .

◆ آمِينَ .

◇ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَرَوْضَةُ الشَّعْرِ ، أَيْنَ رَوْحُهَا وَرَيْحَانُهَا ؟

◇ هُمَا مِنْكَ قَرِيبَانِ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي جَنَيْتَ مِنْ رَوْضِهِ ؟

◇ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ .

◆ أَمَّا هُوَ اسْمُهُ ؟ .

◇ بَلْ هِيَ كُنْيَةُ غَلَبَتْ عَلَيْهِ ، أَمَّا اسْمُهُ فَخُوَيْلِدُ بْنُ خَالِدٍ ... بْنُ هَذِيلِ بْنِ مُذْرِكَةَ
ابْنِ إِيَّاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ .

◆ عَلَى هَذَا فَهُوَ يَلْتَقِي فِي نَسَبِهِ مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

◇ أَحْسَنْتَ ، بُورِكَ فَيْكَ ، نَعَمْ إِنَّهُ يَلْتَقِي مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي النَّسَبِ عِنْدَ
جَدِّهِ مُذْرِكَةَ .

◆ وَمَتَى وَجَدَ أَبُو ذُوَيْبٍ ؟ .

◇ أَبُو ذُوَيْبٍ - يَا بُنَيَّ - شَاعِرٌ مُحَضَّرٌ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ ، وَالْإِسْلَامَ .

◆ وَمَتَى أَسْلَمَ ؟ وَهَلْ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ .

◇ لَا يَذْكُرُ الْمُؤَرِّخُونَ شَيْئًا عَنْ إِسْلَامِهِ ، وَالَّذِي يَتَدَوَّهْهُ هُوَ أَنَّ الشَّاعِرَ لَمَّا رَأَى
أَنْوَارَ الْفَجْرِ الْجَدِيدِ تَغْمُرُ الْجَزِيرَةَ ، شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ؛ فَأَسْلَمَ وَظَلَّ
مُقِيمًا مَعَ قَوْمِهِ فِي بَوَادِيهِمْ .

◆ وَهَلْ عُمِّرَ الشَّاعِرُ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلًا ؟ .

◇ بَقِيَ عَلَى قَبْدِ الْحَيَاةِ مُدَّةَ خِلَافَةِ الصُّدِّيقِ ، وَالْقَارِوِيِّ ، وَطَرَفًا يَسِيرًا مِنْ خِلَافَةِ
عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي اضْطَفَّتْهَا مِنْ شِعْرِهِ ؟ .

◇ إِنَّهَا مِنْ أَهْمَاتِ الْمَرَاثِي يَا بُنَيَّ ، فَأَنَا لَا أَكَادُ أَعْرِفُ أَدِيمًا فِي الْقَدِيمِ

أَوِ الْحَدِيثِ جَمَعَ مُخْتَارَاتٍ مِنْ رَوَائِعِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ إِلَّا جَعَلَ غَيْبَةً أَبِي ذُوئَيْبٍ فِي طَلِيعَةِ مُخْتَارَاتِهِ .

◆ فَهَلَّا تَفَضَّلْتَ بِإِنْشَادِ الْقَصِيدَةِ .

◇ قَبْلَ أَنْ أَنْشِدَكَ الْقَصِيدَةَ ، يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقِفَ عَلَى مُنَاسِبَتِهَا .

◆ وَمَا هِيَ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ كَانَ لِلشَّاعِرِ يَا بُنَيَّ أَتْنَاءُ خَمْسَةِ مَعْدُودُونَ فِي الْفُرْسَانِ السُّجْعَانِ ، فَحُلَّ الطَّاعُونَ فِي أَرْضِهِمْ ، فَتَخَطَّفَهُمُ الْمَوْتُ وَاحِدًا بَعْدَ آخَرٍ فِي أَقَلِّ مِنْ خَمْسَةِ أَيَّامٍ ؛ فَتَكَاهُمُ الشَّاعِرُ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ نَقَطْتُ مِنْهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :
أَمِنْ الْمَمُوتِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ ؟

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُغْتِيبٍ^(١) مَنْ يَجْزَعُ

قَالَتْ أُمَيَّةٌ : مَا لِيَجْنِيكَ شَاحِبًا ؟

مُنْذُ ابْتِثَلَيْتَ ، وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ

أُمَ ، مَا لِيَجْنِيكَ لَا يُلَايِمُ مَضْجَعًا

إِلَّا أَقْضُ عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ ؟

فَأَجَبَتْهَا : أُمَّا لِيَجْنِي أَنَّهُ

أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا

أَوْدَى بَنِيَّ فَأَغْقَبُونِي حَسْرَةً

بَعْدَ الرُّقَادِ ، وَعَبْرَةَ مَا تُقْلِعُ

(١) مُغْتِيبٌ : سَامِعٌ لِلْعَتَابِ ، فَاعِلٌ مَا يَرْضَى الْعَتَابَ .

سَبَقُوا هَوًى وَأَغْنَقُوا^(١) لِهَوَاهُمْ
فَشَحَرُوا^(٢)، وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضَرَعٌ
فَعَبَزْتُ^(٣) بَعْدَهُمْ يَعْشِرُ نَاصِبٍ
وَإِخَالُ أَنِّي لَأَجِئُ مُسْتَنْبِعُ
وَلَقَدْ حَرَضْتُ بِأَنْ أُدَانِعَ عَنْهُمْ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَتَبَتِ أَظْفَارَهَا
أَلْقَيْتُ كُلَّ تَيْمَةٍ لَا تَنْفَعُ
فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ جِدَاقَهَا
سُيِّلَتْ بِشَوْكِ، فَهِيَ غَوْرٌ تَذْمَعُ
وَتَجْلُدِي لِلشَّامِتِينَ^(٤) أُرِيهِمْ
أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ
وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا
وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ
وَلَيْنَ بِهِمْ فَجَعَ الزَّمَانُ وَرَيْبُهُ^(٥)
إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفَجِّعُ

◆ مَا هَذِهِ الْمَرْثِيَّةُ الرَّائِعَةُ ١٩ .

(١) أغنقوا إلهواهم : أسرعوا في طريقهم ، والمراد هنا نهاية الحياة .

(٢) شحروا : أهلكهم الرباء واحداً بعد واحد .

(٣) عبرت : هفيت .

(٤) الشامتين : الفرحين بمصيتي .

(٥) ريب الزمان : حوادثه .

◇ أَمَا قُلْتُ لَكَ أَنَّهَا مِنْ أُمّهَاتِ المَرَائِي ، وَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ تَقِفَ عَلَى قِيَمَةِ هَذِهِ الرَّائِعَةِ مِنْ رَوَائِعِ العَرَبِ ؛ فَلْتَسْمِعْ إِلَى هَذَا الخَبَرِ :

رَوَتْ جُلُّ كُتُبِ الأَدَبِ أَنَّ أَبَا جَعْفَرِ المَنْصُورَ لَمَّا فُجِعَ بِابْنِهِ الأَكْبَرِ جَعْفَرٍ ؛ حَزَنَ حَزْنًا شَدِيدًا أَقْضَى مَضْجَعَهُ ، وَمَا إِنْ رَجَعَ مِنْ دَفْنِهِ حَتَّى قَالَ لِمَوْلَاهُ الرَّبِيعِ :

انْظُرْ لِي وَاحِدًا مِنْ أَهْلِي يُنْشِدُنِي قَصِيدَةَ أَبِي ذُوؤَيْبٍ ؛ عَلَيَّ أَتَسَلَّى بِهَا عَنْ مُصِيبَتِي ، قَالَ الرَّبِيعُ :

فَخَرَجْتُ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ، وَكَانُوا جَمِيعًا حَاضِرِينَ ... فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهِمْ مَنْ يَحْفَظُهَا ، فَرَجَعْتُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ :

وَاللَّهِ لِمُصِيبَتِي بَالًا يُوجَدُ فِي أَهْلِ بَيْتِي مَنْ يَحْفَظُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِقَلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الأَدَبِ ؛ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ مِنْ مُصِيبَتِي بِابْنِي ، ثُمَّ قَالَ :

انْظُرْ ، هَلْ تَجِدُ مَنْ يَحْفَظُهَا ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهَا . فَجَعَلْتُ أَسْتَعْرِضُ المَارِينَ ؛ حَتَّى وَجَدْتُ مُعَلِّمًا لِلصَّبِيَّانِ مُنْصَرِفًا مِنْ كُتَابِهِ يَحْفَظُهَا ، فَأَدْخَلْتُهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَاسْتَنْشَدَهُ إِيَّاهَا فَأَنْشَدَهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ :

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ

قَالَ : صَدَقَ أَبُو ذُوؤَيْبٍ وَاللَّهِ ، أَنْشِدْنِي هَذَا الْبَيْتَ مِائَةَ مَرَّةٍ ، فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهُ . ثُمَّ أَذِنَ لَهُ بِالْإِنْصِرَافِ ؛ بَعْدَ أَنْ أَجْزَلَ صَلَاتَهُ^(١) .

وَلَعَلَّكَ تَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ الْبَلَاعِيْنَ يَكَادُونَ يُجَمِّعُونَ عَلَى أَنَّ أَتْرَعَ اسْتِعَارَةَ^(٢) لِلْعَرَبِ وَرَدَتْ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :

(١) الاستمارة في اللغة : هي تشبه بليغ يحذف فيه المشبه ووجه الشبه حتى ليظن القارئ أن المشبه به هو المشبه نفسه .

(٢) أَجْزَلَ صَلَاتَهُ : أعظمها .

وَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا

أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ *

◆ سَوَالٌ أَخِيرٌ .

◇ هَاتِيهِ وَأَوْجِزِي .

◆ هَلْ كَانَتْ شُهْرَةُ الشَّاعِرِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ؟ .

◇ كَلَّا يَا بُنَيَّ كَلَّا ، فَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَاحِدَةٌ مِنْ رَوَائِعِهِ الْكَثِيرَةِ ، وَحَتَّى تَعْرِفَ

مَكَانَةَ أَبِي دُوَيْبٍ فِي الشُّعْرِ ؛ اسْتَمِعْ إِلَى الْخَبَرِ التَّالِي :

رَوَى ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ؛ أَنَّ حَسَنَ بْنَ ثَابِتٍ سُئِلَ : مَنْ أَشْعَرُ *
النَّاسِ ؟ فَقَالَ : أَشْعَرُ قَبَائِلِ الْعَرَبِ هَذَا ، وَأَشْعَرُ هَذَا أَبُو دُوَيْبٍ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ قُلْتُ لِي : إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ فَصَّلُوا الْقَوْلَ فِي الْأَصْوَاتِ تَفْصِيلًا عَزَّ
أَنْ نَجِدَ لَهُ نَظِيرًا فِي آيَةٍ لُغَةٍ مِنْ لُغَاتِ النَّاسِ .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ .

◆ وَكُنْتُ أَشْرْتُ إِلَى أَنَّهُمْ عَقَدُوا عِشْرِينَ بَابًا وَنَيْفًا فِي كُتُبِ اللُّغَةِ لِلْحَدِيثِ عَنِ
الْأَصْوَاتِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ كُلَّهُ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

◆ وَكُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - أَغْنَيْتَ ثَرْوَتِي اللُّغَوِيَّةَ بِمَا قَالُوهُ عَنْ أَصْوَاتِ الطُّيُورِ ،
فَهَلَّا أَكْرَمْتَنِي بِمَزِيدٍ مِمَّا قَالُوهُ فِي هَذَا الْبَابِ لِأَضِيفَهُ إِلَى سَابِقِهِ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً ، قَالَتِ الْعَرَبُ فِي أَصْوَاتِ ذَاتِ الظُّلْفِ :
الْحَوَارُ لِلْبَقْرِ . وَالتَّغَاءُ لِلْعَنَمِ . وَالتُّوَارِجُ لِلضَّانِ .
وَالتَّيْعَارُ لِلْمَعِزِ . وَالتَّيْسُ لِلتَّيْسِ .

◆ مَا هَذَا الْغِنَى !! مَا هَذَا التَّفْصِيلُ !! .

◇ وَقَالَتِ الْعَرَبُ فِي تَفْصِيلِ أَصْوَاتِ السُّبَاعِ وَالْوُحُوشِ :
الزَّيْبُ لِلْأَسَدِ .

* وَالْعَوَاءُ ، وَالرَّعْرَعَةُ لِلذَّنْبِ ... وَالتَّصَوُّرُ صَوْتُهُ عِنْدَ جُوعِهِ .
وَالْتَّبَاحُ لِلْكَلْبِ ، وَالتَّضْعَاءُ لَهُ إِذَا جَاعَ ، وَالتَّهْرِيرُ لَهُ إِذَا أَنْكَرَ شَيْئًا أَوْ كَرِهَهُ .
وَالضُّبَاحُ لِلثَّغْلِبِ . وَالتُّبَاعُ لِلخَنْزِيرِ . وَالتَّهْوَاءُ لِلْهَرَّةِ .
وَالضُّحِكُ لِلْقَرْدِ . وَالتَّضْعِيبُ لِلْأَرْزَبِ .
وَالْتَّزْيِبُ لِلظَّبْيِ ، وَالتَّبْعُومُ لَهُ أَيْضًا ، وَهُوَ أَرْحَمُ صَوْتِهِ .

◆ مَا هَذِهِ اللُّغَةُ يَا أَبَتِ ، مَا هَذِهِ اللُّغَةُ !! ؟ .

◇ إِنَّهَا اللُّغَةُ الَّتِي وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ ، إِنَّهَا لُغَةُ الْقُرْآنِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَطُوفَةُ الْجَلْسَةِ ، أَرْجُو أَلَّا يَضِيقَ عَنْهَا الْوَقْتُ .

◇ لَنْ يَضِيقَ عَنْهَا الْوَقْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَإِذَا ضَاقَ وَسَّغَنَاهُ .

◆ إِذَنْ عَجَّلْ بِهَا عَجَّلَ اللَّهُ لَكَ الْخَيْرَ .

◇ كَانَ هِلَالُ بْنِ الْأَسْعَرِ شَاعِرًا مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ فَارِسًا شَجَاعًا
شَدِيدَ الْبَأْسِ ، وَالبَطْشِ ، وَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ غِنَاءً فِي حَزْبِ (١) وَأَشَدَّهُمْ وَطَاءً

(١) غناء في حرب : أي عنده من الشجاعة ما يهني قومه عن غيره للدفاع عنهم .

عَلَى الْعَدُوِّ، رَوَتْ كُتُبُ الْأَدَبِ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِ سَجَاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَوْرَدَهُ صَاحِبُ الْأَغَانِي حَيْثُ قَالَ:

كَانَ هِلَالٌ يَوْمًا عِنْدَ الظُّهَيْرَةِ فِي إِبِلٍ لَهُ، وَالْيَوْمُ شَدِيدُ وَقْعِ الشَّمْسِ، مُخْتَدِمُ
الْهَاجِرَةِ^(١)، وَقَدْ عَمَدَ إِلَى عَصَاهُ، فَطَرَحَ عَلَيْهَا كِسَاءَهُ، ثُمَّ أَدْخَلَ رَأْسَهُ
تَحْتَ الْكِسَاءِ مِنَ الشَّمْسِ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا مِنْ
بَنِي «نَهْشَلٍ» وَالْآخَرُ مِنْ بَنِي «فَقِيمٍ»، وَكَانَا أَشَدَّ رَجُلَيْنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ
بَطْشًا، فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى الْإِبِلِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ، وَهُمَا لَا يَعْرِفَانِ هِلَالًا يَوْجِهَهُ،
نَادَا: نَادَا:

يَا رَاعَ، أَعِنْدَكَ شَرَابٌ تَشْقِينَا؟ - وَهُمَا يَظُنَّانِيهِ عَبْدًا لِيَعْضِيَهُمْ - ...
فَنَادَاهُمَا هِلَالٌ وَرَأْسَهُ تَحْتَ كِسَائِهِ: عَلَيْكُمَا بِالنَّاقَةِ الَّتِي صِفَتْهَا كَذَا وَكَذَا
فَأَبْيَحَاهَا... فَإِنَّ عَلَيْهَا سِقَاءَيْنِ مِنْ لَبَنٍ؛ فَاشْرَبَا مِنْهُمَا مَا بَدَا لَكُمَا.
فَقَالَ أَحَدُهُمَا: وَيْحَكَ انْهَضْ يَا غُلَامُ، فَأْتِ بِذَلِكَ اللَّبَنِ.
فَقَالَ لَهُمَا: إِنْ تَكُنْ لَكُمَا حَاجَةٌ؛ فَسَتَأْتِيَانِيهَا.
فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّكَ لَغَلِيظُ الْكَلَامِ... قُمْ فَاسْقِنَا.
ثُمَّ ذَنُوتَا مِنْ هِلَالٍ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ؛ فَقَالَ لَهُمَا:
أَرَاكُمَا وَاللَّهِ سَتَلْقَيَانِ هَوَانًا.

فَدَنَا أَحَدُهُمَا مِنْهُ؛ فَأَهْوَى عَلَيْهِ بِسَوْطٍ كَانَ فِي يَدِهِ، فَتَنَاوَلَ هِلَالٌ يَدَهُ - وَهُوَ
مُضْطَجِعٌ - وَاجْتَذَبَهُ إِلَيْهِ وَرَمَاهُ تَحْتَ فِخْذِهِ، ثُمَّ ضَغَطَهُ ضَغْطَةً؛ فَنَادَى
الرَّجُلُ صَاحِبَتَهُ: وَيْحَكَ، أَغْنَيْتَنِي قَدْ قَتَلْتَنِي.

فَدَنَا صَاحِبَتُهُ مِنْهُ، فَتَنَاوَلَ هِلَالٌ يَدَهُ أَيْضًا وَرَمَى بِهِ تَحْتَ فِخْذِهِ الْآخَرَى؛ ثُمَّ
أَخَذَ يَصُكُّ رَأْسَ أَحَدِهِمَا بِرَأْسِ صَاحِبِهِ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا:

كُنْ هِلَالًا وَلَا تُبَالِي بِمَا صَنَعْتَ؛ فَقَالَ لَهُمَا:
أَنَا وَاللَّهِ هِلَالٌ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تَقْلِبَانِ مِنِّي حَتَّى تُعْطِيَانِي عَهْدًا لَا تَخِيْسَانِ^(٢)

(٢) لَا تَخِيْسَانُ بِهِ: لَا تَخُونَانِي، وَلَا تَجْحَدَانِي.

(١) محتلم الهاجرة: وقدة حر الظهيرة.

به : لتأْتِيَانِ الْمِرْبَدَ (١) إِذَا قَدِمْتُمَا الْبَصْرَةَ ، ثُمَّ لَتُنَادِيَا بِأَعْلَى صَوْتَيْكُمَا بِمَا كَانَ مِنْي وَمِنْكُمَا .

فَعَاهَدَاهُ ، وَأَعْطَيَاهُ قُفَّةً مِنْ تَعْمِرٍ كَانَتْ مَعَهُمَا .
ثُمَّ قَدِمَا الْبَصْرَةَ ، فَأَتَيَا الْمِرْبَدَ ؛ فَنَادَيَا بِمَا كَانَ مِنْهُمَا وَمِنْهُ .

* * *

(١) المربد : موقف الإبل وسحبها ، وبه سمي مكان في « البصرة » ، كان سوقاً للإبل . وكان الشعراء يجتمعون فيه يشدون أشعارهم .

الْجَلْسَةُ الْخَامِسَةُ عَشْرَةَ

مَوْتُ الْأَلْفَاظِ

- ◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ ، وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .
- ◆ أَيْتٌ ، قُلْتُ فِي جَلْسَةٍ سَابِقَةٍ : إِنَّ عَبَقَرِيَّةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَتَجَلَّى فِي حُرُوفِهَا الَّتِي تُبْنَى مِنْهَا الْأَلْفَاظُ ، وَفِي الْأَفَاطِهَا الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا الْجُمْلُ ، وَفِي جُمْلِهَا الَّتِي تَتَأَلَّفُ مِنْهَا الْعِبَارَاتُ .
- ◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ .
- ◆ وَأَنْتَ - أَجْزَلَ اللَّهُ مَثُوبَتَكَ - قَدْ وَفَّيْتَ الْكَلَامَ عَلَى عَبَقَرِيَّةِ الْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ ، فَهَلَّا تَفْضُلْتَ فَانْتَقَلْتَ بِنَا إِلَى الْحَدِيثِ عَنْ عَبَقَرِيَّةِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ .
- ◇ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ - يَا بُنَيَّ - فَضْلٌ عَلَى سَائِرِ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ اعْتِدَالِ الْأَفَاطِهَا ، وَخِفَةِ نُطْقِهَا عَلَى اللِّسَانِ .
- ◆ وَمَا الْمُرَادُ بِاعْتِدَالِ الْأَفَاطِ اللُّغَةِ - طَالَ بَقَاؤُكَ - ؟ وَأَيْنَ يَتَدَوَّ هَذَا الْإِعْتِدَالُ ؟
- ◇ يَتَدَوَّ هَذَا الْإِعْتِدَالُ فِي بِنَاءِ الْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَعَدَدِ حُرُوفِهَا .

◆ لَمْ أَفْهَمْ مَا عَنَيْتُهُ ، فَهَلَّا رَدَدْتَنِي بِإِضَاحَا زَادَكَ اللَّهُ حَيْرًا .

◇ إِنَّ جُلَّ أَلْفَاظِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ قَدْ وُضِعَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ ، وَأَقْلَاهَا قَدْ وُضِعَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ ، أَمَّا الَّذِي وُضِعَ عَلَى خَمْسَةِ أَحْرَفٍ ؛ فَهُوَ أَقْلُ مِنَ الْقَلِيلِ .

◆ أُنْعَبِّرُ قِلَّةَ حُرُوفِ الْكَلِمَاتِ مَرِيَّةً مِنْ مَرَايَا اللُّغَةِ ؟ !

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، إِنَّهَا لَمَرِيَّةٌ كَبِيرَةٌ ، وَهِيَ مَرِيَّةٌ قَدْ اخْتُصَّتْ بِهَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ دُونِ سَائِرِ اللُّغَاتِ .

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ .

◇ وَالْمَرْءُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَدَّرَ هَذِهِ الْمَرِيَّةُ حَقَّ قَدْرِهَا ؛ إِلَّا إِذَا وَازَنَ بَيْنَ أَلْفَاظِ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَبْقَرِيَّةِ وَبَيْنَ أَلْفَاظِ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ الْأُخْرَى مِنَ أَلْمَانِيَّةِ ، وَإِنْكِلِيزِيَّةِ ، وَفَرَنْسِيَّةِ ، وَغَيْرِهَا ... فَجُلَّ أَلْفَاظِ هَذِهِ اللُّغَاتِ يَتَأَلَّفُ مِنْ خَمْسَةِ أَحْرَفٍ أَوْ سِتَّةٍ أَوْ سَبْعَةٍ ، وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنَ الْعُسْرِ عَلَى النُّطْقِ .

◆ وَلَكِنْ ...

◇ وَلَكِنْ مَاذَا ؟ .

◆ وَلَكِنَّا نَجِدُ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَلْفَاظًا مُؤَلَّفَةً مِنْ خَمْسَةِ أَحْرَفٍ أَوْ مِنْ سِتَّةِ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ : تَجَاهَلَ ، وَتَعَاضَّدَ ، وَتَعَاطَمَ ، وَنَحَرَهَا .

◇ لَيْسَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ - يَا بُنَيَّ - لَفْظٌ مَبْنِيٌّ مِنْ سِتَّةِ حُرُوفٍ أَصْلِيَّةٍ ، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ الَّتِي أَوْرَدْتَهَا جَمِيعًا قَدْ بُنِيَتْ فِي الْأَصْلِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ ؛ فَأَصْلُ

تَجَاهَلَ : جَهْلٌ ، وَأَضْلُ تَعَاَضَدَ : عَضَدٌ ، وَأَضْلُ تَعَاظَمَ : عَظَمٌ ، وَهَلَمْ جَرًّا .

◆ أَبَتْ ، أَهْدِيهِ هِيَ جَمِيعُ مَزَايَا اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ .

◇ بَلْ هِيَ وَاحِدَةٌ مِنْهَا .

◆ وَمَا الثَّانِيَةُ ؟ .

◇ ثَانِيَةُ هَذِهِ الْمَزَايَا - يَا بُنَيَّ - : فَصَاحَةُ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

◆ فَصَاحَةُ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ !! إِنَّ كَلِمَةَ الْفَصَاحَةِ كَثِيرَةُ الدُّوَرَانِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ ؛ فَمَا الْمُرَادُ بِهَا عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ الْفَصَاحَةُ - يَا بُنَيَّ - صِفَةٌ يُوصَفُ بِهَا الْكَلَامُ ، وَالْمُتَكَلِّمُ ، وَالْكَلِمَةُ ؛ فَيَقَالُ : * هَذَا كَلَامٌ فَصِيحٌ ، وَهَذَا رَجُلٌ فَصِيحٌ ، وَهَذِهِ كَلِمَةٌ فَصِيحَةٌ .

◆ وَمَا الْمُرَادُ بِفَصَاحَةِ الْكَلِمَةِ ؟ .

◇ إِذَا كَانَتِ الْكَلِمَةُ مِمَّا يَسْهُلُ نُطْقُهَا عَلَى اللِّسَانِ ، وَيَخْلُو وَقْعُهَا فِي الْأَذَانِ ، ١ وَيَتَسَرَّرُ فَهْمُهَا عَلَى الْأُذْهَانِ ؛ فَهِيَ الْكَلِمَةُ الْفَصِيحَةُ .

◆ أَتَتَوَافَرُ هَذِهِ الصِّفَاتُ لِجَمِيعِ أَلْفَاظِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ ١٢ .

◇ كَلَّا يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ هِيَ السَّمَاتُ الْعَالِيَةُ عَلَى الْكَثْرَةِ الْكَثِيرَةِ مِنَ أَلْفَاظِ هَذِهِ اللُّغَةِ الْعَبْقَرِيَّةِ .

◆ حَسَنٌ حَسَنٌ .

◇ هَذَا مِنْ جِهَةٍ ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ؛ فَإِنَّ عُلَمَاءَ الْبَلَاغَةِ قَدْ دَعَوْا إِلَى اسْتِثْنَاءِ كُلِّ

لَفْظَةً لَا تَتَوَافَرُ فِيهَا هَذِهِ الشُّرُوطُ ، وَعَدُّوا اسْتِعْمَالَهَا مُخِلًّا بِفَصَاحَةِ الْكَلَامِ
حَاطًا مِنْ قِيَمَتِهِ .

◆ وَهَلْ كَانَتْ لِهَذِهِ الدَّعْوَةُ آثَارُهَا ؟

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ؛ لَقَدْ حَرَّصَ الْأَدَبَاءُ وَالشُّعْرَاءُ أَشَدَّ الْحِرْصِ عَلَى الْإِيتِعَادِ عَنْ
كُلِّ لَفْظَةٍ لَا تَتَوَافَرُ فِيهَا هَذِهِ الشُّرُوطُ ؛ فَمَاتَتِ الْأَلْفَاظُ غَيْرُ الْفَصِيحَةِ مِنْ
طُولِ الْإِهْمَالِ ، وَنُذِرَةَ الْإِسْتِعْمَالِ .

◆ وَهَلْ وَجَدَ أَوَّلِكَ الْكُتَّابُ وَالشُّعْرَاءُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْفَصِيحَةِ مَا يَسُدُّ حَاجَتَهُمْ ،
وَيُعَبِّرُ عَمَّا يُرِيدُونَ التَّغْيِيرَ عَنْهُ ؟ !

◇ بَلْ وَجَدُوا أَكْثَرَ مِمَّا يَزُومُونَ ، وَأَوْسَعَ مِمَّا يَبْتَغُونَ ، حَتَّى إِنَّ سَعَةَ اللُّغَةِ وَكَثْرَةَ
مَا فِيهَا مِنَ الْفَصِيحِ جَرَّتْهُمْ - أَحْيَانًا - إِلَى أُمُورٍ عِيَتْ عَلَيْهِمْ .

◆ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ طَالَ عُمْرُكَ ؟

◇ لَقَدْ كَانَتْ سَعَةُ أَلْفَاظِ هَذِهِ اللُّغَةِ وَوَفَرَةُ الْفَصِيحِ فِيهَا ؛ سَبَبًا فِي سُلوِكِ كَثِيرٍ مِنَ
الْكَتَّابِ سَبِيلَ الْإِطْنَابِ^(١) .

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ .

◇ كَمَا كَانَتْ سَبَبًا لِأَنْ يُكْثِرَ بَعْضُهُمْ مِنَ التَّرَادُفِ .

◆ وَمَا الْمُرَادُ بِالتَّرَادُفِ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟

◇ التَّرَادُفُ هُوَ أَنْ يُؤَدِّيَ الْمَعْنَى الْوَاحِدُ بِجُمْلَتَيْنِ ، وَأَحْيَانًا بِثَلَاثِ جُمَلٍ ، بِحَيْثُ
تَكُونُ هَذِهِ الْجُمَلُ مُتَّفِقَةً الْمَعْنَى ، مُخْتَلِفَةً فِي الْأَلْفَاظِ .

(١) الإطناب : الإطالة في الكلام والإسهاب فيه .

◆ أَمْرٌ مَلْحُوظٌ .

◇ وَلَوْلَا سَعَةُ اللُّغَةِ ، وَلَوْلَا وَفَرَةُ الْفَصِيحِ فِيهَا ؛ لَمَا سَلَكَ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابُ هَذَا الطَّرِيقَ ، وَلَمَا أُغْرُوا بِهِ .

◆ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ : إِنَّ سَعَةَ اللُّغَةِ ، وَوَفَرَةَ مَا فِيهَا مِنْ الْفَصِيحِ كَانَا سَبَبًا فِي الْإِطْنَابِ وَالتَّرَادُفِ ؟ .

◇ نَعَمْ - يَا بُنَيَّ - نَعَمْ ؛ فَكَثِيرًا مَا جَرَّ الْعَنَى إِلَى التَّبْدِيرِ ، وَأَغْرَبَ الثَّرْوَةُ بِالْإِنْفَاقِ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ .

◆ حَسَنٌ حَسَنٌ .

◇ إِنَّ كُتَّابَنَا - يَا بُنَيَّ - يَجِدُونَ الْأَلْفَاظَ مَشْتُورَةً أَمَامَهُمْ كَاللُّؤْلُؤِ ؛ فَيَحَارُونَ فِي أَيِّهَا يَأْخُذُونَ وَأَيِّهَا يَدْعُونَ .

◆ وَكَيْفَ يَخْرُجُونَ مِنْ هَذِهِ الْحَيْرَةِ ؟ .

◇ بَعْضُهُمْ يَحْزِمُ أَمْرَهُ فَيُؤَوِّزُ لَفْظًا عَلَى آخَرَ ، وَبَعْضُهُمْ يَضِئُ^(١) بِهَذَا اللَّؤْلُؤِ أَنْ يَضِيعَ فَيَرِصِفُهُ فِي كَلَامِهِ رَضْفًا يَجْرُهُ إِلَى الْإِطْنَابِ تَارَةً ، وَإِلَى التَّرَادُفِ تَارَةً أُخْرَى .

◆ أَهَذِهِ هِيَ جَمِيعُ مَزَايَا اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ .

◇ بَلْ هُنَاكَ مَزَايَا أُخْرَى أَعْظَمُ شَأْنًا وَأَثْقَلُ وَزَنًا ، وَمَجَالُ الْحَدِيثِ عَنْهَا فِي جُلُوسَةٍ قَادِمَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) يضيئ : يخلل .

◆ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ .

* * *

◆ أَبَيْتَ ، كُنْتُ زُوْدْتَنِي فِي الْجَلْسَةِ السَّابِقَةِ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ مَكْشُورَةً ، وَالْعَامَّةُ تَلْحَنُ فِيهَا فَتَفْتَحُهَا .

◇ نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ .

◆ أَمَّا زَالَ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ يُمَكِّنُ أَنْ يُذَكَّرَ فَأُضِيفَهُ إِلَى بَابٍ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مَذَكَّرَاتِي ؟

◇ هُنَاكَ الْكَثِيرُ الْكَثِيرُ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَرَزُوْدْتَنِي بِشَيْءٍ مِنْهُ لِأَزِينَ بِهِ بَيَانِي ، وَأَعْصِمُ ^(١) بِصَوَابِهِ عَنِ الْخَطَا لِسَانِي ؟

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً .

◆ جَزَيْتَ الْخَيْرَ .

◇ عَقَدَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ الْمَوْسُومِ « بِأَدَبِ الْكَاتِبِ » فَضْلًا لِمَا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ مَفْتُوحًا ، وَالْعَامَّةُ تَلْحَنُ فِيهِ فَتَضُمُّهُ .

◆ فَمَاذَا قَالَ فِيهِ طَيِّبُ اللَّهِ تَرَاهُ ؟

◇ قَالَ : تَقُولُ الْعَامَّةُ : قَبِلْتُ الشَّيْءَ قُبُولًا بِضَمِّ الْقَافِ ، وَالصَّوَابُ : قَبُولًا بِالْفَتْحِ . وَتَقُولُ لِوَاحِدَةِ الْأَنَامِلِ : أُنْمَلُّ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَالصَّوَابُ : الْأُنْمَلَةُ بِالْفَتْحِ . وَتَقُولُ عَنْ كَلْبِ الصَّيْدِ الْمَعْرُوفِ : هَذَا كَلْبٌ سُلُوقِيَّ بِضَمِّ السِّينِ ،

(١) أعصم : أسك .

وَالصَّوَابُ : سَلَوَقِي بِالْفَتْحِ ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَشْبُوبٌ إِلَى بَلَدَةِ « سَلَوَقِي » بِالْيَمَنِ ،
فَمِنْهَا تُجْلَبُ هَذِهِ الْكِلَابُ .

وَتَقُولُ عَمَّا يُسْتَنْشَقُ : السُّعُوطُ بِضَمِّ السَّيْنِ ، وَالصَّوَابُ : السُّعُوطُ بِالْفَتْحِ .
وَتَقُولُ : شَلْتُ يَدُ فُلَانٍ تَشَلُّ بِضَمِّ الشَّيْنِ فِي الْمَاضِي وَضَمِّ التَّاءِ فِي
الْمُضَارِعِ ، وَالصَّوَابُ : شَلْتُ يَدُ فُلَانٍ تَشَلُّ بِالْفَتْحِ فِي كِلْتَابِهِمَا .

◆ أَيْتٌ ، أَرْجُو أَنْ تَتَمَهَّلَ فِي إِيزَادِ مَا تُورِدُهُ حَتَّى تُتَّاحَ لِي فُرْصَةُ كِتَابَتِهِ .

◇ لَكَ مَا طَلَبْتَ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ .

◇ وَعَقَدَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فَضْلًا آخَرَ لِمَا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ مَضْمُومًا ، وَالْعَامَّةُ تَلَحُّنُ فِيهِ
فَتَفْتَحُهُ .

◆ وَمَاذَا قَالَ فِيهِ أَجْزَلَ اللَّهُ مَثُوبَتُهُ ؟ .

◇ قَالَ : تَقُولُ الْعَامَّةُ : هَذِهِ أَثْوَابُ جَدَدٍ يَفْتَحِ الدَّالِ ، وَالصَّوَابُ : جَدَدٌ بِالضَّمِّ .

◆ وَلَكِنْ ...

◇ وَلَكِنْ مَاذَا ؟ .

◆ وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جَدَدٌ
بَيْضٌ ﴾ ^(١) .

◇ الْجَدَدُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَا بُنَيَّ هِيَ : الطَّرَائِقُ ، أَمَّا الْجَدَدُ الَّتِي أَوْرَدَهَا
ابْنُ قُتَيْبَةَ فَهِيَ : جَمْعُ جَدِيدٍ .

(١) سورة فاطر الآية ٢٧ .

◆ أَثَابَكَ اللَّهُ وَأَثَابَهُ .

◇ وَتَقُولُ الْعَامَّةُ يَا بُنَيَّ : أَعْطَيْتُهُ الشَّيْءَ أَوْ الدَّوَاءَ دَفْعَةً بَعْدَ دَفْعَةٍ يَفْتَحِ الدَّالِ ،
وَالصُّوَابُ : دَفْعَةً بَعْدَ دَفْعَةٍ بِالضَّمِّ .

وَتَقُولُ : هَذِهِ نَقَاوَةُ الْفَاكِهَةِ يَفْتَحِ التَّوْنِ ، وَالصُّوَابُ : النُّقَاوَةُ بِالضَّمِّ .
أَيَكْفِيكَ هَذَا الْيَوْمَ أَمْ أَزِيدُكَ ؟ .

◆ زِدْنِي يَا أَبَتِ زِدْنِي زَادَكَ اللَّهُ خَيْرًا وَبَرًّا .

◇ ٢ صَدَقَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (نَهْمَانٍ لَا يَشْبَعَانِ : طَالِبُ عِلْمٍ ، وَطَالِبُ
مَالٍ) وَلَوْلَا أَنَّ الْوَفْتَ قَدْ ضَاقَ لَزِدْتُكَ ، فَإِلَى جُلُوسَةٍ قَادِمَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

◆ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ ، أَيْنَ طِيبُ شَذَاهَا ، وَشَهِي جَنَاهَا ؟ .

◇ هُمَا مِثْلُ قَرِيْبَانِ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَلَمَمْتَ بِرَوْضِهِ ؟ .

◇ مَحْمُودُ غَنِيمٍ .

◆ مَحْمُودُ غَنِيمٍ أَحْسَبُهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُعَاصِرِينَ ؟ !

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ إِنَّهُ شَاعِرٌ مُعَاصِرٌ .

◆ وَمِنْ أَيِّ قُطْرٍ هُوَ ؟ .

◇ إِنَّهُ شَاعِرٌ مِصْرِيٌّ ، مِنْ أَتْنَاءِ الرَّيْفِ ، خَفِيفُ الظِّلِّ ، حُلُوُ النُّكْتَةِ ، سَرِيعُ الْبَدِيعَةِ .

◆ أَمَرَ حَيٍّ ؟ (١).

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُ حَيٌّ يُزْرَقُ ، وَهُوَ يَشْغُلُ مَنْصِبًا كَبِيرًا مِنْ مَنَاصِبِ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَفْتِيْشِهَا .

◆ وَهَلْ لَهُ دِيْوَانٌ مَطْبُوعٌ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَقَدْ سَمَّاهُ « صَرْخَةٌ فِي وَادٍ » . ✕

◆ اسْمُ طَرِيفٍ .

◇ لِشِعْرِ طَرِيفٍ .

◆ وَمَا الزَّهْرَةُ الَّتِي جَنَيْتَهَا مِنْ رَوْضِهِ ؟ .

◇ قَصِيدَةٌ يَصِفُ فِيهَا الْمِذْيَاعَ .

◆ تَقْصِيدُ « الرَّادِّيُو » .

◇ نَعَمْ ، « الرَّادِّيُو » يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنَّ كَلِمَةَ الْمِذْيَاعِ أَخْلَى وَقَعًا ، وَأَغْدَبَ جَرْمًا ، وَأَبَيَّنُ بَيَانًا .

◆ وَمَاذَا قَالَ فِي قَصِيدَتِهِ ؟ .

◇ قَالَ :

شَادِ تَرْنَمَ ، لَا طَيْرٌ وَلَا بَشَرٌ

يَا صَاحِبَ اللَّحْنِ أَتَيْنَ الْعُودَ وَالْوَتَرَ ؟

(١) توفي رحمه الله سنة ١٣٩٣ هـ ، انظره في كتاب « الدوحة المباركة » للمؤلف .

إِنِّي سَمِعْتُ لِسَانًا قَدْ مِنْ خَشَبٍ
 فَهَلْ تُرَى بَعْدَ هَذَا يُنْطِقُ الْحَجَرُ؟
 كَأَنَّمَا كُلُّ أُذُنٍ أُذُنٌ «سَارِيَّة»
 وَكُلُّ نَاءٍ يُنَادِي نَائِيًا «عُمَرُ»^(١)
 هُنَا الْخَطِيبُ الَّذِي خَانَتْهُ جُرْأَتُهُ
 يَقُولُ مَا شَاءَ لَا جُبْنَ وَلَا خَوْزُ
 فَلَيْسَ ثَمَّةَ مَخْلُوقٍ يُقَاطِعُهُ
 وَلَيْسَ يَغْنِيهِ قَلُّ الْقَوْمِ أَوْ كَثُرُوا
 وَلَيْسَ يَخْشَى ضَجِيجَ الْقَوْمِ إِنْ طَرَبُوا
 وَلَيْسَ يَخْشَى عَجِيجَ الْقَوْمِ إِنْ سَخَرُوا

☆ ☆ ☆

وَآلَةٍ جَعَلْتُ مِنْ حُجْرَتِي أَفْقًا
 يَرْتَدُّ مُنْخَسِرًا عَنْ حَدِّهِ الْبَصَرُ
 كَأَنَّمَا الْكُرَّةُ الْأَرْضِيَّةُ انْخَصَرَتْ
 فِي جَوْفِهَا، وَالْوَرَى فِي جَوْفِهَا انْخَصَرُوا
 تَطْرِي الْفَيَافِي طِيًّا وَهِيَ جَائِمَةٌ
 كَأَنَّمَا الشَّمْسُ إِذْ تَسْرِي أَوْ الْقَمَرُ

(١) إشارة إلى ما تروى بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد نادى قائده سارية وهو في بعض غزواته؛ وقد أحاط به الروم من كل جانب قائلاً: يا سارية الجبل الجبل، فسمع سارية النداء - على بعد ما بينهما - والتجأ إلى الجبل؛ فنجى.

تَكُنِّي - وَأَنَا قَرَدٌ بِجَانِبِهَا -

حَوْلِي مَقَاتٌ مِنَ السُّمَارِ قَدْ حَضَرُوا

قَدْ حَكَمْتَنِي فِي الْأَصْوَاتِ لَوْحَتُهَا

فَصِرْتُ أُنْخَارُ مَا آتَى وَمَا أَذُرُ

وَكُلُّ رَقَمٍ عَلَيْهَا حَشْوُهُ طَرَبُ

وَفِيهِ كَثْرٌ مِنَ الْأَلْحَانِ مُشْتَبِرُ

عَوَزَاءُ لَا تَخْرُجُ الْأَصْوَاتُ مِنْ فَمِهَا

إِلَّا إِذَا مَا بَدَأَ مِنْ عَيْنِهَا الشَّرُّ

صَمَاءٌ لَكِنْ تَعِي مَا لَا تَعِي أُذُنٌ

بَكَمَاءُ مِنْ فَمِهَا الْأَخْبَارُ تَنْتَشِرُ

ثَرْثَارَةٌ إِنْ أَرَدْتَ الْقَوْلَ ثَرْثَارَةٌ

فَإِنْ أَرَدْتَ اخْتِصَارًا فَهُوَ مُخْتَصَرُ

* * *

◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ قُلْتُ لِي إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ فَصَّلُوا الْقَوْلَ فِي الْأَصْوَاتِ تَفْصِيلًا عَزَّ أَنْ
نَجِدَ لَهُ نَظِيرًا فِي أُيَّةٍ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ .

◆ وَكُنْتُ أَشْرَفْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - إِلَى أَنَّ عُلَمَاءَ الْعَرَبِيَّةِ قَدْ عَقَدُوا عِشْرِينَ بَابًا
وَنَيْفًا فِي كُتُبِ اللُّغَةِ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْأَصْوَاتِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

◆ وَكُنْتُ - أَجْزَلَ اللَّهُ مَثُوبَكَ - قَدْ أَغْنَيْتَ ثُرَوَتِي اللُّغَوِيَّةَ بِمَا قَالُوهُ فِي أَصْوَابِ الطُّيُورِ وَالسَّبَاعِ .

◇ أَذْكَرُ ذَلِكَ .

◆ فَهَلَّا أَكْرَمْتَنِي - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - بِمَزِيدٍ مِمَّا قَالُوهُ فِي هَذَا الْفَرَضِ لِأُضِيفَهُ إِلَى سَابِقِهِ .

◇ لَكَ مَا طَلَبْتُ ، قَالَتِ الْعَرَبُ :

الْهَزِيمُ : صَوْتُ الرَّعْدِ .

وَالْعَزِيفُ : صَوْتُ الْجِنِّ .

وَالْحَفِيفُ : صَوْتُ الشَّجَرِ .

وَالْجَعَجَعَةُ : صَوْتُ الرَّحَا (١) .

◆ أَلَيْهَذَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ « أَسْمَعُ جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا » ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، وَالتَّوَسَّاسُ : صَوْتُ الْحَلِيِّ .

وَالصَّرِيرُ : صَوْتُ الْبَابِ وَالْقَلَمِ .

وَالْقَلْقَلَةُ : صَوْتُ الْمِفْتَاحِ فِي الْقُفْلِ .

وَالْخَفَقُ : صَوْتُ النَّعَالِ عَلَى الْأَرْضِ .

وَالصَّرِيفُ : صَوْتُ نَابِ الْبَيْعِ .

وَالْمُكَاءُ : صَوْتُ النَّافِخِ فِي يَدِهِ .

◆ لَعَلَّ هَذَا مَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَضِيدَةً ﴾ (٢) .

(١) الرحا : أداة يطحن بها الحب ، وهي حجران يستقر الحب على الأسفل ، ويدور الأعلى فيطحن .
(٢) سورة الأنفال الآية ٣٥ .

◇ هَدَيْتْ إِلَى الصَّوَابِ ...

وَالذُّرْدَابُ - يَا بُنَيَّ - : صَوْتُ الطُّبْلِ .

وَالطُّنْطَنَةُ : صَوْتُ الْأَوْتَارِ .

وَالرَّزِينُ : صَوْتُ الثُّكْلَى ، وَصَوْتُ الْقَوْسِ أَيْضًا .

وَالْقَصِيفُ : صَوْتُ الرَّعْدِ ، وَصَوْتُ الْبَحْرِ إِذَا هَاجَ .

وَالنَّقِيقُ : صَوْتُ الضَّفَادِعِ ، وَصَوْتُ الدَّجَاجِ أَيْضًا .

◆ أَبَتِ ، مَا هَذِهِ الثَّرْوَةُ الَّتِي لَا تَنْقُذُ !! مَا هَذِهِ اللُّغَةُ الَّتِي لَا تَنْتَهِي عَجَائِبُهَا !!؟ .

◇ إِنَّهَا بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ يَا بُنَيَّ ، مَا اسْتَسْجَدَ بِهَا ذُو بَيَانٍ إِلَّا أَنْجَدْتُهُ ... فَصَنَعَ مِنْهَا أَدْبَاؤَنَا وَشُعْرَاؤَنَا خُطَبَاتِنَا تَهْزُّ الْقُلُوبَ ، وَنَظْمُونَا بِهَا فَصَائِدَ تَأْسِرُ الْأَسْمَاعَ ، وَكَتَبُوا بِهَا عُلُومًا مَلَأَتْ الْأَرْضَ خَيْرًا وَفَهْمًا .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَطُرْفَةُ الْجَلْسَةِ أَرْجُو أَلَّا تَنْسَاهَا .

◇ إِنْ أَدْرَكَنِي النُّسْيَانُ فَأَنْتَ نِعَمَ الْمَذْكُورِ .

◆ إِذَنْ هَاتِيهَا أَقَاضَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْخَيْرَ .

◇ رَوَى الْجَاوِظُ أَنَّهُ كَانَ بِالْبَصْرَةِ شَيْخٌ يُكْنَى « أَبَا الْأَعَزِّ » نَزَلَ بَيْتِي أُخْبِتَ لَهُ قَدْ خَرَجَ رِجَالُهُمْ إِلَى ضِيَاعِهِمْ ، وَبَقِيَتِ النِّسَاءُ يُصَلِّينَ بِالْمَسْجِدِ ، فَلَمْ يَتَّقَ فِي الدَّارِ إِلَّا كَلْبٌ يَخْرُسُ ... فَرَأَى حُجْرَةً فَدَخَلَ فِيهَا ثُمَّ انْغَلَقَ الْبَابُ عَلَيْهِ ، فَسَمِعَ بَعْضُ الْإِمَاءِ حَرَكَتَهُ فَظَنُّوا أَنَّ لِيَا دَخَلَ الدَّارَ ... فَذَهَبَتْ إِحْدَاهُنَّ إِلَى أَبِي الْأَعَزِّ فَأَخْبَرَتْهُ ، فَقَالَ :

مَا يَبْتَغِي اللَّصُّ مِنَّا ؟ ...

ثُمَّ أَخَذَ عَصَاهُ وَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ بِيَابِ الْبَيْتِ ، وَقَالَ :

إِيَّاهُ يَا مَلَأْمَانُ^(١)، أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكَ بِي لَعَارِفٌ، وَإِنِّي أَنِضًا بِكَ لَعَارِفٌ، فَهَلْ
أَنْتَ إِلَّا مِنْ لُصُوصِ بَنِي مَارِينَ، شَرِبْتَ حَامِضًا حَبِيبًا، حَتَّى إِذَا دَارَبْتَ
الْأَقْدَاحَ فِي رَأْسِكَ مِثْلَكَ نَفْسِكَ الْأَمَانِيِّ وَقُلْتَ: دُورُ بَنِي عَمْرِو خَالِيَّةُ
وَالرِّجَالُ غَائِبُونَ، وَالنِّسَاءُ يُصَلِّينَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَشْرِقُهُنَّ ... سَوَاءٌ لَكَ، وَاللَّهِ
مَا يَفْعَلُ هَذَا الْأَخْرَازُ، فَاخْرُجْ وَإِلَّا دَخَلْتُ عَلَيْكَ ... وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتَخْرُجَنَّ
أَوْ لَا هَتِفَنَّ^(٢) هَتِفَةً مُشْتَوِمَةً عَلَيْكَ، وَيَصِيرُ أَمْرُكَ إِلَى تَبَابٍ^(٣)، وَيَسِيلُ عَلَيْكَ
الرِّجَالُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا.

فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ أَخَذَهُ بِاللِّينِ وَقَالَ:

اخْرُجْ يَا بَنِي وَأَنْتَ مَشْتَوْرٌ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ تَعْرِفُنِي، وَلَوْ عَرَفْتَنِي لَقِنَعْتَ
بِقَوْلِي وَاطْمَأْنَنْتَ إِلَيَّ ...

أَنَا عَزُورَةٌ بِنُ مَرْثِدٍ خَالَ الْقَوْمِ وَهُمْ لَا يَعْصُونَنِي فِي أَمْرِ، وَأَنَا لَكَ بِالذُّمِّ
كَفِيلٌ؛ فَاخْرُجْ فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي، وَعِنْدِي وَعَاءَانِ مِنَ التَّمْرِ فَخُذْ أَحَدَهُمَا
حَلَالًا.

وَكَانَ الْكَلْبُ إِذَا سَمِعَ الْكَلَامَ أَطْرَقَ، وَإِذَا سَكَتَ أَبُو الْأَعْرُ وَتَبَ تَرُومُ
الْمَخْرُجِ ... فَتَضَاحَكَ أَبُو الْأَعْرُ، وَقَالَ:

يَا أَلَامَ النَّاسِ وَأَوْضَعَهُمْ، إِذَا قُلْتَ لَكَ السُّودَاءُ وَالْبَيْضَاءُ تُطْرُقُ وَتَسْكُتُ،
وَإِذَا سَكَتَ عَنْكَ تَرُومُ الْمَخْرُجِ.

فَلَمَّا طَالَ وَقُوفُهُ؛ جَاءَتْ جَارِيَةٌ مِنْ إِمَاءِ الْحَيِّ فَقَالَتْ: أَغْرَابِي مَجْنُونٌ، وَاللَّهِ
مَا أَرَى فِي الْبَيْتِ شَيْئًا.

وَدَفَعَتْ الْبَابَ فَخَرَجَ الْكَلْبُ مُسْرِعًا، وَحَادَ عَنْهُ أَبُو الْأَعْرُ مُسْتَلْقِيًا عَلَى
الْأَرْضِ وَقَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسَخَكَ كَلْبًا، وَكَفَانِي حَرْبًا.

* * *

(١) ملأمان: كبير اللوم. (٢) لأهفن: لأصبحن بصوت عالٍ. (٣) تباب: هلاك ودمار.

مَقَايِيسُ الْكَلَامِ

◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .

◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .

◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ حَدَّثْتَنِي فِي الْجَلْسَةِ الْمَاضِيَةِ عَنْ طَرَفٍ مِنْ عَبَقَرِيَّةِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ .

◆ رَقُلْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - إِنَّ عَبَقَرِيَّةَ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَبْدُو فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمَظَاهِيرِ ، أَوَّلُهَا : اعْتِدَالُهَا مِنْ حَيْثُ التَّكْوِينُ ، وَثَانِيهَا : فَصَاحَتُهَا مِنْ حَيْثُ النُّطْقُ وَالِدَّلَالَةُ .

◇ هُوَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ .

◆ ثُمَّ إِنَّكَ - قَوَاكَ اللَّهُ - وَعَدْتَ بِأَنْ تُتِمَّ الْحَدِيثَ عَنْ بَاقِي خَصَائِصِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِيمَا بَعْدُ .

◇ نَعَمْ ، اللَّهُمَّ نَعَمْ ، وَوَفَاءً بِالْوَعْدِ إِلَيْكَ تَمَامَ الْحَدِيثِ .

◆ وَلَكِنِّي - بَعْدَ اسْتِغْدَانِكَ - أَتَمَنَّى أَنْ تُجِيبَنِي عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْأَسْئَلَةِ قَبْلَ الْمَضِيِّ فِيمَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ .

◇ هَاتِ مَا عِنْدَكَ ، وَعَلَى اللَّهِ التَّيْسِيرُ .

◆ أَبَتِ ، أَكَانَتْ لِلْعَرَبِ قَبْلَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ لُغَةٌ وَاحِدَةٌ ، أَمْ إِنَّهُمْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ عَدِيدًا مِنَ اللَّهَجَاتِ وَاللُّغَاتِ ؟

◇ كَانَتْ لِلْعَرَبِ - يَا بُنَيَّ - قَبْلَ الْإِسْلَامِ لَهَجَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ يَتَعَدَّدُ الْقَبَائِلُ ، مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِهَا ، لَكِنَّ هَذِهِ اللَّهَجَاتِ كَانَتْ مُتَقَارِبَةً مِنْ حَيْثُ تَصَارِيْفُهَا^(١) ، وَحَرَكَاتُ إِعْرَابِهَا ، وَالْقَوَائِنُ الَّتِي تَطْرُدُ فِيهَا .

◆ حَسَنٌ ، وَلَكِنْ مَا أَفْصَحُ هَذِهِ اللَّهَجَاتِ ؟

◇ أَفْصَحُ لَهَجَاتِ الْعَرَبِ - يَا بُنَيَّ - لَهْجَةُ قُرَيْشٍ .

◆ وَمَا الَّذِي جَعَلَ لَهْجَةَ قُرَيْشٍ تَفْضُلُ غَيْرَهَا مِنَ اللَّهَجَاتِ ؟

◇ سَبَبَانِ يَا بُنَيَّ ، نَعَمْ سَبَبَانِ .

◆ وَمَا هُمَا طَالَ بَقَاؤُكَ ؟

◇ أَوَّلُهُمَا : صَفَاءُ هَذِهِ اللَّهْجَةِ وَبُعْدُهَا عَنِ الشَّوَائِبِ .

◆ وَمَا الَّذِي جَعَلَ قُرَيْشًا تَخْتَصُّ بِذَلِكَ ؟

◇ بُعْدُهَا عَنِ بِلَادِ الْعَجَمِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا ، فَأَصْحَابُ الْبَيَانِ لَا يَخْتَجُّونَ بِلَهَجَاتِ الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ تُجَاوِرُ « الْفُرْسَ » وَ« الرُّومَ » .

(١) تصاريفها : أي تصريف حروفها واشتقاق كلماتها .

◆ من أمثال من ؟ .

◇ من أمثال لحم ، وجذام ، وقضاة ، وغسان .

◆ هذا أول السببين ، وهو سبب وجبة ، فما ثانيهما ؟ .

◇ ثانيهما يا بُنَيَّ : أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَسْكُنُ مَكَّةَ وَمَا جَاوَزَهَا .

◆ وَمَا عِلَاقَةُ سُكْنَى مَكَّةَ بِفَصَاحَةِ اللَّهْجَةِ ۱؟ .

◇ صَبْرَكَ يَا بُنَيَّ صَبْرَكَ ، لَقَدْ كَانَتْ فِي مَكَّةَ أَعْظَمُ مُقَدَّسَاتِ الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ الْقَبَائِلُ تَقْدُ عَلَيَّهَا فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ ، وَتُقِيمُ فِي كُلِّ عَامٍ قَرِيبًا مِنْ خَمْسِينَ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانِي قُرَيْشٍ .

◆ بَدَأْتُ أَفْهَمُ .

◇ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَتَخَيَّرُ مِنْ لَهَجَاتِ هَذِهِ الْقَبَائِلِ مَا تَلَاءَمَتْ حُرُوفُهُ ، وَخَفَّ نُطْقُهُ ، وَحَلَا وَقَعُهُ ، وَتَرَفُّضُ مَا يَثْقُلُ عَلَى النَّفْسِ ، وَلَا يَجِدُ فِي السَّمْعِ مَسَاغًا .

◆ وَمَا الْمَقَايِسُ الَّتِي كَانُوا يَقِيسُونَ بِهَا الْكَلَامَ لِتَأْخُذُوا مَا يَأْخُذُونَ ، وَيَتْرُكُوا مَا يَتْرُكُونَ ؟ .

◇ الذَّوْقُ يَا بُنَيَّ ، الذَّوْقُ ، إِنَّ الذَّوْقَ الصَّافِيَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ .

◆ وَكَيْفَ ۱؟ .

◇ اتَّعْتَقِدُ أَنَّ صَاحِبَ ذَوْقٍ فِي الدُّنْيَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْخَوْجِمِ ، وَالْوَرْدَةِ وَالْخَوْجِمَةِ ۱؟ .

◆ الحَوْجَمُ وَالْحَوْجَمَةُ ۱۱ أَعُوذُ بِاللَّهِ ، مَا الْحَوْجَمُ وَالْحَوْجَمَةُ ؟ ! .

◇ هُوَ الْوَرْدُ وَالْوَرْدَةُ فِي لُغَةِ بَعْضِ الْقَبَائِلِ ؛ لَكِنَّ التَّصْفِيَةَ الَّتِي حَدَّثْتُكَ عَنْهَا أَمَاتِ الْحَوْجَمِ وَالْحَوْجَمَةَ ، وَأَخْبَتِ الْوَرْدَ وَالْوَرْدَةَ .

◆ أَمَا مِنْ مِثَالٍ آخَرَ ؟ .

◇ أَكْثَرُ مِنْ مِثَالٍ ، فَهَذَاكَ مَثَلًا كَلِمَةُ الْخَنْشَلِيلِ وَالسَّيْفِ .

◆ الْخَنْشَلِيلُ ۱۱ .

◇ نَعَمْ ، الْخَنْشَلِيلُ ، لَكِنَّ التَّصْفِيَةَ الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا آيْنًا ضَرَبَتْ الْخَنْشَلِيلَ بِالسَّيْفِ ، وَكَفَى اللَّهُ لُغَةَ الْقُرْآنِ شَرَّ اللَّفْظِ الثَّقِيلِ .

◆ أَبْتَ ، هَذِهِ التَّصْفِيَةُ الَّتِي تَعُتُّ لِلْعَيْنَا عَلَى يَدِ قُرَيْشٍ ، أَمَا وَقَعَ مِثْلُهَا لِلُّغَاتِ الْأُخْرَى بِمَنْ كَانَتْ تَعِيشُ حَيَاةَ قَبِيلَةٍ كَحَيَاةِ الْعَرَبِ ؟ .

◇ الْأُخْرَى تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُهَا إِلَى شُعُوبٍ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجْمَعْهَا جَامِعٌ .

◆ وَنَحْنُ ؟ .

◇ نَحْنُ جَمَعْنَا الْقُرْآنَ ، فَإِذَا الْقَبَائِلُ الْمُتَعَدَّةُ تَنْصَهَرُ فِي بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِذَا
اللُّهَجَاتُ الْمُتَعَدَّةُ تُصْفَى فِي لُغَةٍ وَاحِدَةٍ .

◆ وَهَلْ يَقْرَأُ الْآخَرُونَ لِلْعَيْنَا بِهَذِهِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ .

◇ لَا يَغْنِينَا إِقْرَارُ الْآخَرِينَ أَوْ رَفْضُهُمْ ، وَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ شَهَادَةِ الْآخَرِينَ ؛
فَالْبَلَدُ مَا أَرَدْتَ : رَوَى ابْنُ الْأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ « الْمَثَلُ السَّائِرُ » أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا
إِسْرَائِيلِيًّا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِسْرَائِيلِيِّ ذِكْرُ

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَفَصَاحَتُهَا ، فَقَالَ الْإِسْرَائِيلِيُّ : كَيْفَ لَا تَكُونُ الْعَرَبِيَّةُ كَذَلِكَ ۱۱
 وَأَصْحَابُهَا قَدْ نَظَرُوا فِي جَمِيعِ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ السَّالِفَةِ ، ثُمَّ اخْتَصَرُوا مِنْهَا
 مَا اخْتَصَرُوا ، وَخَفَّضُوا مِنْهَا مَا خَفَّضُوا ، وَمِنْ ذَلِكَ اسْمُ الْجَمَلِ فَإِنَّهُ عِنْدَنَا
 فِي اللِّسَانِ الْعِبْرِيِّ « كُومِيل » فَجَاءَ وَاضِعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَحَذَفَ مِنْهُ الثَّقِيلَ ،
 وَقَالَ : جَمَلٌ ؛ فَصَارَ عَذْبًا مُسْتَحْسَنًا . ثُمَّ طَفِقَ يُعَدِّدُ أَمْثَالَ ذَلِكَ مِنْ
 الْأَلْفَاظِ .

◆ أَيْت ، كَأَنِّي فَهِمْتُ مِنْ كَلَامِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ عَمِلَ أَيْضًا عَلَى تَصْفِيَةِ
 اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟

◇ الْقُرْآنُ ... لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَثَرِهِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ قِصَّةٌ مِنْ أَزْوَاعِ الْقِصَصِ ، قِصَّةٌ
 تَطُولُ ، فَإِلَى الْجُلُوسَةِ الْقَادِمَةِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ .

* * *

◆ أَيْت ، كُنْتُ أَوْرَدْتُ لِي فِي الْجُلُوسَةِ السَّابِقَةِ طَائِفَةً مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي جَاءَتْ
 عَنِ الْعَرَبِ مَفْتُوحَةً ، وَالْعَامَّةُ تَلْحَنُ فِيهَا فَتَضُمُّهَا .

◇ نَعَمْ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بَنِي ، وَإِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ وَعَيْتَهُ ؛ لِتَزِينَ بِهِ بَيَانَكَ
 وَتَعَصِمَ بِصَوَابِهِ لِسَانَكَ .

◆ كُنْ مُطْمَئِنًّا يَا أَيْت ، فَقَدْ نَزَلَ مِنِّي مَنَزِلَةُ الْقَطْرَةِ الْهَاطِلَةِ ، عَلَى الزُّهْرَةِ الذَّابِلَةِ .

◇ اللَّهُ ، اللَّهُ ! هَا أَنْتَ بَدَأْتَ تَقُولُ الشَّعْرَ .

◆ إِنْ كَانَ هَذَا شِعْرًا فَهُوَ بِفَضْلِكَ .

◇ الْفَضْلُ لِلَّهِ صَاحِبِ الْفَضْلِ ، وَلَكِنْ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ ؟ .

◆ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ : إِذَا كَانَ مَا يَزَالُ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ لِأُضِيفَهُ إِلَى بَابٍ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ هُنَاكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَرَوَدْتَنِي بِبَعْضِهِ مَشْكُورًا مَأْجُورًا .

◇ لَكَ مَا طَلَبْتَ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ .

◇ عَقَدَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَابْنُ السُّكَيْتِ بَابًا لِمَا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « فَعِلْتُ » بِكَسْرِ الْعَيْنِ ، وَالْعَامَّةُ تَلْحَنُ فِيهِ فَتَفْتَحُ عَيْنَهُ .

◆ وَمَا الَّذِي قَالَهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَتَابَهُمَا اللَّهُ ؟ .

◇ قَالَا : تَقُولُ الْعَامَّةُ : لَعَقْتُ الْإِنَاءَ يَفْتَحُ الْعَيْنِ ، وَالصُّوَابُ : لَعَقْتُ الْإِنَاءَ بِكَسْرِ الْعَيْنِ .

وَتَقُولُ : لَحَسْتُ إِضْبَعِي يَفْتَحُ الْحَاءِ ، وَالصُّوَابُ : لَحَسْتُهَا بِكَسْرِ الْحَاءِ .
وَتَقُولُ : بَلَعَ فُلَانٌ اللَّقْمَةَ يَفْتَحُ اللَّامِ ، وَالصُّوَابُ : بَلَعَ فُلَانٌ اللَّقْمَةَ بِكَسْرِ اللَّامِ .
وَتَقُولُ : زَرَدَ فُلَانٌ اللَّقْمَةَ يَفْتَحُ الرَّاءِ ، وَالصُّوَابُ : زَرَدَ فُلَانٌ اللَّقْمَةَ بِكَسْرِ الرَّاءِ .

◆ أَبَيْ ، عَفْوَكَ ، أَحَقُّ هَذَا الَّذِي تُورِدُهُ ۱۱۹ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، إِنَّهُ لَحَقٌّ .

◆ وَلَكِنَّ الَّذِي نَحْطَأْتُهُ شَائِعٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ .

◇ قُلْتُ لَكَ غَيْرَ مَرَّةٍ : إِنَّ شُيُوعَ الْخَطَا لَا يَجْعَلُهُ صَوَابًا ، كَمَا أَنَّ انْتِشَارَ الرَّذِيلَةِ لَا يُحَوِّلُهَا إِلَى قُضِيلَةٍ .

◆ ذَلِكَ حَقٌّ ، وَلَكِنْ هَلْ بَقِيَ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، تَقُولُ الْعَامَّةُ : سَفَفْتُ السُّفُوفَ بِفَتْحِ الْفَاءِ ، وَالصَّوَابُ : سَفَفْتُ السُّفُوفَ بِكَسْرِهَا .

وَتَقُولُ : صَدَقْتُ وَبَرَزْتُ بِفَتْحِ الرَّاءِ ، وَالصَّوَابُ : بَرَزْتُ بِكَسْرِهَا .
وَتَقُولُ عَنِ الْمَرِيضِ : نَهَكُهُ الْمَرَضُ بِفَتْحِ الْهَاءِ ، وَالصَّوَابُ : نَهَكُهُ بِكَسْرِ الْهَاءِ .

وَتَقُولُ لِمَنْ لَجَّ فِي أَمْرٍ : لَجَجْتُ فِي الْأَمْرِ بِفَتْحِ الْجِيمِ ، وَالصَّوَابُ : لَجَجْتُ بِكَسْرِهَا .

وَتَقُولُ : مَصَصْتُ الشَّرَابَ بِفَتْحِ الصَّادِ ، وَالصَّوَابُ : مَصَصْتُ الشَّرَابَ بِكَسْرِهَا .

وَتَقُولُ : نَشَقْتُ رَائِحَةً أَوْ طَبِيبًا بِفَتْحِ الشَّيْنِ ، وَالصَّوَابُ : نَشَقْتُ بِكَسْرِهَا .
وَتَقُولُ : بَشَشْتُ بَفْلَانٍ بِفَتْحِ الشَّيْنِ ، وَالصَّوَابُ : بَشَشْتُ بِكَسْرِهَا .

وَتَقُولُ : وَدَدْتُ لَوْ يَكُونُ كَذَا بِفَتْحِ الدَّالِ ، وَالصَّوَابُ : وَدَدْتُ بِكَسْرِهَا .
وَتَقُولُ : نَفَدَ الْمَالُ بِفَتْحِ الْفَاءِ ، وَالصَّوَابُ : نَفَدَ بِكَسْرِهَا .

◆ أُولَئِكَ اللَّهُ الْخَيْرُ فَقَدْ كَفَيْتَ وَوَفَيْتَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَرَوْضَةُ الشَّعْرِ ، أَيْنَ مِئِي حُلُوْ جَنَاهَا ، وَطِيبُ شَذَاهَا ؟ .

◇ هُمَا مِنْكَ دَائِبَانِ قَرِيْبَانِ .

◆ وَمَنِ الشَّاعِرُ الَّذِي أَلَمَّتْ بِرُؤُوسِهِ ؟

◇ إِبْرَاهِيمُ طُوقَانَ .

◆ يَتَذَوُّ مِنْ اسْمِهِ أَنَّهُ شَاعِرٌ مُعَاصِرٌ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُ شَاعِرٌ مُعَاصِرٌ ؛ فَقَدْ وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ طُوقَانَ فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ
الْعِشْرِينَ ، وَتَوَفَّى فِي أَوَائِلِ الْأَرْبَعِينَاتِ .

◆ وَلَكِنْ أَيْنَ وُلِدَ ؟ وَكَيْفَ نَشَأَ ؟

◇ إِبْرَاهِيمُ طُوقَانَ يَا بُنَيَّ ، مِنْ مَوَالِيدِ مَدِينَةِ « نَابُلُس » الْبَاسِلَةِ الْمُجَاهِدَةِ ، وَقَدْ
تَفَتَّحَ شَبَابُهُ عَلَى مَأْسَاةِ أُمَّتِهِ ؛ فَهُوَ مَا كَادَ يَبْلُغُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمرِهِ حَتَّى
وَجَدَ أُمَّهُ « فِلَسْطِينَ » تَقْعُ بَيْنَ أَنْيَابِ الْإِسْتِعْمَارِ الْعَاتِي ، وَبَرَائِنِ الصَّهْيُونِيَّةِ
الْحَادَّةِ .

◆ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

◇ وَقَدْ رَأَى الشَّاعِرُ بِعَيْنِهِ بِنَاءَ الْوَطَنِ الْقَوْمِيِّ لِلْيَهُودِ فِي يَلَادِهِ حَجَرًا بَعْدَ حَجَرٍ ،
وَعَاصَرَ نِضَالَ أُمَّتِهِ الْبَائِسِ فِي وَجْهِ هَذِهِ الْغَارَةِ الشَّغَوَاءِ ؛ فَتَرَكَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ
وَفِي شِعْرِهِ أَكْثَرَ الْأَثَارِ .

◆ وَمَا الْمَوْضُوعَاتُ الَّتِي طَرَفَهَا الشَّاعِرُ ؟

◇ شِعْرُ إِبْرَاهِيمَ طُوقَانَ - يَا بُنَيَّ - شِعْرٌ وَجْدَانِيٌّ ذَاتِيٌّ ، قَصَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ يَشْدُو
أَفْرَاحَهَا وَيُغْنِي آلَامَهَا ، وَعَلَى أُمَّتِهِ يَصِفُ نِضَالَهَا ، وَيُوقِظُ مَشَاعِرَهَا .

◆ حَبَّذَا الشَّعْرُ شِعْرُهُ .

◇ وَإِنَّ الشَّاعِرَ عَلَى الرَّغَمِ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُسْتَعْصِيَةِ الَّتِي حَيَّرَتْ الْأَطِبَّاءَ وَلَا زَمَتُهُ مَدَى الْحَيَاةِ، كَانَ خَفِيفَ الظَّلِّ عَذَبَ الرُّوحِ، حُلُوَ الدُّعَايَةِ.

◆ وَأَيْنَ يَتَدَوُّ ذَلِكَ طَالَ عُمْرُكَ ؟

◇ يَتَدَوُّ فِي هَذِهِ الْأَثْنَاتِ الَّتِي قَالَهَا وَهُوَ عَلَى سَرِيرِ الْمَرَضِ ؛ فَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ طَبِيبُهُ الْمُعَالِجُ بِضَرُورَةٍ تَزْوِيدِهِ بِالدَّمِ، وَجَعَلَ يَبْحَثُ لَهُ عَنْ رَجُلٍ ذِي دَمٍ يُلَاقِيهِ دَمُهُ، وَيَرْضَى بِالْبَيْعِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ هَذِهِ الْأَثْنَاتُ :

وَطِيبِ رَأْيَ صَحِيفَةٍ وَجْهِي شَاحِبًا لَوْنُهَا وَعُودِي نَحِيفًا
قَالَ لَا بُدَّ مِنْ دَمٍ لَكَ تُعْطِي—^(٢) — جَدِيدًا مِلءَ الْعُرُوقِ عَنِيفًا
لَكَ مَا سِثَّتْ يَا طَبِيبِي وَلَكِنْ أَعْطِنِي مِنْ دَمٍ يَكُونُ خَفِيفًا
لَطِيفٌ.

◇ ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ رِسَالَةً يَقُولُ فِيهَا :

وَقَدْ سَاوَرَنِي الْقَلْقُ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ [أَيْ نَاحِيَةِ نَقْلِ الدَّمِ] فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ الْمَسْأَلَةَ تَعَدَّتِ الْجَسَدَ إِلَى الرُّوحِ، وَخَشِيتُ أَنْ أُبْتَلَى بِثَقِيلِ دَمٍ يَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْ دَمِهِ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَى نَفْسِي مِنْ أَمْرَاضِ الدُّنْيَا جَمِيعِهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ؛ فَقَدْ كَانَ بَائِعُ دَمِهِ ظَرِيفًا، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ظَرِيفًا مَنْ اعْتَبَرَ نَفْسَهُ كِرْعَاءَ الرُّبَيْتِ وَاللَّبَنِ يَغْرِضُهُ عَلَى أَمْثَالِي مِنَ الرُّبَائِنِ ؛ فَيُفْرِغُ لَهُمْ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي اخْتَرَتْهَا مِنْ شِعْرِهِ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟

◇ إِنَّهَا قَصِيدَةُ أَشْبَهُ بِالْمَوْشِحِ عُثْوَانُهَا « الْفِدَائِي » قَالَ عَنْهَا أَحَدُ كِبَارِ الشُّعْرَاءِ

وَالْتَقَادِ : « أَتَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الشَّاعِرِيَّةِ الْمُتَوَكِّبَةِ الَّتِي تَجِيْشُ بِهَا النُّفُوسُ الظُّلُمَائِيَّ
إِلَى حُرِّيَّاتِهَا ؟ ثُمَّ أَتَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الْبَلَاغَةِ تُطْلِقُهَا الشَّفَاةُ الْمُتَهَبِّةُ دَمًا وَنَارًا ؟
صَحَّ تَعْرِفُ إِلَيْهَا إِذَنْ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ » .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ طَالَ عُمْرُكَ ؟ .

◇ قَبْلَ أَنْ أَرْوِيَّ لَكَ الْقَصِيدَةَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَقْفِكَ عَلَى قِصَّتِهَا .

◆ وَهَلْ لَهَا قِصَّةٌ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ كَانَ فِي « فِلَسْطِينَ » آنَ ذَاكَ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ الدِّينَ ، بَرِيطَانِيٌّ
الْجَنَسِيَّةَ ، وَكَانَ يَشْغُلُ مَنْصِبَ قَاضِيِ الْقَضَاةِ ، وَكَانَ مَشْهُولًا عَنِ التَّشْرِيعِ ،
وَقَدْ أَمَعْنَ^(١) فِي التَّكَاتُفِ بِالْمُسْلِمِينَ فَوَضَعَ عَدَدًا مِنَ الْقَوَائِنِ الْجَائِزَةِ الَّتِي
اسْتَلَبَتِ الْبِلَادَ ، وَأَهْلَكَتِ الْعِيَادَ ، فَكَفَمَ لَهُ شَابٌّ مُسْلِمٌ مِنْ عَرَبٍ
« فِلَسْطِينَ » عِنْدَ مَدْخَلِ دَارِ الْحُكُومَةِ ، ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ النَّارَ ، فَأَصَابَهُ بِجُرُوحٍ
وَلَكِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ .

◆ وَقُتِلَ الْفِدَائِيُّ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ قُتِلَ ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ طَوْقَانُ مُوَسَّحُهُ الثَّالِي :

(١)

لَا تَسَلْ عَنْ سَلَامِيَّةِ رُوحُهُ فَوْقَ رَاحِيَةِ
بَدَلْتُهُ هُمُومُهُ كَفْنَا مِنْ وَسَادَتِهِ

(١) أَمَعْنَ : جَدَّ وَأَهْدَى وَهَالِغٌ فِي الْأَمْرِ .

يَرْقُبُ السَّاعَةَ الْيَّيْ بَعْدَهَا هَوْلُ سَاعَتِهِ
بَيْنَ جَنْبَيْهِ خَافِقُ يَتَلَطَّيْ بِغَايَتِهِ

☆ ☆ ☆

هُوَ بِالْبَابِ وَقِفُ وَالرَّذَى مِنْهُ خَائِفُ
فَاهِدَيَّ يَا عَوَاصِفُ خَجَلًا مِنْ جُرَاءَتِهِ

(٢)

صَامِتٌ لَوْ تَكَلَّمَا لَفَظَ النَّارَ وَالْدَّمَا
قُلْ لِمَنْ غَابَ صَمْتُهُ خُلِقَ الْحَزْمُ أَبْكَمَا
وَأَخُو الْحَزْمِ لَمْ تَزَلْ يَدُهُ تَسْبِقُ الْقَمَا
لَا تَلُومُوهُ قَدْ رَأَى مِنْهَجَ الْحَقِّ مُظْلِمَا
وَبَلَادًا أَحَبَّهَا رُكْنُهَا قَدْ تَهْدَمَا

☆ ☆ ☆

هُوَ بِالْبَابِ وَقِفُ وَالرَّذَى مِنْهُ خَائِفُ
فَاهِدَيَّ يَا عَوَاصِفُ خَجَلًا مِنْ جُرَاءَتِهِ

◆ رَجِمَ اللَّهُ الْفِدَائِيَّ الشَّهِيدَ ؛ فَمَا أَعْظَمَ مَا بَدَلَ .

◇ وَرَجِمَ اللَّهُ الشَّاعِرَ الْمُبْدِعَ ؛ فَمَا أَزْوَغَ مَا صَوَّرَ وَسَجَّلَ .

[نثر] رَجِمَهُمَا اللَّهُ .

* * *

◆ أَتَيْتُ ، كُنْتُ قُلْتُ فِي جُلْسَةٍ سَابِقَةٍ : إِنَّ الْعَرَبَ فَصَّلُوا الْقَوْلَ فِي الْأَصْوَاتِ
تَفْصِيلاً عَزَّ أَنْ تَجِدَ لَهُ نَظِيْرًا فِي آيَةٍ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ .

◇ هُوَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، فَقَدْ عَقَدَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ عِشْرِينَ بَابًا وَلَيْفًا لِلْحَدِيثِ عَنِ
الْأَصْوَاتِ وَأَنْوَاعِهَا وَصِفَاتِهَا ، وَرَضُّوا لِكُلِّ صَوْتٍ اسْمًا خَاصًّا بِهِ .

◆ وَقَدْ كُنْتُ - أَجْزَلَ اللَّهُ مَثُوبَتَكَ - أَغْنَيْتَ ثَرْوَتِي اللُّغَوِيَّةَ بِشَيْءٍ مِمَّا وَرَدَ فِي هَذَا
الشَّأْنِ .

◇ نَعَمْ ، كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ .

◆ فَهَلَّا أُنَدِّدْتَنِي بِمَزِيدٍ مِمَّا قِيلَ فِي هَذَا الصَّدَدِ لِأُضِيفَهُ إِلَى سَابِقِهِ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً ، قَالَتِ الْعَرَبُ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَلَى أَصْوَاتِ الْمَكْرُوبِينَ ،
وَالْمَكْدُودِينَ^(١) ، وَالْمَرْضَى :

الْهَمْهَمَةُ : صَوْتُ يُخْرِجُهُ تَرَدُّدُ الرَّفِيرِ فِي الصَّدْرِ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزَنِ .

وَالزَّجِيرُ : إِخْرَاجُ النَّفْسِ مَضْحُوبًا بِالْأَيْنِ عِنْدَ الْعَمَلِ أَوْ الشَّدَةِ .

وَالنَّهِيمُ : سَبْعَةُ الْأَيْنِ يُخْرِجُهُ الْعَامِلُ الْمَكْدُودُ فَيَسْتَرْيَحُ إِلَيْهِ .

◆ مَا أَدَقَّ هَذِهِ التَّفْصِيلَاتُ ۱۱ .

◇ وَقَدْ فَصَّلَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ الْقَوْلَ فِي تَرْتِيبِ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ أَيْضًا .

◆ فَمَاذَا قَالُوا ؟ .

◇ قَالُوا : إِذَا أَخْرَجَ الْمَكْرُوبُ أَوْ الْمَرِيضُ صَوْتًا رَقِيقًا ، فَهُوَ : الرَّيْنُ .

فَإِذَا أَخْفَاهُ ، فَهُوَ : الْهَيْنُ .

فَإِذَا أَظْهَرَهُ فَخَرَجَ خَافِيًا ، فَهُوَ : الْخَيْنُ ، فَإِنْ زَادَ فِيهِ ، فَهُوَ : الْأَيْنُ ، فَإِنْ

زَادَ فِي رَفِيعِهِ ، فَهُوَ : الْحَيْنُ .

(١) المكدودين : المنعبين .

فَإِذَا قُبِحَ الْأَبِينُ وَاسْتَدَّ ، فَهُوَ : الزَّهْفِيرُ ، فَإِذَا مَدَّ الْمَكْرُوبُ النَّفْسَ ثُمَّ رَمَى بِهِ ، فَهُوَ : الشَّهِيْقُ ، فَإِذَا تَرَدَّدَ النَّفْسُ فِي الصُّدْرِ عِنْدَ خُرُوجِ الرُّوحِ ، فَهُوَ : الْحَشْرَجَةُ .

◆ مَا قِصَّةُ هَؤُلَاءِ الْأَجْدَادِ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ إِلَّا هَذِهِ اللُّغَةُ !! .

◇ بَلْ كَانَ لَدَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ اللُّغَةُ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ ، لَقَدْ كَانُوا أَبْطَالًا * فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ ... تَسْمَعُ قِصَصَ عَذَابِهِمْ ؛ فَيُخَيَّلُ إِلَيْكَ أَنَّهُمْ وَقَفُوا حَيَاتَهُمْ عَلَى الْعَدْلِ دُونَ سِوَاهُ ... وَتَقْرَأُ أَخْبَارَ بَذْلِهِمْ ؛ فَتُظَنُّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا الْبَذْلَ ...

وَتُكَلِّمُ بِأَخْبَارِ بَطُولَاتِهِمْ ؛ فَتَتَوَهَّمُ أَنَّهُمْ لَمْ يُجِيدُوا شَيْئًا غَيْرَ فَنِّ الْمَوْتِ وَالْإِسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...

وَتَقِفُ عَلَى أَخْبَارِهِمْ فِي مَجَالَاتِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمِ ؛ فَتَأْخُذُكَ الدَّهْشَةُ وَتَعْرُوكَ الْعَجَبُ .

◆ ذَلِكَ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ .

◇ وَلَكِنْ مَآثِرُ هَؤُلَاءِ الْأَجْدَادِ كَأَمْوَاجِ الْبَحْرِ ، كُلُّمَا اسْتَقْبَلْتَ مُوجَةً أَنْسَلَتْ سَابِقَتَهَا .

◆ يَا عِزُّ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِمْ .

◇ يَا عِزُّهُ وَيَا سَعْدَهُ ، إِذَا تَأَسَّى بِهِمْ ، وَنَسَجَ عَلَى مِثْوَالِهِمْ .

* * *

◆ أَهَبْ ، أَرْجُو أَلَّا تَنْسَى طُرُقَةَ الْيَوْمِ .

◇ كَيْفَ أَنْسَاهَا وَأَنْتَ وَرَاءَهَا ٩ .

◆ إِذَنْ هَاتِيهَا طَالَ بَقَاؤُكَ .

◇ حُكِي عَنِ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَحَدِ الْخُلَفَاءِ ، فَوَجَدَهُ جَالِسًا وَإِلَى جَانِبِهِ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ تُدْعَى خَالِصَةً ... وَعَلَيْهَا مِنَ الْحُلِيِّ وَأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ وَاللَّائِلِيِّ مَا لَا يُوصَفُ .

فَصَارَ الشَّاعِرُ يَمْتَدِّحُهَا ، وَهُوَ يُعْرِضُ عَنْهُ .
فَلَمَّا خَرَجَ كَتَبَ عَلَى الْبَابِ :

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ

كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَةٍ

فَقَرَأَهُ بَعْضُ حَاشِيَةِ الْخَلِيفَةِ ، وَأَخْبَرَهُ بِهِ .

فَغَضِبَ لِذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِإِخْضَارِ الشَّاعِرِ .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَابِ مَسَحَ تَجْوِيفَ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي لَفْظَةِ ضَاعَ .

ثُمَّ مَثَلَ يَدَيَّ الْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ لَهُ :

مَا كَتَبْتَ عَلَى الْبَابِ ١٢ .

قَالَ : كَتَبْتُ :

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ

كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَةٍ

فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ .

وَخَرَجَ الشَّاعِرُ وَهُوَ يَقُولُ : لِلَّهِ دُرُّكَ مِنْ شِعْرِ قُلَيْمَتْ عَيْتَاهُ ؛ فَأَبْصَرَ .

* * *

الْجَلْسَةُ السَّابِعَةُ عَشْرَةَ

نَمَطٌ فَرِيدٌ

- ◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ .
- ◇ وَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاؤه .
- ◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ وَعَدْتُنِي فِي الْجَلْسَةِ السَّابِقَةِ بِأَنْ تُحَدِّثَنِي عَنْ أَثَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي اللُّغَةِ .
- ◇ وَأَنَا لَا أَزَالُ عِنْدَ وَغْدِي .
- ◆ إِذَنْ فَتَفَضَّلْ ، وَلَكَ مِنِّي الشُّكْرُ وَمِنَ اللَّهِ الْمَثُوبَةُ .
- ◇ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَا بُنَيَّ ، هُوَ كِتَابُ الْعَرَبِيَّةِ الْأَكْبَرِ ، وَمَنَاطُ الْبَلَاغَةِ الْأَسْمَى ، وَمُعْجَزَةُ اللَّهِ الْبَاقِيَّةُ عَلَى الدَّهْرِ ، لَمْ تُزَقْ أُمَّةٌ كِتَابًا مِثْلَهُ دِينًا وَلَا دُنْيَا .
- ◆ وَهَلْ شَعَرَ الْعَرَبُ الَّذِينَ أُنْزِلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ ؟ .
- ◇ نَعَمْ ، يَا بُنَيَّ ، نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ يَرُوعُ^(١) سَامِعِيهِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَيَأْخُذُ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِمْ ؛ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ مَنْ آمَنَ وَمَنْ أَعْرَضَ .

(١) يروع سامعيه : تأخذ روعته بقلوبهم ، وبمجيون ٤٠

◆ حَتَّى الَّذِينَ أَعْرَضُوا ۖ كَانُوا يَقْرُونَ بِرُوزَةِ الْقُرْآنِ وَيَسْخِرُونَ بِلَاغَتِهِ ۖ .

◇ حَتَّى الَّذِينَ أَعْرَضُوا ... فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ - وَهُوَ مِنْ أَلَدِ خُصُومِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - سَمِعَ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ ﷺ يَتْلُو بَعْضَ آيِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، فَتَوَجَّهَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُولُ لَهُمْ : « وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ كَلَامًا مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ ، وَإِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وَإِنَّ أَغْلَاهُ لَمْثِيرٌ ، وَإِنَّ أَشْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ » .

◆ وَمَاذَا كَانَ أَثَرُ قَوْلِهِ هَذَا فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ ؟ .

◇ لَمْ يَزِدْهُمْ إِلَّا عِنَادًا وَإِعْرَاضًا .

◆ أَعُوذُ بِاللَّهِ ! .

◇ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ جَاءَ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ وَقَالَ لَهُ : يَا عَمُّ ، قُلْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ قَوْلًا يَعْلَمُ قَوْمُكَ مِنْهُ أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهُ ، بَعْدَ الَّذِي قُلْتَهُ فِيهِ .

◆ وَمَاذَا كَانَ جَوَابُهُ ؟ .

◇ قَالَ لَهُ : وَاللَّهِ إِنَّ لِكَلَامِ الَّذِي يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ لَحَلَاوَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَاذَا أَقُولُ فِيهِ ؟ !! فَوَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ أَغْلَمُ بِالشَّعْرِ مِنِّي وَلَا أَذْرَى بِرَجْزِهِ وَقَصِيدِهِ ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُهُ شَيْئًا مِنْ هَذَا ، وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُهُ لَحَلَاوَةً ، وَإِنَّهُ لَيَخْطِمُ مَا تَحْتَهُ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُغْلَى .

◆ وَهَلْ وَقَفَ أَبُو جَهْلٍ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ ؟ .

◇ كَلَّا يَا بُنَيَّ كَلَّا ، فَعِنَادُ أَبِي جَهْلٍ لَا يُوقِفُهُ عِنْدَ حَدٍّ ، لَقَدْ جَعَلَ يُلْبِحُ عَلَى الْوَلِيدِ وَيَقُولُ : « وَاللَّهِ لَا يَرْضَى قَوْمُكَ يَا عَمُّ حَتَّى تَقُولَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ قَوْلًا » .

◆ وَهَلِ انْصَاعَ الْوَلِيدُ لَهُ ، وَقَبِلَ أَنْ يُتَاقِضَ نَفْسُهُ ١٢ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ قَالَ لَهُ : دَعْنِي حَتَّى أَفَكِّرَ فِيهِ .

◆ وَمَاذَا قَالَ بَعْدَ أَنْ فَكَّرَ قَاتِلُهُ اللَّهُ ١٣ .

◇ هَذَا مَا يَزِيهِ لَكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَفْسُهُ .

◆ وَهَلِ نَزَلَ فِي هَذَا الْحَادِثِ قُرْآنٌ ١٤ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ؛ قَالَ تَعَالَى :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَيْنَ شُهُودًا *
وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا ، إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا *
سَأَرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ *
ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَفَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْتَرُ * إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُضْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ *
لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرٍ ^(١) ﴾ .

◆ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ وَمِنْ مُوجِبَاتِ النَّارِ .

◇ لَقَدْ أَحَسَّ الْوَلِيدُ بُنَّ الْمُغِيرَةِ - يَا بُنَيَّ - فِي دِقَّةِ وَوُضُوحِ ، أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ تَخْتَلِفُ اخْتِلَافًا كُلِّيًّا عَنْ كَلَامِ الْإِنْسِ مِنْ فَصَحَائِهِمْ ، كَمَا تُغَايِرُ
كَلَامَ الْجِنِّ الَّذِي كَانَتْ تَنْطِقُ بِهِ كُفَّاهُ .

◆ وَهَلِ كَانَ هَذَا الْإِحْسَاسُ مَقْصُورًا عَلَى الْقِلَّةِ الْقَلِيلَةِ كَالْوَلِيدِ وَأَصْرَابِهِ مِنْ
أَصْحَابِ الْفَصَاحَةِ وَاللُّسَنِ ١٥ .

(١) سورة المدثر من الآية ١١ - ٣٠ .

◇ بَلْ كَانَ عَامًا يَا بَنِيَّ ، فَلَقَدْ أَذْرَكَ هَؤُلَاءِ الْعَرَبُ بِسَلِيقَتِهِمْ^(١) أَنْ هَذَا الْقُرْآنَ
الْكَرِيمَ لَيْسَ شَيْعَرًا مَوْزُونًا مِمَّا كَانَ يَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ شُعْرَائِهِمْ ، وَلَا سَجْعًا
مُقْفًى مِمَّا كَانَتْ تَجُودُ بِهِ قَرَائِحُ خُطَبَائِهِمْ وَكُتَّابِهِمْ .

◆ حَقًّا إِنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِشَيْعَرٍ وَلَا هُوَ بِشَيْءٍ أَيْضًا .

◇ هَذَاكَ اللَّهُ يَا بَنِيَّ ، إِنَّ الْقُرْآنَ نَمَطٌ قَرِيدٌ مِنَ الْقَوْلِ ، فَصَلَتْ آيَاتُهُ بِفَوَاصِلَ
تَطْمَئِنُّ عِنْدَهَا النَّفْسُ ، وَتَجِدُ فِيهَا وَفِي كُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنَ الْأَفَاطِ رَوْحًا ،
وَعُذُوبَةً ، إِنَّهُ نَمَطٌ بَاهٍرٌ مُعْجَزٌ .

◆ وَهَلْ كَانَ سِحْرُ الْقُرْآنِ نَفْسُهُ سَبَبًا فِي إِيمَانِ بَعْضِ الْعَرَبِ ؟ .

◇ مَا أَكْثَرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِسَبَبٍ مِنْ رَوْعَةِ سِحْرِ هَذَا الْقُرْآنِ وَسُمُوْ بَلَاغَتِهِ !! وَلَوْلَا
ضِيقُ الْوَقْتِ لَشَقْتُ لَكَ طَرَفًا مِنْ أَخْبَارِ بَعْضِهِمْ .

◆ إِذَنْ إِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

◇ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ .

* * *

◆ أَبَيْ ، كُنْتُ فِي الْجَلْسَةِ السَّابِقَةِ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَفَاطِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ
الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « فَعِلْتُ » بِكُشْرِ الْعَيْنِ ، وَالْعَامَّةُ تُلْحَنُ فِيهَا فَتَنْتَحِلُ عَيْنَهَا .

◇ نَعَمْ يَا بَنِيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ مِنْ نَفْسِكَ مَوْعِدًا حَسَنًا .

◆ مَوْعِدًا حَسَنًا فَحَسْبُ !! لَقَدْ وَقَعَ مِنِّي مَوْعِدُ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي^(٢) .

(١) سَلِيقَتُهُمْ : طَبِيعَتُهُمُ الَّتِي جَبَلُوا عَلَيْهَا .
(٢) ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي : الْمَطْشَانِ الشَّدِيدِ الظَّمَا .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَجَعَلَكَ مِنْ يَتَتَفَعُونَ بِمَا يَسْمَعُونَ ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا يَفْعَلُونَ .

◆ أَقُولُ إِذَا كَانَ مَا يَزَالُ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ لِأُضِيفَهُ إِلَى بَابٍ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكَّرَاتِي ؟ .

◇ هُنَاكَ الْكَثِيرُ الْكَثِيرُ .

◆ مَلَأْتُ فَضْلَتِ ؛ فَأَوْرَدْتُ لِي طَرَفًا مِنْهُ مَشْكُورًا مِنِّي ، مَا أُجُورًا مِنَ اللَّهِ .

◇ لَكَ مَا سَأَلْتُ ، هُنَاكَ يَا بُنَيَّ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » يَفْتَحُ الْعَيْنَ ، وَالْعَامَّةُ تُلْحِنُ فِيهَا فَتَضُمُّ عَيْنَهَا أَوْ تُكْسِرُهَا .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ تَقُولُ الْعَامَّةُ : ذَبِلَ الرِّيحَانُ بِضَمِّ الْبَاءِ ، وَالصُّوَابُ : ذَبِلَ يَفْتَحُهَا ،

وَتَقُولُ : جَمَدَ الْمَاءُ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَالصُّوَابُ : جَمَدَ يَفْتَحُهَا .

وَتَقُولُ : كَفَلَ فُلَانٌ فُلَانًا بِكَسْرِ الْفَاءِ ، وَالصُّوَابُ : كَفَلَ يَفْتَحُهَا .

◆ وَلَكِنْ !! .

◇ وَلَكِنْ مَاذَا ؟ .

◆ وَلَكِنَّ الْمُعْجَمَ : يَقُولُ كَفَلَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ ، وَكَفَلَ الرَّجُلُ الْمَالَ !! .

◇ هَذَاكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ ، هُنَاكَ فَوْقَ بَيْنَ كَفَلَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ بِمَعْنَى أَعَالَهُ ، وَكَفَلَ الرَّجُلُ الْمَالَ وَالرَّجُلَ ، بِمَعْنَى ضَمِنَهُ .

◆ إِذَنْ كَفَلَ بِالْكَسْرِ لِلضَّمَانِ ، وَكَفَلَ بِالْفَتْحِ لِلْإِعَالَةِ ؟ .

◇ ذَلِكْ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ .

وَتَقُولُ الْعَامَّةُ - يَا بُنَيَّ - : حَرَضْتُ عَلَى الْأَمْرِ بِكُسْرِ الرَّاءِ ، وَالصُّوَابُ :
حَرَضْتُ بِفَتْحِ الرَّاءِ .

◆ وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَضْتُمْ﴾^(١) ، ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضْتُ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ وَزَادَكَ اللَّهُ عِلْمًا وَفَهْمًا ... وَتَقُولُ الْعَامَّةُ أَيْضًا :

جِهَدْتُ بِمَعْنَى بَذَلْتُ جَهْدِي ، وَالصُّوَابُ : جِهَدْتُ بِفَتْحِ الْهَاءِ .
وَتَقُولُ : عَجَزَ فُلَانٌ عَنِ الْأَمْرِ بِكُسْرِ الْجِيمِ ، وَالصُّوَابُ : عَجَزَ بِفَتْحِهَا .
وَتَقُولُ : نَحَلْ جِشْمٌ فُلَانٍ بِكُسْرِ الْحَاءِ ، وَالصُّوَابُ : نَحَلْ بِفَتْحِهَا .
وَتَقُولُ : نَقِهَ فُلَانٌ مِنَ الْمَرَضِ بِكُسْرِ الْقَافِ ، وَالصُّوَابُ : نَقِهَ بِفَتْحِ الْقَافِ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ أَلْفَ خَيْرٍ كِفَاءً مَا سَدَّدْتَ وَصَوَّبْتَ .

◇ وَعَلَّمَكَ اللَّهُ مَا يَنْفَعُكَ ، وَنَفَعَكَ بِمَا عَلَّمَكَ .

[نفا] آمِينَ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَتَيْتُ إِنْ فِي النَّفْسِ شَوْقًا إِلَى رَوْضَةِ الشُّعْرِ .

◇ مَا شَوْقُكَ إِلَيْهَا بِأَكْثَرَ مِنْ شَوْقِي .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَغْرَاكَ بِرَوْضِهِ الْيَوْمَ ؟

◇ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْقَاسِمِ ... وَقَدْ عُرِفَ فِي التَّأْرِيخِ بِالصَّاحِبِ
اِثْنِ عَشَرَ .

(١) سورة النساء الآية ١٢٩ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٣ .

◆ وفي أي عصر عاش الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ ؟

◇ عاش الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ في القرنِ الرَّابِعِ الهجريِّ ، وإنْ شئتَ التَّحْدِيدَ فهو قَدْ وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةً ، وَتُوفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةً .

◆ لَمْ يُعَمَّرْ طَوِيلًا ؛ فَقَدْ عَاشَ تِسْعًا وَخَمْسِينَ سَنَةً .

◇ وَلَكِنَّهُ مَلَأَ فِي عُمْرِهِ الدُّنْيَا ، وَشَغَلَ النَّاسَ .

◆ وفي أي قُطْرٍ وُلِدَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ وَنَشَأَ ؟

◇ وُلِدَ الصَّاحِبُ وَنَشَأَ فِي مِثْطَقَةِ « قُزَوِينَ » مِنْ بِلَادِ فَارِسَ .

◆ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ الْأَصْلَ ۱۱ .

◇ وَلَكِنَّهُ عَرَبِيٌّ اللَّسَانِ ، وَالْبَيَانِ ، وَالدِّينِ ... فَدِينُهُ الْإِسْلَامُ ، وَلُغَتُهُ لُغَةُ الْقُرْآنِ .

◆ وَكَيْفَ كَانَتْ نَشَأَتُهُ ؟

◇ وُلِدَ الصَّاحِبُ فِي كَنَفِ أَبِيهِ عَبَّادٍ ، وَكَانَ أَبُوهُ عَيْنًا مِنْ أَغْيَانِ زَمَانِهِ : دَيْنًا صَيِّتًا خَبِيرًا ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُلقَّبُ بِالْأَمِينِ .

وَكَانَ إِلَى ذَلِكَ عَالِمًا أَدِيبًا كَاتِبًا مُجِيدًا .

◆ نَعَمْ الْأَبُ .

◇ وَكَانَ إِلَى ذَلِكَ وَزِيرًا لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ الْبُيُوتِيَّةِ .

◆ وَعَمَّنْ أَخَذَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ الْعِلْمَ ؟

◇ كَانَ أَبُوهُ أَوَّلَ شُيُوخِهِ ، ثُمَّ تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَكْبَارِ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ ، وَفِي طَلِيعَةِ

هَؤُلَاءِ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ ، وَأَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ .

◆ وَهَلْ أُتِيحَ لِلصَّاحِبِ أَنْ يَتَّصِلَ بِسَلَاطِينِ عَصْرِهِ مِنْ آلِ بُوَيْهِ ؟

◇ لَمْ يَتَّصِلْ بِهِمْ فَحَسِبْ ، وَإِنَّمَا وَزَرَ لَهُمْ دَهْرًا طَوِيلًا ... فَقَدْ اسْتَوَزَرَهُ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ بْنُ بُوَيْهِ ، وَكَانَ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَخِ وَالصَّدِيقِ وَالْوَزِيرِ .

وَلَمَّا تُوَفِّي مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ وَآلُ الْمَلِكِ إِلَى أَخِيهِ فَخِرِ الدَّوْلَةِ اسْتَوَزَرَهُ أَيْضًا ، وَظَلَّ يَسْتَسْنِمُ مَنْصِبَ الْوِزَارَةِ إِلَى أَنْ وَافَاهُ الْأَجَلُ .

◆ وَكَيْفَ كَانَتْ سِيرَتُهُ فِي وَزَارَتِهِ ؟

◇ كَانَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ يَتَمَتَّعُ بِشَخْصِيَّةٍ ذَاتِ هَيْبَةٍ تَقْرِضُ اخْتِرَامَهَا عَلَى مَنْ حَوْلَهَا حَتَّى وَلَوْ كَانَ مَلِكًا .

◆ وَكَيْفَ ؟ !

◇ يَقُولُ الْمُؤَرِّخُونَ : كَانَتْ الشُّعُونَ فِي عَهْدِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِيِّ تَصُدِّرُ عَنْ أَمْرِ الصَّاحِبِ ، وَالْمَلِكُ يُدَبِّرُ بِرَأْيِهِ ، وَكَانَ إِذَا قَالَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ قَوْلًا ، وَقَالَ الصَّاحِبُ قَوْلًا آخَرَ ؛ امْتَثِلَ قَوْلُ الصَّاحِبِ وَتَرِكَ قَوْلُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ .

◆ مَا شَاءَ اللَّهُ .

◇ بَلْ إِنَّ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بَلَغَتْ حَدًّا جَعَلَهُ يَكْفُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تَنَزَّعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ؛ جِسْمَةً لِيُوزِيرَهُ وَحُزْمَةً لَهُ ... فَلَمَّا مَاتَ الصَّاحِبُ ثَقُلَتْ فَخْرُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْقِيُودِ الَّتِي فَرَضَتْهَا عَلَيْهِ حُزْمَتُهُ ، وَجَعَلَ يَأْتِي بَعْدَ مَمَاتِهِ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِ فِي حَيَاتِهِ .

◆ مَنْ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ عَرَفَ النَّاسُ قَدْرَهُ .

◆ أَصَبْتُ ...

◆ وَمَا السُّرُّ فِي إِعْظَامِ سَلَاطِينِ آلِ بُؤَيْهِ لِلصَّاحِبِ ؟ .

◆ السُّرُّ فِي ذَلِكَ - يَا بُنَيَّ - مَا كَانُوا يَرَوْنَهُ مِنْ رَجَاحَةِ عَقْلِهِ وَحُسْنِ تَذْيِيرِهِ ، فَقَدْ أَخَذَ لَهُمْ نَحْوَ خَمْسِينَ قَلْعَةً بِجَوْدَةٍ رَأْيِهِ ، وَصِحْحَةٍ تَذْيِيرِهِ ، وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ .

◆ يَبْدُو أَنَّ السِّيَاسَةَ وَالرِّيَاسَةَ شَغَلَتِ الصَّاحِبَ عَنِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ .

◆ كَانَ الصَّاحِبُ يَا بُنَيَّ يُعْطِي لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مِنْ وَقْتِهِ وَاهْتِمَامِهِ بِمِثْلَمَا كَانَ يُعْطِي السِّيَاسَةَ وَالرِّيَاسَةَ ، فَهُوَ فِي هَذَا الْبَابِ أَشْبَهُ مَا يَكُونُ بِالْمَأْمُونِ ، وَقَدْ كَانَتْ دَارُهُ مَوْثَلًا لِلْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ يَفِدُونَ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَيُؤْمِنُونَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَكَانَتْ مَجَالِسُ الْعِلْمِ تُعْقَدُ فِي دَارِهِ كُلُّ يَوْمٍ ؛ كَمَا كَانَتْ تُعْقَدُ مَجَالِسُ الْحُكْمِ سَوَاءً يَسَوَاءً .

◆ مَا أَجْمَلَ الدِّينَ وَالْدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا ...

◆ حَقًّا لَقَدْ اجْتَمَعَ لِلصَّاحِبِ الدِّينُ وَالْدُّنْيَا مَعًا ، فَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَتْ تَخَضُّعُ لَهُ الْمُلُوكُ ؛ كَانَ يَخْضَعُ لِلْعُلَمَاءِ ، فَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِلْوَافِدِينَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : اسْتَأْنِسُوا ، وَانْبَسِطُوا ، وَلَا تَرْدَعَنَّكُمْ صَوْلَةُ الْخَدَمِ وَالْحَشَمِ ... فَإِنَّ سُلْطَانَ الْعِلْمِ فَوْقَ سُلْطَانِ الْوِلَايَةِ ، كَمَا كَانَ يَقُولُ لِإِخْوَانِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ : نَحْنُ فِي النَّهَارِ سُلْطَانٌ ، وَفِي اللَّيْلِ إِخْوَانٌ ؛ فَلَا تَحْتَشِمُوا مِنَّا .

◆ أَخْلَاقٌ عَالِيَةٌ .

◆ حَقًّا إِنَّهَا لِأَخْلَاقٌ عَالِيَةٌ وَقَدْ بَلَغَ مِنْ وَلَعِ الرَّجُلِ بِالْعِلْمِ أَنَّ مَكْتَبَتَهُ كَانَتْ تَحْتَاجُ إِلَى أَرْبَعِمِائَةٍ جَمَلٍ لِتَحْمِلَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ ، وَقَدْ رَأَى الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ فِيهِزَسَ مَكْتَبَتِهِ ؛ فَوَجَدَهُ يَقَعُ فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ .

◆ عَفَوا ، لَقَدْ شَغَلَنَا الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ الْعَالِمُ عَنِ الصَّاحِبِ الشَّاعِرِ ، فَمَا الْأَغْرَاضُ
الَّتِي طَرَفَهَا فِي شِعْرِهِ ؟ .

◇ أَعْلَبُ شِعْرِهِ ذَاتِي وَجَدَانِي ؛ يُعَبِّرُ فِيهِ عَنْ خَلَجَاتِ نَفْسِهِ وَيُصَوِّرُ مِنْ خِلَالِهِ
مَشَاعِرَهُ ، وَمِنْ هُنَا كَانَ جُلُّ شِعْرِهِ فِي الْغَزَلِ وَالْفَخْرِ وَالْإِخْوَانِيَّاتِ ، إِذْ لَا يُنْتَظَرُ
مِنْ مِثْلِهِ أَنْ يَمْدَحَ وَيَهْجُو .

◆ وَهَلْ تَرَوِي شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ ؟ .

◇ لَوْلَا ضِيقُ الْوَقْتِ لَأُورِدْتُ لَكَ مِنْهُ الْكَثِيرَ ، وَلَكِنْ حَسْبُكَ الْآنَ هَاتَانِ
الْقِطْعَتَانِ الصَّغِيرَتَانِ .

◆ تَفَضَّلْ .

◇ مِنْ بَدِيعِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ فِي الْغَزَلِ :

دَعَيْتِي عَيْنَاكَ نَحْوَ الصُّبَا

دُعَاءُ تَكَرَّرَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ

فَلَوْلَا « وَحَقِّكَ » عُذْرُ الْمَشِيبِ

لَقُلْتُ لِعَيْنَيْكَ : سَمْعًا وَطَاعَةً

◆ بَدِيعٌ ...

◇ وَمِنْ مُخْتَارِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ فِي رِثَاءِ كَثِيرِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ عَالِمًا جَلِيلَ الْقَدْرِ
عَظِيمِ الْمَكَانَةِ .

يَقُولُونَ لِي : أَوْدَى كَثِيرُ بْنُ أَحْمَدَ

وَذَلِكَ رُزْءٌ - مَا عَلِمْتُ - جَلِيلٌ

قُلْتُ: دُعُونِي وَالْعَلَا نُبْكِي مَعَا

فَمِثْلُ كَثِيرٍ فِي الرُّجَالِ قَلِيلُ

◆ وَهَلْ رَأَاهُ أَحَدٌ حِينَ مَاتَ ؟ .

◇ قِيلَتْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَرَائِي ، وَلَعَلَّ مِنْ أَجْوَدِهَا مَا قَالَهُ الضُّبِّيُّ وَقَدْ مَرَّ بِبَابِ
بَيْتِ الصَّاحِبِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ؛ فَحَاطَبَهُ قَائِلًا :

أَيُّهَا الْبَابُ لِمَ عَلَكَ اكْتِئَابٌ ؟ !

أَيَّنَ ذَلِكَ الْحِجَابُ وَالْحُجَابُ ؟ ! !

أَيَّنَ مَنْ كَانَ يَفْزَعُ الدَّهْرُ مِنْهُ ؟ !

فَهُوَ الْآنَ فِي التُّرَابِ تُرَابُ

* * *

◆ أَيْتُ ، كُنْتُ زَوَّدْتَنِي فِيمَا مَضَى بِشُرُوءِ ثَمِينَةٍ عَمَّا قَالَتْهُ الْعَرَبُ فِي الْأَصْوَابِ
وَأَقْسَامِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَمَرَائِيهَا ، وَلَكِنْ ...

◇ وَلَكِنْ مَاذَا ؟ .

◆ أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ : إِنَّ أَهَمِّيَّةَ الْأَصْوَابِ تَبْدُو ضَعِيفَةً إِذَا قِيسَتْ بِأَهَمِّيَّةِ الْأَلْوَانِ .

◇ ذَلِكَ أَمْرٌ لَا رَيْبَ فِيهِ يَا بُنَيَّ ، فَالْأَلْوَانُ تَحْتَلُّ فِي حَضَارَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْيَوْمَ مَكَانًا
مَرْمُوقًا ، لَقَدْ كَثُرَتْ ضُرُوبُ الْأَلْوَانِ بِمَا يَنْشَأُ مِنْ مَزْجِ لَوْنٍ بِلَوْنٍ ، وَبِظُهُورِ
اللُّوْنِ الْوَاحِدِ فِي دَرَجَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ .

◆ هَذَا مَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ ؛ إِنَّ هَذِهِ الْأَلْوَانَ الْمُتَكَاثِرَةَ تَحْتَاجُ إِلَى أَشْعَاءٍ
وَمُضْطَلَّحَاتٍ ، فَهَلِ اتَّسَعَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لِذَلِكَ كُلِّهِ ؟ ! .

◇ إِنَّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْمُعْجَمَاتُ الْعَرَبِيَّةُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمَوْضُوعَةِ لِلْأَلْوَانِ أَمْرٌ
يَدْعُو إِلَى الدَّهْشَةِ وَالْإِعْجَابِ الشَّدِيدَيْنِ .

◆ أَيْ، أَفِي وَسِعَتْنَا أَنْ نَنْتَقِلَ مِنْ مَجَالِ الْكَلَامِ الْعَامِّ إِلَى مَيَدَانِ الْأَلْفَاظِ
وَالْمُضْطَلَحَاتِ ؟ .

◇ ذَلِكَ مَا عَقَدْنَا الْعَزَمَ عَلَيْهِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

◆ تَفَضَّلْ .

◇ مِمَّا جَاءَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ عَنِ الْأَلْوَانِ : الْأُذْمَةُ : وَهُوَ لَوْنٌ بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ ،
يُقَالُ : أَدِيمَ الْجِلْدُ فَهُوَ آدَمُ وَالْمَوْنُثُ آدَمَاءُ .

وَالْبَضَاصَةُ : وَهُوَ شِدَّةُ الْبَيَاضِ ، يُقَالُ : هَذَا أَيْضُ بَضٍّ أَيْ شَدِيدُ الْبَيَاضِ .
وَالْبَغْفَةُ : وَهُوَ بَيَاضٌ يَضْرِبُ إِلَى الْخُضْرَةِ أَوْ إِلَى الْحُمْرَةِ ، يُقَالُ : هَذَا أَبْغَثُ
وَهَذِهِ بَغْتَاءُ .

وَالْحُشْمَةُ : وَهِيَ السَّوَادُ ، يُقَالُ : هَذَا أَحْسَمُ أَيْ أَسْوَدُ .

وَالْحُلَكَةُ : وَهِيَ شِدَّةُ السَّوَادِ ، يُقَالُ : حَلِكَ الثَّوبُ فَهُوَ حَالِكٌ ، وَيُبَالِغُ فِيهِ
فَيُقَالُ : أَسْوَدُ حَالِكٌ .

وَالْحَوَّةُ : وَهِيَ حُمْرَةٌ تَضْرِبُ إِلَى سَوَادٍ ، وَقَدْ أَطْلَقُوا عَلَى كُلِّ أَسْوَدٍ غَيْرِ
شَدِيدِ السَّوَادِ كَلِمَةَ أَخْوَى .

◆ لَقَدْ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْلَى : ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى *
فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَخْوَى ﴾ ٩١ (١) .

◇ هُوَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، هُوَ كَذَلِكَ ، لَا زِلْتَ مُوَفِّقًا إِلَى الصَّوَابِ .

◆ أَيْتٌ ، أَهَذَا كُلُّ مَا جَاءَ فِي الْأَلْوَانِ ؟ .

◇ كَلِمَةُ ۱۱ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَثِيرٍ ، وَإِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

◆ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

◇ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

* * *

◆ أَيْتٌ ، قَرَأْتُ أَمْسٍ كَلِمَةً مَنْشُوبَةً إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ (١) يَقُولُ فِيهَا :
(« حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الذُّبُولِ ») .

◇ كَلِمَةً بَلِغَةً ، وَلَكِنْ مَا مُنَاسِبَتُهَا الْآنَ ؟ .

◆ مُنَاسِبَتُهَا - طَالَ بَقَاؤُكَ - التَّذْكِيرُ بِطُرْفَةِ الْجَلْسَةِ فَإِنَّهَا حَدِيثُ الْقُلُوبِ .

◇ إِلَيْكَ مَا طَلَبْتُ : حَجَّ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ ؛ فَنَزَلَ بِبَعْضِ الْمِيَاهِ بَيْنَ
مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَدَعَا بِالْغَدَاءِ ، ثُمَّ قَالَ لِأَحَدِ غِلْمَانِهِ : اذْهَبْ وَأَخْضِرْ لِي مَنْ
يَأْكُلُ مَعِيَ .

فَذَهَبَ وَنَظَرَ نَحْوَ الْجَبَلِ ، وَإِذَا بِرَاعِ بَيْنَ شِمْلَتَيْنِ (٢) نَائِمٍ ؛ فَأَيَّقَظَهُ ، وَقَالَ لَهُ :
إِنِّي الْأَمِيرُ ؛ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ :
اغْسِلْ يَدَكَ وَتَغَدَّ مَعِيَ يَا أَعْرَابِي .

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : دَعَانِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ .
فَقَالَ الْحَجَّاجُ : وَمَنِ الَّذِي دَعَاكَ ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ۱۱ ؟ .
قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : اللَّهُ دَعَانِي إِلَى الصِّيَامِ ، فَصُومْتُ .

(١) الحسن البصري : انظره في كتاب « صور من حياة التابعين » للمؤلف .
(٢) الشملة : كساء من صوف أو شعر يغطي به الرجل أو يتلفع به .

قَالَ الْحَجَّاجُ : فِي هَذَا الْحَرِّ الشَّدِيدِ تَصُومُ ۱۱ .
قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : صُمْتُ لِيَتَوَمَّ أَشَدُّ حَرًّا مِنْهُ .
قَالَ الْحَجَّاجُ : أَفْطِرِ الْآنَ وَصُمْ غَدًا .
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : إِنْ صُمِمْتُ لِي الْبَقَاءُ إِلَى غَدٍ .
فَقَالَ الْحَجَّاجُ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ .
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : كَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ؟ .
قَالَ الْحَجَّاجُ : ذَلِكَ لِأَنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ .
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : وَاللَّهِ ، إِنْ ثَوَابَ اللَّهِ لِأَطْيَبِ مِنْهُ وَأَبْقَى .

* * *

الجلسة الثامنة عشرة

المُعْجِزَةُ اللُّغَوِيَّةُ

◆ أبت ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .

◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .

◆ أبت ، كُنْتُ قُلْتُ إِنَّ الْقُرْآنَ سَحَرُ الْعَرَبِ بِبَلَاغِيهِ مُنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى الَّتِي اسْتَمَعُوا فِيهَا لِهَذَا الْقُرْآنِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، وَقَدْ اسْتَوَى فِي ذَلِكَ مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً .

◆ وَهَلْ كَانَ سَحَرُ الْقُرْآنِ سَبَبًا فِي إِيمَانِ بَعْضِ الْعَرَبِ ١٢ .

◇ بَعْضُهُمْ فَحَسِبُوا ١١ إِنَّنَا إِذَا تَجَاوَزْنَا عَنِ النَّعْرِ الْقَلِيلِ الَّذِينَ كَانَتْ شَخْصِيَّتُهُ الرُّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَخَدَهَا هِيَ سَبَبٌ إِيمَانِهِمْ مِنْ أَثْنَالِ خَدِيجَةٍ ، وَالصُّدُوقِ ، وَعَلِيِّ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ... فَإِنَّا نَجِدُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ نَفْسَهُ كَانَ هُوَ الْعَامِلَ الْحَاسِمَ فِي إِيمَانِ الْمُسْلِمِينَ السَّابِقِينَ .

◆ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَخَدَهُ كَانَ مَدْعَاةً لِإِيمَانِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ١١١ .

◆ إِنَّهُ لَكَذِبُكَ ؛ فَنَبِي فَجَرِ الدَّعْوَةِ لَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَوْلٌ وَلَا طَوْلٌ ، وَلَمْ تَكُنْ لِلْإِسْلَامِ قُوَّةٌ وَلَا مَنَعَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ بِيَدِ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ سِلَاحٍ ؛ إِلَّا هَذَا الْقُرْآنَ وَمُعْجَزَتَهُ الْبَيِّنَاتِ .

◆ أَتَذْكُرُ لِي وَاحِدًا مِمَّنْ أَسْلَمُوا بِفِعْلِ الْقُرْآنِ ؟ .

◆ وَاحِدًا فَقَطْ ، هُنَاكَ الْعَشْرَاتُ بَلِ الْمِائَاتُ .

◆ مِنْ أَثْنَالٍ مَنْ ؟ .

◆ مِنْ أَثْنَالِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

◆ أَكَانَ إِسْلَامُ الْفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِتَأْثِيرِ الْقُرْآنِ ۱؟ .

◆ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ؛ فَقَدْ أَجْمَعَتْ كُتُبُ السِّيَرَةِ عَلَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ مُتَوَسِّحًا بِسَيْفِهِ يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ عِنْدَ « الصُّفَا » ، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَرْبَعِينَ بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ .

◆ وَمَاذَا يُرِيدُ بِهِمْ ۱؟ .

◆ سَرًّا يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَفْتِكَ بِهِمْ ، وَأَنْ يَمِدَّ دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ فِي مَهْدِهَا .

◆ ثُمَّ مَاذَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ۱؟ .

◆ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ - يَا بُنَيَّ - أَنْ لَقِيَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ رِجْهِتِهِ ، فَأَخْبَرَهُ عُمَرَ بِغَرَضِهِ ، فَجَعَلَ يَصُدُّهُ صَاحِبُهُ عَنْ مُبْتَغَاةٍ وَيُحَذِّرُهُ بَنِي عَبْدِ مَنَاظٍ ؛ إِذَا هُوَ أَقْدَمَ عَلَى قَتْلِ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

◆ وَهَلْ ثَنَاهُ ذَلِكَ عَنْ عَزْمِهِ ؟ .

◇ كَلَّا يَا بُنَيَّ كَلَّا ، مِمَّا جَعَلَ صَاحِبُهُ يَدْعُوهُ إِلَى الرُّجُوعِ إِلَى أَخِيهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ
الْخَطَّابِ وَزَوْجُهَا ؛ فَقَدْ صَبَأًا عَنْ دِينِهِمَا وَدَخَلَا فِي الْإِسْلَامِ .

◆ لَا بُدَّ أَنَّهُ عَوَّلَ^(١) عَلَى الْفَتَنِ بِأُخْتِهِ !! ... رَحْمَةً لِأُولَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ
السَّابِقِينَ !! كَمْ لَا قُوا ، وَكَمْ ذَاقُوا !! .

◇ لَقَدْ عَادَ إِلَيْهَا - يَا بُنَيَّ - وَهُوَ عَازِمٌ أَنْ يَفْتِكَ بِهَا وَبِزَوْجِهَا ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمَا عِبْرَةً
لِكُلِّ مَكِّيٍّ تُسَوَّلُ لَهُ نَفْسُهُ تَرْكَ دِينِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ .

◆ ثُمَّ مَاذَا ١٩ .

◇ وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَيْتِهَا سَمِعَ خَبَابَ بِنِ الْأَرْتِ^(٢) يَتْلُو عَلَيْهَا وَعَلَى زَوْجِهَا
الْقُرْآنَ ، فَأَخَذَتْهُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَافْتَحَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الثَّلَاثَةِ الْبَابَ ، وَشَجَّ
رَأْسَ أُخْتِهِ ، وَبَطَشَ بِزَوْجِهَا .

◆ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

◇ ثُمَّ أَخَذَ الصَّحِيفَةَ وَفِيهَا سُورَةُ « طه » ؛ فَمَا إِنْ قَرَأَ صَدْرًا مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ عَنْهُ
الْغَضَبُ ، وَهَدَأَتْ نَفْسُهُ ... وَإِذَا بِالْإِعْصَارِ الْهَائِجِ يَتَحَوَّلُ بِسُخْرِ الْقُرْآنِ إِلَى
نَسِيمٍ رَقِيقٍ ، وَإِذَا بِابْنِ الْخَطَّابِ يَقُولُ : « مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ ،
وَمَا أَكْرَمَهُ » !! .

◆ وَهَلْ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ .

◇ وَهَلْ يَمْلِكُ إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ !! لَقَدْ ذَهَبَ مِنْ تَوَّهِ إِلَى الرُّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ .

(١) عوّل على : اعتمد على الشيء واتكل . وهي هنا بمعنى عزم وأراد .
(٢) خباب بن الارت : انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف .

◆ إِنَّهَا لَفَرْحَةٌ كُبْرَى .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ فَرِحَ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِإِسْلَامِ عُمَرَ كَمَا لَمْ يَفْرَحْ بِإِسْلَامِ أَحَدٍ ، فَكَبَّرَ تَكْبِيرَةً عَرَفَ مَعَهَا أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَّ عُمَرَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَدْ أَسْلَمَ .

◆ أَكَانَ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كُلِّ هَذَا الرَّفْعِ فِي نَفْسِ عُمَرَ ؟ !

◇ وَمَا نَفْسُ عُمَرَ يَا بُنَيَّ إِذَا قِيسَتْ بِالْجَبَلِ الْأَصَمِّ ؟ ! أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ... ﴾ (١) .

◆ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ .

◇ وَعُمَرُ يَا بُنَيَّ لَيْسَ بِجَبَلٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ إِنْسَانٌ بِكُلِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ مِنَ الْمَعْنَايِ .

◆ إِنَّ قِصَّةَ عِنَادِ الْوَلِيدِ بْنِ السُّعَيْرَةِ الَّتِي وَقَفْنَا عَلَيْهَا فِي الْجُلُوسَةِ السَّابِقَةِ ؛ تُقَابِلُهَا قِصَّةُ انْصِبَاعِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِسْلَامِهِ .

◇ لَكِنَّكَ إِذَا قَرَأْتَ الْقِصَّتَيْنِ وَجَدْتَهُمَا تَلْتَقِيَانِ عِنْدَ نُقْطَةٍ وَاحِدَةٍ .

◆ حَقًّا ، لَقَدْ شَرَحَتِ التَّقْوَى قُلُوبَ عُمَرَ لِلْإِسْلَامِ ، وَصَدَّتِ الْكِبَرِيَاءُ نَفْسَ الْوَلِيدِ عَنْهُ ؛ مَعَ إِفْرَارِهِمَا مَعًا بِسُحْرِ الْقُرْآنِ .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَهَذَاكَ إِلَى الْخَيْرِ .

◆ آمِينَ .

(١) سورة الحشر الآية ٢١ .

◇ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتَ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » يَفْتَحِ الْعَيْنِ ، وَالْعَامَّةُ تُلْحَنُ فِيهَا فَتَضُمُّ عَيْنَهَا أَوْ تَكْسِرُهَا .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَمْلُ أَنْ تَكُونَ قَدْ ارْتَحْتَ لَهُ وَانْتَفَعْتَ بِهِ .

◆ أَكْثَرَ مِمَّا تَتَوَقَّعُ ، وَأَعْظَمَ مِمَّا تَنْتَظِرُ .

◇ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ كَبِيرٌ .

◆ أَمَّا زَالَ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ لِأَضِيقَهُ إِلَى « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِمَّا تَرْوِمُ (١) .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ - غَيْرَ مُأْمَرٍ - فَأَوْرَدْتَ لِي طَرَفًا مِنْهُ .

◇ هُنَاكَ يَا بُنَيَّ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « يَفْعُلُ » يَضُمُّ الْعَيْنِ ، وَالْعَامَّةُ تُلْحَنُ فِيهَا .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ قَوْلِ الْعَامَّةِ : « هَمَعَتِ » الْعَيْنُ تَهْمَعُ يَفْتَحِ الْمِيمِ ، وَالصَّوَابُ : تَهْمَعُ بِالضَّمِّ .

وَقَوْلُهَا : « بَرَقَتْ » السَّمَاءُ تَبْرِقُ يَكْسِرُ الرَّاءِ ، وَالصَّوَابُ : تَبْرِقُ بِالضَّمِّ .

وَقَوْلُهَا : « لَمَسَ » الشَّيْءُ يَلْمَسُهُ يَفْتَحِ الْمِيمِ ، وَالصَّوَابُ : يَلْمُسُهُ بِالضَّمِّ .

(١) تروم : أي تريد وترغب أن تناله .

◆ أَيْبَ ، أَرْجُو أَنْ تَتَمَهَّلَ فِي إِيرَادِ هَذِهِ التَّصْوِيبَاتِ ؛ فَهِيَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الضُّبُطِ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً ، ثُمَّ هُنَاكَ - يَا بُنَيَّ - طَائِفَةٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « يَفْعَلُ » بِكَسْرِ الْعَيْنِ ، وَالْعَامَّةُ تُلْحَنُ فِيهِ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ قَوْلِ الْعَامَّةِ : « نَحَتَ » الْحَجَرُ يَنْحَتُهُ يَفْتَحِ الْحَاءُ ، وَالصَّوَابُ : يَنْحِتُهُ بِالْكَسْرِ .

وَقَوْلِهَا : « نَسَجَ » الثَّوْبُ يَنْسُجُهُ بِضَمِّ السِّينِ ؛ وَالصَّوَابُ : يَنْسِجُهُ بِالْكَسْرِ .
وَقَوْلِهَا : « نَشَرْتُ » الثَّوْبَ أَنْشُرُهُ بِضَمِّ الشِّينِ ؛ وَالصَّوَابُ : أَنْشِرُهُ بِالْكَسْرِ .
وَقَوْلِهَا : « نَعَقَ »^(١) الرَّاعِي بِالشَّاءِ يَنْعَقُ يَفْتَحِ الْعَيْنُ ؛ وَالصَّوَابُ : يَنْعِقُ بِالْكَسْرِ .

◆ مَا أَكْثَرَ مَا نَقَعُ فِيهِ مِنْ خَطَاٍ !! .

◇ ثُمَّ هُنَاكَ أَلْفَاظٌ أُخْرَى جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « يَفْعَلُ » يَفْتَحِ الْعَيْنُ ، وَالْعَامَّةُ تُلْحَنُ فِيهَا .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ قَوْلِ الْعَامَّةِ : « مَصَّ » الرَّجُلُ الشَّرَابَ يَمْصُهُ بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَالصَّوَابُ : يَمَصُّهُ بِالْفَتْحِ .

وَقَوْلِهَا : « سَمَّ » الرَّجُلُ الزُّهْرَ يَسْمُهُ بِضَمِّ الشِّينِ ، وَالصَّوَابُ : يَسْمُهُ بِالْفَتْحِ .

(١) المِيقَ أو النعاق : صوت الغراب ، وهي هنا بمعنى رفع صوته .

أَحْسَبُكَ هَذَا أَمْ أَزِيدُكَ ؟ .

◆ حَسْبِي هَذَا الْيَوْمَ ، فَمَا قَلَّ وَقَرُّ ، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَقَرُّ .
وَجَزَاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ .

* * *

◆ أَبْتُ ، وَرَدَ فِي الْأَثَرِ : « إِنَّ مِنَ الْبَيِّنِ لَسِحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً » .

◇ أَجَلُ يَا بُنَيَّ أَجَلٌ ، فَالْبَيِّنُ نِعْمَةٌ مِنْ أَجَلٍ نِعَمَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَالشُّعْرُ وَعَاءٌ مِنْ
أَوْعِيَةِ الْحِكْمَةِ ، وَلَكِنْ مَا مُنَاسَبَةٌ إِيرَادِ هَذَا الْأَثَرِ ؟ .

◆ مُنَاسَبَتُهُ !! إِنَّ مُنَاسَبَتَهُ لَا تَخْفَى عَلَيْكَ ، إِنَّهَا التَّذْكِيرُ بِرَوْضَةِ الشُّعْرِ .

◇ دُونَكَ رَوْضَةُ الشُّعْرِ فَهِيَ طَيِّبَةُ الْجَنَى ، دَانِيَةُ الْقُطُوفِ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَلَمَمْتَ بِرَوْضِهِ ؟ .

◇ هُوَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ الْمَعْرُوفُ بِالْقَاضِي الْجُرْجَانِيِّ .

◆ وَفِي أَيِّ عَصْرِ وُجِدَ الْقَاضِي الْجُرْجَانِيُّ ؟ .

◇ وُلِدَ الْقَاضِي الْجُرْجَانِيُّ يَا بُنَيَّ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهِجْرِيِّ
وَتُوفِيَ فِي أَوَائِلِ النُّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهِجْرِيِّ ، وَإِنْ شِئْتَ مَزِيدًا
مِنَ التَّحْدِيدِ ؛ فَالْمُؤَرِّخُونَ يُقَدِّرُونَ أَنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ مِائَتَيْنِ وَتِسْعِينَ لِلْهِجْرَةِ ،
وَيُقَرَّرُونَ أَنَّهُ تُوفِيَ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ .

◆ وَفِي أَيِّ بَلَدٍ وُلِدَ الْجُرْجَانِيُّ ، وَفِي أَيِّ مَوْطِنٍ نَشَأَ ؟ .

◇ وُلِدَ الْقَاضِي الْجُرْجَانِيُّ وَنَشَأَ فِي مَدِينَةِ « جُرْجَان » ، وَهِيَ مَدِينَةٌ وَصَفَهَا
يَا نُفُوسُ الْحَمَوِيُّ فِي كِتَابِهِ « مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ » بِقَوْلِهِ : « جُرْجَانُ » مَدِينَةٌ

مَشْهُورَةٌ عَظِيمَةٌ وَاقِعَةٌ بَيْنَ «طَبْرِسْتَانَ» وَ«حُرَّاسَانَ»، ثُمَّ وَصَفَ أَهْلَهَا فَقَالَ :
 وَأَهْلُ «جُزْجَانَ» ذَوُورٌ وَقَارٌ، وَمُرُوءَةٌ، وَبَسَارٌ، وَهُمْ يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْأَنَاءِ
 وَحَمِيدِ الْأَخْلَاقِ ... وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَدَبَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ
 وَالْمُحَدِّثِينَ ... وَلِجُزْجَانَ - يَا بُنَيَّ - تَارِيخٌ كَبِيرٌ أَلْفُهُ حَمْرَةٌ بَنُ يَزِيدَ السَّهْمِيُّ
 عَلَى غِرَارِ تَارِيخِ بَغْدَادَ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ، وَتَارِيخُ دِمَشْقَ لِابْنِ عَسَاكِرَ،
 وَتَارِيخُ الْقَاهِرَةِ الْمَعْرُوفِ بِالتَّجْوِمِ الرَّاهِرَةِ لِابْنِ تَغْرِي بَرْدِي .

◆ يَبْدُو أَنَّ الْجُزْجَانِيَّ كَانَ قَاضِيًا ؛ فَمَا عَلاَقَتُهُ بِالشُّعْرِ ؟ .

◇ الْقَاضِي الْجُزْجَانِيَّ - يَا بُنَيَّ - نَمُودَجٌ زَائِعٌ لِأَسْلَافِنَا مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ،
 حَيْثُ كُنْتَ تَجِدُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ مُتَبَحِّرًا فِي أَلْوَانِ مِنَ الْعُلُومِ ، مُتَمَكِّنًا مِنْ كَثِيرٍ
 مِنَ الْفُنُونِ ، حَتَّى لَتَأْخُذَكَ الْجَبَرَةُ إِلَى أَيِّ عِلْمٍ تَنْسِيبُهُ وَفِي أَيِّ فَنٍ تُخَصِّصُهُ ،
 فَأَنْتَ إِذَا وَقَفْتَ عَلَى كُتُبِ طَبَقَاتِ الْمُفَسِّرِينَ ؛ طَالَعَكَ اسْمُ الْجُزْجَانِيِّ ؛ لِأَنَّهُ
 تَرَكَ كِتَابًا نَفِيسًا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

وَإِذَا قَرَأْتَ كُتُبَ طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ ؛ بَرَزَ لَكَ اسْمُ الْجُزْجَانِيِّ أَيْضًا ؛ لِأَنَّهُ أَلَفَ
 كِتَابًا ثَمِينًا فِي الْفِقْهِ عَرَضَ فِيهِ لِأَرْبَعَةِ آلَافِ مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِهِ .

وَإِذَا طَالَعْتَ الْكُتُبَ الَّتِي تَبْحَثُ عَنِ الْمُرَرِّحِينَ ؛ وَجَدْتَ الْجُزْجَانِيَّ فِي
 طَلِيعَةِ هَؤُلَاءِ ... فَقَدْ أَلَفَ كِتَابًا فِي هَذَا الْفَنِّ دَعَاهُ «تَهْذِيبُ التَّارِيخِ» وَهُوَ
 كِتَابٌ أُعْجِبَ بِهِ النَّعَالِيُّ ، وَقَالَ عَنْهُ : «إِنَّهُ اتَّسَمَ بِبِلَاغَةِ الْأَلْفَاظِ ، وَصِحَّةِ
 الرُّوَايَاتِ ، وَحُسْنِ التَّصْرِيفِ ، وَدِقَّةِ النَّقْدِ لِلْحَوَادِثِ وَالْأَنْخَبَارِ» .

◆ مَا سَاءَ اللَّهُ ! .

◇ وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالإِضَافَةِ إِلَيَّ جَمِيعُ مَا ذَكَرْنَاهُ شَاعِرٌ مَزْمُوقٌ ،
 وَأَدِيبٌ فَذٌّ ، وَنَاقِدٌ لَمْ يَعْرِفْ تَارِيخَ النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْ يُمَاقِلُهُ غَيْرَ
 اثْنَيْنِ أَحَدُهُمَا : الْأَمِيدِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ أَبِي تَمَّامٍ وَالْبُخْتَرِيِّ ،

وَتَأْنِيهِمَا : مُوَاطِنُهُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُزْجَانِيُّ صَاحِبُ أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ ، وَدَلَائِلِ
الْإِعْجَازِ .

◆ وَكَيْفَ اسْتَطَاعَ التَّبَحُّرُ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْعُلُومِ ، وَهُوَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
الْبَعِيدَةِ عَنْ مَهْدِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَهَبِطِ الرُّوحِ ١٢ .

◇ يُجِيبُكَ عَنْ هَذَا الثَّعَالِييُّ فَيَقُولُ : « كَانَ الْجُزْجَانِيُّ فِي صِبَاهُ كَالْخَضِيرِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فِي قَطْعِ غَرَضِ الْأَرْضِ ، وَتَدْوِينِ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَغَيْرِهَا مِنْ دِيَارِ
الْمُسْلِمِينَ لِاقْتِنَاسِ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ ، حَتَّى صَارَ فِي الْعُلَمَاءِ عِلْمًا ، وَفِي
الْكَمَالِ عَالَمًا » .

◆ أَمْرٌ يَدْعُو إِلَى الدَّهْشَةِ ! كَيْفَ كَانَ يَتَنَقَّلُ هَؤُلَاءِ ؟ وَمَنْ الَّذِي يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ ؟ .

◇ لَا مَجَالَ لِلدَّهْشَةِ يَا بَنِي فَمَمْلَكَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي كَانَتْ تَغْطِي شَطْرًا كَبِيرًا
مِنْ قَارَاتِ آسِيَا ، وَأَفْرِيقِيَا ، وَأُورُشَا ، وَشِبْهِ الْقَارَةِ الْهِنْدِيَّةِ كَانَتْ مَفْتُوحَةً أَمَامَ
كُلِّ مُسْلِمٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَنَقَّلَ فِي أَرْجَائِهَا الْفَسِيحَةِ كُلَّمَا
شَاءَ وَأَنَّى شَاءَ دُونَ حَاجِزٍ يَخْجِزُهُ أَوْ غَائِقٍ يَعْرِقُهُ ، وَكَانَتْ الْأَوْقَافُ وَالرُّبُطُ (١)
وَالشَّكَايَا الْمُنْتَشِرَةُ فِي كُلِّ بَلَدٍ تَفْتَحُ صَدْرَهَا رَجِيئًا لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَافِدٍ عَلَيْهَا
وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ .

◆ لِلَّهِ دَرُّ هَؤُلَاءِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ مَا أَعْظَمَ وَمَا أَكْرَمَ !!! .

◇ بِذَلِكَ سَادُوا - يَا بَنِي - وَبِذَلِكَ شَادُوا .

◆ أَبَتْ أَرَانَا ابْتِعَادَنَا كَثِيرًا عَنْ رَوْضَةِ الشُّعْرِ .

(١) الرابط : ملجأ الفقراء .

◇ ذَلِكْ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، فَقَدْ أَغْرَتْنَا شَخْصِيَّةُ الْجُرْجَانِي الْأَدَبِيَّةُ وَالنُّقْدِيَّةُ عَنْ شَخْصِيَّةِ الشَّاعِرِيَّةِ .

◆ أَمَلُ أَلَّا يَضِيقَ الْوَقْتُ عَنِ الْوُقُوفِ عَلَى الْقَصِيدَةِ الَّتِي اخْتَرْتَهَا لِي .

◇ قَبْلَ أَنْ أُرِيَّ لَكَ الْقَصِيدَةَ لَا بُدَّ أَنْ أَضَعَكَ فِي جَوْهَا ، وَأُورِدَ لَكَ مُنَاسِبَتَهَا .

◆ تَفَضَّلْ ، وَجُزَيْتَ خَيْرًا .

◇ بَعْدَ أَنْ طَافَ الْجُرْجَانِي أَرْجَاءَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ طَلَبًا لِلْعِلْمِ ، وَبَحْثًا عَنِ الْمَعْرِفَةِ ... وَبَعْدَ أَنْ وَعَى صَدْرُهُ مِنَ الْأَدَابِ وَالْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مَا وَعَى ؛ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ « جُرْجَان » ، وَقَدْ عَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى أَلَّا يَتَزَلَّفَ لِحَاكِمِ رَغْبَةٍ فِي الْمَنَاصِبِ ، وَأَلَّا يَنْذِلَ ذَاتَهُ لِيَدِي سُلْطَانٍ طَمَعًا فِي الرِّزْقِ ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الرِّزْقَ هُوَ اللَّهُ ، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ الرُّلْفَى وَالْقُرْبَى ... وَكَانَ أَصْحَابُهُ يُلْحُونَ عَلَيْهِ فِي التَّقَرُّبِ إِلَى ذَوِي السُّلْطَانِ ، وَيَأْخُذُونَ عَلَيْهِ انْتِبَاضَهُ عَنِ النَّاسِ وَالنِّزَامَةِ بَيْتَهُ ؛ فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ :

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْتِبَاضٌ وَإِنَّمَا

رَأَوْا رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمًا

أَرَى النَّاسَ : مَنْ دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهُمْ

وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا

وَمَا زِلْتُ مُنْحَاظًا بِعِزِِّي جَانِبًا

مِنَ الذَّمِّ ، أَعْتَدُ^(١) الصُّيَانَةَ مَعْنَمًا

(١) أَعْتَدَ الصِّيَانَةَ : أَعْبَر ، وَأَعْدَد .

إِذَا قِيلَ : هَذَا مَشْرُوبٌ ، قُلْتُ : قَدْ أَرَى ؛

وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظُّمَأَ

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلُّمَا

بَدَأَ طَمَعٌ صَيَّرَتْهُ لِي مَمْنَمًا

وَلَمْ أَتَبَدَّلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي

لِأَخْدَمَ مَنْ لَأَقَيْتُ ، لَكِنْ لِأُخْدَمَا ✕

أَشَقَى بِهِ غَرَسًا وَأَجْبِيهِ ذِلَّةً ؟!

إِذَا ؛ فَاتَّبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا (١)

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانُهُمْ

وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمًا

وَلَكِنْ أَهَانُوهُ ؛ فَهَانَ ، وَدَنَسُوا

مُحَيَّاهُ بِالْأُطْمَاعِ ؛ حَتَّى تَجْهَمَا (٢)

◆ مَا أَعْظَمَ هَذِهِ النَّفْسَ ، وَمَا أَبْعَدَهَا عَنْ مَوَارِدِ الدُّلِّ وَالْهَوَانِ !! .

◇ هَكَذَا تَكُونُ النَّفُوسُ الْكَبِيرَةُ يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ كَانَ الْجُرْجَانِيُّ يَرَى أَنَّ مِنْ حَقِّ

الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ مَخْدُومًا لَا خَادِمًا ، وَأَنْ يَكُونَ مَطْلُوبًا مِنْ دَوِي

السُّلْطَانِ لَا طَالِبًا لَهُمْ .

◆ وَهَلْ تَحَقَّقَ أَمْلُهُ ؟ .

◇ وَهَلْ تَتَوَقَّعُ غَيْرَ ذَلِكَ ؟! لَقَدْ سَمِعَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ بِالْجُرْجَانِيِّ وَتَوَاتَرَتْ إِلَيْهِ

(٢) تَجْهَمَا : صار جهما كالوجه العبوس الكريه .

(١) أحزما : أي أكثر ضبطًا وانفانًا .

أَخْبَارُ عِلْمِهِ وَفَضْلِهِ ؛ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَأَصْبَحَ يَرَى الْحَيَاةَ بِدُورِهِ
تَافِهَةً لَا خَيْرَ فِيهَا ... وَكَانَ الصَّاحِبُ آنَذَاكَ وَزِيرًا لِيَتِي بُؤْيِهِ ؛ فَأَسْنَدَ إِلَى
الْجُرْجَانِيِّ قَضَاءَ « الْجُرْجَانِ » ، ثُمَّ وَجَدَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَنْصِبَ يُنْعِدُهُ عَنْهُ ؛ فَأَسْنَدَ
إِلَيْهِ قَضَاءَ « الرَّيِّ » لِيَكُونَ بِجَانِبِهِ ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ وَلَعِهِ بِهِ مَا يَزِيدُهُ لَنَا الْقَاضِي
الْجُرْجَانِيُّ نَفْسَهُ فَيَقُولُ :

انْصَرَفْتُ يَوْمًا مِنْ دَارِ الصَّاحِبِ ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ عِيدِ الْفِطْرِ فَمَا وَصَلْتُ إِلَى
دَارِي ؛ حَتَّى جَاءَنِي رَسُولُهُ يَحْمِلُ إِلَيَّ عِطْرَ الْعِيدِ وَمَعَ الْعِطْرِ هَذَانِ الْبَيْتَانِ :

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ

مَعَ قُرْبِ عَهْدٍ لِقَائِهِ مُشْتَاقَةٌ

أَهْدَيْتُ عِطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ

فَكَأَنَّمَا أَهْدَيْتُ لَهُ أَخْلَاقَهُ

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِمَّا اسْتَمَلْتُ عَلَيْهِ مُعْجَمَاتِ
الْعَرَبِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمَوْضُوعَةِ لِلْأَلْوَانِ ، فَهَلْ بَقِيَ فِي الْكِتَابَةِ شَيْءٌ ؟ .

◇ شَيْءٌ !! هُنَاكَ أَشْيَاءٌ وَأَشْيَاءٌ ، إِنَّ مَا اسْتَمَلْتُ عَلَيْهِ لَعَةُ الْعَرَبِ مِنَ أَسْمَاءِ الْأَلْوَانِ
كَفَيْلٌ بِسَدِّ حَاجَاتِ الْحَضَارَةِ مَهْمَا بَلَغَتْ عِنَايَتُهَا بِالْأَلْوَانِ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ فَأَغْنَيْتَ ثَرَوَتِي اللُّغَوِيَّةَ بِشَيْءٍ مِمَّا قِيلَ فِي هَذَا الْبَابِ ؟ .

◇ + إِنَّ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ فِي الْأَلْوَانِ : اللَّدْبَسَةُ : وَهِيَ حُمْرَةٌ مُشْرِبَةٌ سَوَادًا ؛
يُقَالُ : دَبَسَ الشَّيْءُ فَهُوَ آدَبَسَ ، وَهِيَ دَبْسَاءُ .

وَاللَّدَجْنَةُ : وَهِيَ أَقْبَحُ السَّوَادِ يُقَالُ : دَجِنَ الشَّيْءُ فَهُوَ آدَجَنُ وَهِيَ دَجْنَاءُ .
وَاللَّدَحْنَةُ : وَهِيَ لَوْنُ الدُّخَانِ ، يُقَالُ : دَحِنَ الشَّيْءُ فَهُوَ آدَحَنُ وَهِيَ دَحْنَاءُ .

وَالرُّبْدَةُ : وَهِيَ كُذْرَةٌ فِي سَوَادٍ يُقَالُ : اِرْبَدَ الشَّيْءُ فَهُوَ اَرْبَدٌ وَهِيَ رُبْدَاءٌ .
وَالرُّمْدَةُ : وَهِيَ لَوْنُ الرَّمَادِ ، يُقَالُ : هَذَا ثَوْبٌ اَرْمَدٌ وَهَذِهِ عِبَاءَةٌ رَمْدَاءٌ .

◆ مَا هَذَا كُلُّهُ ۥ مَا هَذَا ۥ ۥ

◇ إِنَّهُ لَيَسِيرٌ مِنْ كَثِيرٍ ، وَلَوْلَا ضَيْقُ الْوَقْتِ لَأَتَسَّعَ مَجَالُ الْقَوْلِ ، فَإِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، أَرْجُو أَلَّا يَضِيقَ الْوَقْتُ عَنْ طُرُقَةِ الْجَلْسَةِ .

◇ هَلَّا دِنْتَنِي^(١) بِهَا إِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ ؟

◆ أَنْتَ - طَالَ بَقَاؤُكَ - تَقُولُ دَائِمًا : الدُّنْيُ هَمٌّ بِاللَّيْلِ ، وَمِثْلُهُ بِالنَّهَارِ ، فَمَا لَنَا
وَاللَّذِينَ ، وَالْعَاجِلُ خَيْرٌ مِنَ الْآجِلِ .

◇ يَتَذَوَّرُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا .

◆ إِذَا شِئْتَ ، وَلَكَ الْفَضْلُ .

◇ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ : جَاءَ فِي عُيُونِ الْأَخْبَارِ أَنَّ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ صَاحِبَ الْعِرَاقِ وَلَّى
أَعْرَاشًا عَمَلًا لَهُ ؛ فَحَانَهُ ، فَعَزَلَهُ ... فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ الْأَعْرَاشِيُّ ، قَالَ لَهُ :
يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَكَلْتَ مَالَ اللَّهِ ۥ ۥ ۥ

فَقَالَ الْأَعْرَاشِيُّ : فَمَا لَمْ أَكُلْ إِذَا لَمْ أَكُلْ مَالَ اللَّهِ ؟ ...
لَقَدْ رَاوَدْتُ إِبْلِيسَ أَنْ يُعْطِيَنِي فَلَسًا وَاحِدًا ؛ فَمَا فَعَلَ .
فَضَحِكَ مِنْهُ ، وَاسْتَرْدَّ مَا فِي يَدِهِ ، وَأَخْلَى سَبِيلَهُ .

* * *

(١) دنتني بها : جعلتها دنيًا علي ، أقدمها لك في وقت لاحق .

الجلسة التاسعة عشرة

التأثير الإلهي في اللغة

- ◆ أبت ، سلام الله عليك .
- ◇ وَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .
- ◆ أبت ، يُكثِرُ عُلَمَاؤُنَا الْحَدِيثَ عَنْ أَثَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي اللُّغَةِ كَثْرَةً تَلَفِتُ النَّظَرَ .
- ◇ وَمَعَ ذَلِكَ فَهُمْ لَا يَقُولُونَ إِلَّا بَعْضَ مَا يَجِبُ أَنْ يُقَالَ .
- ◆ إِلَى هَذَا الْحَدِّ !!
- ◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، مِنْ غَيْرِ تَزْيِيدٍ ، أَوْ مُغَالَاةٍ .
- ◆ وَمَا أَبْرَزُ أَثَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي اللُّغَةِ ؟
- ◇ أَوَّلُ هَذِهِ الْأَثَارِ لَا أَبْرَزُهَا ، هُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ جَمَعَ الْعَرَبَ عَلَى لَهْجَةٍ قُرَيْشٍ الَّتِي هِيَ أَفْصَحُ اللَّهَجَاتِ .
- ◆ عَفْوِكَ يَا أبت ، لَكِنَّ الْمَعْرُوفَ هُوَ أَنَّ لَهْجَةَ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَسُودُ عَرَبَ الشَّامِ قَبْلَ بَعَثَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَقَبْلَ نُزُولِ الْقُرْآنِ أَيْضًا .

◇ ذَلِكْ أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى إِضَاحٍ ؛ فَسَيَادَةُ لَهْجَةِ قُرَيْشٍ لَمْ تَكُنْ تَامَّةً شَامِلَةً ؛ فَقَدْ كَانَ الشُّعْرَاءُ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَهَا غَالِبًا ، أَمَّا قَبَائِلُهُمْ فَقَدْ كَانَتْ تَلُوكُ (١) لَهْجَاتٍ تَخْتَلِفُ عَنِ اللَّهْجَةِ الْقُرَيْشِيَّةِ كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا .

◆ وَمَا السَّبَبُ فِي كَثَرَةِ هَذَا الْإِخْتِلَافِ وَقَلَّتِيهِ مِنْ قَبِيلَةٍ إِلَى أُخْرَى ؟ ! .

◇ يَرْجِعُ السَّبَبُ - يَا بُنَيَّ - إِلَى قُرْبِ هَذِهِ الْقَبَائِلِ مِنْ « مَكَّة » أَوْ بُعْدِهَا عَنْهَا ؛ فَكُلَّمَا قَرَّبَتْ الْقَبِيلَةُ مِنْ « مَكَّة » كَانَتْ أَدْنَى إِلَى التَّأَثُّرِ بِلَهْجَةِ قُرَيْشٍ وَالْأَخْذِ بِهَا ، وَكُلَّمَا بَعُدَتْ عَنْهَا كَانَتْ أَبْعَدَ فِي لَهْجَتِهَا عَنْ لَهْجَةِ قُرَيْشٍ .

◆ إِذَنْ مِنْ هُنَا يَبْدَأُ تَأْيِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي اللُّغَةِ .

◇ هَذَاكَ اللَّهُ - يَا بُنَيَّ - ؛ فَلَقَدْ عَمِلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى تَشْدِيدِ هَذِهِ اللَّهْجَاتِ ، وَتَضْيِيقِ مَا بَيْنَهَا مِنْ فُرُوقٍ ، وَبِذَلِكَ اسْتَكْمَلَ السِّيَادَةَ لِلَهْجَةِ قُرَيْشٍ عَلَى سَائِرِ اللَّهْجَاتِ .

◆ وَلَكِنْ كَيْفَ تَمَّ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ ؟ .

◇ مِنَ الْمَعْلُومِ لَدَيْكَ يَا بُنَيَّ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلَهْجَةِ قُرَيْشٍ .

◆ نَعَمْ .

◇ وَأَنَّ الْعَرَبَ حِينَ اعْتَنَقُوا الْإِسْلَامَ أُولِعُوا بِالْقُرْآنِ أَشَدَّ الْوَلَعِ ، وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْإِقْبَالِ ، وَذَهَبُوا بِالْإِعْجَابِ بِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ .

◆ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

◇ فَضْلٌ وَأَيُّ فَضْلٍ ... وَقَدْ بَلَغَ مِنْ وَلَعِهِمْ بِهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتْلُونَهُ آثَاءَ اللَّيْلِ

(١) تلوك : تخطط .

وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَيَتَذَبَّرُونَهُ مَا وَسِعَهُمُ التَّدَبُّرُ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ سُكَّانِ
الصَّحَارَى وَقُطَّانٍ^(١) الْأَرْيَافِ وَالْمُدُنِ؛ وَبِذَلِكَ تَحَوَّلَ جُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ
إِلَى حَفَظَةِ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَبِذَلِكَ أَخَذَ هَذِي الْقُرْآنَ طَرِيقَهُ إِلَى قُلُوبِهِمْ،
وَسَلَكْتَ لَهُجَّتَهُ سَبِيلَهَا إِلَى أَلْسِنَتِهِمْ.

◆ وَبِذَلِكَ عَمَّتْ لَهُجَّتُهُ الَّتِي هِيَ لَهُجَّةُ قُرَيْشٍ وَسَادَتْ عَلَى لَهُجَاتِ الْعَرَبِ،
أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

◇ لَا زِلْتُ مُوَفَّقًا إِلَى الصُّوَابِ، نَعَمْ، إِنَّهُ لَكَذَلِكَ.

◆ هَذَا أَثَرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي لَهُجَاتِ عَرَبِ شِمَالِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَمَا أَثَرُهُ فِي
لَهُجَاتِ عَرَبِ الْجَنُوبِ؟

◇ لَقَدْ كَانَ تَأْثِيرُهُ فِي لَهُجَاتِ عَرَبِ الْجَنُوبِ أَبْعَدَ، وَأَعَمَقَ، وَأَكْبَرَ.

◆ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ طَالَ بَقَاؤُكَ؟

◇ مِنَ الْمَعْلُومِ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ كَانَتْ لِعَرَبِ الْجَنُوبِ بَعَامَّةٌ، وَلِجَمِيرٍ بِخَاصَّةٍ، لُغَةٌ
تُخْتَلَفُ اخْتِلَافًا كُلِّيًّا عَنْ لُغَةِ عَرَبِ الشُّمَالِ.

◆ اخْتِلَافًا كُلِّيًّا ۥ إِلَى هَذَا الْحَدِّ ۥ.

◇ نَعَمْ، يَا بُنَيَّ نَعَمْ؛ فَأَحَدُ كِبَارِ لُغَوِيِّنَا الْقُدَمَاءِ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ يَقُولُ:
«مَا لُغَةُ جَمِيرٍ بِلُغَتِنَا، وَلَا لِسَانُهُمْ بِلِسَانِنَا».

◆ وَمَا الَّذِي حَدَّثَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لُغَتَا الشُّمَالِ وَالْجَنُوبِ لُغَةً وَاحِدَةً؟

◇ إِنَّهُ الْقُرْآنُ يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ الْقُرْآنُ. لَمَّا أَكْرَمَ اللَّهُ الْعَرَبَ بِالْقُرْآنِ أُولِعَ بِهِ عَرَبُ

(١) قُطَّانٍ: سُكَّانُ.

الْجَنُوبِ كَمَا أُوْلِعَ بِهِ عَرَبُ الشُّمَالِ ؛ فَاطْمَأْنَنْتَ بِهِ قُلُوبُهُمْ ، وَاسْتَعَذَّبَتْهُ
أَلْسِنَتُهُمْ ، فَقَدَّتْ لُغَتُهُ لُغَتَهُمْ ، وَلَمْ تَبْقَ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ لُغَتَانِ كَمَا أَنَّهُ لَمْ
يَبْقَ فِيهَا دِينَانِ .

◆ أَبَتِ ، وَلَكِنْ مَا أَهْمِيَّةُ سِيَادَةِ لَهْجَةِ قُرَيْشٍ عَلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ ! .

◇ لَهْجَةُ قُرَيْشٍ - يَا بُنَيَّ - تُصَوِّرُ عَبَقَرِيَّةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَرْوَغَ تَصْوِيرٍ ؛ فَقَدْ اجْتَمَعَ لَهَا
أَحْلَى مَا فِي لَهْجَاتِ الْعَرَبِ وَأَصْفَاهُ ، وَقَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فَرَادَهَا حَلَاوَةً
وَطَلَاوَةً وَصَفَاءً ، ثُمَّ إِنَّهُ أَمَاتَ مَا عَدَاهَا وَأَفْسَحَ لَهَا وَخَدَهَا مَجَالَ الْحَيَاةِ .

◆ ثُمَّ إِنَّهُ نَشَرَهَا فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ .

◇ لَمْ يَنْشُرْهَا يَا بُنَيَّ فَحَسَبُ ، وَإِنَّمَا ضَمِنَ لَهَا أَنْ تُحْفَظَ ، وَأَنْ تَظَلَّ عَلَى مَرِّ
الْمُصَوِّرِ جَدِيدَةً لَا تَبْلَى (١) جَدَّتْهَا ، غَضَّةٌ نَضِرَةٌ لَا تَذُبُّ نَضْرَتُهَا .

◆ إِنَّهُ لَفَضَّلَ كَبِيرَ الْقُرْآنِ عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ بِعَامَّةٍ وَلَهْجَةِ قُرَيْشٍ بِخَاصَّةٍ .

◇ وَيَتَضَيَّحُ هَذَا الْفَضْلُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ؛ إِذَا عَرَفْنَا كَيْفَ اسْتَطَاعَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنْ
يَجْعَلَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ هِيَ اللُّغَةُ الْأَدَبِيَّةُ لِلشُّعُوبِ الْقَاطِنَةِ فِي الْأَضْغَاعِ الْمُتَنَدِّةِ مِنْ
أَوَاسِطِ آسِيَا إِلَى الْمُحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ .

◆ وَكَيْفَ تَرَكَتْ هَذِهِ الْأَقْوَامُ لُغَاتِهَا ، وَأَحَلَّتْ مَحَلَّهَا هَذِهِ اللُّغَةُ الْأَجْنَبِيَّةُ عَنْهَا ،
الدُّخِيلَةُ عَلَيْهَا ؟ .

◇ حِينَ أَسْلَمَتْ هَذِهِ الْأَقْوَامُ - يَا بُنَيَّ - لَمْ تَبْقَ هَذِهِ اللُّغَةُ أَجْنَبِيَّةٌ عَنْهَا أَوْ دُخِيلَةٌ عَلَيْهَا ،
وَإِنَّمَا غَدَّتْ أَحَبَّ إِلَى قُلُوبِهَا مِنْ أَلْسِنَتِهَا ، وَأَعَذَّبَ فِي أَفْوَاهِهَا مِنْ لُغَاتِهَا .

(١) لَا تَبْلَى : لَا تَفْنَى وَلَا تَزُولُ .

◆ إِنَّهُ لَا مَرَّ يَدْعُو إِلَى الدَّهْشَةِ ، لَقَدْ حَاوَلَ الْمُسْتَعْمِرُونَ أَنْ يَفْرِضُوا لُغَاتِهِمْ عَلَى
الشُّعُوبِ الْمُسْتَعْمَرَةِ بِجَمِيعِ الْوَسَائِلِ ؛ فَلَمْ يُفْلِحُوا .

◇ ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ لُغَةُ الْعَرَاةِ ، وَكَانَتْ لُغَةُ الْقُرْآنِ لُغَةُ الْهَدَاةِ ، وَفَرْقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ
الْفَارِزِ وَالْهَادِي .

◆ أَبَتِ ، أَهَذَا هُوَ كُلُّ أَثَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي اللُّغَةِ ؟ .

◇ بَلْ هَذَا بَعْضُ أَثَرِهِ ، أَمَّا آثَارُهُ الْأُخْرَى فَمَوْعِدُهَا الْحَدِيثُ الْقَادِمُ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ زَوَّدْتَنِي - طَالَ بَقَاؤُكَ - بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ
عَلَى وَزْنِ « يَفْعَلُ » بِضَمِّ الْعَيْنِ ، وَهِيَ مِمَّا يَكْثُرُ فِيهِ اللَّحْنُ .

◇ نَعَمْ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ ، وَإِنِّي لَأُمَلُّ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَجْدَى عَلَيْكَ .

◆ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَجْدَى عَلَيَّ وَنَفَعَنِي لَمَّا اسْتَرَدْتُ مِنْهُ !! .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلِمَكَ مَا يَنْفَعُكَ ، وَنَفَعَكَ بِمَا يُعَلِّمُكَ .

◆ وَالْآنَ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ : أَمَا زَالَ فِي الْجَعْبَةِ شَيْءٌ لِأُضِيفَهُ إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ
وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ هُنَاكَ أَشْيَاءٌ وَأَشْيَاءٌ .

◆ هَلَّا تَفَضَّلْتَ - مَشْكُورًا - فَأَوْرَدْتَ لِي طَرَفًا مِنْهَا !! .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً ، حُبًّا وَكَرَامَةً يَا بُنَيَّ ، هُنَاكَ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ
غَيْرَ مَهْمُوزَةٍ ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ فِيهَا الْخَطَأُ فَتَهْمَزُ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ قَوْلِهِمْ : أَشْغَلَ فُلَانٌ فُلَانًا بِالْأَمْرِ ، وَالصَّوَابُ : شَغَلَ بِالْأَمْرِ يَشْغَلُهُ بِهِ .

◆ أَهَذَا يَغْنِي أَنَّهُ لَا يُقَالُ : أَشْغَلْتُهُ ؟ ! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، لَا يُقَالُ : أَشْغَلْتُهُ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : شَغَلْتُهُ .
وَلَا يُقَالُ أَيْضًا : أَنْعَشَهُ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : نَعَشَهُ اللَّهُ يَنْعِشُهُ .
وَلَا يُقَالُ : أَعَبْتُ الشَّيْءَ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : عَيْبْتُ الشَّيْءَ أَعِيبُهُ .

◆ وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ ^(١) أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، فَمُضَارِعُ « عَيْبْتُ » هُوَ « أَعِيبُ » ، وَلَوْ كَانَ الْمَاضِي
« أَعَيْبْتُ » لَكَانَ مُضَارِعُهُ « أَعِيبُ » .
ثُمَّ إِنَّهُ لَا يُقَالُ : أَرْفَدْتُ فُلَانًا ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : رَفَدْتُهُ ^(٢) .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي وَعَنْ لُغَةِ الْقُرْآنِ أَلْفَ خَيْرٍ كِفَاءً مَا سَدَّدَتْ وَصَوَّبَتْ .

◇ آمِينَ .

◆ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَبْتُ ، أَمَا أَنْ لَنَا بَعْدَ طُولِ الْعَنَاءِ ؛ أَنْ نَتَفَيَّأَ ^(٣) ظِلَالِ الرَّوْضَةِ الْعَنَاءِ ؟ .

(١) سورة الكهف الآية ٧٩ . (٢) رَفَدْتُهُ : أَعْتَهُ وَأَعْطَيْتُهُ . (٣) تَفَيَّأَ : نَحْنَمِي بِالْفَيْءِ وَهُوَ الظِّل .

◇ مَا هِيَ ذِي مُفْتَحَةِ الْأَبْوَابِ ؛ فَادْخُلْهَا بِسَلَامٍ آمِنًا .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي سَنِلِمُ يَرُوضِهِ ؟ .

◇ إِنَّهُ الْفَرَزْدَقُ .

◆ صَاحِبُ جَرِيرٍ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ صَاحِبُ جَرِيرٍ .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي اخْتَرْتَهَا مِنْ دِيْوَانِهِ ؟ .

◇ إِنَّهَا قَصِيدَةٌ فِي مَدْحِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟ .

◇ قَبْلَ أَنْ أُنْشِدَكَهَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَسْمَعَ قِصَّتَهَا .

◆ تَفْضُلُ مَا جُورًا غَيْرَ مَأْمُورٍ .

◇ جَاءَ فِي زَهْرِ الْأَدَابِ أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ حَجَّ ذَاتَ سَنَةٍ ؛ فَطَافَ بِالْبَيْتِ

وَأَرَادَ اسْتِیْلَامَ الْحَجَرِ ؛ فَلَمْ يَقْدِرْ مِنْ شِدَّةِ الرِّحَامِ ... فَنُصِبَ لَهُ مِنْبَرٌ فَجَلَسَ

عَلَيْهِ ، فَبَيَّنَّا^(٢) هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ^(٣) ، وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَعْظَرَهُمْ

رَاحَةً ، وَأَكْثَرَهُمْ حُشُوعًا ، وَبَيَّنَّ عَيْنِيهِ مَا يُشْبِهُ رُكْبَةَ الْعَنْزِ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ ...

فَطَافَ بِالْبَيْتِ ، ثُمَّ أَتَى لِيَسْتَلِمَ الْحَجَرَ فَتَنَحَّى النَّاسُ لَهُ هَيْبَةً وَإِجْلَالًا ، فَعَاظَ

(١) انظره في كتاب « صرر من حياة التابعين » للمؤلف .

(٢) لبينا ؛ قبيما .

(٣) الإزار ؛ ما يستر أسفل الجسم ، والرداء ؛ ما يستر الجزء الأعلى من الجسم .

ذَلِكَ هِشَامًا؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ :
 مَنْ الَّذِي أَكْرَمَهُ النَّاسُ هَذَا الْإِكْرَامَ ، وَأَعْظَمُوهُ هَذَا الْإِعْظَامَ ؟ !!! .
 فَقَالَ هِشَامٌ : لَا أَعْرِفُهُ ، لَيْتَ لَا يَعْظُمَ فِي صُدُورِ أَهْلِ الشَّامِ .
 فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ وَكَانَ حَاضِرًا :
 هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ (١) وَطَائِفُهُ
 وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
 هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
 هَذَا الثَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
 إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
 إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
 يُنْمَى (٢) إِلَى ذِرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
 عَنْ تَبْلُغِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
 يَكَادُ يُنْسِكُهُ عِرْفَانُ (٣) رَاحِيَةِ
 رُكْنِ الْحَاطِمِ (٤) إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
 يُغْضِي (٥) حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
 فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
 مُسْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَبَعْتُهُ (٦)
 طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخِيَمُ (٧) وَالشُّيَمُ

(١) البطحاء : مكان سبل الماء ، بالقرب من البيت الحرام .

(٢) يُنْمَى : يُنْسَبُ .

(٣) العرفان : المعرفة ، والمعنى : يكاد ركن الحطيم يمسه عندما يعرف يده المستندة إليه .

(٤) الحطيم : بناء قبالة الميزاب خارج الكعبة .

(٥) يغضي : يخض طرفه حياءً .

(٦) النبعة : الأصل الكريم .

(٧) الخيم : السجية والعلبة .

يُنَجِّبُ نُورُ الْهُدَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ
كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ
حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا اقْتَرَحُوا^(١)
حُلُو الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنَّ كُنْتَ جَاهِلَهُ
يَجِدُهُ أَتْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خَتَمُوا
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَتْبِيَاءِ لَهُ
وَفَضْلُ أُمِّهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ
كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
يُسْتَوَكَّفَانِ^(٢)، وَلَا يَغْرُوهُمَا الْعُدْمُ^(٣)
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ^(٤)
تَزِينُهُ الْإِثْنَتَانِ: الْجِلْمُ وَالْكَرَمُ
لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مَيِّمُونَ بِغُرَّتِهِ
رَحْبُ الْفَنَاءِ^(٥) أَرِيبٌ حِينَ يَغْتَزِمُ
مِنْ مَغْشَرِ حُبُّهُمْ دِينَ، وَبُغْضُهُمْ
زَيْغٌ، وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُقْتَصَمُ

(١) إذا اقترحوا: إذا أصابهم الدهر بقروح، وأثقلهم بأعباله.

(٢) يستوكفان: يطلب الناس غيبتهما.

(٣) لا يعرفهما: لا يهينهما.

(٤) البوادر: جمع مفردة بادرة، وهي الحدة والقسوة.

(٥) رحب الفناء: واسع الفناء لا يضيق بعه بالواردين إليه.

إِنَّ عُدَّ أَهْلُ الثَّقَى كَانُوا أَيْمَتَهُمْ
 أَوْ قِيلَ : مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟ قِيلَ : هُمْ
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بُغْدَ غَايَتِهِمْ^(١)
 وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
 هُمْ الْغُبُوثُ^(٢) إِذَا مَا أَرَمَتْ أَرَمَتْ
 وَالْأَسَدُ أَشَدُّ الشَّرِّ وَالْبَاسُ مُحْتَدِمٌ^(٣)
 لَا يُنْقِصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
 سَيِّانٍ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
 مَا قَالَ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ
 لَوْلَا التَّشْهِيدُ كَانَتْ لَأُوهُ نَعَمٌ
 فَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ
 الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ
 مَا أَرْوَعَ هَذَا الْكَلَامَ !! وَمَا أَتْرَعَ هَذَا الْبَيَانَ !! .

♦ وَمَا أَغْظَمَ هَذِهِ الْجُرْأَةَ عَلَى قَوْلَةِ الْحَقِّ فِي الْحَوْقِفِ الصَّعْبِ ، يَقُولُهَا الْمَرْءُ فِي
 لَحْظَةٍ مِنْ لَحْظَاتِ الرَّجُولَةِ ، فَتَظَلُّ بَاقِيَةً عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ .

* * *

♦ أَبَتِ ، كُنْتُ - أَجَزَلَ اللَّهُ ثَوَابَكَ - زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ لُغَةُ
 الْقُرْآنِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمَوْضُوعَةِ لِلْأَلْوَانِ ، فَهَلْ بَقِيَ شَيْءٌ فِي هَذَا الْبَابِ يُمَكِّنُ
 أَنْ يُقَالَ ؟ .

(١) بعد غايتهم : أي نهاية مضمار السباق .
 (٢) الغبوث : جمع مفردة غيث ، وهو المطر يأتي بالخير .
 (٣) محتدم : مشتد وعنيف .

◇ أَنَا مَا قُلْتُ لَكَ إِلَّا يَسِيرًا مِنْ كَثِيرٍ، فَبِئْسَ مُعْجَمَاتِ الْعَرَبِ وَكُتُبِ اللُّغَةِ مِنْ
أَسْمَاءِ الْأَلْوَانِ وَضُرُوبِهَا مَا يَكْفُلُ سَدَّ حَاجَاتِ الْحَضَارَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ؛ مِنْهَا
اشْتَدَّتْ حَاجَتُهَا إِلَى الْمُصْطَلَحَاتِ فِي هَذَا الْبَابِ.

◆ إِذَنْ تَفَضَّلْ، وَأَرْجُوكَ أَنْ تَتَمَهَّلَ.

◇ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ فِي الْأَلْوَانِ: السُّفْعَةُ: وَهِيَ سَوَادٌ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ،
وَقِيلَ: بَلِ السُّفْعَةُ سَوَادٌ مُخْتَلِطٌ بِلَوْنٍ آخَرَ أَيْ لَوْنٍ كَانَ... يُقَالُ: هَذَا ثَوْبٌ
أَسْفَعٌ وَهَذِهِ مَلَاءَةٌ سَفْعَاءُ.

وَالشُّكْلَةُ: وَهِيَ حُمْرَةٌ وَبَيَاضٌ مُخْتَلِطَانِ.
وَالشُّهْبَةُ: وَهِيَ بَيَاضٌ يَغْلِبُ عَلَى السَّوَادِ، يُقَالُ: شَيْءٌ شُهْبٌ وَشُهْبٌ
بِالْكَسْرِ وَالضَّمُّ فَهُوَ أَشْهَبُ وَهِيَ شُهْبَاءُ.
وَالصُّبْحَةُ: وَهِيَ سَوَادٌ يَضْرِبُ إِلَى حُمْرَةٍ يُقَالُ: صَبَحَ الشَّيْءُ فَهُوَ أَصْبَحُ
وَهِيَ صَبَحَاءُ.

وَالصُّحْرَةُ: وَهِيَ غُبْرَةٌ فِي حُمْرَةٍ خَفِيفَةٍ إِلَى بَيَاضٍ قَلِيلٍ، يُقَالُ: هَذَا جِسْمٌ
أَصْحَرُ وَالْمُؤَنَّثُ صَحْرَاءُ.
وَالصُّحْمَةُ: وَهِيَ سَوَادٌ إِلَى صُفْرَةٍ، يُقَالُ: هَذَا ثَوْبٌ أَصْحَمُ وَهَذِهِ مَلَاءَةٌ
صَحْمَاءُ.

◆ أَبَيْ، مَا هَذَا كُلُّهُ ۥ أَلْوَانٌ مُفْرَدَةٌ وَالْوَانُ مُرَكَّبَةٌ، وَحُمْرَةٌ إِلَى بَيَاضٍ، وَبَيَاضٌ
إِلَى حُمْرَةٍ، وَصُفْرَةٌ إِلَى سَوَادٍ، وَسَوَادٌ إِلَى صُفْرَةٍ، وَهَكَذَا...

◇ إِنَّهَا لُغَةُ الْقُرْآنِ، لُغَةُ الْعُلُومِ وَالْمُصْطَلَحَاتِ مِثْلَمَا هِيَ لُغَةُ الْفُنُونِ وَالْآدَابِ.

* * *

◆ أَبَيْ، أَرْجُو أَلَّا يَكُونَ الْوَقْتُ قَدْ ضَاقَ عَنْ طَرَفَةِ الْيَوْمِ.

◇ إِذَا ضَاقَ فَإِلْحَاحُكَ يُوسِّعُهُ.

◆ إِذَنْ تَفْضُلْ وَلَا تَتَمَهَّلْ .

◇ رُويَ أَنَّ كُثَيْرَ عَزَّةَ دَخَلَ يَوْمًا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : نَشَدْتُكَ اللَّهَ ، هَلْ رَأَيْتَ أَسَدًا مِنْكَ حُبًّا ؛ فَقَالَ :

نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ... بَيْنَا أَنَا أَسِيرٌ فِي بَعْضِ الْفُلُواتِ ^(١) ؛ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ قَدْ نَصَبَ حَبَائِلَهُ لِلصَّيْدِ ، فَقُلْتُ لَهُ :

مَا أَجْلَسَكَ هَا هُنَا ؟ .

قَالَ : أَهْلَكَنِي وَأَهْلَى الْجُرُوعِ ، فَنَصَبْتُ حَبَائِلِي لِأُصِيبَ لَهُمْ وَلِنَفْسِي مَا يَكْفِينَا سَحَابَةٌ ^(٢) يَوْمَنَا .

قُلْتُ : أَرَأَيْتَ إِنْ أَقَمْتُ مَعَكَ فَأَصَبْنَا صَيْدًا ؛ أَتَجْعَلُ لِي مِنْهُ جُزْءًا ؟ .

قَالَ : نَعَمْ .

فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ وَقَعَتْ ظَلِيَّةٌ ^(٣) فِي الشَّرِكِ الَّذِي نَصَبَهُ ؛ فَخَرَجْنَا مُبْتَدِرِينَ ^(٤) ؛ فَأَسْرَعَ إِلَيْهَا ، فَحَلَّهَا ، وَأَطْلَقَهَا .

فَقُلْتُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ .

قَالَ : دَخَلْتَنِي لَهَا رِقَّةٌ لِشَبَّهَهَا بِلَيْلِي ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

إِذْهَبِي فِي كَلَاءَةٍ ^(٥) الرَّحْمَنِ أَنْتِ مَنِي فِي ذِمَّةٍ وَأَمَانٍ

لَا تَخَافِي بَأْنَ تُهَاجِي بِسُوءٍ ^(٦) مَا تَعْنَى الْحَمَامُ فِي الْأَغْصَانِ

تَرْهَبِينِي ^(٧) !! وَالْجَيْدُ مِنْكَ لِللَّيْلِ وَالْحَشَا وَالْبُغَامُ وَالْعَيْتَانِ !!

* * *

(١) الفلوات : الصحاري ، والخلاء من الأرض ، مفردا فلاة .

(٢) سحابة يومنا : طول يومنا .

(٣) الظلية : جنس من الغزلان ، وهي من الحيوانات ذوات الأظلاف .

(٤) مبتدريين : مسرعين يريد كل منا أن يسبق الآخر . (٦) أي لن يسبب لك أحد هيجًا ولا خوفًا من خطر .

(٥) الكلاءة : الحفظ والصون والرعاية . (٧) ترهيبني : تخافين مني .

الْجَلْسَةُ الْعِشْرُونَ

لُغَةُ الْحَضَارَةِ

- ◆ أبتِ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .
- ◆ أبتِ ، كُنْتُ حَدَّثْتَنِي عَنْ أَيَادِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى اللُّغَةِ ، وَمَا تَرَكَهُ فِيهَا مِنْ عَظِيمِ الْآثَارِ .
- ◇ أَنَا مَا حَدَّثْتُكَ إِلَّا عَنْ بَعْضِ آثَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي اللُّغَةِ .
- ◆ أَيْعْنِي هَذَا أَنَّ هُنَاكَ آثَارًا أُخْرَى غَيْرَ تَوْحِيدِ لُغَةِ عَرَبِ الْجَنُوبِ مَعَ لُغَةِ عَرَبِ الشَّعَالِ ، وَغَيْرِ سِيَادَةِ لَهْجَةِ قُرَيْشٍ عَلَى سَائِرِ لَهْجَاتِ الْعَرَبِ ، وَغَيْرِ نَشْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْأَصْقَاعِ الْمُتَمَتِّدَةِ مِنْ أَوَاسِطِ آسِيَا إِلَى الْمُحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ ؟!
- ◇ هَذِهِ بَعْضُ آثَارِ الْقُرْآنِ فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ .
- ◆ بَعْضُهَا ١١ .
- ◇ نَعَمْ بَعْضُهَا يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَاذَا عَنِ الْآثَارِ الْآخَرَى ؟!

◇ إِنَّ أَكْثَرَ أَثَرِ تَرَكَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ، هُوَ أَنَّهُ حَوَّلَهَا مِنْ لُغَةٍ قَبَائِلَ تَزَعَّى الْإِبِلَ وَالنَّعَمَ ، إِلَى لُغَةٍ أُمَّةٍ تَبْنِي الْحَضَارَةَ وَتَسُوسُ الْأُمَّمَ .

◆ عَفْوُكَ لَمْ أَفْهَمْ مَا عَنَيْتُهُ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ ... أَتُرِيدُ هَذِهِ الْأَلْفَافَ الْجَدِيدَةَ الَّتِي أَضَافَتِهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى اللُّغَةِ مِنْ أَمْثَالِ الْإِيمَانِ ، وَالْكَفْرِ ، وَالنَّفَاقِ ، وَالشُّرْكِ ، وَالْإِسْلَامِ ، مِمَّا يُورَدُهُ مُؤَرِّخُو الْأَدَبِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَلَى أَثَرِ الْقُرْآنِ فِي اللُّغَةِ .

◇ مَا أَرَدْتُ هَذَا يَا بُنَيَّ إِطْلَاقًا ، فَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُهُ مُؤَرِّخُو الْأَدَبِ لَا يُعَدُّ شَيْئًا بِجَانِبِ الْأَثَرِ الْكَبِيرِ الَّذِي أَحَدَثَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي اللُّغَةِ ؛ حِينَ نَقَلَهَا مِنْ لُغَةٍ بَدَاوَةٍ إِلَى لُغَةٍ حَضَارَةٍ .

◆ وَكَيْفَ ؟!

◇ لَقَدْ كَانَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ قَبْلَ نُزُولِ الْقُرْآنِ مُحَدَّدَةً بِحُدُودِ الْحَيَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ ... كَانَتْ أَقْصَى مَا عَبَّرَتْ عَنْهُ هُوَ الْحَيَاةُ الْبَدَوِيَّةُ بِصُحْرَائِهَا وَأَجْوَائِهَا ، وَنَبَاتِهَا وَإِنْسَانِهَا .

◆ وَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ؟!

◇ وَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ؛ حَمَلَ هَذِهِ اللُّغَةَ مَضْمُونِ الدِّينِ الْجَدِيدِ كُلَّهُ ، بِمَا فِيهِ مِنْ خُلُوصِ الْعَقِيدَةِ ، وَدَقَّةِ التَّشْرِيعِ ، وَسُمُوِّ التَّوَجِّيهِ ؛ مَعَ مَا انْبَثَقَ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الْقِيَمِ الرُّوْحِيَّةِ ، وَالْفِكْرِيَّةِ ، وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ ، وَالْإِنْسَانِيَّةِ .

◆ حَقًّا ، إِنَّهُ لَأَثَرٌ كَبِيرٌ . [بعضت بجانب توتوما]

◇ وَتَذَعْبِرُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ - يَا بُنَيَّ - أَجْمَلَ تَعْبِيرٍ ، وَسَاقَةً فِي
أَعْذَابِ بَيَانٍ ، وَأَجْزَلَ أَصْلُوبٍ .

◆ كَلَامٌ سَلِيمٌ .

◇ وَهَذِهِ الْيَدُ الَّتِي أَسَدَاهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى لُغَةِ الْعَرَبِ ؛ هِيَ الَّتِي مَكَّنَتْهَا مِنْ
التَّعْبِيرِ عَنِ الْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي نَشَأَتْ فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ مِنْ تَفْسِيرٍ وَأُصُولٍ
وَفِقْهِ ، وَنَحْوٍ وَصَرْفٍ وَعَرُوضٍ ، وَقِرَاءَاتٍ ، وَبَلَاغَةٍ ، وَغَيْرِهَا وَغَيْرِهَا ،
وَيَسَّرَتْ لَهَا أَنْ تُعَمِّدَ هَذِهِ الْعُلُومَ بِآلَافِ الْمُصْطَلَحَاتِ الدَّقِيقَةِ الْمُعْبَّرَةِ .

◆ إِنَّهَا لَيَدٌ طُولَى أَسَدَاهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى لُغَةِ الْعَرَبِ .

◇ وَتَبْدُو لَكَ هَذِهِ الْيَدُ أَكْثَرَ وَأَظْهَرَ ، إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذِهِ الْخُطْوَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي
خَطَّاهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِاللُّغَةِ هِيَ الَّتِي مَكَّنَتْهَا فِيمَا بَعْدَ مِنَ التَّعْبِيرِ عَنْ ثِقَاتِ
الْيُونَانِ ، وَالْهُنُودِ ، وَالْفَرَسِ ، وَيَسَّرَتْ لَهَا اسْتِيعَابَ مَضْمُونِ هَذِهِ الْحَضَارَاتِ
بِمَا فِيهَا مِنْ فِلْسَفَةٍ ، وَطَبِّ ، وَحِكْمَةٍ ، وَمَنْطِقٍ .

◆ وَذَلِكَ بِالإِضَافَةِ إِلَى حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ أَثَرًا آخَرَ تَرَكَهُ الْقُرْآنُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ .

◆ وَمَا هُوَ طَالٌ بِقَاوُكَ ؟ .

◇ هُوَ أَنَّهُ هَذَّبَهَا مِنْ حُوشِيِّ اللَّفْظِ وَغَرِيبِ الْكَلَامِ .

◆ هَذَّبَهَا مِنْ حُوشِيِّ الْكَلَامِ وَغَرِيبِهِ !! وَكَيْفَ ؟ .

◇ إِنَّ فِي وَسْعِكَ أَنْ تَقِفَ عَلَى ذَلِكَ أَجْلَى وَقُوفٍ إِذَا أَنْتَ اسْتَمَعْتَ إِلَى هَذِهِ
الْأَيَّاتِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا أَبُو دُوَيْبٍ :

فَوَرْدُنَ وَالْعَبُوقُ^(١) مَقَعَدَ رَائِي الضُّ^(٢)

سَرَبَاءِ^(٣) خَلَفَ النُّجْمِ لَا يَتَتَّلَعُ^(٤)

فَشَرِبْنِ ثُمَّ سَمِعْنِ جِسًّا دُونَهُ

شَرَفُ الْحِجَابِ وَرَيْبُ قَرْعٍ يَقْرَعُ^(٥)

فَنَكِرْنَهُ فَنَمُرُنْ وَامْتَرَسَتْ بِهِ

عَوُجَاءُ هَادِيَةٍ وَهَادٍ جَرُشُعُ^(٥)

◆ حَسْبُكَ أَبَتِ حَسْبُكَ ! مَا هَذَا الَّذِي تُشِيدُ بِهِ ؟ ! أَمِنْ لُغَةِ الْإِنْسِ أَمْ مِنْ لُغَةِ الْجِنِّ ؟ !! .

◇ بَلْ مِنْ لُغَةِ الْإِنْسِ ، وَمِنْ جَيْدِ الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ الَّذِي تَخْتَارُهُ كُتُبُ الْأَدَبِ وَتَضْطَفِيهِ .

◆ وَلَكِنَّهُ مَحْشُورٌ بِالْغَرِيبِ الَّذِي لَا تَفْهَمُهُ .

◇ هَذَا الْغَرِيبُ الَّذِي لَا تَفْهَمُهُ - يَا بُنَيَّ - هُوَ الَّذِي اسْتَبَعَدَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ ، فَجَاءَتْ حُلُوةُ اللَّفْظِ جَزَلَةُ التَّعْبِيرِ ؛ تَخْتَالُ فِي أَسْلُوبِ رَشِيقِ

(١) العبوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها ، ويطلع قبل الجوزاء .

(٢) الرائي : المراقب ، والضرباء : جمع ضروب ، وهو ضارب قداح الميسر .

(٣) لا يتلع : لا يتقدم .

(٤) دونه شرف الحجاب : أي دون ذلك الحس شرف الحجاب يريد حجاب الصائد ؛ لأنه يحتجب عن الطرائد بشيء . والشرف : ما ارتفع من الأرض . والحجاب مرتفع يكون في الحرة عند منقطعها . وريب قرع يقرع : أي سمعن ما يريهن من قرع قوس ، وصوت وتر ، ونحو ذلك .

(٥) نكيره : أي نكير الحمر الصائد . امترست به : مرت ناحيته . الهادية : المتقدمة والهادي كذلك . جرشع : متنفخ الجنين ، ويريد بالهادي الفحل وبالهادية الأنان .

(٥) يقول الشاعر : إن هناك صائدًا لحمر الرحش قد وردن الماء في وقت طلوع نجم العبوق ، وكان العبوق خلف نجم الثريا لا يتقدمه وهو في مكانه هذا يشبه الإنسان الذي يراقب اللاعبين بالميسر ، ثم سمعت حمر الرحش جث الصائد ، فنفرن ولاذت الأنثى الهوجاء الطويلة العنق بذكر مثلها متنفخ الجنين . [انظر كتاب « شعر الطرد » للمؤلف ، الفصل الثالث : شعر الصيد قبل ظهور الطرديات] .

لَا يُكْذِرُهُ لَفْظٌ تَبَيَّنَ عَنْهُ الْأَسْمَاعُ ، وَلَا يَسُوْبُهُ تَغْيِيرٌ تَنَفَّرَ مِنْهُ الْأَذْوَابُ .

◆ أَمَدِهِ هِيَ جَمِيعُ آثَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ .

◇ بَلْ لَا تَزَالُ هُنَاكَ آثَارُ أُخْرَى ، وَلَوْلَا أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ ضَاقَ لَوَقَفْتُكَ عَلَيْهَا .

◆ إِذَنْ إِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ غَيْرِ « مَهْمُوزَةٍ » ، وَيَهْمِزُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ خَطَأً .

◇ نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ مِنْكَ مَوْقِعًا حَسَنًا .

◆ مَوْقِعًا حَسَنًا فَحَسْبُ !!! إِنَّ هَذِهِ التَّصَوُّيَّاتِ تَقَعُ مِنْ نَفْسِي مَوْقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى إِخْوَتِكَ مِنْ أَهْبَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَّمَكُمْ مَا يَنْفَعُكُمْ وَنَفَعَكُمْ بِمَا يُعَلِّمُكُمْ .

◆ آمِينَ .

◇ اللَّهُمَّ آمِينَ .

◆ وَالْآنَ أَبْقَى فِي ذَلِكَ الْبَابِ شَيْءٌ ، أَمْ إِنَّكَ أَعَدَدْتَ لِي شَيْئًا آخَرَ لِأُضِيفَهُ إِلَيَّ
« مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ بَلْ مَا يَزَالُ فِي ذَلِكَ الْبَابِ شَيْءٌ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقِفَ عَلَيْهِ ؛ لِتَقْصِمَ بِصَوَابِهِ
عَنِ الْخَطِإِ لِسَانَكَ ، وَتَزِينَ بِصِحَّتِهِ بَيَانَكَ .

◆ إِذَنْ هَاتِهِ مَشْكُورًا غَيْرَ مَأْمُورٍ .

◇ إِنَّ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ غَيْرَ « مَهْمُوزِ » وَالْمُتَكَلِّمُونَ يُكْثِرُونَ اللَّحْنَ فِيهِ
فَيَسْتَعْمِلُونَهُ مَهْمُوزًا قَوْلُهُمْ :

اخْتَلَيْتُ بِفُلَانٍ سَاعَةً وَأَفْضَيْتُ إِلَيْهِ يَمًا فِي نَفْسِي ، وَقَوْلُهُمْ : اخْتَلَى الْوَزِيرُ
بِالضَّيْفِ الْكَبِيرِ وَنَظَرَا فِي بَعْضِ الشُّعُونِ .

◆ أَهْنَاكَ خَطَأً فِي اسْتِعْمَالِ اخْتَلَيْتُ بِفُلَانٍ ، وَاخْتَلَى الْوَزِيرُ بِالضَّيْفِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَهُوَ لَحْنٌ غَرِيبٌ عَنِ اللُّغَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَثَرَةِ دَوْرَانِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ
الصَّحَفِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ .

◆ وَمَا الصَّوَابُ ؟ .

◇ الصَّوَابُ يَا بُنَيَّ ، أَنْ تَسْتَعْمِلَ كَلِمَةً خَلَا فِي مَوْضِعِ اخْتَلَى ؛ حَيْثُ يُقَالُ :
خَلَوْتُ بِفُلَانٍ ، وَخَلَا الْوَزِيرُ بِالضَّيْفِ .

◆ وَصِيغَةُ « اخْتَلَى » أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ؟ ! .

◇ بَلْ هِيَ مُوجُودَةٌ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ ، تَقُولُ : اخْتَلَى فُلَانٌ النَّبَاتَ أَيَّ اخْتَشَّهْ ،
وَتَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ : فُلَانٌ يَخْتَبِي الرُّءُوسَ أَيَّ يَقْطَعُهَا .

◆ لَقِيتُ الْخَيْرَ وَالْبِرَّ يَا أَبَتِ جَزَاءَ مَا سَدَّدْتَ وَأَرْشَدْتَ .

◇ وَوُقِيتَ الْخَطَأُ يَا بُنَيَّ فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ .

* * *

◆ أُنَبِّتُ ، إِنَّ فِي النَّفْسِ شَوْقًا إِلَى رَوْضَةِ الشَّعْرِ ، فَأَتَيْنَ مِنِّي حُلُوَ جَنَاهَا وَطِيبُ شَذَاهَا ؟ .

◇ هُنَا مِنْكَ ذَانِيتَانِ قَرِينَانِ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَغْرَاكَ رَوْضُهُ ؟ .

◇ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ وَاحِدٍ وَإِنَّمَا هُمْ شُعْرَاءُ .

◆ شُعْرَاءُ !! .

◇ نَعَمْ شُعْرَاءُ كَثُرَ ، تَدَاوَلُوا مَعْنَى وَاحِدًا ؛ فَجَنَيْتُ لَكَ مِنْ رَوْضِ كُلِّ مِنْهُمْ زَهْرَةً .

◆ وَمَا الْمَعْنَى الْمُشْتَرَكُ الَّذِي تَدَاوَلُوهُ ؟ .

◇ هُوَ الْأَمْرُ بِاخْتِيَارِ الْإِخْوَانِ ، وَاضْطِفَاءِ الْأَقْرَانِ وَالْأَخْدَانِ^(١) .

◆ وَمَا الَّذِي قِيلَ فِي ذَلِكَ ؟ .

◇ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي لَأَنْتَقِي الْإِخْوَانَ كَمَا أَنْتَقِي أَطَايِبَ الثَّمَرِ ، ثُمَّ أَنْشَدَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ :

إِمْحَضُ^(٢) مَوَدَّتِكَ الْكَرِيمِ فَإِنَّمَا يَزْعَى ذَوِي الْأَحْسَابِ كُلُّ كَرِيمٍ

وَإِخَاءُ أَشْرَافِ الرِّجَالِ مُرْوَةٌ وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ إِخَاءِ لَيْسِمٍ

(١) الأخدان : الأصْدَقَاءُ .

(٢) امْحَضُ : اُخْلَصْ .

◆ صَدَقَ ، وَاللَّهُ صَدَقَ ، فَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ إِخَاءِ اللَّئِيمِ .

◇ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ لَوْلَيْدِهِ : يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَعَدَاوَةُ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهَا لَنْ تُغْدِمَكَ مَكْرَ حَلِيمٍ أَوْ مُفَاجَأَةَ لَيْمٍ .
وَرُوي أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
وَأُخَيِّرُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْطَعْتُ إِنَّهُمْ

عِمَادٌ إِذَا اسْتَنْجَذْتَهُمْ وَظُهُورٌ^(١)

وَلَيْسَ كَثِيرًا أَلْفُ خِلٍّ وَصَاحِبٍ

وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَثِيرٌ

◆ مَا أَجْمَلَ هَذَا الْكَلَامَ !! .

◇ وَسُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَيُّ الْكُنُوزِ خَيْرٌ ؟ ...
فَقَالَ : أَمَّا يَعْدُ تَقْوَى اللَّهِ ، قَالَ الصَّدِيقُ الصَّالِحُ .
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَلَيْكُمْ بِإِخْوَانِ الصَّدِيقِ ؛ فَانْتَسِبُوا لَهُمْ ...
فَهُمْ زَيْنٌ فِي الرُّحَاءِ ، وَغُدَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ .

وَرُوي عَنْ أَبِي عَمْرِو الْعَوْفِيِّ أَنَّهُ قَالَ : إِضْحَبْ مَنْ إِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ ، وَإِنْ
خَدَمْتَهُ صَانَكَ ، وَإِنْ أَصَابَتْكَ خَصَاصَةٌ مَائِكَ^(٢) ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً
عَدَاكَ ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ سَقَطَةً^(٣) سَتَرَهَا ، ثُمَّ أَنْشَدَ :

إِنَّمَا صَاحِبِي الَّذِي يَغْفِرُ الذَّنْـ^(٤) — ب وَيَكْفِيهِ مِنْ أُخِيهِ أَقْلُهُ

لَيْسَ مَنْ يُظْهِرُ الْمَوَدَّةَ إِفْكَاً^(٤) وَإِذَا قَالَ خَالَفَ الْقَوْلَ فِعْلُهُ

(١) ظهور: جمع ظهر وهو خلاف البطن، وكان الشاعر يريد أن الإخوان يحملون عنك أثقالك، كما يحملها ظهرك.

(٢) مائتك: أي أمانتك بما تحتاج من مؤنة.

(٣) سقطة: هفوة.

(٤) إفكاً: زيفاً وزوراً.

وَصَلُّهُ لِلصُّدِيقِ يَوْمَ وَيَوْمٍ يُضْمِرُ الْهَجَرَ ثُمَّ يَنْبُتُ حَبْلَهُ^(١)
وَأَحَقُّ الرُّجَالِ أَنْ يَغْفِرَ الذَّنْـَٔ^(٢) — بَ لِإِخْوَانِهِ الْمُؤَفَّرِ عَقْلَهُ

◆ حَقًّا إِنَّ مِنَ الْبَيِّنِ لَيْسَعْرًا .

◇ وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً .

* * *

◆ أَيْتٌ ، تَدُورُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ كَثِيرًا كَلِمَاتٌ : الْفَأْفَأَةُ ، وَالْتَّمَتْمَةُ ، وَاللَّجَلَجَةُ ؛
أَفِيهِ الْفَاطُ مُتَرَادِفَةٌ ؟ أَمْ إِنَّ لِكُلِّ لَفْظٍ مَعْنَاهُ الْخَاصُّ بِهِ ؟ .

◇ مَسْأَلَةُ التَّرَادُفِ يَا بُنَيَّ ، لَا تَكَادُ تُوجَدُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ؛ فَالْأَلْفَاطُ الَّتِي تَبْدُو لَكَ
مُتَرَادِفَةٌ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ بَيْنَهُمَا فُرُوقٌ فِي الْمَعْنَى ؛ مَهْمَا كَانَتْ هَذِهِ الْفُرُوقُ
دَقِيقَةً ضَّيِيلَةً ...
هَذِهِ وَاحِدَةٌ .

◆ وَالثَّانِيَةُ !! ؟ .

◇ وَالثَّانِيَةُ يَا بُنَيَّ : هِيَ أَنَّ الْأَلْفَاطَ الَّتِي أَوْرَدْتَهَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ عُيُوبِ اللُّسَانِ
وَالْكَلَامِ ، وَقَدْ وَضَعَ الْعَرَبُ لِمَحَاسِنِ التُّطْقِ وَفَصَاحَةِ اللُّسَانِ الْأَلْفَاطَ خَاصَّةً
بِكُلِّ خَالَةٍ ، كَمَا وَضَعُوا لِعُيُوبِ الْكَلَامِ الْأَلْفَاطَ خَاصَّةً بِكُلِّ عَيْبٍ أَيْضًا .

◆ وَمَا الَّذِي قَالُوهُ فِي مَحَاسِنِ التُّطْقِ وَفَصَاحَةِ اللُّسَانِ ؟ .

◇ قَالُوا : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ حَادُّ اللُّسَانِ قَادِرًا عَلَى الْكَلَامِ ، فَهُوَ : قَرِيبُ اللُّسَانِ ،
وَفَتِيقُ الْكَلَامِ .

(١) نبت حبله : ينقطع ، والحبل هنا هو المودة .

فَإِذَا كَانَ جِدَّةَ اللِّسَانِ ، فَهُوَ : لَسِيٌّ .
 فَإِذَا كَانَ يَضَعُ لِسَانَهُ حَيْثُ أَرَادَ ، فَهُوَ : ذَلِيقٌ .
 فَإِذَا كَانَ مَعَ جِدَّةِ لِسَانِهِ بَلِيغًا ، فَهُوَ : مِسْلَاقٌ .
 فَإِذَا كَانَ لَا تَعْتَرِضُ لِسَانَهُ عُقْدَةٌ وَلَا تَشُوْبُ بَيَانَهُ عُجْمَةٌ ، فَهُوَ : مِصْقَعٌ .
 فَإِذَا كَانَ لِسَانُ الْقَوْمِ وَالْمُتَكَلِّمِ عَنْهُمْ ، فَهُوَ : مِدْرَةٌ .

هَذِهِ مَحَاسِنُ التُّطْقِ وَفَصَاحَةُ اللِّسَانِ ، فَمَاذَا عَنْ غُيُوبِ الْكَلَامِ ؟

قَالَتِ الْعَرَبُ :

الْكُتْنَةُ : عُقْدَةٌ فِي اللِّسَانِ ، وَعُجْمَةٌ فِي الْكَلَامِ .
 وَاللُّغْفَةُ : أَنْ يَجْعَلَ الرَّجُلُ الرِّاءَ لَامًا وَالسَّيْنَ ثَاءً فِي كَلَامِهِ .
 وَالْفَأْفَاةُ : أَنْ يَتَرَدَّدَ بِالثَّاءِ .
 وَالتَّمْتَمَةُ : أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الثَّاءِ .
 وَاللُّجْلَجَةُ : أَنْ يُدْخِلَ الرَّجُلُ الْكَلَامَ بَعْضَهُ فِي بَعْضٍ .
 وَالْخُخْنَةُ : أَنْ يَتَكَلَّمَ مِنْ لَدُنْ أَنْفِهِ .

شَكَرَ اللَّهُ لَكَ وَأَجَزَلَ أَجْرَكَ .

اللَّهُمَّ آمِينَ . اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

أَبَتِ ، طَالَ تَعَاوُكَ ، أَتَيْنَ طُرْفَةَ الْجَلْسَةِ ؟

فِي مُتَنَاولٍ يَذُنُكَ ... رَوَى الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ الْمَأْمُونَ جَلَسَ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ^(١) ،
 فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ بِرُقْعَةٍ يَتَطَلَّمُ فِيهَا مِنْهُ ، وَيَدَّعِي أَنَّ لَهُ قِبْلَةً^(٢) ثَلَاثِينَ أَلْفَ

(١) المظالم : جمع مفردة مظلمة ، أي جلس ليقضي بين الناس فيما بينهم من مظالم .
 (٢) قِبْلَةٌ : أي في ذمته .

دِينَارٍ ، فَأَنْكَرَهَا الْمَأْمُونُ هِيَ وَقَصَّتْهَا ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ :
إِذْنٌ أَذْعُوكَ إِلَى الْحَاكِمِ الَّذِي نَصَبْتَهُ لِرِعِيَّتِكَ .
قَالَ الْمَأْمُونُ : نَعَمْ ، ثُمَّ نَادَى : يَا غُلَامُ ، عَلَيَّ يَخْتِي بِنِ أَكْثَمَ .
فَإِذَا هُوَ قَدْ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا يَخْتِي ، إقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ .
قَالَ : لَا أَفْعَلُ .

قَالَ : وَلِمَ ؟ .
قَالَ : لِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَجْعَلْ دَارَهُ مَجْلِسَ قَضَائِي .
قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ .
قَالَ : فَإِنِّي أَبْدَأُ بِالْعَامَّةِ ؛ لِيُضَيِّحَ الْمَجْلِسُ لِلْقَضَاءِ .
قَالَ : أَفْعَلْ ؛ فَفَتَحَ الْبَابَ ، وَقَعَدَ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الدَّارِ وَدَعَا النَّاسَ ، وَفَصَلَ فِيمَا
شَجَرَ^(١) بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ دَعَا الرَّجُلَ وَقَالَ لَهُ :
مَا تَقُولُ ؟ .

قَالَ : أَقُولُ أَنَّ تَدْعُو بِخَصْمِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونِ .
فَنَادَى الْمُتَنَادِي عَلَيْهِ ، فَإِذَا الْمَأْمُونُ قَدْ خَرَجَ فِي رِدَاءٍ وَقَمِيصٍ وَنَعْلٍ رَقِيقٍ
وَمَعَهُ غُلَامٌ يَحْمِلُ مُصَلًّى^(٢) حَتَّى وَقَفَ عَلَى يَخْتِي وَهُوَ جَالِسٌ ؛ فَقَالَ لَهُ :
إِجْلِسْ .

فَطَرَحَ الْغُلَامُ الْمُصَلًّى لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ .
فَقَالَ لَهُ يَخْتِي : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَاوِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَصْمِكَ فِي شَرَفِ
الْمَجْلِسِ .
فَأَمَرَ ... فَطَرِحَ لِلرَّجُلِ مُصَلًّى أَيْضًا ؛ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ يَخْتِي :
مَا تَقُولُ ؟ .

فَقَالَ : لِي عَلَى هَذَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ .

(١) شَجَرَ بَيْنَهُمْ : مَا حَدَثَ بَيْنَهُمْ مِنْ خِلَافٍ .

(٢) مُصَلًّى : أَيِ سَجَادَةٍ .

قَالَ : وَمَنْ هَذَا ؟ .

قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونُ .

فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ سَمِعْتُ مَا يَقُولُ .

قَالَ : سَلُهُ مَا وَجَّهَهَا ^(١) ؟ ... فَأَعَادَ الرَّجُلُ قِصَّةَ الدَّعْوَى .

فَقَالَ الْمَأْمُونُ : مَا أَعْرِفُ لَهُ حَقًّا .

فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ ، أَلَا بَيِّنَةٌ ^(٢) ؟ .

قَالَ : لَا .

قَالَ : فَمَا تُرِيدُ ؟ .

قَالَ : مَا يُوجِبُهُ الشَّرْعُ لِمَنْ عَدِمَ الْبَيِّنَةُ .

قَالَ يَحْيَى : وَنَحَكَ ... لَقَدْ لَجَجْتَ ^(٣) فِي طَلَبِ الْيَمِينِ ^(٤) مِنْ أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَأْمُونِ :

أَتَحْلِفُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ .

قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، وَلَا أَعِينُ رَجُلًا عَلَى ظُلْمِهِ ؛ فَأَعْطِيَهُ مَا لَا يَجِبُ لَهُ ...

فَاسْتَحْلَفَهُ غَمُوسًا ^(٥) فَحَلَفَ .

فَمَا إِنَّ فَرَعَ الْمَأْمُونُ مِنْ يَمِينِهِ ؛ حَتَّى وَقَفَ يَحْيَى عَلَى رِجْلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ

الْمَأْمُونُ : مَا أَوْقَفَكَ ؟ .

قَالَ : إِنِّي كُنْتُ فِي حَقِّ اللَّهِ جَلًّا وَعَزًّا حَتَّى أَخَذْتُهُ ، وَلَيْسَ الْآنَ مِنْ حَقِّي أَنْ

أَتَصَدَّرَ عَلَيْكَ .

* * *

(١) ما وجهها : ما سببها ؟ .

(٢) البَيِّنَةُ : دليل على الدعوى .

(٣) لججت : أكثرت الطلب .

(٤) اليمين : الحلف والقسم .

(٥) اليمين الغموس : هي اليمين الكاذبة تغمس صاحبها في الإنم .

الْجَلْسَةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ

الْأَلْفَاظُ وَالْمَعَانِي

◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .

◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاهُ .

◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ وَقَفْتَنِي فِيَمَا مَضَى عَلَى آثَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَأَيَادِيهِ عَلَيْهَا .

◇ أَنَا مَا وَقَفْتُكَ إِلَّا عَلَى بَعْضِ آثَارِ الْقُرْآنِ فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ .

◆ أَيْغْنِي هَذَا أَنَّ لِلْقُرْآنِ آثَارًا أُخْرَى فِي لُغَةِ الْعَرَبِ غَيْرَ تَسْوِيدِ لَهْجَةِ قُرَيْشٍ عَلَى لَهْجَاتِ الْعَرَبِ ، وَغَيْرَ تَوْحِيدِ لُغَةِ عَرَبِ الْجَنُوبِ مَعَ لُغَةِ عَرَبِ الشَّامِ ، وَغَيْرَ تَصْفِيَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَنَقْلِهَا مِنْ لُغَةٍ بَدَاوَةٍ إِلَى لُغَةٍ حَضَارَةٍ !!؟ .

◇ لَيْسَتْ هَذِهِ إِلَّا بَعْضُ آثَارِ الْقُرْآنِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَاذَا عَنْ بَعْضِهَا الْآخَرِ؟ .

◇ إِنَّ مِنْ أَجَلِّ أَيَادِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ يَا بُنَيَّ ، أَنَّهُ اخْتَطَّ لَهَا أُسْلُوبًا

فَرِيدًا يَجْمَعُ الْقُوَّةَ وَالْجَزَالَ^(١)؛ إِلَى الرُّؤْيَى وَالطَّلَاوَةِ؛ مَعَ وَضُوحِ الدَّلَالَةِ
وَبُلُوغِ الْقَصْدِ مِنْ أَقْرَبِ السَّبِيلِ.

◆ طَيِّبٌ طَيِّبٌ .

◇ وَهُوَ إِلَى ذَلِكَ أُسْلُوبٌ لَا حَشَوَ فِيهِ وَلَا فُضُولٌ؛ فَالْأَلْفَاظُ عَلَى قَدْرِ الْمَعَانِي
كَأَنَّمَا رُسِمَتْ لَهَا رَسْمًا، وَقُدِّرَتْ لَهَا تَقْدِيرًا.

◆ أَحَبُّ بِأُسْلُوبِ الْقُرْآنِ مِنْ أُسْلُوبٍ، وَأَجْمَلُ بَيِّنَاتِهِ مِنْ بَيِّنَاتِهِ .

◇ ثُمَّ إِنَّهُ أُسْلُوبٌ لَا يَعِزُّ^(٢) عَلَى الْفَهْمِ، وَلَا يَنْبُو عَنِ الْقَلْبِ، وَإِنَّمَا هُوَ يَدْنُو مِنَ
الْأَفْهَامِ حَتَّى لِيُخَالِطَهَا، وَيَقْرُبُ مِنَ الْقُلُوبِ حَتَّى لِيَمَسَّ شِعَافَهَا.

◆ كَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ !! .

◇ وَهُوَ الْأُسْلُوبُ السَّهْلُ الْمُسْتَنِيعُ، تَسْتَعِذُّهُ الْأَفْوَاهُ حِينَ تَنْطِقُهُ، وَتَلَذُّهُ الْأَذَانُ
حِينَ تَسْمَعُهُ، وَتَرْتَاخُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ حِينَ تُضْغِي إِلَيْهِ .

◆ مَا أَجْمَلَ تَضْوِيرَكَ لِأُسْلُوبِ الْقُرْآنِ يَا أَبْتَ !! .

◇ هَذَا بَعْضُ فَضْلِ الْقُرْآنِ عَلَى أَتْنَائِهِ يَا وَلَدِي؛ فَمَا جَمَالُ أَسَالِيِبِ النَّاطِقِينَ
بِالضَّادِ جَمِيعًا؛ إِلَّا وَمَضَّةٌ مِنْ مَنَاهُ وَقَبْضَةٌ مِنْ ضِيَاهُ .

◆ مَتَّعَنَا اللَّهُ بِالْقُرْآنِ، وَنَوَّرَ قُلُوبَنَا بِهِدَاهُ، وَزَيَّنَ أَلْسِنَتَنَا بِبَيِّنَاتِهِ .

◇ آمِينَ، اللَّهُمَّ آمِينَ... إِنَّ أُسْلُوبَ الْقُرْآنِ هَذَا هُوَ الَّذِي طَبَعَ عَرَبِيَّتَنَا بِطَابِعِهِ،
وَوَسَمَهَا بِمَيَاسِمِهِ، وَخَلَعَ عَلَيْهَا مِنْ حُلَلِ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ مَا مَيَّرَهَا عَنْ لُغَاتِ

(١) الجزالة : العظمة واستحكام القوة .

(٢) لا يعز : لا يصعب .

البشر، وَرَفَعَ قَدْرَهَا فِي الْعَالَمِينَ .

◆ وَهَلْ أَحْسَبَتِ الشُّعُوبُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ رَوْعَةَ أُسْلُوبِ الْقُرْآنِ ١٢ .

◇ نَعَمْ يَا بَنِي نَعَمْ ، لَقَدْ فَتَحَ الْعَرَبُ بِسُيُوفِهِمُ الْبُلْدَانَ ، وَفَتَحَ الْقُرْآنُ بِهِدْيِهِ وَبَيِّنَاتِهِ الْقُلُوبَ ... فَإِذَا أَهْلُ الْأَمْصَارِ الْمَفْتُوحَةِ ؛ مُنْقَادُونَ لِهُدَاهُ ، مَفْثُونُونَ بِأُسْلُوبِهِ .

◆ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى الْعَرَبِ وَلَعَنَةِ الْعَرَبِ .

◇ وَيَعْدُو لَكَ هَذَا الْفَضْلُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ، إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ أَهْلَ الْبِلَادِ الْمَفْتُوحَةِ هَجَرُوا أَلْسِنَتَهُمْ إِلَى لِسَانِ الْقُرْآنِ ، وَأَعْرَضُوا عَنْ لُغَاتِهِمْ إِلَى لُغَتِهِ ... فَإِذَا لُغَةُ الْعَرَبِ عَلَى كُلِّ شَفَةِ ، وَإِذَا بَيِّنَاتُهُمْ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ .

◆ إِنَّهَا لَمُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِ الْقُرْآنِ أَنْ تَهْجَرَ هَذِهِ الْأَقْوَامُ لُغَاتِهَا إِلَى لُغَتِهِ .

◇ وَتَسْجَلِي لَكَ هَذِهِ الْمُعْجَزَةُ أَوْفَرَ وَأَظْهَرَ ؛ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ فَرِيقًا كَبِيرًا مِنْ أَتْبَاعِ الْأَقْوَامِ الَّتِي أَسْلَمَتْ عَلَى يَدِ الْعَرَبِ ؛ قَدْ بَلَغَ بِهِمْ الْحِرْصُ عَلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ أَنَّهُمْ جَتَدُوا عُقُولَهُمْ وَبَدَّلُوا جُهُودَهُمْ ؛ لِيَضَعُوا الْقَوَاعِدَ الَّتِي تُحْمِي لُغَةَ الْقُرْآنِ مِنْ عُجْمَةِ لُغَاتِهِمْ ، وَتَصُونَ بَيَانَ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ لَحْنِ أَلْسِنَتِهِمْ ، وَأَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ أَيْمَةُ الْبَيَانِ ، وَأَعْلَامُ الْفِكْرِ وَالْأَدَبِ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَنْ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ سَيِّئِيهِ ، وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ مِنَ الشُّحَاةِ ... وَابْنِ الْمُقَفِّعِ ، وَبَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْخَوَارَزْمِيِّ ، وَابْنِ الْعَمِيدِ ، وَالصَّاحِبِ بْنِ عَجَابٍ مِنَ الْكُتَّابِ ... وَبَشَّارٍ ، وَابْنِ الرُّومِيِّ ، وَمِهْنَبَارٍ ، وَالْأَرَجَانِيِّ ، وَالطُّغْرَتَايِيِّ ، وَالْأَبْيُورْدِيِّ مِنَ الشُّعْرَاءِ ... وَالنَّزَلِيِّ ، وَالْفَارَايِيِّ ، وَابْنِ سِينَا ، وَالزَّمَخْشَرِيِّ مِنَ الْمُفَكِّرِينَ وَالْبُلَغَاءِ .

◆ إِنَّهُ لَأَمْرٌ يُدْعَوُ إِلَى الدُّهْشَةِ .

◇ وَلَوْ رُحْتُ أَعْدُدُ لَكَ أَسْمَاءُ النُّجُومِ الَّتِي لَمَعَتْ فِي فَلَكِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ ؛ لَطَالَ بَيْنَ الْمَقَالِ ، وَلَضَاقَ بِكَ الْمَقَامُ .

◆ لَا شَكَّ فِي أَنَّ هُنَاكَ سِرًّا فِي هَذِهِ اللُّغَةِ أَغْرَى بِهَا هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ الْأَعْلَامُ ، وَجَعَلَهُمْ يَغْدِلُونَ عَنْ بَلَاغَتِهِمْ إِلَى بَلَاغَتِهَا ، وَيَمِيلُونَ عَنْ فَصَاحَتِهِمْ إِلَى فَصَاحَتِهَا .

◇ مَا هُوَ بِسِرٍّ وَاحِدٍ يَا بُنَيَّ ، وَإِنَّمَا هِيَ أَسْرَارٌ ، فَلَقَدْ قَرَأَ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ الْقُرْآنَ فِي قَوَارِعِهِ^(١) وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا ، وَقَرَأُوهُ فِي رَفَائِقِهِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا ... فَوَحِدُوا الْأُسْلُوبَ مُطَرِّدًا فِي دِقَّةِ الْإِفْهَامِ ، وَرَوَعَةِ الْأَدَاءِ ، مَعَ مُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ قَرَأُوا مَثَلًا فِي وَصْفِ السَّاعَةِ وَأَهْوَالِهَا قَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾^(٢) .

◆ اللَّهُمَّ قِنَا شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ! .

◇ آمِينَ ! ... وَقَرَأُوا يَا بُنَيَّ ، قَوْلَهُ تَعَالَى وَهُوَ يَلَاطِفُ نَبِيَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ فَيَقُولُ عَلَتْ كَلِمَتُهُ : ﴿ وَالصُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ

(١) القوارع : مفردھا قارعة ، وهي ما بهز النفس ويروّعھا . (٢) سورة الحج من الآية ١ - ٢ .

يَتِيْمًا فَأَوْىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا الْيَتِيْمَ
فَلَا تَفْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١﴾

فَرُءُوا هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيْمَاتِ يَا بُنَيَّ ، كَمَا قَرُءُوا يَلِكَ ، فَمَا وَجَدُوا هُنَا أَوْ هُنَاكَ
كَلِمَةً مُتَوَعِّرَةً وَلَا لَفْظًا مُقْتَسِرًا (٢) ، وَإِنَّمَا وَجَدُوا رَوْعَةَ الْأُسْلُوبِ وَجَزَالَتَهُ ،
وَعُدُوْبَةَ الْبَيَانِ وَنَصَاعَتَهُ ، مَعَ اسْتِيْفَاءِ الْمَعَانِي وَالْمَلَاءَمَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّعْبِيرِ .

◆ لَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا الْأُسْلُوبَ تَرَكَ آثَارَهُ فِي شِعْرِ الشُّعْرَاءِ وَتَثَرِ الْكُتَّابِ .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، إِنَّ هَذَا الْأُسْلُوبَ الْفَرِيدَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ سَابِقَةٌ
وَلَا لَاحِقَةٌ هُوَ الَّذِي طَمَحَتْ إِلَيْهِ أَنْظَارُ الْأَدْبَاءِ ؛ فَعَلَى نَهْجِهِ صَاغَ الْخُطَبَاءُ
وَالشُّعْرَاءُ وَالْكَتَّابُ آثَارَهُمْ ، وَمِنْ مَعِينِ بَيَانِهِ اسْتَقَوْا بَيَانَهُمْ ... فَاتَّسَمَ أَذْبُهُمْ
بِالْجَزَالَةِ ، وَالرَّصَانَةِ ، وَالْحَلَاوَةِ .

◆ ثُمَّ إِنَّهُمْ كَانُوا يُكْثِرُونَ مِنَ الْإِفْتِنَاسِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ .

◇ هُدِيتَ إِلَى الصَّوَابِ يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُمْ كَانُوا يَحْرِصُونَ عَلَى أَنْ يَزْدَانَ كَلَامُهُمْ
بِشَيْءٍ مِنْ لَالِي الْقُرْآنِ ، فَتَجِدُ الْعِبَارَةَ مِنْهُ بَلِ اللَّفْظَةَ حِينَ تَأْتِي فِي سِيَاقِ كَلَامٍ
كَاتِبٍ أَوْ خَطِيبٍ أَوْ شَاعِرٍ ؛ تُضِيءُ كَأَنَّهَا الْكَوْكَبُ السَّاطِعُ .

◆ أَهْذِهِ هِيَ كُلُّ آثَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ؟ .

◇ هَذِهِ أَتَبَرُّزُ آثَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي لُغَةِ الضَّادِ ، أَمَّا جَمِيعُ آثَارِهِ ؛ فَذَلِكَ مَا لَا يَتَّسِعُ
لَهُ الْمَقَامُ .

◆ جُزِيتَ الْخَيْرَ كِفَاءً مَا أَبْنَتْ وَأَوْضَحَتْ .

(١) سورة الضحى .

(٢) مقتسرا: أي غريتا يضطر إليه قائله فيأتي به نسرا وكرها .

◇ وَجَعَلَكَ اللَّهُ أَنْتَ وَإِخْوَتَكَ مِنْ أَتْبَاءِ الْمُسْلِمِينَ ذَادَةً عَنْ لُغَةِ الْقُرْآنِ ، إِنَّهُ أَعَزُّ مَنْ سُئِلَ وَأَكْرَمُ مَنْ أَجَابَ .

◆ آمِينَ .

◇ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ غَيْرِ «مَهْمُوزَةٍ» ، وَيَهْمِزُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ خَطَأً .

◇ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ تَقْوِيمٌ لِّلْسَانِكَ وَتَضَحِيحٌ لِّيَبَانِكَ .

◆ كُنْ مُطْمَئِنًّا ؛ فَلَوْلَا سُعُورِي بِجَزِيرِلِ فَإِذْتِيهِ مَا اسْتَرَدْتُكَ مِنْهُ .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَنَفَعَكَ ، وَنَفَعَ بِكَ .

◆ اللَّهُمَّ آمِينَ .

◇ هُنَاكَ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ «أَفْعَلْتُ» وَيَقَعُ فِيهَا اللَّحْنُ كَثِيرًا ؛ فَتُسْتَعْمَلُ عَلَى وَزْنِ «فَعَلْتُ» خَطَأً .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ قَوْلِهِمْ : خَزَاهُ اللَّهُ بِمَعْنَى أَهَانَهُ وَفَضَحَهُ ، وَالصَّوَابُ : أَخْزَاهُ اللَّهُ .

◆ عَفْوُكَ أَبَتِ ، وَلَكِنْ صِبْغَةٌ «خَزَاهُ» مَسْمُوعَةٌ ، كَثِيرَةُ الدُّوَرَانِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ .

◇ نَعَمْ إِنَّهَا مَسْمُوعَةٌ وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ ، تَقُولُ : خَزَاهُ ، يَخْزِيهِ . بِمَعْنَى سَأَسَهُ

يَشْوِشُهُ .

◆ جَزَيْتَ الْخَيْرَ .

◇ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ : مَسَكْتُ الشَّيْءَ أَمْسِكُهُ ، وَالصَّوَابُ : أَمْسَكْتُ الشَّيْءَ أَمْسِكُهُ ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾^(١) .

◆ طَيَّبَ طَيِّبٌ .

◇ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ يَا بُنَيَّ قَوْلُهُمْ : صَحِبَ السَّمَاءُ بِمَعْنَى انْفَشَعَ عَنْهَا الْغَيْمُ ، وَالصَّوَابُ : أَصْحَبَ السَّمَاءُ فَهِيَ مُصْحَبَةٌ .

◆ وَصَيْغَةُ «صَحَا» مَا شَأْنُهَا ؟ .

◇ صَيْغَةُ «صَحَا» يَا بُنَيَّ تُسْتَعْمَلُ مَعَ الْإِنْسَانِ ؛ فَتَقُولُ : صَحَا النَّائِمُ وَصَحَا السُّكْرَانُ .

◆ إِذَنْ يُقَالُ : أَصْحَبَ السَّمَاءُ ، وَصَحَا النَّائِمُ .

◇ بُورِكَ فَيْكَ .

◇ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ يَا بُنَيَّ قَوْلُهُمْ : حَصَرَ الْمَرَضُ فُلَانًا بِمَعْنَى مَنَعَهُ مِنَ السَّفَرِ أَوْ مِنْ آيَةٍ حَاجَةٍ ، وَالصَّوَابُ : أَخْصَرَ الْمَرَضُ فُلَانًا .

◆ لَعَلَّ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ فَإِنْ أَخْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾^(٢) .

(١) سورة الملوك الآية ٢١ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٦ .

◇ هُوَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ هُوَ كَذَلِكَ . لَا زِلْتُ مُوقِّعًا إِلَى الصُّوَابِ .

◆ آمِينَ .

◇ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، أَمَا أَنْ لَنَا أَنْ نَتَفَقَّأَ ظِلَالَ رَوْضَةِ الشُّعْرِ ؛ فَقَدْ لَفَحْنَا هَجِيرَ الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ
الَّذِي قَطَعْنَاهُ .

◇ مَا شَوْقِي إِلَى رَوْضَةِ الشُّعْرِ بِأَقْلٍ مِنْ شَوْقِكَ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي سَنِلُّ بِرَوْضِهِ ؟

◇ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ .

◆ هَذِهِ كُنْيَتُهُ ، فَمَا اسْمُهُ ؟

◇ نَعَمْ هَذِهِ كُنْيَتُهُ ، أَمَا اسْمُهُ فِإِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ .

◆ وَكَيْفَ نَشَأَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَأَيْنَ ؟

◇ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَا بُنَيَّ مَوْلَى مِنَ الْمَوَالِي ، وَلِدَ عِنْدَ قِيَامِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَنَشَأَ فِي
« الْكُوفَةِ » ، وَاشْتَغَلَ بِصِنَاعَةِ أَبِيهِ ، فَجَعَلَ يَحْمِلُ الْجِرَارَ الَّتِي يَصْنَعُهَا أَبُوهُ عَلَى
ظَهْرِهِ ، وَيَدُورُ بِهَا فِي الْكُوفَةِ وَيَبِيعُ مِنْهَا .

◆ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ الشُّعْرُ ؟

◇ أَحْسَنُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مِنْذُ حَدَاثَةِ سِنِّهِ يَقْدَرْتِهِ عَلَى نَظْمِ الشُّعْرِ ، وَكَانَ الشُّعْرُ يَوْمَئِذٍ
دِيْوَانَ النَّاسِ وَمَوْضُوعَ أَحَادِيثِهِمْ يَتَنَاشَدُونَهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعُوا ، وَيَتَذَكَّرُونَهُ

أَيْنَمَا وُجِدُوا .

◆ وَمَا أَوَائِلُ شِعْرِهِ ؟ .

◇ يَقُولُ الرَّوَّاءُ : إِنَّ أَبَا الْعَتَاهِيَّةَ كَانَ يَدُورُ بِجِزَارِهِ ذَاتَ يَوْمٍ ؛ فَمَرَّ بِفَيْثِيَّانٍ جُلُوسٍ يَتَذَاكَرُونَ الشُّعْرَ وَيَتَنَاشِدُونَهُ ؛ فَوَضَعَ جِزَارَهُ عَنْ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ سَلَّمَ وَقَالَ :
يَا فَيْثِيَّانُ ، أَرَأَيْتُمْ تَتَذَاكَرُونَ الشُّعْرَ فَأَقُولُ مِنْهُ شَطْرًا وَتُجِيزُونَهُ^(١) ؛ فَإِنْ فَعَلْتُمْ فَلَكُمْ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ ؛ فَهَزَبُوا مِنْهُ وَسَخِرُوا لِكِنَّهُمْ مَا لَيْثُوا أَنْ قَبِلُوا رَهْنَهُ ، فَقَالَ :

سَاكِنِي الْأَجْدَاثِ^(٢) أَنْتُمْ
فَلَمَّا أَعْيَاهُمْ الْأَمْرُ هَزَيْ مِنْهُمْ وَقَالَ :

سَاكِنِي الْأَجْدَاثِ أَنْتُمْ مِثْلُنَا يَا لَأَمْسٍ كُنْتُمْ
لَيْتَ شِعْرِي مَا صَنَعْتُمْ أَرَبَحْتُمْ أَمْ خَسِرْتُمْ
فَأَتَمَّهَا قَصِيدَةً ، وَقَدْ خَجَلَ الْفَيْثِيَّانُ مِنْ عَجْزِهِمْ ، وَأَدَّاعُوا خَبْرَهُ بِالْكُوفَةِ ، فَجَعَلَ أَدْبَاؤُهَا وَطُلَّابُ الشُّعْرِ مِنْ فَيْثِيَّانِهَا يَأْتُونَهُ إِلَى دُكَّانِهِ يَسْتَنَشِدُونَهُ فَيُنْشِدُهُمْ أَشْعَارَهُ ، فَيَأْخُذُونَ مَا تَكَسَّرَ مِنَ الْخَرْفِ فَيَكْتُبُونَهَا فِيهِ .

◆ وَكَيْفَ اتَّصَلَ بِالْخُلَفَاءِ فِي « بَغْدَادَ » ؟ .

◇ وَقَدْ أَتَى الْعَتَاهِيَّةَ عَلَى « بَغْدَادَ » فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ الْمَهْدِيِّ ، وَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

أَنْتَ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةٌ إِلَيْهِ تُجَرُّ أَدْيَالُهَا
فَلَمْ تَكُ تَضْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَضْلُحْ إِلَّا لَهَا

(١) تُجِيزُونَهُ : أَيِ تَكْمِلُونَهُ .

(٢) الْأَجْدَاثُ : الْقُبُورُ .

وَلَوْ رَامَهَا (١) أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا
وَكَانَ بَشَارَ خَاصِرٍ ، فَقَالَ لِجَارِ لَهُ : « انْظُرْ وَيْحَكَ أَمَا طَارَ الْخَلِيفَةُ عَنْ سِرِيرِهِ
طَرَبًا » .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي جَنَيْتَهَا مِنْ رَوْضِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ؟ .

◇ إِنَّهَا آخِرُ قَصِيدَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ قَبْلَ وَفَاتِهِ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟ .

◇ يَقُولُ :

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي	مُقَرَّرٌ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
وَمَا لِي جِبِلَّةٌ إِلَّا رَجَائِي	لِعَفْوِكَ - إِن فَعَلْتُ - وَحُسْنِ ظَنِّي
وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا	وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ
إِذَا فَكَّرْتُ فِي نَدَمِي عَلَيْهَا	عَضَضْتُ أَنَامِلِي وَفَرَعْتُ سِنِّي
أَجْنُ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا جُنُونًا	وَأَقْطَعُ طُولَ عُمرِي بِالتَّمَنِّي
وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ فِيهَا	قَلْبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمِجَنِّ
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي	لَسَرُّ النَّاسِ ، إِن لَمْ تَعْفُ عَنِّي

* * *

◆ أَبَتِ ، جَاءَ فِي قَصِيدَةِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ عَنِ الدُّنْيَا :

وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ فِيهَا . قَلْبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمِجَنِّ
فَمَا الْمُرَادُ يَقُولِهِ : « قَلْبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمِجَنِّ » ؟ .

(١) رامها : أرادها .

◇ «المِجَنُّ» يَا بُنَيَّ ، هُوَ الثُّرْسُ الَّذِي يَتَّقِي بِهِ الْمُتَحَارِبُونَ ضَرَبَاتِ السُّيُوفِ وَزِمْنِيَّاتِ السُّهَامِ .

أَمَّا قَوْلُهُ : قَلْبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمِجَنُّ ، فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ إِظْهَارِ الْعَدَاوَةِ وَتَغْيِيرِ الْمَوَدَّةِ ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَرْءَ لَا يَقْلِبُ ظَهَرَ الْمِجَنِّ لِصَاحِبِهِ إِلَّا إِذَا نَازَلَهُ وَنَاجَزَهُ .
وَمِنْ هَذَا الْبَابِ يَا بُنَيَّ قَوْلُهُمْ : لَبَسَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ جِلْدَ النَّمِرِ ، وَقَوْلُهُمْ : لَبَسَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ جِلْدَ الْأَسَدِ ، وَقَوْلُهُمْ : لَبَسَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ جِلْدَ الْأَزْقَمِ ^(١) ... فَكُلُّهَا كِنَايَاتٌ عَنْ إِظْهَارِ الْعَدَاوَةِ .

وَلِلْعَرَبِ يَا بُنَيَّ ، مِنْ رَائِعِ الْكِنَايَاتِ مَا يَنبَغُ عَلَى لُطْفِ الْإِشَارَةِ ، وَالْإِكْتِفَاءِ بِالتَّوْلِيحِ عَنِ التَّصْرِيحِ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ قَوْلِهِمْ : قَرَعَ فُلَانٌ سِنَّهُ كِنَايَةً عَنِ النَّدَمِ .

وَرَكِبَ فُلَانٌ جَنَاحِي نَعَامَةٍ كِنَايَةً عَنِ الشَّرْعَةِ .
وَلَوَتْ اللَّيَالِي كَفَّ فُلَانٍ عَلَى الْعَصَا كِنَايَةً عَنِ الشَّيْخُوخَةِ وَالْهَرَمِ .
وَفُلَانٌ لَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ كِنَايَةً عَنْ كَثْرَةِ أَصْفَارِهِ .
وَفُلَانٌ نَفَخَ شِدْقَيْهِ كِنَايَةً عَنِ التَّكْبِيرِ .
وَوَرِمَ أَنْفُ فُلَانٍ كِنَايَةً عَنِ الْغَضَبِ .

وَمِنْ لَطِيفِ الْكِنَايَاتِ يَا بُنَيَّ ، قَوْلُ الشَّاعِرِ فِي هِجَاءِ قَوْمٍ بِالْبُخْلِ :
يَبِضُ الْمَطَابِخُ لَا تَشْكُو إِمَاؤُهُمْ طَبَخَ الْقُدُورِ وَلَا غَسَلَ الْمَنَادِيلِ
وَقَوْلُ آخَرَ فِي هِجَاءِ رَجُلٍ بِالْبُخْلِ أَيْضًا :

فَتَى مُخْتَصِرُ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْمِطْرِ
نَقِي الْكَأْسِ وَالْقَضَمَةِ وَالْمِنْدِيلِ وَالْقَدْرِ

(١) الْأَرْقَمُ : أُنْهَيْتُ الْحَيَاتِ .

◆ جُزِيتَ الْخَيْرَ فَقَدْ كَفَيْتَ وَشَفَيْتَ .

* * *

◆ أَيْتَ ، أَمَا أَنْ لَنَا أَنْ نَلِمَ بِطَرْفَةِ الْجَلْسَةِ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، نَعَمْ هَاكُنَا :

كَانَ أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ الطَّائِي سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ قَوْمِهِ ، وَكَانَ الْمُقَدَّمُ فِيهِمْ ،
فَوَفَدَ هُوَ وَحَاتَمُ الطَّائِي عَلَى مَلِكِ الْعَرَبِ عَمْرِو بْنِ هِنْدٍ ؛ فَأَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ
يَخْتَبِرَهُمَا ؛ فَدَعَا أَوْسًا وَقَالَ لَهُ : أَأَنْتَ أَفْضَلُ أَمْ حَاتَمُ ؟ .

فَقَالَ : أَيْتَ اللَّعْنُ^(١) ، لَوْ مَلَكَتْنِي حَاتَمُ أَنَا وَوُلْدِي وَعَشِيرَتِي ؛ لَوَهَبْنَا^(٢) فِي
غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَأَيُّنَا مِنْ حَاتَمٍ ؟ !! .

ثُمَّ دَعَا الْمَلِكُ حَاتَمًا وَقَالَ لَهُ : أَأَنْتَ أَفْضَلُ ، أَمْ أَوْسُ ؟ .

فَقَالَ : أَيْتَ اللَّعْنُ ، إِنَّمَا ذُكِرْتُ^(٣) بِأَوْسٍ ، وَلَوْاجِدٌ مِنْ وَلَدِهِ أَفْضَلُ مِنِّي .

* * *

(١) أَيْتَ اللَّعْنُ : مِنْ أَدْعِيَةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، مَعْنَاهُ رَقِيتْ أَسْبَابَ اللَّعْنَةِ .

(٢) لَوَهَبْنَا : لَتَصَدَّقَ بِنَا عَلَى مَنْ يَطْلُبُ مِنْهُ الْعَطَاءَ .

(٣) ذُكِرْتُ بِأَوْسٍ : أَيُّ كَانَ أَوْسٌ سَبَبَ شَهْرَتِي .

الْجَلْسَةُ الثَّانِيَّةُ وَالْعِشْرُونَ

الْإِنْسِجَامُ الصَّوْتِي وَبِنَاءُ الْأَلْفَاظِ

- ◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاؤُهُ .
- ◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ تَكَلَّمْتُ عَلَى عَبَقَرِيَّةِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيِّ كَلَامًا مَلَأَ نَفْسِي إِجْلَالًا لِلُّغَةِ الْقُرْآنِ ، وَجَعَلَنِي أَذْهَبُ بِالْإِعْجَابِ بِهَا كُلُّ مَذْهَبٍ .
- ◇ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ ؛ فَهُوَ الَّذِي يَسِّرُ لِي قَوْلَ مَا يَنْفَعُ ، وَهُوَ الَّذِي وَفَّقَكَ لِلِانْتِفَاعِ بِمَا يُقَالُ .
- ◆ وَكُنْتُ - دَامَ عَطَاؤُكَ - وَعَدْتُ بِأَنْ تَنْتَقِلَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى عَبَقَرِيَّةِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيِّ وَخَصَائِصِهِ ؛ إِلَى الْكَلَامِ عَلَى عَبَقَرِيَّةِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَخَصَائِصِهَا .
- ◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، فَمَنْهَجُ الْبَحْثِ يَقُودُ إِلَى ذَلِكَ ، إِذِ الْأَصْلُ أَنْ يُبْدَأَ بِالتَّبْسِيطِ ، ثُمَّ يُنْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى الْمُرَكَّبِ .
- ◆ لِهَذَا آثَرْتُ أَنْ تُبْدَأَ بِخَصَائِصِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيِّ ، وَأَنْ تَنْتَقِلَ مِنْهَا إِلَى خَصَائِصِ الْكَلِمَةِ .

◇ ثُمَّ أَثْقِلُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنْ خَصَائِصِ الْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى خَصَائِصِ الْجُمْلَةِ ،
وَمِنْهَا إِلَى خَصَائِصِ الصِّيَاغَةِ الْعَامَّةِ وَهَكَذَا ...

◆ وَالْآنَ مَا أَهْرُزُ خَصَائِصِ الْأَلْفَاظِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ؟ .

◇ لَنْ أُجِيبَكَ عَلَى سُؤَالِكَ حَتَّى تُقَدِّمَ الشُّكْنَ .

◆ إِذَا كُنْتُ أَمْلِكُهُ فَلَنْ أَتَرَدَّدَ فِي تَقْدِيمِهِ لَحُظَةً وَاحِدَةً ، فَمَا هُوَ ؟ .

◇ هُوَ أَنْ تُوجِزَ لِي الْقَوْلَ فِي أَهَمِّ خَصَائِصِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيِّ وَمَزَايَاهُ .

◆ لَقَدْ طَلَبْتُ يَسِيرًا ، إِنَّ أَهْرُزَ مَا امْتَنَزَتْ بِهِ الْأَبْجَدِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ هُوَ أَنَّهَا اسْتَعْدَمَتْ
الْجِهَازَ الصَّوْتِيَّ عِنْدَ الْإِنْسَانِ أَوْفَى اسْتِخْدَامِ وَأَكْمَلُهُ ، فَحُظِيتْ بِطَائِفَةٍ مِنَ
الْحُرُوفِ لَا نَظِيرَ لَهَا فِي آيَةِ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ .

◇ جَيِّدٌ جَيِّدٌ .

◆ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَبْجَدِيَّةَ اسْتَعْمَلَتْ مَدْرَجًا صَوْتِيًّا رَحْبًا ؛ يَمْتَدُّ مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ
إِلَى الشَّفَتَيْنِ مِمَّا لَا مِثِيلَ لَهُ عِنْدَ الْآخَرِينَ ، وَقَدْ تَوَزَّعَتْ فِي هَذَا الْمَدْرَجِ
الْوَاسِعِ تَوَزُّعًا عَادِلًا ؛ مِمَّا أَدَّى إِلَى تَمَازِيْرٍ^(١) مَخَارِجِ الْحُرُوفِ ، وَوُضُوحِ
أَصْوَاتِهَا .

◇ أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ .

◆ كَمَا أَنَّكَ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ بَدَأْتَ الْكَلَامَ عَلَى عِبْقَرِيَّةِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَنَّ
فَصَاحَةَ الْكَلِمَةِ تُقَاسُ بِسُهُولَةِ نُطْقِهَا عَلَى اللِّسَانِ ، وَخِلَافَةِ وَقْعِهَا فِي الْأَذَانِ ،
وَيَتَبَيَّنُ فَهْمُهَا عَلَى الْأَذْهَانِ ... وَسَبَبُ سُهُولَةِ نُطْقِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ جُلَّ

(١) التمايز : انفصال الشيء عن سواه وعدم تداخله فيه .

أَلْفَظُهَا قَدْ بُيِّنَتْ فِي الْأَصْلِ مِنْ ثَلَاثَةِ حُرُوفٍ ، وَأَنَّ الرَّبَاعِيَّ قَلِيلٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَأَنَّ الْخُمَاسِيَّ أَقَلُّ مِنْهُ وَأَنْدَرُ .

◇ بُورِكَ فِيكَ يَا بُنَيَّ بُورِكَ فِيكَ ، لَا زِلْتَ مُوَفَّقًا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ .

◆ آمِينَ آمِينَ ، اللَّهُمَّ آمِينَ .

◇ مَا دُمْتُ قَدْ قَدَّمْتُ الشُّمْنَ فَإِلَيْكَ مَا طَلَبْتُ ، إِنَّ مِنْ أَتَرِزِ خَصَائِصِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ : الْإِنْسِجَامَ الصَّوْتِيَّ بَيْنَ حُرُوفِهَا ، وَالتَّأْلِفَ الْمَوْسِيقِيَّ فِي بِنَائِهَا .

◆ عَفْوِكَ ، لَمْ أَفْهَمْ مَا عَنَيْتُهُ بِالْإِنْسِجَامِ الصَّوْتِيِّ وَالتَّأْلِيفِ الْمَوْسِيقِيِّ .

◇ أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ : إِنَّ الْعَرَبَ رَاعَوْا عِنْدَ بِنَاءِ الْأَلْفَافِ التَّلَاوُمَ بَيْنَ أَصْوَابِ الْحُرُوفِ ، وَتَجَبُّوْا الْجَمْعَ بَيْنَ الْحُرُوفِ الْمُتَنَافِرَةِ .

◆ وَمَتَى تَكُونُ الْحُرُوفُ مُتَنَافِرَةً ، وَكَيْفَ تَتَنَافَرُ ؟ .

◇ لِيَتَنَافَرِ الْحُرُوفُ - يَا بُنَيَّ - أَكْثَرُ مِنْ حَالَةٍ ، وَفِي رَأْسِ هَذِهِ الْحَالَاتِ اجْتِمَاعُ الْحُرُوفِ ذَوَاتِ الْمَخَارِجِ الْمُتَقَارِبَةِ فِي الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ ، فَلَقَدْ رَفَضَ الْعَرَبُ بِنَاءَ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُتَقَارِبَةِ فِي الْمَخْرَجِ ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّكْلِيفِ فِي التَّطْقِيقِ ، وَالتَّبَيُّوْعِ الدَّقِيقِ ، وَالبُعْدِ عَنِ الْقَصَاحَةِ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ الْجَمْعِ بَيْنَ السَّيْنِ وَالصَّادِ ، وَالصَّادِ وَالسَّيْنِ ، وَالطَّاءِ وَالثَّاءِ ، وَالثَّاءِ وَالطَّاءِ .

◆ أَبْغِينِي هَذَا أَنَّنَا لَا نَجِدُ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ وَمُعْجَمَاتِهَا مَادَّةَ « صَسْ » أَوْ « طَطْ » ، أَوْ مَا شَاكَلَهُمَا .

◇ بُورِكَ فِيكَ يَا بُنَيَّ بُورِكَ فِيكَ ، نَعَمْ ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ وَأَمْثَالَهَا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ، لِمَا فِيهَا مِنْ تَنَافُرِ الْحُرُوفِ وَالْمَشَقَّةِ فِي النُّطْقِ ، وَإِذَا وَقَعَ لِأَحَدِهِمْ لَفْظٌ مِنْ ذَلِكَ اسْتَنَكِرَ عَلَيْهِ ، وَنُبِّهَ إِلَى نُبُوهِ ، وَخُرُوجِهِ عَنْ سَنَنِ الْعَرَبِ فِي الْفَصَاحَةِ .

◆ أَوْقَعَ هَذَا بِالْفِعْلِ ! وَأَنْكَرَ عَلَى صَاحِبِهِ ، أَمْ إِنَّهُ مُجَرَّدُ افْتِرَاضٍ ؟ .

◇ لَقَدْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ ، بَلْ إِنَّهُ وَقَعَ مِنْ شَيْخِ الشُّعْرَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

◆ تُرِيدُ أَمْرًا الْقَيْسِ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَلَقَدْ أَخَذَ عَلَى أَمْرِ الْقَيْسِ قَوُّهُ : « عَدَائِرُهُ مُسْتَشْرِزَاتٌ ^(١) إِلَى الْعَلَا » إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ . وَلَعَلَّكَ أَذْرَكْتَ مَوْطِنَ الثَّقَلِ وَالتَّنَافُرِ فِي قَوْلِهِ هَذَا .

◆ إِنَّهُ مِنَ الْوُضُوحِ بِحَيْثُ لَا تُحْطِئُهُ أُذُنٌ ، وَلَا يُسَبِّغُهُ ذَوْقٌ ، إِنَّهُ يَبْدُو فِي كَلِمَةِ « مُسْتَشْرِزَاتٌ » .

◇ أَصَبْتَ يَا بُنَيَّ أَصَبْتَ ؛ فَإِنَّ كَلِمَةَ « مُسْتَشْرِزَاتٌ » قَدْ جَمَعَتْ كُلًّا مِنَ السَّيْنِ وَالثَّاءِ ، وَالشَّيْنِ وَالزَّايِ ، وَكُلُّهَا حُرُوفٌ مُتَقَارِبَةٌ فِي الْمَخَارِجِ مُتَرَابِكَةٌ فِي النُّطْقِ ، مِمَّا أَدَّى إِلَى ثِقَلِهَا عَلَى اللِّسَانِ ، وَقُبْحِ وَقْعِهَا فِي الْأَذَانِ .

◆ حَقًّا إِنَّهَا لَقَبِيحَةٌ ثَقِيلَةٌ .

◇ وَلَقُبْحُهَا وَثِقَلُهَا اسْتَنَكَرَهَا الْعَرَبُ يَا بُنَيَّ ، وَأَبَوْا أَنْ يَصُوغُوا أَمْثَالَهَا .

◆ أَلْتَنَافُرُ الْحُرُوفِ حَالَةٌ غَيْرُ هَذِهِ الْحَالَةِ ؟ .

◇ نَعَمْ ، يَا بُنَيَّ نَعَمْ ؛ فَكَمَا يَتَأَنَّى التَّنَافُرُ مِنْ اجْتِمَاعِ الْحُرُوفِ الْمُتَقَارِبَةِ فِي

(١) الغدالر : واحدها غديرة وهي الدواة المضمورة من شعر الرأس ، ومستشزرات : أي مرتفعات .

المُخْرَج؛ يَتَأْتِي مِنَ اجْتِمَاعِ الحُرُوفِ الْمُتَقَارِبَةِ فِي الحُزْمِ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ « قَج » وَ « جَت » وَ « كَت » وَ « قَك » .

◆ أَيُعْنِي هَذَا أَنَّنَا لَا نَجِدُ مَوَادَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ فِي مُعْجَمَاتِ اللُّغَةِ ؟ .

◇ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَهَا فِي الْأَغْلَبِ وَإِذَا وَجَدْتَ بَعْضَهَا ؛ فَسَوْفَ تَرَى أَنَّهُ وَلَدَ مِيتَا ، ذَلِكَ لِأَنَّ لُطْفَ ذَوْقِ الْبَدَوِيِّ ، وَرَهَافَةَ حِسِّهِ اللُّغَوِيِّ ؛ جَعَلَاهُ يَتَغَيَّرُ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ ، فَأَمَاتَهَا وَأَقْبَرَهَا فِي الْمَهْدِ .

◆ وَلَكِنْ ، هَلِ انْفَرَدَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ بِخَاصَّةِ الْإِنْسِجَامِ الصَّوْتِيِّ فِي بِنَاءِ الْأَلْفَاظِ ، أَمْ أَنَّ هَذِهِ الْخَاصَّةَ شَائِعَةٌ عَامَّةٌ فِي سَائِرِ لُغَاتِ الْأُمَمِ ؟ ! .

◇ أَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَجِيفَ ^(١) عَلَى لُغَاتِ الْأُمَمِ أَوْ أَنْتَقِصَ مِنْ مَزَايَاهَا بِدَافِعٍ مِنَ التَّعَصُّبِ لِلْعُنْيِ الْقَوْمِيَّةِ ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُؤَكِّدَ لَكَ بِأَنَّ الْمُتَصِفِينَ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَاتِ ؛ يُؤَكِّدُونَ بِأَنَّ هَذِهِ الْخَاصَّةَ لَمْ تَتَوَافَرْ لِلُّغَةِ مِنَ اللُّغَاتِ كَمَا تَوَافَرَتْ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَلَمْ تَبْلُغْ فِي أَيِّ مِنْهَا كَمَا بَلَغَتْ فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ .

◆ أَبَتِ ، أَهُنَاكَ مَزِيَّةٌ أُخْرَى لِلْفُظَّةِ الْعَرَبِيَّةِ غَيْرُ هَذِهِ الْمَزِيَّةِ ؟ .

◇ هُنَاكَ مَزَايَا أَكْثَرُ وَأَكْبَرُ ، وَلَكِنْ يَضِيقُ عَنْهَا الْمَقَامُ الْآنَ .

◆ إِذَنْ إِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ ، بِإِذْنِ اللَّهِ .

* * *

(١) أحبب : أظلم ، أو أجور على الحق .

◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ - طَالَ تَقَاؤُكَ - قَدْ وَقَفْتَنِي عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي جَاءَتْ
عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « أَفْعَلْتُ » غَيْرَ أَنَّهُ يَكْثُرُ فِيهَا اللَّحْنُ ؛ فَسْتَعْمَلُ خَطَأً
عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » .

◇ نَعَمْ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَمُلُ أَنْ تَكُونَ قَدْ أَفَدْتُ مِنْهُ فِي تَقْوِيمِ
لِسَانِكَ وَتَهْدِيدِ بَيَانِكَ .

◆ الْفَائِدَةُ .

◇ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ ، ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ .

◆ وَالْآنَ أَتَبَيُّ فِي ذَلِكَ الْبَابِ شَيْءٌ يُضَافُ إِلَى سَابِقِهِ ، أَمْ إِنَّكَ سَوْفَ تُبَدِّلُنِي
بِشَيْءٍ آخَرَ لِأَضِيفَهُ إِلَى « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ بَلْ مَا زَالَ فِي ذَلِكَ الْبَابِ شَيْءٌ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقِفَ عَلَيْهِ .

◆ إِذَنْ تَفْضُلُ مَشْكُورًا مِنِّي ؛ مَا جُورًا مِنَ اللَّهِ .

◇ إِنَّ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « أَفْعَلْتُ » وَالْكَاتِبُونَ يُكْثِرُونَ مِنَ اللَّحْنِ فِيهِ
فَيَسْتَعْمِلُونَهُ خَطَأً عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » قَوْلُهُمْ :

عِنْتُ فَلَانًا بِمَعْنَى سَاعَدْتُهُ ، وَالصَّوَابُ : أَعْنْتُهُ فَهُوَ مُعَانٌ .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِيغَةِ « عِنْتُهُ » أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ؟ ! .

◇ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ ، تَقُولُ : عِنْتُهُ إِذَا أَصَبَتْهُ بَعِيزٌ ، فَهُوَ
مَعِيزٌ وَمَعِيزُونَ .

◆ أَعُوذُ بِاللَّهِ ! .

◇ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ يَا بُنَيَّ أَيْضًا قَوْلُهُمْ : عَيْبْتُ بِالْأَمْرِ بِمَعْنَى صَعِبَ عَلَيَّ وَشَقَّ وَهُوَ خَطَأٌ .

◆ خَطَأٌ !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ إِنَّهُ خَطَأٌ ، وَصَوَابُهُ : أَغَيْبْتُ فِي الْأَمْرِ وَالْمَشْيِ إِغْيَاءً ، وَأَنَا مُغَيٌّ ، وَلَا يُقَالُ عَيَّانٌ .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِيغَةِ « عَيْبْتُ » الدَّائِرَةُ عَلَى كُلِّ شَفَةِ وَلِسَانٍ ؟!! .

◇ صِيغَةُ « عَيْبْتُ » الدَّائِرَةُ عَلَى كُلِّ شَفَةِ وَلِسَانٍ كَمَا تَقُولُ مُوجُودَةٌ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ .

◆ وَمَا هُوَ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ تَقُولُ : عَيْبْتُ بِالْمَنْطِقِ إِذَا لَمْ تُحْسِنَهُ وَتُوفَّقْ إِلَيْهِ ، وَقُلَانِ عَيْبِي وَعَيْي : أَيْ عَاجِزٌ عَنْ أَدَاءِ الْكَلَامِ وَإِحْسَانِ التَّلَطُّقِ .

◆ جُزِيتَ الْخَيْرَ .

◇ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : قَبِرْتُهُ بِمَعْنَى دَفَنْتُهُ وَصَيَّرْتُ لَهُ قَبْرًا يُدْفَنُ فِيهِ ، وَالصُّوَابُ : أَقْبَرْتُهُ .

◆ أَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ (١) .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، لَا زِلْتَ مُوَفَّقًا إِلَى الصُّوَابِ .

◆ آمِينَ .

(١) سورة عبس الآية ٢١ .

◇ اللّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَيْتَ ، إِنَّ فِي النَّفْسِ حَيْنًا إِلَى رَوْضَةِ الشُّعْرِ ، وَشَوْقًا إِلَى طَيْبِ سَدَاهَا .

◇ مَا حَيْنُكَ إِلَيْنَا بِأَشَدَّ مِنْ حَيْنِي ، وَلَا شَوْقُكَ بِأَعْظَمَ مِنْ شَوْقِي .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَغْرَاكَ بِرَوْضِهِ ؟ .

◇ ابْنُ مَعْمَةَ الْجَمَصِيِّ .

◆ ابْنُ مَعْمَةَ الْجَمَصِيِّ !! ...

أَرَاكَ تَغْرِبُ فِي اخْتِيارِ الشُّعْرَاءِ وَتُوغِلُ .

◇ أَنَا لَا أَغْرِبُ - يَا بُنَيَّ - وَلَا أُوْغِلُ ، وَإِنَّمَا أَجِدُ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ أَوْلَيْكَ

الشُّعْرَاءَ الْمَعْمُورِينَ ؛ كَمَا نَعْرِفُ الْمَشْهُورِينَ ...

إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ ابْنَ مَعْمَةَ وَأَمثَالَهُ ، كَمَا نَعْرِفُ أَبَا الطَّيِّبِ وَأَمثَالَهُ .

◆ وَمَتَى وَجَدَ ابْنُ مَعْمَةَ وَأَيْنَ نَشَأَ ؟ .

◇ ابْنُ مَعْمَةَ يَا بُنَيَّ شَاعِرٌ مِنْ بَلَدَةِ « مَنبِج » فِي شَمَالِي الشَّامِ .

◆ « مَنبِج » الَّتِي مِنْهَا الْبُخْتَرِيُّ ١٩ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَقَدْ عَاشَ فِي أَوَاخِرِ دَوْلَةِ بَنِي حَمْدَانَ ، وَاتَّصَلَ بِأَمْرَائِهَا
وَمَدَحِهِمْ .

◆ وَمَا سَبَبُ نِسْبَتِهِ إِلَى « جِمَصَ » ؟ .

◇ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ خَطِيبًا لِجَامِعِ « جِمَصَ » ؛ فَنُسِبَ إِلَيْهَا ، وَقَدْ كَانَ

شَاعِرًا حُلُوَّ الشُّعْرِ ، خَفِيفَ الظِّلِّ ، عَذْبَ الدُّعَاةِ .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي جَنَيْتَهَا مِنْ رَوْضِهِ ؟

◇ قَصِيدَةُ قَالَهَا فِي وَصْفِ الدُّيُكِ .

◆ فِي وَصْفِ الدُّيُكِ !!

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ اتَّخَذَ الشَّاعِرُ مِنْ وَصْفِ الدُّيُكِ وَسِيلَةً إِلَى مُدَاعَبَةِ أَبِي
الْمَعَالِي الْحَمْدَانِيِّ ، وَطَلَبَ نَوَالِهِ^(١) .

◆ وَمَاذَا قَالَ فِيهَا ؟

◇ قَالَ يَحْكِي لِأَبِي الْمَعَالِي قِصَّتَهُ مَعَ دِيكِهِ :

لِي دِيكَ حَضَنْتُهُ وَهُوَ فِي الْبَيْتِ—^(٢)

—ضَةً مِنْ مَنْصِبٍ كَرِيمٍ الْخَيْمِ^(٣)

يَأْكُلُ الْعَفْوُ^(٤) كَيْفَ شَاءَ مِنْ الْمَا^(٥)

لِي كَأَكْلِ الْوَصِيِّ مَالِ الْيَتِيمِ

وَهُوَ عِنْدِي فِي صُورَةِ الْوَلَدِ الْبِ—^(٦)

—رُ وَفِي صُورَةِ الشَّقِيقِ الْحَمِيمِ

أَبْيَضُ اللَّوْنِ أَفْرُقُ الطُّرُوفِ^(٧) نَظًّا^(٨)

رَّ يَمِينٍ كَأَنَّهَا عَيْنُ رِيمِ^(٩)

(١) نواله : عطاؤه .

(٢) الخيم : الأصل والطبيعة والسجية .

(٣) العفو : ما بقي من أي شيء .

(٤) أفرق الطرف : لعله يقصد حاد البصر أو جميل العيون .

(٥) الرميم : الغزال .

وَعَلَى نَحْرِهِ وَشَاخَانٍ مِنْ شَذْ^(١)

رِ^(١) بِهِجٍ وَلَوْلُو مَنْظُومٍ

رَافِعٍ رَايَةً مِنَ الذُّهَبِ الْمُشْـ^(٢)

— رِقٍ يَسْعَى بِهَا كَسْفِي الظُّلِيمِ

وَلَهُ خِنْجَرَانِ مِنْ قَصَبِ السَّـ^(٣)

قَيْنِ، قَدْ رُكِبَا لِحِفْظِ الْحَرِيمِ

وَعَلَيْهِ مِنْ رِيْشِهِ طَيْلَسَانٌ^(٢)

صَيْغٍ مِنْ صَنْعَةِ اللَّطِيفِ الْحَكِيمِ

وَجَمِيعُ الدُّيُوكِ تَشْهَدُ فِي حِمِّـ^(٣)

— صَ لَهُ بِالْجَلَالِ وَالْتَّعْظِيمِ

يَتَجَاوَنَنَّ بِالصُّيَاحِ مُثِيرَا^(٣)

بِ إِلَيْهِ فِي ذَاكَ بِالتَّشْلِيمِ

فَإِذَا مَا رَأَيْتَهُ بَيْنَ خَمْسِ

مِنْ دَجَاجَاتِهِ كِبَارِ الْجُسُومِ^(٣)

قُلْتُ مَلِكٌ يَخْدِمُنُهُ قَتِيَاتٌ

يَتَهَادَيْنَ بَيْنَ زَنْجٍ وَزُومٍ

وَتَرَى عَرْفَهُ فَتُخَسِبُهُ الثَّـ^(٣)

جَ عَلَى رَأْسِ كَسْرَوِيٍّ كَرِيمِ

(١) الشذر: القطع، ولعله يعني قطع فضة أو ذهب.

(٢) الطيلسان: كساء أخضر غالي الثمن تلبسه الخاصة.

(٣) الجسوم: الأجسام.

ثَابِتُ الْعِلْمِ بِالْمَوَاقِيتِ لَيْلًا
وَلَهَازًا، وَحَازِقُ بِالْمُجُومِ
وَيَحْتُ الْجِيرَانِ حَوْلِي عَلَى الْبِ—^(١)
رُ كَحْتُ الْمُدِيرِ كَأْسَ النَّدِيمِ^(١)
وَلَهُ أَهْلُهَا الْأَمِيرُ عَلَى الْ—^(٢)
مَعْهُدُ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ الْقَدِيمِ
أَنَّهُ آمِنٌ مِنَ الشُّوءِ عِنْدِي
غَيْرَ يَوْمِ الْمَنِيَّةِ الْمَحْشُومِ
وَقَدْ اخْتَجْتُ أَنْ أُضْحِي بِالْعِ—^(٣)
دِ بِهِ حَاجَةَ الْأَدِيبِ الْعَدِيمِ
وَبَنَاتِي يَقُولْنَ: يَا أَبَتَانَا
أَنْتَ فِي ذَاكَ بَيْنَ غَدْرٍ وَلُومِ
وَتَرَاهُنَّ حَوْلَهُ يَتَبَاكِي—^(٤)
— مِنْ يَدْمَعٍ لِفَقْدِهِ مَسْجُومِ^(٢)
وَعَزِيزُ سُؤَالٍ مَنْ يَفْتَدِيهِ
فَاقْدِهِ مُنْعِمًا يَذْبَحُ عَظِيمِ
عِشْتَ فِي الْعِزِّ مَا دَعَا اللَّهُ دَاعِ
أَبَدًا بَيْنَ زَمَرٍ وَالْحَطِيمِ

(١) النديم: هو المسامر على الشراب.

(٢) مسجوم: مسكوب.

◆ حَقًّا إِنَّهُ لَشَاعِرٌ خَفِيفُ الظِّلِّ ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ نَالَ مِنْ أَمِيرِهِ بُغْيَتَهُ .

◇ وَأَكْثَرَ مِنْ بُغْيَتِهِ ، فَقَدْ كَانَتْ لِيُنِّي حَمْدَانٌ عَلَى الْأَدَبِ وَأَهْلِيهِ أَيَادٍ تُذَكِّرُ فَتُشْكِرُ .

* * *

◆ أَبَتِ ، أَيْعَدُ هَذَا الْمَسْلُوكُ الَّذِي سَلَكَهُ ابْنُ مَعْمَعَةٍ فِي طَلَبِ نَوَالِ الْأَمِيرِ مِنْ بَابِ الْهَزْلِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ الْجِدُّ ؟ .

◇ كَلَّا يَا بُنَيَّ مَا هُوَ مِنْ بَابِ الْهَزْلِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ الْجِدُّ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ بَرَاعَةِ الطَّلَبِ .

◆ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْبَاتَيْنِ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ الْهَزْلُ الْمُرَادُ بِهِ الْجِدُّ : هُوَ أَنْ يُضْمَنَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ ، سَوَاءً أَكَانَ مَذْحَا أَوْ ذَمًّا ، أَنْ يُضْمَنَهُ نِكَاتًا هَزْلِيَّةً رَائِعَةً .

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ قَوْلِ أَحَدِ الشُّعْرَاءِ :

أَنْزَلْنَا الدَّهْرَ عَلَى مَعْشَرٍ تَغَيَّرُ^(١) بِالنَّاسِ أَحَادِيثُهُمْ
فَمَا أَكَلْنَا مِنْ ضَيَافَتِهِمْ مَا أَكَلَتْ مِنَّا بَرَاعِيَتُهُمْ
هَذَا هُوَ الْهَزْلُ الْمُرَادُ بِهِ الْجِدُّ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا بَرَاعَةُ الطَّلَبِ ؟ .

◇ بَرَاعَةُ الطَّلَبِ - يَا بُنَيَّ - : هِيَ أَنْ يُلَوِّحَ الْمُتَكَلِّمُ بِالطَّلَبِ فِي لَفْظٍ مُهَذَّبٍ

(١) تَغَيَّرَ : تَخَدَّعَ .

رَشِيقٍ ؛ مُوضَّحًا لِمَا يَفْصِدُهُ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ ظَاهِرٍ ، فَيُذْرِكُ الْمَمْدُوحَ مَا يَتَّبِعِي
الْمُتَكَلِّمُ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ قَوْلِ أَبِي الطُّبَيْ :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ^(١)

سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ

وَمِنْ أَمْثَالِ قَصِيدَةِ ابْنِ مَعْمَرٍ ؛ فَهِيَ نُمُودَجٌ بَارِعٌ لِبَرَاعَةِ الطَّلَبِ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ ؛ فَقَدْ شَفِيتَ وَكَفَيْتَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَطُرْفَةُ الْجَلْسَةِ ... أَرْجُو أَلَّا تَنْسَاهَا .

◇ إِذَا نَسِيتُهَا أَنَا فَلَنْ تَنْسَاهَا أَنْتَ .

◆ إِذَنْ هَاتِيهَا أَفَاضَ اللَّهُ عَيْنَكَ الْخَيْرَ .

◇ جَاءَ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ أَنَّ عَمَارَةَ بْنَ حَنْزَلَةَ دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ ؛

فَرَفَعَ الْمَنْصُورُ قَدْرَهُ ، وَأَذْنَى مَجْلِسَهُ ، وَكَانَ عَمَارَةُ ذَا عِزَّةٍ وَنَفْسٍ أَيْثَةٍ وَتُرْوَةٍ
طَائِلَةٍ ...

فَقَامَ رَجُلٌ مَذْفُوعٌ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ مُتَنَافِسِي عَمَارَةَ ، وَقَالَ :

مَظْلُومٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَمَنْ ظَلَمَكَ ؟ .

قَالَ : عَمَارَةُ بْنُ حَنْزَلَةَ ؛ غَضَبَنِي ضَيْعَتِي^(٢) .

(٢) الضيعة : الأرض مزروعة .

(١) الفطانة : شدة الفهم لما يلمح به .

فَقَالَ الْمَنْصُورُ: يَا عَمَارَةُ، قُمْ فَأَقْعُدْ مَعَ خَضِيكَ .
 فَقَالَ عَمَارَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هُوَ لِي بِخَصِمٍ، إِنْ كَانَتِ الضُّيْعَةُ لَهُ؛
 فَلَسْتُ أَنَا زَعُهُ فِيهَا... وَإِنْ كَانَتْ لِي؛ فَقَدْ وَهَبْتُهَا لَهُ...
 وَلَا أَتَزَلُّ عَنْ مَنْزِلِ شَرْفِي بِإِذْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَجْلِ ضَيْعَةٍ .

* * *

الْجَلْسَةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ

حِصْنُ اللُّغَةِ

- ◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .
- ◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ بَدَأْتُ الْكَلَامَ عَلَى عَبَقَرِيَّةِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، ثُمَّ عَاجَلْتُ الْوَقْتُ عَنْ إِتِمَامِ مَا بَدَأْتُ .
- ◇ نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ ، غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ أَذْكُرُ عَلَى وَجْهِ الضَّبْطِ مَا الَّذِي قُلْتُهُ وَمَا الَّذِي أَرْجَأْتُهُ .
- ◆ الْأَمْرُ يَسِيرٌ ، فَأَنَا أَذْكُرُكَ بِمَا قُلْتَ ، وَأَنْتَ - دَامَ عِزُّكَ - تُتِمُّ مِنْ حَيْثُ انْتَهَيْتَنَا .
- ◇ كَلَامٌ طَيِّبٌ ، هَاتِ مَا عِنْدَكَ لِأَضِيفَ إِلَيْهِ مَا عِنْدِي .
- ◆ كُنْتُ قُلْتُ - أَجْزَلَ اللَّهُ أَجْرَكَ - إِنَّ عَبَقَرِيَّةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَتَجَلَّى فِي أَلْفَافِهَا كَمَا تَجَلَّتْ فِي حُرُوفِهَا ، وَإِنَّ أَتَمَّ مَا امْتَأَزَتْ بِهِ اللَّفْظَةُ الْعَرَبِيَّةُ ذَلِكَ الْإِنْسِجَامُ الصَّوْتِيُّ بَيْنَ حُرُوفِهَا ، وَالتَّالِفُ الْمَوْسِيقِيُّ فِي بَنَائِهَا .
- ◇ أَحْسَنْتَ ، أَحْسَنْتَ .

◆ لَذَا رَفَضَ الْقَرَبُ بِنَاءَ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُتَقَارِبَةِ فِي الْمَخْرَجِ كَالسَّيْنِ وَالصَّادِ ، كَمَا رَفَضُوا الْجَمْعَ بَيْنَ الْحُرُوفِ الْمُتَشَابِهَةِ فِي الْأَصْوَاتِ مِنْ أُنْثَالٍ : جَقْ ، وَقَكَ ، وَكَتْ ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّكْلِيفِ فِي النُّطْقِ ، وَالتَّبَوُّعِ الدُّوْقِ .

◇ بُورِكَ فَيْكَ ، بُورِكَ فَيْكَ ، مِثْلَكَ يَكُونُ طُلَّابُ الْعِلْمِ .

◆ الْفَرَسُ مِنَ الْفَارِسِ .

◇ الْآنَ غَدَا فِي وَشِعْنَا أَنْ نَسْتَأْنِفَ مَا بَدَأْنَا ، وَأَنْ نَصِلَ مَا قَطَعْنَا .
إِنَّ مِنْ أَثَرِ خَصَائِصِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَا بُنَيَّ ؛ ثَبَاتُ أَصْوَاتِ حُرُوفِهَا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ اخْتِلَافِ النَّاطِقِينَ بِهَا ، وَتَعَدُّدِ أَجْنَاسِهِمْ وَأَنْطَارِهِمْ .

◆ ثَبَاتُ أَصْوَاتِ حُرُوفِهَا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ !! لَمْ أَفْهَمْ مَا عَنَيْتَهُ بِثَبَاتِ أَصْوَاتِ الْحُرُوفِ .

◇ أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ - يَا بُنَيَّ - : إِنَّ أَصْوَاتَ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ تُنْطَقُ الْيَوْمَ كَمَا كَانَتْ تُنْطَقُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا لَمْ تَتَغَيَّرْ أَصْوَاتُهَا ، وَلَمْ تَتَبَدَّلْ نَبْرَاتُهَا فِي يَسِيرٍ أَوْ كَثِيرٍ .

◆ أَهْدِيهِ خَاصَّةً مِنْ خَصَائِصِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، أَمْ إِنَّهُ أَمْرٌ عَامٌّ شَائِعٌ فِي سَائِرِ اللُّغَاتِ ؟ .

◇ بَلْ هِيَ خَاصَّةٌ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ اللُّغَةِ انْفَرَدَتْ بِهَا مِنْ دُونِ اللُّغَاتِ ؛ فَلَمْ يُعْرَفْ مِثْلُ هَذَا الثَّبَاتِ وَالِاسْتِقْرَارِ فِي حُرُوفِ أُمَّةٍ لُغَةٍ مِنْ لُغَاتِ الْأَرْضِ .

◆ وَمَا السُّرُّ فِي ذَلِكَ ؟ طَالَ بَقَاؤُكَ .

◇ السُّرُّ فِي ذَلِكَ - يَا بُنَيَّ - يَكْمُنُ فِي الْقُرْآنِ .

◆ القرآن !! .

◇ نعم ، القرآن - يَا بُنَيَّ - فَلَقَدْ غَنِيَ الْمُسْلِمُونَ مِنْذُ نَزَلَتْ أَوَّلُ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا بِنُطْقِ الْفَاطِمَةِ ، وَضَبِطِ أَصْوَاتِهِ ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَخَارِجِ حُرُوفِهِ عِنَايَةً لَمْ يَعْرِفْهَا النَّارِخُ .

◆ لَكِنَّ عُلَمَاءَ اللُّغَاتِ مِنَ الْأَوْرُبِيِّينَ يَقُولُونَ : إِنَّ تَبَدُّلَ أَصْوَاتِ الْحُرُوفِ فِي جَمِيعِ اللُّغَاتِ أَمْرٌ حَثْمِيٌّ ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَتَغَيَّرَ أَصْوَاتُ الْحُرُوفِ عِنْدَ الْأَمَمِ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ .

◇ إِنَّهَا إِحْدَى النُّظَرِيَّاتِ الْخَاطِئَةِ الَّتِي يُقَرِّرُهَا عُلَمَاءُ اللُّغَاتِ الْأَوْرُبِيُّونَ يَا بُنَيَّ .
◆ وَمَا مَنَشَأُ هَذَا الْخَطَأِ ؟ .

◇ مَنَشَأُ هَذَا الْخَطَأِ يَا بُنَيَّ ، الْإِسْتِقْرَاءُ^(١) النَّاقِصُ .

◆ الْإِسْتِقْرَاءُ النَّاقِصُ !! وَكَيْفَ ؟ .

◇ لَقَدْ بَنَى عُلَمَاءُ اللُّغَاتِ الْأَوْرُبِيُّونَ نَظَرِيَّتَهُمْ هَذِهِ عَلَى مَا وَجَدُوهُ فِي لُغَاتِهِمْ ، وَهِيَ لُغَاتٌ تَبَدَّلَتْ خِلَالَ الْعُصُورِ تَبَدُّلاً كَبِيراً ، فَزَعَمُوا أَنَّ الْحُرُوفَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَتَرَخَّزَ عَنْ مَخَارِجِهَا قَلِيلاً قَلِيلاً فِي كُلِّ جِيلٍ ، فَإِذَا تَتَابَعَتِ الْأَجْيَالُ وَتَعَاقَبَتِ السَّنُونَ ازْدَادَ بُعْدُهَا عَنْ مَخَارِجِهَا الْأَصْلِيَّةِ فَتَغَيَّرَتْ تَغْيِيراً كَبِيراً ، وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَقَعْ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَا بُنَيَّ .

◆ لَا رَيْبَ فِي أَنَّ ذَلِكَ يَفْضِلُ الْقُرْآنَ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، فَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ الْيَوْمَ بِاللَّفْظِ وَالصَّوْتِ وَالْفَضْلِ ،

(١) الاستقراء : تتبع الجزئيات للوصول إلى نتيجة كلية ، وهو نوعان كامل وناقص .

وَالْوَصْلِ، وَالْوَقْفِ وَالْمَدِّ؛ كَمَا كَانَ يُقْرَأُ فِي زَمَنِ الرُّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

نَقَرُوهُ دُونَ أَنْ نُخِلَّ بِلَفْظٍ، أَوْ حَرْفٍ، أَوْ هَمْسٍ، أَوْ نَبْرَةٍ، يَمَّا كَانَ عَلَيْهِ يَوْمَ نَزَلَ، وَسَيَبْقَى كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا .

◆ وَمَنْ يَكْفُلُ لَنَا بَقَاءَهُ كَذَلِكَ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ؟ .

◇ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَا بُنَيَّ، أَلَمْ يَقُلْ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

◆ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ، أَعْظَمَ بِهَا مِنْ كِفَالَةٍ . وَلَكِنْ مَا الْأَنْثَارُ الَّتِي تَرْتَبَتْ عَلَى ثَبَاتِ أَصْوَاتِ الْحُرُوفِ فِي اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ .

◇ مِنْ هَذِهِ الْأَنْثَارِ يَا بُنَيَّ، أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ بَقِيَتْ فَصِيحَةً صَحِيحَةً صَافِيَةً مُنْذُ ذَلِكَ الزَّمَنِ السَّحِيْقِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَهُوَ أَمْرٌ انْفَرَدَتْ بِهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ بَيْنِ لُغَاتِ الْأَرْضِ .

◆ وَمِنْ هَذِهِ الْأَنْثَارِ أَيْضًا ؟ .

◇ وَمِنْ هَذِهِ الْأَنْثَارِ أَيْضًا الْإِبْقَاءُ عَلَى وَحْدَةِ الْعَرَبِ، وَصِيَانَتُهُمْ مِنَ التَّمَرُّقِ وَالتَّفَرُّقِ؛ فَلَقَدْ أُتِيحَ لِي أَنْ أَزُورَ جَنَاحِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ : مَشْرِقَهُ وَمَغْرِبَهُ، وَأَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَى عَوَامِّ النَّاسِ وَخَوَاصِهِمْ؛ فَكُنَّا إِذَا بَاعَدَتْ بَيْنَنَا اللُّهَجَاتُ الْمَحَلِّيَّةُ قَرَّبَتْ بَيْنَنَا فُضْحَى الْقُرْآنِ ... فَتَخَاطَبُ الْأَلْسِنَةُ مَعَ الْأَلْسِنَةِ، وَتَتَصَافَحُ الْقُلُوبُ مَعَ الْقُلُوبِ .

◆ أَمَّا كُنْتَ تَجِدُ صُعُوبَةً فِي التَّخَاطُبِ وَالتَّفَاهُمِ ؟ .

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

◇ كُنْتُ إِذَا شَعَرْتُ بِشَيْءٍ مِنَ الصُّعُوبَةِ ، أَفْرَعُ إِلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ ... فَيُضِيحُ الْحَزْنَ^(١) سَهْلًا ، وَالْبَعِيدَ قَرِيبًا .

◆ حَتَّى مَعَ عَوَامِ النَّاسِ ١١٩ .

◇ حَتَّى مَعَ الْعَوَامِ - يَا بُنَيَّ - فَالْمُسْلِمُ الَّذِي يَقْطُنُ الرُّقْعَةَ الْمُعْتَدَّةَ بَيْنَ الْخَلِيجِ وَالْمُحِيطِ - أَيَّا كَانَتْ دَرَجَةُ ثِقَاتِهِ - يَقْرَأُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي صَلَوَاتِهِ كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، يَقْرَأُهُ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَيَقْرَأُهُ جَمَاعَةً وَفَرْدًا ، وَيَقْرَأُهُ فَرَضًا وَتَطَوُّعًا ...

◆ وَهُوَ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ فِي الْخُطَبِ ، وَالْإِذَاعَاتِ ، وَالْمَوَاسِمِ ، وَالْحَفَلَاتِ أَيْضًا .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، وَإِنَّ مَنْ يَقْرَأُ كِتَابًا وَاحِدًا ؛ لَا يَضَعُ عَلَيْهِمُ التَّفَاهُمُ وَالتَّخَاطُبُ بِلُغَةٍ ذَلِكَ الْكِتَابِ .

◆ أَبَتِ ، كَأَنِّي بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَقَدْ غَدَا سُورًا لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفُضْحَى ؛ يَدْفَعُ عَنْهَا كُلَّ أَذَى ، وَيَرُدُّ عَنْهَا كُلَّ عَادِيَةٍ .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ ؛ فَبَيْنَمَا كَانَتْ لُغَاتُ الْأُمَمِ الْأُخْرَى تَتَشَعَّبُ خِلَالَ التَّارِيخِ إِلَى لَهَجَاتٍ ، ثُمَّ تَتَحَوَّلُ اللَّهَجَاتُ تَدْرِيجِيًّا إِلَى لُغَاتٍ ... كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُذِيبُ لَهَجَاتِ الْعَرَبِ وَيَضَهِّرُهَا فِي لَهَجَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَفُضْحَى وَاحِدَةٍ .

◆ وَهَكَذَا مَضَتْ لُغَاتُ الْأَقْوَامِ فِي طُرُقٍ شَتَّى ، وَمَضَتْ لُغَتُنَا فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ .

◆ أَبَتِ ، أَهَذِهِ هِيَ جَمِيعُ خَصَائِصِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، أَمْ إِنَّ هُنَاكَ خَصَائِصَ

(١) الحزن : الصعب الغليظ .

أُخْرَى ؟ .

◇ بَلْ هُنَاكَ خَصَائِصُ أَكْبَرُ وَأَخْطَرُ ، وَلَوْلَا ضَيْقُ الْوَقْتِ لَوَقَّفْتُكَ عَلَى طَرَفِ مِنْهَا .

◆ إِذَنْ إِلَى الْجُلُوسَةِ الْقَادِمَةِ .

◇ إِذَا يَسَّرَ اللَّهُ وَقَدَّرَ ، إِذَا يَسَّرَ اللَّهُ وَقَدَّرَ .

* * *

◆ أَبَيْ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زُوِّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ بِجَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « أَفَعَلْتُ » وَيَكْثُرُ فِيهَا اللَّحْنُ ؛ فَتُسْتَعْمَلُ خَطَأً عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » .

◇ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ انْتَفَعْتَ بِهِ وَأَقْدَتَ مِنْهُ .

◆ إِنَّ كَلَامَكَ كَالْغَيْثِ أَتَيْتَمَا وَقَعَ نَفَعَ .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَّمَكَ مَا يَنْفَعُكَ .

◆ آمِينَ ، اللَّهُمَّ آمِينَ .

وَالْآنَ أَتَقِي فِي ذَلِكَ الْبَابِ شَيْءٌ ، أَمْ إِنَّكَ قَدْ أَعَدَدْتَ لِي شَيْئًا آخَرَ لِأَضِيفَهُ إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ بَلْ مَا يَزَالُ فِي ذَلِكَ الْبَابِ شَيْءٌ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقِفَ عَلَيْهِ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ عِصْمَةِ لِسَانٍ وَتَرْزِيحٍ لِلْبَيِّنَانِ .

◆ إِذَنْ هَاتِهِ مَشْكُورًا غَيْرَ مَأْمُورٍ .

◇ إِنَّ مِمَّا جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » وَالْمُتَكَلِّمُونَ يُكْثِرُونَ اللَّحْنَ فِيهِ ؛ فَتُسْتَعْمَلُونَهُ عَلَى وَزْنِ « أَفَعَلْتُ » قَوْلُهُمْ : أَسْجَانِي الْأَمْرُ يُشْجِينِي بِمَعْنَى أَخْزَنَنِي يَخْزُنُنِي ، وَالصُّوَابُ : سَجَانِي الْأَمْرُ يَسْجُونِي سَجْوًا .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِيغَةِ «أَشْجَانِي» ١٩ أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي اللُّغَةِ؟ .

◇ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ ؛ تَقُولُ : أَشْجَاهُ يُشْجِيهِ بِمَعْنَى أَغَصَّهُ .

◆ إِذَنْ يُقَالُ : شَجَاهُ يَشْجُوهُ شَجَّوْا بِمَعْنَى أَحْزَنَهُ ، وَأَشْجَاهُ يُشْجِيهِ إِشْجَاءٌ بِمَعْنَى أَغَصَّهُ .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَمِنْ عَكْسِ هَذَا - يَا بُنَيَّ - قَوْلُهُمْ : سَفَرَ الصُّبْحُ بِمَعْنَى لَاحَ وَأَشْرَقَ ، وَهُوَ خَطَأٌ صَوَابُهُ : أَسْفَرَ الصُّبْحُ .

◆ لَعَلَّ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِخْدَى الْكُبَرِ ﴾^(١) .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، لَا زِلْتُ مُوَفِّقًا إِلَى كُلِّ صَوَابٍ .

◆ وَلَكِنْ مَاذَا عَنْ صِيغَةِ «سَفَر» الْكَثِيرَةِ الدَّوْرَانِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ !! أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي اللُّغَةِ !؟ .

◇ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ ؛ تَقُولُ : سَفَرْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ أَسْفِرُ بِمَعْنَى سَفَارَةٍ ؛ إِذَا سَعَيْتَ بَيْنَهُمْ بِالصُّلْحِ .

◆ وَمِنْ هُنَا أُطْلِقَ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي يُمَثِّلُ دَوْلَتَهُ لَدَى دَوْلَةٍ أُخْرَى اسْمُ «سَفِير» أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَكَذَلِكَ . وَتَقُولُ أَيْضًا : سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ نِقَابَهَا تَسْفِرُهُ سَفَرًا ، بِمَعْنَى أَرَالَتْهُ وَأَسْقَطَتْهُ .

(١) سورة المدثر من الآية ٣٢ - ٣٥ .

◆ إِذَنْ يُقَالُ : أَسْفَرَ الصُّبْحُ بِمَعْنَى لَاحَ وَأَشْرَقَ ، أَمَّا سَفَرَ فُتُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى السَّغْيِ
بَيْنَ الْقَوْمِ بِالصُّلْحِ ، كَمَا تُسْتَعْمَلُ فِي إِزَالَةِ نِقَابِ الْمَرْأَةِ عَنْ وَجْهِهَا .

◇ أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ ، أَحْسَنْتَ .

◆ أَبَتِ ، أَمَا يَزَالُ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ آخَرُ ؟ .

◇ بَلْ فِيهِ أَشْيَاءٌ وَأَشْيَاءٌ ، وَلَوْ لَا خَشْيَةُ الْإِمْلَالِ لَرَدَدْتُكَ مِنْهَا ... فَإِلَى الْجُلُوسَةِ الْقَادِمَةِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ أَتَيْنَ رَوْحَهَا وَرَيْحَانَهَا ، وَجَنَّةُ نَعِيمِهَا ؟ .

◇ هِيَ مِنْكَ دَانِيَةٌ قَرِيبَةٌ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَغْرَاكَ بِرَوْضِهِ ؟ .

◇ الْأَمِيرُ أَمِينُ نَاصِرِ الدِّينِ .

◆ أَهُوَ قَدِيمٌ أَمْ مُحَدَّثٌ ؟ .

◇ بَلْ هُوَ مُحَدَّثٌ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَتَى وُلِدَ وَأَيْنَ وُجِدَ ؟ .

◇ وُلِدَ الْأَمِيرُ أَمِينُ نَاصِرِ الدِّينِ سَنَةَ أَلْفٍ وَتَمَانِمِائَةٍ وَخَمْسٍ وَسَبْعِينَ لِلْمِيلَادِ ،
وَتُوُفِّيَ سَنَةَ أَلْفٍ وَتِسْعِمِائَةٍ وَثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ .

◆ أُنِي مُنْذُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَقَدْ وُلِدَ فِي بَلَدَةٍ « كَفَرُ مَثَى » فِي « لُبْنَانَ » ، وَأُولَعَ مُنْذُ نُعُومَةِ أَطْفَارِهِ بِحُبِّ الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَبِهَا ، وَعَكَّفَ عَلَى دِرَاسَةِ أُصُولِهَا وَمَصَادِيرِهَا ... حَتَّى بَلَغَ فِي ذَلِكَ شَأْوًا^(١) بَعِيدًا بَوَّاهُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَعْظَمَ مَكَانَةٍ ، وَوَضَعَهُ يَتَنَّهُمْ فِي مَقَامِ الصُّدَارَةِ .

◆ وَمِنْ أَتَى جَاءَتْهُ الْإِمَارَةُ ؟ .

◇ الْأَمِيرُ أَمِينُ نَاصِرِ الدِّينِ يَا بُنَيَّ ، يَنْتَسِي إِلَى « تَنُوحِ »^(٢) ، وَقَدْ نَزَلَ أَجْدَادُهُ ٥ التَّنُوحِيُّونَ « لُبْنَانَ » مُنْذُ زَمَنِ سَجِيحٍ ، وَتَوَلَّوْا إِمَارَتَهُ قُرُونًا طَوِيلَةً ، وَمِنْ هُنَا خُلِعَ عَلَيْهِمْ لَقَبُ الْإِمَارَةِ .

◆ وَهَلْ كَانَ أَمِيرًا فِي الشُّعْرِ ؛ كَمَا هُوَ أَمِيرٌ فِي الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ ؟ .

◇ نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَ أَمِيرًا فِي الشُّعْرِ ، بَلْ إِنَّ عُلَمَاءَ « لُبْنَانَ » وَأَدَبَاءَهَا أَطْلَقُوا عَلَيْهِ لَقَبَ « أَمِيرِ الدُّوَلَتَيْنِ » .

◆ وَمَا هَاتَانِ الدُّوَلَتَانِ ؟ .

◇ إِنَّهُمَا دَوْلَتَا الشُّعْرِ وَالنُّثْرِ .

◆ لَقَدْ شَوَّقْتَنِي إِلَى سَمَاعِ شِعْرِهِ ، فَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي اضْطَفَيْتَهَا مِنْ دِيَوَانِهِ ؟ .

◇ إِنَّهَا لَقَصِيدَةٌ مِنْ عُيُونِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ تَفِيضُ بِالْحِكْمَةِ ، وَالتَّجَرِبَةِ ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟ .

(١) الشَّوْءُ : الْأَمْدُ وَالغَايَةُ ، وَالْهَمَةُ الْعَالِيَةُ .

(٢) تَنُوحٌ : إِحْدَى الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ .

حَذَارِ فَلَيْسَ لِلنُّعْمَى دَوَامٌ وَلَيْسَ لِهَذِهِ الدُّنْيَا دِمَامٌ^(١)
وَكَمْ فِي الْحَادِثَاتِ لَنَا عِظَاتٌ يُقْصَرُ عَنْ بَلَاغَتِهَا الْكَلَامُ
وَكَمْ مِنْ مَغْشَرٍ كَانُوا عِظَامًا أَزَالَتْ مَجْدَهُمْ نُوبٌ عِظَامٌ^(٢)
نَبَتْ بِهِمُ الْقُصُورُ مُشِيدَاتٍ فَأَمْسُوا وَالْعَرَاءُ لَهُمْ مَقَامُ
وَكَمْ بَاغٍ شَدِيدِ الْحَوْلِ أَضْحَى كَمَا سَامَ^(٣) الْوَرَى خَسَفًا يُسَامُ
حَذَارِ فَإِنَّ لِلزَّمَنِ انْقِلَابًا عَلَى الْعَاثِي نَوَازِلُهُ جِسَامُ
سَلُوا التَّعَمَّاءَ هَلْ تَبْقَى لِرَهْطٍ إِذَا بَطَرُوا وَطَالَ لَهُمْ غَرَامٌ^(٤)
وَلَيْسَتْ تُبْطِرُ النُّعْمَى كِرَامًا وَلَكِنْ يَبْطِرُ الْقَوْمُ اللَّئَامُ
وَمَنْ يُزْهِفُ حُسَامًا لَانْتِقَامٍ يُعَمِّمُ رَأْسَهُ ذَاكَ الْحُسَامُ
وَمَنْ يَطْوِي الضُّلُوعَ عَلَى فَسَادٍ فَمَا فِي الصَّالِحَاتِ لَهُ مَرَامُ

☆ ☆ ☆

يَدُلُّ عَلَى جَمَالِ النَّفْسِ فِعْلٌ لَهُ ذِكْرٌ كَمَا نَفَّحَ الْخَزَامُ^(٥)
فَلَا تَصْحَبُ أَخَا مَلَقٍ^(٦) خَيْثًا فَصَاحِبُ كُلِّ ذِي مَلَقٍ يَلَامُ
وَلَا تَحْفِلُ بِفَحَّاشٍ زَنِيمٍ^(٧) فَلَوْلَا الْفُحْشُ مَا عُرِفَ الطَّعَامُ
وَلَا يَسْتَنْزِلُنَّكَ عَنْ وَقَارٍ مُزَاحٌ أَوْ سَرَابٌ أَوْ غَرَامُ

☆ ☆ ☆

(١) ابْتِمَامٌ : العهد والموتى .

(٢) نُوبٌ عِظَامٌ : نائبات عظيمة .

(٣) سَامٌ : قهر وغلب .

(٤) العرام : الكثرة والشدة والغلبة .

(٥) نفح الخزام : رائحة الخزام وهو نبت طيب الريح .

(٦) الملق : النفاق .

(٧) الزنيم : المشبوه في نسبه وأخلاقه .

أَرَى الْأَمْوَاتَ خَيْرًا مِنْ أَنَاسٍ لَهُمْ خَلْفٌ وَلَيْسَ لَهُمْ أَمَامُ ۚ
إِذَا لَا يَنْتَهُمُ فَهُمْ أَسْوَدٌ وَإِنْ خَاشَتَهُمْ فَهُمْ نَعَامٌ

◆ مَا أَرْوَعَ هَذَا الْكَلَامَ يَا أَبَتِ وَمَا أَثْبَرَهُ ، صَدَقَ مَنْ قَالَ :
إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا .

* * *

◆ أَبَتِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا تَحْفِلْ بِفَحَّاشٍ زَنِيمٍ فَلَوْلَا الْفُحْشُ مَا عُرِفَ الطَّعَامُ
فَمَا الْمُرَادُ بِالطَّعَامِ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ جَاءَ فِي الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ أَنَّ الطَّعَامَ أَوْغَادُ النَّاسِ ، وَقَدْ حَفَلَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ
بِطَائِفَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْأَلْفَافِ وَالْعِبَارَاتِ الْمَوْضُوعَةِ لِأَشْرَافِ النَّاسِ وَسَفَلَتِيهِمْ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ قَالُوا فِي وَصْفِ الشَّرِيفِ مِنَ النَّاسِ : فَلَانٌ رَفِيعُ الْمَنْزِلَةِ ، عَلِيٌّ الذُّرَّةِ ، ۚ
سَامِي الْمَرْتَبَةِ ، جَلِيلُ الْقَدْرِ ، عَظِيمُ الْخَطَرِ ، عَرِيضُ الْجَاهِ ، عَلِيُّ
الْكُفِّ .

وَقَالُوا أَيْضًا : فَلَانٌ سَيِّدُ قَوْمِهِ ، وَغَرَّتُهُمْ ، وَعَمِيدُهُمْ ، وَفَتَاهُهُمْ .
وَقَالُوا أَيْضًا : هَؤُلَاءِ نَوَاصِي قَوْمِهِمْ ، وَوُجُوهُهُمْ ، وَغَرَائِيِبُهُمْ ، وَهَامَاتُهُمْ ،
وَكُتُبَرَاؤُهُمْ ، وَمَلَأُهُمْ .
وَقَالُوا أَيْضًا ...

◆ مَا شَاءَ اللَّهُ ، مَا شَاءَ اللَّهُ ۥ ۥ .

◇ قَالُوا أَيْضًا يَا بَنِي : طَالَ فَلَانٌ قَوْمَهُ ، وَبَدَهُمْ ، وَسَادَهُمْ ، وَفَضَلَهُمْ ،

وَرَجَعْتُهُمْ ، وَرَأَتْهُم .

وَقَالُوا : رَجُلٌ عِصَامِي إِذَا شَرَفَ بِنَفْسِهِ ، وَرَجُلٌ عِظَامِي إِذَا شَرَفَ بِآبَائِهِ .

◆ مَا هَذَا كُلُّهُ مَا هَذَا كُلُّهُ ؟ .

◇ إِنَّهُ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ لُغَةِ الْقُرْآنِ لَا أَكْثَرَ !! .

* * *

◆ أَبَتِ ، أَرَأَيْ عَقَارِبَ السَّاعَةِ تَحُثُّ الْخُطَى ، وَأَنَا لَمْ أَمْتِجِ النَّفْسَ بَعْدُ بِطُرُقَةِ الْجَلَسَةِ .

◇ مَاذَا عَلَيْكَ لَوْ أَرْجَأْتَهَا إِلَى الْجَلَسَةِ الْقَادِمَةِ ، وَلَكَ عَلَيَّ بَدَلُ الطَّرْفَةِ طُرَفَتَانِ بَلْ ثَلَاثَ .

◆ أَنَا أَوْ مِنْ بِالْحِكْمَةِ الَّتِي تَقُولُ : عُضْفُورٌ فِي الْيَدِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ عَلَى الشَّجَرَةِ .
◇ طَيِّبٌ لَا بَأْسَ .

خَفِلْتُ كُتُبَ الْأَدَبِ يَا بُنَيَّ ، بِطَائِفَةٍ رَائِعَةٍ مِنَ الْأَجْوِبَةِ الْحَاضِرَةِ الْمُسْكِنَةِ ؛
مِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ قَالَ لِتَصِيبِ الشَّاعِرِ - وَكَانَ أَسْوَدَ اللَّوْنِ - قَالَ لَهُ :
هَلْ لَكَ فِي الشَّرَابِ ؟ .

فَقَالَ : الشُّعْرُ مُقْلَقِلٌ وَاللُّونُ أَسْوَدُ ، وَإِنَّمَا قَرِئَنِي ^(١) إِلَيْكَ عَقْلِي ، فَهَبْهُ لِي .

◆ رَائِعٌ .

◇ وَقِيلَ لِتَصِيبِ هَذَا مَرَّةً : أَنْتَ لَا تَهْجُو لِكُونِكَ لَا تُحْسِنُ الْهَجَاءَ .
فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، أَتُرَانِي لَا أَحْسِنُ أَنْ أَجْعَلَ مَكَانَ عَافَاكَ اللَّهُ ، أَخْزَاكَ اللَّهُ .

(١) قرأني : صاحبي .

◆ مَا هَذِهِ الْبَدِيعَةُ الْحَاضِرَةُ ۥ ۥ .

◇ وَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ مَدَخْتَ فُلَانًا فَحَرَمَكَ ، فَأَهْجُهُ .
فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا يَتَّبِعُنِي أَنْ أَهْجُوهُ ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُنِي أَنْ أَهْجُوَ نَفْسِي حِينَ مَدَخْتُهُ .
فَقَالُوا لَهُ : وَاللَّهِ إِنَّ قَوْلَكَ هَذَا أَشَدُّ مِنَ الْهَجَاءِ .

* * *

الْجَلْسَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ

الدَّلَالَاتُ الْمَوْسِيقِيَّةُ وَاللُّغَةُ

◆ أَيْتِ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .

◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاهُ .

◆ أَيْتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - شَرَعْتُ فِي الْكَلَامِ عَلَى عَبَقَرِيَّةِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛
فَقُلْتُ : إِنَّهَا تَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ الْإِنْسِجَامِ الصُّوتِيِّ بَيْنَ حُرُوفِهَا ، وَالتَّأْلِيفِ
الْمَوْسِيقِيِّ فِي بِنَائِهَا .

◇ نَعَمْ ... اللَّهُمَّ نَعَمْ .

◆ كَمَا تَتَجَلَّى أَيْضًا فِي ثَبَاتِ أَصْوَاتِ حُرُوفِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ ؛
لِذَا فَهِيَ تُنْطَقُ الْيَوْمَ كَمَا كَانَتْ تُنْطَقُ قَبْلَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ ... ذَلِكَ كَذَلِكَ .

◆ ثُمَّ إِنَّ الْوَقْتَ عَاجَلَكَ عَنِ اسْتِكْمَالِ حَدِيثِكَ ؛ فَهَلَّا تَفَضَّلْتَ بِإِتْمَامِ مَا بَدَأْتَهُ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً ... حُبًّا وَكَرَامَةً ... إِنَّ مِنْ أَتَمِّزِ خَصَائِصِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَا بُنَيَّ ،
هُوَ مَا خَفِلَتْ بِهِ مِنَ الدَّلَالَاتِ الصُّوتِيَّةِ الَّتِي تُسَاعِدُ عَلَى تَصْوِيرِ الْمَعْنَى ،

وَتَجْسِيدِهِ ، وَإِزَارِهِ .

◆ عَفْوِكَ ، فَأَنَا لَمْ أَفْهَمْ مَا عَنَيْتَهُ بِالدَّلَالَاتِ الصَّوْتِيَّةِ ، وَلَمْ أَذْرِكِ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ أَصْوَاتِ الْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا .

◇ الْحَقُّ مَعَكَ يَا بُنَيَّ ، الْحَقُّ كُلُّهُ مَعَكَ ... أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ : إِنَّ اللَّفْظَةَ فِي اللَّغَةِ الْقَرِيبَةِ لَهَا دَلَالَتَانِ ...

◆ دَلَالَتَانِ ١١ .

◇ نَعَمْ دَلَالَتَانِ : إِحْدَاهُمَا وَضْعِيَّةٌ لُغَوِيَّةٌ تُكْشِفُ عَنْهَا الْمُتَجَمَّاتُ ، وَالْأُخْرَى مُوسِيقِيَّةٌ يُشْعِهَا اللَّفْظُ نَفْسُهُ وَيُوجِي بِهَا جَرْسُهُ الْمُوسِيقِي .

◆ أَبْتَ ، عَفْوِكَ ، فَمَا زَالَ فِي الْكَلَامِ شَيْءٌ مِنَ الْعُمُوضِ ، فَعَاجِلْنِي بِالْعِشَالِ ؛ فَهَوَّ يَتَكَفَّلُ بِإِزَالَةِ الْإِشْكَالِ .

◇ الْأَمْثِلَةُ كَثِيرَةٌ يَا بُنَيَّ ، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُسَعِفُنَا فِي هَذَا الْمَجَالِ بِفَيْضٍ مِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَى هَذِهِ الْخَاصَّةِ الْفَرِيدَةِ مِنْ خَصَائِصِ اللَّفْظَةِ الْقَرِيبَةِ .

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ كَلِمَةِ « إِنَّا قُلْنَا » فِي قَوْلِهِ عَلَتْ كَلِمَتُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ (١) ٢١١ .

فَإِنَّ الْجَزْسَ الْمُوسِيقِيَّ لِلْفُظَةِ « إِنَّا قُلْنَا » يُصَوِّرُ لَكَ الْجِسْمَ الْمُثَاقِلَ الَّذِي يَزْفَعُهُ الرَّافِعُونَ فِي جَهْدٍ ، وَيَنْهَضُ بِهِ النَّاهِضُونَ فِي عَنَاءٍ ، ثُمَّ يَسْقُطُ مِنْ أَيْدِيهِمْ لِفَرْطِ ثِقَلِهِ .

(١) سورة التوبة الآية ٣٨ .

◆ ثُمَّ هُوَ يُصَوِّرُ مَدَى تَنَاقُلِهِمْ عَنْ تَلْيِيقِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْجِهَادِ؛ حَتَّى لَكَائِهِمْ .
مُسْتَوْدُونَ إِلَى الْأَرْضِ مُسْتَمْرُونَ فِيهَا .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، هَا أَنْتَ ذَا قَدْ بَدَأْتَ تُذَرِّكُ الْمُرَادَ مِنَ
الدَّلَالَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةِ لِلْأَلْفَافِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

◆ إِنَّهَا لَدَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ مَا فِي ذَلِكَ رَيْبٌ ، وَلَا يَخْتَاجُ إِذْرَاكُهَا إِلَّا إِلَى الْأَذُنِ
الْمَوْسِيقِيَّةِ الْمُرَهَفَةِ ، وَالْحِسِّ الْبَيِّنِيِّ الدَّقِيقِ .

◇ وَتَتَضَحُّ لَكَ هَذِهِ الدَّلَالَةُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ لَوْ أَنَّكَ اسْتَبَدَلْتَ بِكَلِمَةِ « إِنَّا قُلْتُمْ » كَلِمَةَ
« تَنَاقُلْتُمْ » ، فَسَتَرَى أَنَّ الْجُرُوسَ قَدْ خَفَّ ، وَأَنَّ الْأَثَرَ الْمُنْشُودَ مِنَ الْكَلِمَةِ قَدْ
ضَاعَ .

◆ أَمَا مِنْ مِثَالٍ آخَرَ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ ؟ ، فَكَثْرَةُ الْأَمْثِلَةِ تُرْسِخُ الْفِكْرَةَ وَتُثَبِّتُهَا .

◇ بَلْ مِثْلُهُ مِثَالٌ ، إِقْرَأْ قَوْلَهُ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَإِنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ تَنْفِرُوا جَمِيعًا * وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ
مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ (١) .
إِقْرَأِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ السَّابِقَةَ يَا بُنَيَّ ، وَقِفْ عِنْدَ كَلِمَةِ « لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ » وَأَصِخْ
بِسَمْعِكَ إِلَى جُرُوسِهَا الْمَوْسِيقِيِّ وَقُلْ مَا الَّذِي تَجِدُهُ عِنْدَ سَمَاعِهَا ؟ .

◆ إِنَّ الْجُرُوسَ الْمَوْسِيقِيَّ لِكَلِمَةِ « لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ » يَزِيدُ صُورَةَ التَّبْطِئَةِ حَتَّى
لَكَائِكَ تَرَى بِعَيْنِي سَمْعِكَ صُورَةَ هَذَا الْمُتَبَاطِئِ .

◇ ثُمَّ إِنَّ اللُّسَانَ - يَا بُنَيَّ - لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَنْ يَتَبَاطَأَ فِي نُطْقِي هَذِهِ الْكَلِمَةَ تَبَاطُؤًا
يُمَثِّلُ تَبَاطُؤَ ذَلِكَ الَّذِي دُعِيَ إِلَى الْجِهَادِ ، فَتَنَاقَلَ عَنْ إِبْجَايَةِ الدَّاعِي .

(١) سورة النساء من الآية ٧١ - ٧٢ .

◆ إِنَّ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَسَابِقَتَيْهَا لِمِثَالَيْنِ رَائِعَيْنِ عَلَى الدَّلَالَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةِ لِلْأَلْفَافِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

◇ وَهَآكَ مِثَالًا ثَالِثًا لَا يَقِلُّ عَنْ سَابِقَيْهِ دِقَّةً وَرَوْعَةً ، إِفْرَأْ قَوْلَهُ عَلَتْ كَلِمَتُهُ فِي وَصْفِ عَذَابِ الْكَافِرِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ (١) .

إِفْرَأِ الْآيَةَ السَّابِقَةَ يَا بُنَيَّ ، وَقِفْ عِنْدَ كَلِمَةِ « يَصْطَرِخُونَ » وَتَأَمَّلْ جَرَسَهَا ، وَدَلَالَةَ صَوْتِهَا ، وَقُلْ لِي مَاذَا نَجِدُ ؟ .

◆ مَاذَا أَجِدُ ؟ ... أَجِدُ ذَلِكَ الْجَرَسَ الشَّدِيدَ شِدَّةَ الصَّرَاحِ الَّذِي يُطْلِقُهُ الْمُعَذَّبُونَ وَيُرَدُّونَهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فِي جَهَنَّمَ ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

◇ وَنَجِدُ أَيْضًا فِي جَرَسِ كَلِمَةِ « يَصْطَرِخُونَ » صُورَةَ تِلْكَ الْحَنَاجِرِ الْمُكْتَظَّةِ بِالْأَصْوَاتِ الْخَشِنَةِ ، كَمَا نَجِدُ فِيهَا ظِلَّ الْإِهْمَالِ لِهَذَا الْإِصْطِرَاحِ الَّذِي لَا يَهْتَمُّ بِهِ أَحَدٌ وَلَا يُلَبِّيه أَحَدٌ .

◆ وَنَلْمُخُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ صُورَةَ ذَلِكَ الْعَذَابِ الْعَلِيظِ الشَّدِيدِ الَّذِي « يَصْطَرِخُونَ » مِنْهُ فَلَا يَجِدُونَ صَرِيحًا ، وَيَسْتَغِيثُونَ مِنْهُ فَلَا يَظْفَرُونَ بِمُغِيثٍ .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ . فَالْلَفْظَةُ الْعَرَبِيَّةُ - كَمَا رَأَيْتَ - لَا تَقْتَصِرُ دَلَالَتُهَا عَلَى الْمَعْنَى الْمُعْجَمِيَّ وَحْدَهُ ، وَإِنَّمَا تَحْمِلُ مِنَ الدَّلَالَاتِ الصَّوْتِيَّةِ مَا يَكُونُ أَحْيَانًا أَقْوَى مِنَ الدَّلَالَةِ الْمُعْجَمِيَّةِ وَأَيِّنَ .

◆ وَلَكِنْ أَتَقْتَصِرُ هَذِهِ الدَّلَالَةُ عَلَى الْإِسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ ، أَمْ إِنَّهَا شَائِعَةٌ فِي اسْتِعْمَالَاتِ الشُّعْرَاءِ وَالْأَدَبَاءِ أَيْضًا ؟ .

(١) سورة فاطر الآية ٢٧ .

◇ بَلْ هِيَ شَائِعَةٌ عَامَّةٌ - يَا بُنَيَّ - لَكِنَّهَا تَبْدُو فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أَعْلَى صُورِهَا وَأَبْدَعِ حَالَاتِهَا .

◆ لَعَلَّ فِي ذَلِكَ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، اسْتَمِعْ إِلَى لَفْظَتَيِ « الصَّاحَّةِ » وَ « الطَّامَّةِ » وَهُمَا مُسْتَعْمَلَتَانِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ تَجِدُ أَوَّلَهُمَا تَحْرِقُ صِمَاحَ^(١) أُذُنِكَ فِي عُتْفِ جَرَسِهَا ، وَتَجِدُ فِي الثَّانِيَةِ دَوِّيًّا وَطِينًا يَطِمْ وَيَعُمُّ حَتَّى يَبْدُو وَكَأَنَّهُ الطُّوفَانُ الَّذِي يَغْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ .
◆ ظَاهِرَةٌ رَائِعَةٌ ...

◇ وَتَبْدُو لَكَ رَوْعَةُ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ وَقِيمَتُهَا إِذَا وَضَعْتَ لَفْظَتَيِ « الصَّاحَّةِ » وَ « الطَّامَّةِ » الْمُسْتَعْمَلَتَيْنِ فِي الْقِيَامَةِ بِجَانِبِ « الرُّوحِ » وَ « الرِّيحَانِ » الْمُسْتَعْمَلَتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ مَثَلًا .

◆ حَقًّا إِنَّ عُتْفَ الْجَرَسِ الْمُتَبَعِ مِنَ الْكَلِمَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ تُقَابِلُهُ رِقَّةُ الْجَرَسِ الْمُتَبَعِ مِنَ الْكَلِمَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ .

◇ بُورِكَ فَيْكَ يَا بُنَيَّ ، بُورِكَ فَيْكَ ، وَكَلَّمَا الْحَالَتَيْنِ تَدُلُّ عَلَى عَبَقَرِيَّةِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ ، كَمَا تُشِيرُ إِلَى سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى .

◆ أَبَتْ ، أَهْدِهِ هِيَ جَمِيعُ خَصَائِصِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، أَمْ إِنَّ هُنَاكَ خَصَائِصَ أُخْرَى ؟ .

◇ بَلْ هُنَاكَ خَصَائِصُ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ ، وَلَوْلَا ضِيقُ الْوَقْتِ لَوَقَفْتُكَ عَلَى طَرَفِ مِنْهَا .

◆ إِذَنْ إِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

(١) الصِّمَاحُ : قناة الأذن التي تفضي إلى طبلته .

◇ بِمَشِيقَةِ اللَّهِ ، بِمَشِيقَةِ اللَّهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « أَفَعَلْتُ » وَيَكْثُرُ فِيهَا اللَّحْنُ ؛ فَتَسْتَعْمَلُ خَطَأً عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » .

◇ نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ أَفَدْتَ مِنْهُ فِي تَقْوِيمِ لِسَانِكَ وَتَهْذِيبِ بَيَانِكَ .

◆ كُلُّ الْفَائِدَةِ .

◇ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ ، ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ .

◆ وَالْآنَ أَبْقِي فِي ذَلِكَ الْبَابِ شَيْءٌ يُضَافُ إِلَى سَابِقِهِ ، أَمْ إِنَّكَ أَعْدَدْتَ لِي جَدِيدًا لِأُضِيفَهُ إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ بَلْ مَا زَالَ فِي ذَلِكَ الْبَابِ شَيْءٌ لَا يَقِلُّ أَهَمِّيَّةً عَنْ سَابِقِهِ .

◆ إِذَنْ تَفْضُلُ بِهِ ، وَلَكَ الشُّكْرُ وَالْأَجْرُ .

◇ إِنَّ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « أَفَعَلْتُ » وَالْكَاتِبُونَ يُكْثِرُونَ مِنَ اللَّحْنِ فِيهِ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ خَطَأً عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » قَوْلُهُمْ : هَمْنِي الْأَمْرُ بِمَعْنَى أَفْلَقْنِي وَأَنَارَ اهْتِمَامِي ، وَهُوَ خَطَأٌ صَوَابُهُ : أَهْمْنِي الْأَمْرُ فَهُوَ مُهِمٌّ .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِغَةِ « هَمْنِي » ، أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي اللُّغَةِ ؟ .

◇ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ .

◆ وَمَا هُوَ ؟ .

◇ تَقُولُ : هَمْنِي الْمَرَضُ بِمَعْنَى أَذَابَنِي ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِمَا أُذِيبَ مِنْ سَنَامِ الْإِبِلِ :
الْهَامُومُ .

◆ وَعَلَى هَذَا ، أَيْقَالَ : أَمْرٌ هَامٌ أَمْ أَمْرٌ مُهِمٌّ ؟ .

◇ الصَّوَابُ يَا بُنَيَّ أَنْ يُقَالَ : هَذَا أَمْرٌ مُهِمٌّ لَا أَمْرٌ هَامٌ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ .

◇ وَمِنْ ذَلِكَ الْبَابِ أَيْضًا يَا بُنَيَّ قَوْلُهُمْ : غَاثٌ فُلَانٌ فُلَانًا بِمَعْنَى أَعَانَهُ وَهُوَ
خَطَأً ، وَالصَّوَابُ : أَغَاثٌ فُلَانٌ فُلَانًا .

◆ وَكَلِمَةُ « غَاثٌ » الْكَثِيرَةُ الدَّوْرَانِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ أَمَا لَهَا وَجُودٌ ؟ ! .

◇ بَلْ هِيَ مُوْجُودَةٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ ، تَقُولُ : غَاثٌ اللَّهُ الْبِلَادَ يُغِيثُهَا
غَيْثًا إِذَا أَنْزَلَ بِهَا الْغَيْثَ ، وَقَدْ غِيِثَتِ الْأَرْضُ تُغَاثُ ، وَهِيَ أَرْضٌ مَغِيِثَةٌ .

◆ أَمَا يَزَالُ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، فَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُهُمْ لِلرَّجُلِ إِذَا ذَهَبَ مَالُهُ : خَلَفَ
اللَّهُ عَلَيْكَ بِمَعْنَى عَوَّضَكَ عَنْهُ ، وَهُوَ خَطَأٌ صَوَابُهُ : أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

◆ وَلَكِنْ صِيغَةُ « خَلَفَ » اللَّهُ عَلَيْكَ مَسْمُوعَةٌ كَثِيرًا ، أَفَلَهَا وَجْهٌ ؟ .

◇ نَعَمْ لَهَا وَجْهٌ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا وَجْهُ اسْتِعْمَالِهَا طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ قَبْلَ أَنْ أُحَدِّثَكَ عَنْ وَجْهِ اسْتِعْمَالِهَا أَرَى مِنَ الْقَائِدَةِ أَنْ أَلْفِتَ نَظْرَكَ إِلَى أَنَّ فِي
مَكْتَبَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ طَائِفَةٌ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي سُمِّيَتْ بِكُتُبِ الْفُرُوقِ .

◆ وَمَا الْغَرَضُ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ طَالَتْ بِقَاوُكَ ، وَمَا الْمُرَادُ بِالْفُرُوقِ ؟ .

◇ الْغَرَضُ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ يَا بُنَيَّ ، إِيْقَافُ الدَّارِسِينَ عَلَى الْفُرُوقِ الدَّقِيقَةِ بَيْنَ
مَعَانِي الْأَلْفَافِ الْمُتَقَارِبَةِ فِي النُّطْقِ ، وَقَدْ تَنَاوَلْتُ هَذِهِ الْكُتُبُ (١) الْفُرُوقَ بَيْنَ
« خَلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَأَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ » .

◆ وَمَاذَا تَقُولُ هَذِهِ الْكُتُبُ فِي هَذَا الشَّأْنِ ؟ .

◇ جَاءَ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ يَا بُنَيَّ : يُقَالُ لِلرَّجُلِ : أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، إِذَا ذَهَبَ شَيْءٌ
مِنْ مَالِهِ . أَمَّا إِذَا هَلَكَ أَبُوهُ أَوْ أَخُوهُ أَوْ مَنْ لَا يَسْتَعِيضُهُ فَيُقَالُ لَهُ : خَلَفَ اللَّهُ
عَلَيْكَ ، أَيُّ : كَانَ خَلِيفَةً عَلَيْكَ مِنْ مُصَابِكَ الَّذِي أُصِيبَتْ بِهِ .

◆ مَا أَعْظَمَ هَذِهِ اللَّغَةَ ! وَمَا أَشَدَّ دِقَّتَهَا فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ !! .

◇ إِنَّهَا لُغَةُ الْقُرْآنِ يَا بُنَيَّ ، إِنَّهَا اللَّغَةُ الَّتِي وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَمَعْنَى .

◆ أَبَتِ ، أَبَقِيَ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ ؟؟ .

◇ بَقِيََتْ فِيهِ أَشْيَاءٌ وَأَشْيَاءٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَوْلَا ضِيقُ الْوَقْتِ لَزِدْتُكَ مِنْهَا .

◆ إِذَنْ إِلَى الْجُلُوسَةِ الْقَادِمَةِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيقَتِهِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، إِنَّ فِي النَّفْسِ حَبِينًا إِلَى رَوْضَةِ الشَّعْرِ وَطِيبِ شَذَاهَا .

(١) مثل كتاب « فقه اللغة » للشمالي ، و« المخصص » لابن سيده ، و« الألفاظ » ، و« الأضداد » لابن السكيت ،
و« البارع في اللغة » ، و« الأمالي » لأبي علي القالي .

- ◇ مَا حَيْنُكَ إِلَيْهَا بِأَشَدِّ مِنْ حَيْنِي .
- ◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي سَنِلِمُ بِرُوضِهِ ؟
- ◇ إِنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْمُنْصِفَاتِ ؟
- ◆ وَاحِدٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْمُنْصِفَاتِ !! وَمَا الْمُنْصِفَاتُ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟
- ◇ إِنَّهَا قَصَائِدُ مُشْهُرَاتٍ^(١) لَا يَلِيقُ بِرَأْوٍ مِنْ رُوَاةِ الشُّعْرِ أَلَّا يَحْفَظَهَا وَيَزْوِيَهَا عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْجَاحِظِ .
- ◆ وَمَا مَوْضُوعُ هَذِهِ الْمُنْصِفَاتِ دَامَ عِرْكَ ؟
- ◇ كَانَ مِنْ شَأْنِ الشُّعْرَاءِ الْعَرَبِ يَا بُنَيَّ ، أَنْ يُسَجِّلُوا حَوَادِثَ قَبَائِلِهِمْ ، وَأَنْ يَفْخَرُوا بِانْتِصَارَاتِهَا ، وَأَنْ يَغْتَذِرُوا عَنْ هَزِيمَتِهَا ، وَكَانَ الشَّاعِرُ إِذَا انْتَصَرَ قَوْمُهُ إِذَا أَنْ يَمْلَأَ الدُّنْيَا فَخْرًا بِنَفْسِهِ وَبِقَوْمِهِ ، وَنِكَايَةً وَشُخْرِيَّةً بِعَدُوِّهِ الْمُنْهَزِمِ ، وَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ فَارِسًا مَرَّةً وَاحِدَةً ... وَإِذَا أَنْ يُكْفِكَفَ مِنْ كِبَرِيَاءِ الْغَالِبِ وَيُخَفِّفَ مِنْ غُرُورِهِ ، وَيُنْصِفَ عَدُوَّهُ الْمُنْهَزِمَ وَيَذْكُرَ شَجَاعَتَهُ وَجُرْأَتَهُ ؛ فَيَكُونُ فَارِسًا مَرَّتَيْنِ .
- ◆ حَقًّا إِنَّهُ يَكُونُ فَارِسًا مَرَّةً ؛ لِأَنَّهُ انْتَصَرَ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَفَارِسًا مَرَّةً أُخْرَى ؛ لِأَنَّهُ انْتَصَرَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَنْصَفَ عَدُوَّهُ .
- ◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ... وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ تَنْجَلِي الْمَعَارِكُ يَا بُنَيَّ ، عَنْ جَيْشَيْنِ لَيْسَ فِيهِمَا غَالِبٌ أَوْ مَغْلُوبٌ ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا قَتْلَى كِرَامٍ وَأَشْرَى أَبْطَالٍ .

(١) مشهورات: مشهورة شهرة لا تنكر.

◆ وَهَذَا يَأْتِي الْإِنْصَافُ أَيْضًا أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟

◇ بَلَى يَا بُنَيَّ ؛ فَالْإِنْصَافُ يَجْعَلُ الْبُطُولَةَ تُقَدَّرُ الْبُطُولَةُ ، وَالرُّجُولَةَ تُكَبَّرُ الرُّجُولَةُ .
وَاللَّعْرَبِ قَصَائِدُ أَنْصَفَ قَائِلُوهَا أَعْدَاءُهُمْ ، وَقَدْ دُعِيَتْ هَذِهِ الْقَصَائِدُ
بِالْمُنْصِيفَاتِ ، وَجُمِعَتْ أَخِيرًا فِي كِتَابٍ خَاصٍّ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الْمُنْصِيفُ الَّذِي سَنَقِفُ عَلَى مُنْصِيفَتِهِ ؟

◇ إِنَّهُ عَبْدُ الشَّارِقِ بْنُ الْعَزْزِيِّ الْجُهَنِيُّ .

◆ لَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ .

◇ إِنَّهُ لَكَذَلِكَ ، وَهُوَ مِنْ قَبِيلَةِ « جُهَيْنَةَ » ، وَقَدْ دُعِيَ عَبْدُ الشَّارِقِ لِأَنَّ
« الشَّارِقَ » كَانَ صَنَمًا مِنْ أَصْنَامِ قَوْمِهِ .

◆ وَمَا مُنَاسَبَةُ قَصِيدَتِهِ أَوْ مُنْصِيفَتِهِ ؟

◇ مُنَاسَبَتُهَا مَعْرَكَةُ طَاحِنَةَ دَارَتْ بَيْنَ « جُهَيْنَةَ » قَبِيلَةِ الشَّاعِرِ وَبَيْنَ قَبِيلَةِ « بَهْتَةَ » ،
وَقَدْ كَانَ حَصَادُهَا ثَمَانِيَةَ قَتْلَى أَرْبَعَةَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَكَانَ « جُوَيْنٌ » أَخُو
الشَّاعِرِ فِي عِدَادِ الْمَقْتُولِينَ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ الشَّاعِرُ فِي مُنْصِيفَتِهِ هَذِهِ ؟

◇ يَقُولُ :

أَلَا حُبِّبْتُ عَنَّا يَا رُدْنَا^(١)

لُحْبِيبَهَا وَإِنْ بَخِلْتُ عَلَيْنَا

(١) رُدْنَا : اسم امرأة يخاطبها الشاعر .

رُدَيْنَا لَوْ رَأَيْتِ عُدَاةَ جِثْنَا
عَلَى أَضْمَاتِنَا^(١)، وَقَدْ اخْتَوَيْنَا
وَأَرْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَسُولًا
فَقَالَ: أَلَا انْعَمُوا بِالْقَوْمِ عَيْنَا
وَدَشُّوا فَارِسًا مِنْهُمْ عِشَاءً
فَلَمْ نَغْدِرْ بِفَارِسِهِمْ لَدَيْنَا
فَجَاءُوا عَارِضًا بَرْدًا^(٢) وَجِثْنًا
كَغَيْثِ السَّبِيلِ نَزَكَبُ وَارِعَيْنَا^(٣)
تَنَادَوْا يَالَ بُهْتَةَ إِذْ لَقَوْنَا
فَقُلْنَا: أَحْسِنُوا قَوْلًا لِحَيَّتَا
سَمِعْنَا نَبَأَ^(٤) عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ
فَجَلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ارْغَوَيْنَا^(٥):
فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا
أَنَحْنَا لِلْكَلاَئِلِ^(٦) فَارْتَمَيْنَا
وَلَمَّا لَمْ نَدَعْ سَهْمًا وَرُمْحًا
مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشُوا إِلَيْنَا

(١) أَضْمَاتِنَا: الأحقاد المطوية في الصدور.

(٢) عَارِضًا بَرْدًا: مطرًا خفيفًا باردًا.

(٣) الوازع في الحرب: الموكل بالصفوف ينظمها بتقديم أو تأخير.

(٤) سَمِعْنَا نَبَأَ: أي صوتًا يدعو للحرب.

(٥) ارغوينَا: رجعنا عن إتمام المعركة، تعقلًا منا.

(٦) أَنَحْنَا الْبَعِيرَ: أهركه، والكلاكل: مقدمات صدور الإبل. مفردها: كلكل.

فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ سَبِيلُ أَبِي
 نَكُرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ عَلَيْنَا
 شَدَدْنَا شِدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ
 ثَلَاثَةَ فِثْيَةٍ وَأَسْرَتُ فَيِّنَا
 وَشَدُّوا شِدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا
 بِأَزْجَلٍ مِنْهُمْ وَرَمَوْا «جُؤَيْنَا»
 وَكَانَ أَخِي «جُؤَيْنٌ» ذَا حِفَاطٍ^(١)
 وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفِثْيَانِ زَيْنَا
 فَأَبُوا بِالرَّمَاكِ مَكْسَرَاتٍ
 وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدِ انْحَنَيْنَا

◆ مَا هَذَا الْإِنْصَافُ فِي دُنْيَا يَقُلُ فِيهَا الْإِنْصَافُ !! إِنَّ هَذِهِ الْمُنْصِيفَاتِ جَدِيرَةٌ
بِأَنْ تُرَوَّى، وَخَرِيَّةٌ بِأَنْ تُحْفَظَ.

◇ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَضُّ الْأَقْدَمُونَ عَلَى رِوَايَتِهَا وَحِفْظِهَا يَا بُنَيَّ.

* * *

◆ أَبَتِ، قَالَ عَبْدُ الشَّارِقِ فِي مُنْصِيفَتِهِ:

وَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَنْحَنَا لِلْكَلاَكِلِ فَارْتَمَيْنَا
 فَمَا الْغَرَضُ مِنْ إِيرَادِ «أَنْ» فِي قَوْلِهِ: وَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا، مَعَ أَنَّ الْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ
 بِدُونِهَا ١٢.

◇ «أَنْ» هَذِهِ يَا بُنَيَّ، حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الزِّيَادَةِ، وَقَدْ دَأَبَ الْعَرَبُ عَلَى زِيَادَةِ

(١) ذَا حِفَاطٍ: مَحَافِظَةٌ عَلَى كَرِيمِ الْأَخْلَاقِ.

بعض حُرُوفِ المَعْنَى فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكَلَامِ لِأَغْرَاضٍ بَلَاغِيَّةٍ أَهْمُهَا تَقْوِيَةُ الْمَعْنَى وَتَوْكِيدُهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ : وَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا ... إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ .

◆ وَلَعَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ عَلَتْ كَلِمَتُهُ : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ (١) .

◇ نَعَمْ إِنَّهُ مِنْهُ ، نَعَمْ إِنَّهُ مِنْهُ ... وَمِنْ حُرُوفِ الزِّيَادَةِ « الْبَاءُ » أَيْضًا يَا بُنَيَّ ، فَهِيَ تُزَادُ فِي خَبَرِ « لَيْسَ » وَ« مَا » حَيْثُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ (٢) وَقَالَ أَيْضًا : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

◆ « فَالْبَاءُ » فِي كِلْتَا الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ أُتِيَتْ بِهَا لِتَوْكِيدِ الْمَعْنَى وَتَقْوِيَتِهِ أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ .

◇ بَلَى يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَكَذَلِكَ ، وَتُزَادُ هَذِهِ « الْبَاءُ » أَيْضًا مَعَ الْمَفْعُولِ بِهِ لِلْغَرَضِ نَفْسِهِ ؛ فَتَقُولُ أَلْقَى فُلَانٌ بِرَحْلِهِ بَدَلًا مِنْ أَلْقَى فُلَانٌ رَحْلَهُ .

◆ لَعَلَّ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَتْ كَلِمَتُهُ : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (٤) .

◇ نَعَمْ إِنَّهُ مِنْهُ ، وَتُزَادُ هَذِهِ « الْبَاءُ » أَيْضًا فِي التَّوْكِيدِ بِالنَّفْسِ وَاعْتِنِ نَحْوُ جَاءَ فُلَانٌ بِنَفْسِهِ أَوْ بَعَيْنِهِ .

◆ فَيَكُونُ تَوْكِيدًا عَلَى تَوْكِيدِ .

◇ وَتُزَادُ « اللَّامُ » يَا بُنَيَّ ، فِي الْمَفْعُولِ بِهِ لِتَقْوِيَةِ الْعَامِلِ نَحْوَ قَوْلِكَ : سَاعِنِي ضَرْبُكَ لِفُلَانٍ .

(٣) سورة البقرة الآية ٧٤ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٩٥ .

(١) سورة يوسف الآية ٩٦ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

◆ وَمَاذَا تُدْعَىٰ هَذِهِ «الْلَامُ» ؟ .

◇ تُدْعَىٰ : لَامُ التَّقْوِيَةِ ... وَمِنْ حُرُوفِ الزِّيَادَةِ أَيْضًا «إِنْ» الْمَكْسُورَةُ الْهَمْزَةُ السَّائِكَةُ النَّونِ ، حَيْثُ تَزَادُ بَعْدَ «مَا» النَّافِيَةِ نَحْوُ : مَا إِنْ سَمِعْنَا بِمِثْلِ فَلَانِ . ✕

◆ وَلَكِنَّ النَّاسَ يَنْطِقُونَهَا مَفْتُوحَةً فَيَقُولُونَ : مَا أَنْ سَمِعْنَا بِمِثْلِ فَلَانِ .

◇ إِنَّ هَذَا التُّطْقَ الَّذِي أَوْزَدْتَهُ مِنْ ضُرُوبِ الْخَطَا الشَّائِعَةِ ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَيْهِ وَاجِبٌ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ ؛ فَقَدْ كَفَيْتَ وَوَفَيْتَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، رَعَاكَ اللَّهُ ، أَيْنَ طُرْفَةُ الْجَلْسَةِ ، لَعَلَّكَ لَمْ تَنْسَهَا .

◇ مَا نَسِيتُهَا يَا بُنَيَّ ، مَا نَسِيتُهَا .

◆ إِذَنْ عَجَلُ بِهَا عَجَلَ اللَّهُ لَكَ الْخَيْرَ .

◇ لَمَّا تُوفِّي مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَاسْتُخْلِفَ ابْنُهُ يَزِيدُ مِنْ بَعْدِهِ ... اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ التَّهْنِئَةِ وَالتَّعْزِيَةِ ... حَتَّى أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هِشَامِ السَّلُولِيُّ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ :
✕ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى الرَّزِيَّةِ^(١) وَبَارَكَ لَكَ فِي الْعَطِيَّةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّعِيَّةِ .

فَقَدْ رُزِنْتَ عَظِيمًا ، وَأُعْطِيتَ جَسِيمًا ، فَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى مَا أُعْطِيتَ ، وَاصْبِرْ لَهُ عَلَى مَا رُزِيتَ .

لَقَدْ فَقَدْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ ، وَمُنِحتَ خِلَافَةَ اللَّهِ ...
فَقَارَقْتَ جَلِيلًا وَوَهَبْتَ جَزِيلًا ، فَأَوْرَدَكَ اللَّهُ مَوَارِدَ الشُّرُورِ ، وَوَفَّقَكَ لِصَالِحِ الْأُمُورِ .

* * *

(١) الرِّزِيَّةُ : المصيبة .

الْجَلْسَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ

السَّعَةُ الْمُعْجَمِيَّةُ لِلُّغَةِ

◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .

◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .

◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ - دَامَ عِزُّكَ - شَرَعْتُ فِي الْكَلَامِ عَلَى عِبْقَرِيَّةِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛
فَقُلْتُ : إِنَّهَا تَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ الْإِنْسِجَامِ الصَّوْتِيِّ بَيْنَ حُرُوفِهَا ، وَالتَّأْلِيفِ
الْمُوسِيقِيِّ فِي بِنَائِهَا .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، نَعَمْ .

◆ كَمَا تَتَجَلَّى أَيْضًا فِي ثَبَاتِ حُرُوفِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ ؛ لِذَا فَهِيَ
تُنْطَقُ الْيَوْمَ كَمَا كَانَتْ تُنْطَقُ قَبْلَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا .

◇ نَعَمْ إِنَّهَا لَكَذَلِكَ ، إِنَّهَا لَكَذَلِكَ .

◆ ثُمَّ قُلْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - إِنَّ لِلْفُظَةِ الْعَرَبِيَّةِ دَلَالَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا وَضْعِيَّةٌ لُغَوِيَّةٌ
تَكْشِفُ عَنْهَا الْمُعْجَمَاتُ ، وَالْأُخْرَى مُوسِيقِيَّةٌ يُشْعِيهَا اللَّفْظُ نَفْسُهُ ، وَيُوجِي
بِهَا جِزْسُهُ الْمُوسِيقِيَّ .

◇ نَعَمْ ، اللَّهُمَّ نَعَمْ .

◆ ثُمَّ إِنَّ الْوَقْتَ عَاجَلَكَ عَنِ اسْتِكْمَالِ حَدِيثِكَ ، فَهَلَّا تَفَضَّلْتَ بِإِثْمَامِ مَا بَدَأْتَهُ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً يَا بُنَيَّ ، حُبًّا وَكَرَامَةً ... لَعَلَّ مِنْ أَهْزِزِ خَصَائِصِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ غِنَى أَلْفَاظِهَا وَوَفْرَةَ مَادَّتِهَا عَلَى وَجْهِ لَمْ يَتَوَافَرَ لِأَيَّةِ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ الْيَوْمَ .

◆ عَفْوِكَ ، أَتُرِيدُ بِوَفْرَةِ مَادَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَثْرَةَ الْأَلْفَاظِ الْمَوْضُوعَةِ لِلْمَعْنَى الْوَاحِدِ ؟

◇ أُرِيدُ كَثْرَةَ أَلْفَاظِهَا بِصُورَةٍ عَامَّةٍ ، وَكَثْرَةَ الْأَلْفَاظِ الْمَوْضُوعَةِ لِلْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ .

◆ وَلَكِنْ ...

◇ وَلَكِنْ مَاذَا ؟

◆ أَرَدْتُ أَنْ أَتَسَاءَلَ عَنْ فَائِدَةِ هَذِهِ الْكَثْرَةِ الْكَبِيرَةِ مِنَ الْأَلْفَاظِ ، إِنَّ بَعْضَهُمْ يَجِدُ فِيهَا تَكَرُّارًا لَا دَاعِيَ لَهُ ، وَعَبَثًا يُثْقِلُ كَاهِلَ الْمُتَعَلِّمِينَ .

◇ إِذَا كَانَتِ الْفَاقَةُ خَيْرًا مِنَ الْغِنَى ، وَالضِّيقُ خَيْرًا مِنَ السَّعَةِ ؛ تَكُونُ وَفْرَةُ أَلْفَاظِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَمْرًا مُسْتَكْرَهًا وَعَيْثًا مُسْتَنْقَلًا .

إِنَّ غِنَى أَلْفَاظِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ - يَا بُنَيَّ - وَسَعَةٌ مُعْجِمِهَا ؛ هُمَا اللَّذَانِ أَتَاخَا لِلْأَفْذَازِ مِنْ شُعْرَائِنَا وَالْمُبْدِعِينَ مِنْ كُتَّابِنَا أَنْ يَتَحَيَّرُوا مِنْ هَذِهِ الثَّرْوَةِ الطَّائِلَةِ مَا يُعْبَرُونَ بِهِ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ ؛ فِي أَجْمَلِ صُورَةٍ وَأَعْذَبِ بَيَانٍ ... إِنَّ الْأَدِيبَ مِنْ أَدْبَائِنَا يَا بُنَيَّ ، يُشْبِهُ صَانِعَ الْحُلِيِّ ؛ فَهوَ يَضَعُ هَذِهِ الْكُنُوزَ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَلْفَاظِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ يَخْتَارُ لِجِلْبَتِيهِ مِنْ مَكْنُونَاتِهَا مَا يُلَاقِيهَا حُجْمًا ، وَشَكْلًا ، وَلَوْنًا ، وَبَرِيقًا ، وَإِشْعَاعًا .

◆ إِنَّهُ لَتَشْبِيهٌ رَائِعٌ يَا أَبَتِ .

◇ لَوْلَا غِنَى أَلْفَاظِ هَذِهِ اللُّغَةِ وَتَنَوُّعُهَا لَمَّا تَيَسَّرَ لِأَحَدٍ مِنَّا التَّشْبِيهُ الرَّائِعُ ،
وَلَا التَّعْبِيرُ الدَّقِيقُ ، وَلَا الْأَسْلُوبُ الْمُشْرِقُ الْأَيُّقُ .

بَلْ إِنَّ وَفْرَةَ الْأَلْفَاظِ الْمَوْضُوعَةِ لِمَعْنَى الْوَاحِدِ قَدْ يَسَّرَتْ لِحُطْبَائِنَا الْمُفَوِّهِينَ
وَمُحَدِّثِنَا الْبَارِعِينَ أَنْ يُكَرِّرُوا الْمَعْنَى الْوَاحِدَ فِي صُورٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْقَوْلِ ،
فَيَكُونُ أَوْقَعَ فِي النَّفْسِ وَأَقْوَى فِي الْأَدَاءِ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ الْأَمْثِلَةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ - يَا بُنَيَّ - ؛ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنْ يُثُوتَاتِ الْعَرَبِ وَشَمَائِلِ أَصْحَابِهَا ؛ فَقَالَ :
مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَوَادًا فَهُوَ دَخِيلٌ ...
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي الزُّبَيْرِ شَجَاعًا فَهُوَ لَرِيقٌ ...
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِ الْمُغِيرَةِ تَيَّاهًا فَهُوَ سَنِيدٌ .

◆ وَمَا مَعْنَى سَنِيدٌ ؟ .

◇ إِنَّ كُلًّا مِنْ دَخِيلٍ ، وَلَرِيقٍ ، وَسَنِيدٍ بِمَعْنَى دَعِيٍّ .

◆ وَمَا الدَّعِيُّ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ الدَّعِيُّ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وَيَلْتَصِقُ بِغَيْرِ ذَوِيهِ .

◆ هَذِهِ أَلْفَاظٌ أَرْبَعَةٌ لِمَعْنَى وَاحِدٍ .

◇ بَلْ إِنَّ لِهَذَا الْمَعْنَى أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ أَلْفَاظٍ أُخْرَى ، وَلَوْلَا هَذِهِ الثَّرْوَةُ الْفَرِيدَةُ
الَّتِي تَمْلِكُهَا لُغَتُنَا لَمَّا خَلَصَ كَلَامُ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ التَّكْرَارِ ،

وَلَمَّا ارْتَفَعَ إِلَى هَذَا الْمُسْتَوَى مِنَ الْبَيَانِ وَالْحُسْنِ .

◆ أَمَّا مِنْ مِثَالِ آخَرٍ ؟ .

◇ الْأُمِثْلَةُ عَلَى هَذَا يَا بُنَيَّ ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى ، وَأَوْفَرُ مِنْ أَنْ تُسْتَقْصَى ، وَقِصَّةُ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ مِنْ أَتْلَغَ مَا يُزَوَّى فِي هَذَا الصَّدِيدِ .

◆ وَمَا قِصَّتُهُ ؟ .

◇ كَانَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ - يَا بُنَيَّ - أَلْتَمَعَ فِي الرَّاءِ ، وَكَانَ خَطِيبًا جَدِيلًا^(١) يَتَصَدَّى لِمَجَالِسِ الْمُنَاطَرَةِ وَالْعِلْمِ ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَدْ أَشَقَطَ الرَّاءُ مِنْ كَلَامِهِ ؛ فَلَمْ يَذْكُرْ كَلِمَةً فِيهَا رَاءٌ فِي خُطْبَةٍ أَوْ مَجْلِسٍ أَوْ مَقَالَةٍ .

◆ أَشَقَطَ الرَّاءُ مِنْ كَلَامِهِ !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَمَا سَمِعَ عَنْهُ أَنَّهُ أَوْرَدَ كَلِمَةً فِيهَا رَاءٌ .

◆ وَكَيْفَ تَمَّ لَهُ ذَلِكَ مَعَ كَثَرَةِ تَرَدُّدِ حَرْفِ الرَّاءِ فِي الْكَلَامِ ؟ .

◇ كَانَ يَسْتَبْعِدُ كُلَّ لَفْظَةٍ فِيهَا رَاءٌ ، وَيَسْتَعْمِلُ مَكَانَهَا أُخْرَى مِمَّا لَا رَاءَ فِيهِ .

◆ إِنَّ وَاصِلًا هَذَا أَعْجُوبَةٌ مِنْ أَعَاجِيبِ الدُّنْيَا .

◇ بَلْ إِنَّ اللُّغَةَ الَّتِي أَتَاكَتْ لَهُ ذَلِكَ هِيَ أَعْجُوبَةٌ مِنْ أَعَاجِيبِ اللُّغَاتِ .

◆ وَهَلْ يَزَوِي الرُّوَاةُ شَيْعًا مِنْ أَقْوَالِهِ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ بَشَارَ بْنَ بُرَيْدٍ هَجَا وَاصِلًا هَجَاءً لَا ذِعَا مَرًّا ؛

(١) جَدِيلًا : مُتَفَقًا لِلْجَدَلِ وَالْحَوَارِ وَالْمُنَاطَرَةِ .

فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى وَاصِلٍ ، وَقَالَ :

«أَمَّا لِهَذَا الْأَعْمَى الْمُلْحِدِ الْمُشْتَفِ (١) الْمَكْنَى بِأَبِي مُعَاذٍ مَنْ يَقْتُلُهُ !! وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الْغَيْلَةَ (٢) مِنْ سَجَايَا الْغَالِيَةِ ؛ لَبَعَثْتُ إِلَيْهِ مَنْ يَتَعَجَّ بَطْنُهُ فِي جَوْفٍ مَنْرِلِهِ .»

◆ هَذَا الْكَلَامُ كُلُّهُ لَا رَأْيَ فِيهِ !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُ لَا رَأْيَ فِي هَذَا الْكَلَامِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ كُلَّ لَفْظَةٍ مِنَ الظَّاهِرِ تُرَادِفُهَا لَفْظَةٌ أُخْرَى فِيهَا رَأْيٌ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ لَقَدْ قَالَ : الْأَعْمَى وَلَمْ يَقُلِ الضَّرِيرُ ، وَقَالَ : الْمُلْحِدُ وَلَمْ يَقُلِ الْكَافِرُ ، وَقَالَ : الْمُشْتَفِ وَلَمْ يَقُلِ الْمُرْعَثُ ، وَقَالَ : الْمَكْنَى بِأَبِي مُعَاذٍ وَلَمْ يَقُلِ : بَشَارُ بْنُ بُزْدٍ ، وَقَالَ : الْغَالِيَةُ وَلَمْ يَقُلِ : الرَّافِضَةُ ، وَقَالَ : لَبَعَثْتُ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَقُلِ : لَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ يَتَعَجَّ بَطْنُهُ ، وَلَمْ يَقُلِ : يَتَفَرُّ بَطْنُهُ ، وَقَالَ : فِي جَوْفٍ مَنْرِلِهِ ، وَلَمْ يَقُلِ فِي عُفْرِ دَارِهِ .

◆ خَبِيرٌ طَرِيفٌ حَقًّا .

◇ وَلَكِنْ طَرَفَتُهُ تُشِيرُ إِلَى ظَاهِرَةِ لُغَوِيَّةٍ كَبْرَى ... تُشِيرُ إِلَى سَعَةِ لُغَةِ الْعَرَبِ وَثَرَاءِ مُعْجِمَتِهَا ، وَهَذِهِ الثَّرْوَةُ الْفَرِيدَةُ يَا بُنَيَّ ، هِيَ الَّتِي أَتَّاحَتْ لِلشَّاعِرِ أَنْ يَخْتَارَ مِنْهَا مَا يَلَائِمُ أَوْزَانَهُ وَقَوَائِمَهُ ، وَمَكَّنَتْ لِلنَّائِرِ أَنْ يَضْطَفِيَ مِنْ كُنُوزِهَا مَا يُؤَدِّي بِهَ اسْتِجَاعَهُ وَمَعَانِيَتَهُ ، وَيَسْرَتِ لِلْعَالِمِ أَنْ يَنْتَقِي مِنْ مَكْنُونَاتِهَا مَا يُؤَدِّي بِهِ مُضْطَلَحَاتِهِ الْعِلْمِيَّةَ .

(١) المشتف : هو المرحت وهو من يعلق في أذنيه رعثا أو شافا وهو القوط .

(٢) الغيلة : الاغتيال أي القتل .

◆ أَيْت ، أَهْدِيهِ هِيَ جَمِيعُ خَصَائِصِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، أَمْ إِنَّ لَهَا خَصَائِصَ أُخْرَى ؟ .

◇ لَيْسَتْ هَذِهِ كُلُّ خَصَائِصِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا جُلُّهَا ، وَإِنَّمَا هُنَاكَ خَصَائِصُ أُخْرَى أَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ ، وَلَوْلَا خَشْيَةُ الْإِطَالَةِ وَضِيقُ الْمَقَامِ لَوَقَفْتُكَ عَلَى طَرَفٍ مِنْهَا .

◆ إِذَنْ إِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

* * *

◆ أَيْت ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « أَفْعَلْتُ » وَيَكْثُرُ فِيهَا اللَّحْنُ ؛ فَتُسْتَعْمَلُ خَطَأً عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » .

◇ نَعَمْ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ مِنْكَ مَوْقِعًا حَسَنًا .

◆ مَوْقِعًا حَسَنًا فَحَسَبُ !! إِنَّ هَذِهِ التَّصَوُّيَّاتِ تَقَعُ مِنْ نَفْسِي مَوْقِعَ الْغَيْثِ مِنَ الثَّرْبَةِ الْعَطْشَى .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَجَعَلَكَ أَنْتَ وَإِخْوَتَكَ مِنْ أَتْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .

◆ آمِينَ .

◇ اللَّهُمَّ آمِينَ .

◆ وَالْآنَ أَبْقِي فِي ذَلِكَ الْبَابِ شَيْءًا ؟ ... أَمْ إِنَّكَ أَعَدَدْتَ لِي شَيْئًا جَدِيدًا

لَأُضِيفَهُ إِلَى « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ بَلْ مَا يَزَالُ فِي ذَلِكَ الْبَابِ شَيْءٌ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقِفَ عَلَيْهِ .

◆ إِذَنْ تَفْضَلُ بِهِ مَشْكُورًا غَيْرَ مَأْمُورٍ .

◇ إِنَّ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « أَفَعَلْتُ » وَالْكَاتِبُونَ يُكْثِرُونَ مِنَ اللَّحَنِ

فِيهِ ؛ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ خَطَأً عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » قَوْلُهُمْ : دَانَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا بَاعَهُ
يَدَيْنِ وَهُوَ خَطَأٌ ، وَصَوَابُهُ : أَدَانَ فُلَانٌ فُلَانًا .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِبْغَةِ « دَانَ » أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي اللُّغَةِ ۱۹ .

◇ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا مَعْنَاهَا ؟ .

◇ تَقُولُ : دَانَ فُلَانٌ فُلَانًا بِمَا فَعَلَ إِذَا جَارَاهُ .

◆ طَيِّبٌ .

◇ وَتَقُولُ أَيْضًا : دَانَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ إِذَا كَانَ فِي طَاعَتِهِ .

◆ إِذَنْ يُقَالُ : أَدَانَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا بَاعَهُ يَدَيْنِ ، وَدَانَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا جَارَاهُ .

◇ حَسَنٌ .

◆ وَدَانَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ إِذَا دَخَلَ فِي طَاعَتِهِ .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ... وَمِنْ عَكْسِ هَذَا قَوْلُهُمْ : أَرْجَعْتُ فُلَانًا إِلَى مَكَانِهِ بِمَعْنَى

أَعْدَتُهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَصَوَابُهُ : رَجَعْتُ فُلَانًا إِلَى مَكَانِهِ .

◆ لَعَلَّ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ : ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ ﴾ (١).

◇ لَا زِلْتُ مُوَفَّقًا إِلَى الصَّوَابِ ، نَعَمْ إِنَّهُ مِنْهُ .

◆ أَبَتِ ، أَبْقَى فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ ؟ .

◇ لَقَدْ بَقِيََتْ فِيهِ أَشْيَاءُ وَأَشْيَاءُ يَا بُنَيَّ ، وَلَوْلَا ضِيقُ الْوَقْتِ لَرَدْتُكَ مِنْهَا .

◆ إِذَنْ إِلَى الْجُلُوسَةِ الْقَادِمَةِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، إِنِّي لَفِي شَوْقٍ إِلَى رَوْضَةِ الشَّعْرِ ؛ فَمَا الَّذِي ادَّخَرْتَهُ لَنَا الْيَوْمَ ؟ .

◇ قَصِيدَةٌ مِنْ شِعْرِ « الصَّمَّةِ الْقَشِيرِيِّ » .

◆ الصَّمَّةُ !! أَهَذَا اسْمُهُ أَمْ هُوَ لَقَبٌ أُطْلِقَ عَلَيْهِ ؟ .

◇ بَلْ هُوَ اسْمُهُ ، يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا مَعْنَى الصَّمَّةِ ؟ .

◇ الصَّمَّةُ - يَا بُنَيَّ - الرَّجُلُ الشُّجَاعُ ، وَالْأَسَدُ أَيْضًا .

◆ أَجَاهِلِيَّ شَاعِرُنَا هَذَا أَمْ إِسْلَامِيَّ ؟ .

(١) سورة التوبة الآية ٨٣ .

◇ بَلْ هُوَ إِسْلَامِيٌّ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ .

◆ وَائِنْ نَشَأَ الصُّمَّةُ يَا أَبَتِ ؟ .

◇ وَلَدَ الصُّمَّةُ وَنَشَأَ فِي بَوَادِي نَجْدٍ ، وَهُوَ شَاعِرٌ مُقِلٌّ ، وَلَكِنَّهُ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ قِلَّةِ شِعْرِهِ يُزَاحِمُ كِبَارَ الشُّعْرَاءِ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ ؛ فَلَا يَكَادُ يَخْلُو كِتَابٌ قَدِيمٌ مِنْ اسْمِهِ .

◆ وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ ؟ .

◇ قَصِيدَةٌ رَائِعَةٌ حَفِظَهَا لَهُ تَارِيخُ الْأَدَبِ ، وَأَعْجَبَ بِهَا الثُّقَاةُ ، وَتَنَافَسَ الرُّوَاةُ فِيهَا ؛ فَتَنَاقَلُوهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ .

◆ وَمَا قَصِيدَتُهُ هَذِهِ الَّتِي تَنَافَسَ فِيهَا الرُّوَاةُ ؟ .

◇ إِنَّ لِقَصِيدَتِهِ قِصَّةً يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقِفَ عَلَيْهَا .

◆ وَمَا قِصَّتُهَا طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ كَانَ مِنْ خَبَرِ الصُّمَّةِ - يَا بُنَيَّ - أَنَّهُ تَقَدَّمَ إِلَى عَمِّهِ يَخْطُبُ مِنْهُ ابْنَتَهُ « رَيَّا » ؛ فَاسْتَطَاعَ^(١) عَلَيْهِ أَبُوهُمَا فِي الْمَهْرِ ، وَغَالَى فِي الطَّلَبِ ؛ فَسَأَلَ الصُّمَّةُ أَبَاهُ أَنْ يُعِينَهُ ، فَأَتَى عَلَيْهِ الْعَوْنُ ، عِنْدَ ذَلِكَ اتَّجَهَ الشَّاعِرُ إِلَى عَشِيرَتِهِ ؛ فَسَأَلَهَا أَنْ تُعِينَهُ ؛ فَأَعْطَتْهُ مَا طَلَبَهُ عَمُّهُ مِنَ الْإِبِلِ صَدَاقًا لِابْنَتِهِ ؛ فَأَتَى عَمُّهُ بِالْإِبِلِ ؛ فَقَالَ عَمُّهُ :

لَا أَقْبَلُهَا إِلَّا مِنْ مَالِ أَبِيكَ .

◆ وَلِمَذَا ؟ .

(١) ناشط عليه في المهر: اشترط عليه شروطًا قاسية، وطلب مهرًا عاليًا .

◇ لَا لِسِيءٍ، إِنَّهَا بَقِيَّةٌ مِنْ جَاهِلِيَّةٍ .

◆ ثُمَّ مَاذَا ؟ .

◇ ثُمَّ عَاوَدَ الشَّاعِرُ أَبَاهُ، فَمَنَعَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْ أَبِيهِ وَعَمِّهِ؛ قَطَعَ عُقْلَ^(١) الْإِبِلِ، وَأَطْلَقَهَا فِي الْفَلَاةِ؛ فَعَادَ كُلُّ بَعِيرٍ إِلَى أَهْلِهِ .

◆ وَهُوَ ١١ .

◇ أَمَّا هُوَ، فَاِمْتَنَطَى بِبَعِيرِهِ، وَتَحَمَّلَ رَاحِلًا^(٢) حَتَّى لَحِقَ بِلَادِ الشَّامِ؛ فَقَالَتْ بِنْتُ عَمِّهِ «رَبِّا» لَمَّا رَأَتْهُ رَاحِلًا: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَتًى بَاعَهُ أَبُوهُ وَعَمُّهُ بِأَبْعَرَةٍ .

◆ ثُمَّ مَاذَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ١٢ .

◇ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ - يَا بُنَيَّ - أَنَّهُ أَقَامَ بِالشَّامِ، وَكَانَ كُلَّمَا طَالَ بِهِ الْمَقَامُ اشْتَدَّ بِهِ الْحَيْنُ، وَاسْتَبَدَّ بِهِ النَّدَمُ عَلَى مَا فَعَلَ، وَقَدْ كَانَ مِنْ ثَمَرَةِ هَذِهِ الْمِحْنَةِ قَصِيدَتُهُ الَّتِي حَفِظَهَا الرُّوَاةُ، وَتَنَاقَلَتْهَا كُتُبُ الْأَدَبِ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟ .

◇ يَقُولُ مُحَاطِبًا نَفْسَهُ :

حَنَنْتُ إِلَى رَبِّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ

مَزَارِكَ مِنْ «رَبِّا» وَشَغَبَاكُمَا مَعَا

فَمَا حَسَنْ أَنْ تَأْتِي الْأَمْرَ طَائِعَا

وَتَجْزَعُ إِنْ دَاعَى الصَّبَابَةُ^(٣) أَسْمَعَا

(١) عُقْلُ الْإِبِلِ: مَا يَقِيدُ بِهِ الْبَعِيرُ وَمُفْرَدُهَا عُقَالُ .

(٢) تَحَمَّلَ رَاحِلًا: مُتَعَدًّا عَنْ دِيَارِهِ .

(٣) الصَّبَابَةُ: الْهَوَى وَالْمَحَبَّةُ .

بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا
عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْنَا^(١) مَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْشِي
عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدُعَا
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ
عَلَيْكَ، وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَذَمُّعَا
أَلَا يَا خَلِيلِي الَّذِينَ تَوَاصَيَا
بِلَوْمِي إِلَّا أَنْ أُطِيعَ وَأُتَبَمَا
قِفَا وَدُّعَا نَجْدًا وَمَنْ كُلُّ بِالْحِمَى
وَقُلْ لِنَجِدِ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا
فَإِنِّي وَجَدْتُ اللَّوْمَ لَا يُذِيبُ الْهَوَى
وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْيَأْسَ أَجْدَى وَأَنْفَعَا
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْعَامِرِيَّةِ قَبْلَهَا
وَلَا مِثْلَهَا يَوْمَ ارْتَحَلْنَا مُودَّعَا
شَكَوْتُ إِلَيْهَا مَا أَلَاقِي مِنَ الْجَوَى^(٢)
وَخَشْيَةَ شَعْبِ الْحَيِّ أَنْ يَتَّصِدَّعَا
فَمَا كَلَّمْتُنَا غَيْرَ رَجْعِ^(٣) وَإِنَّمَا
تَرَفَّرَقَتِ الْعَيْنَانِ مِنْهَا لِتَذَمَّعَا

(١) أسبلنا : مكبتنا الدمع .

(٢) الجوى : لذعة الحب والهيام .

(٣) الرجوع : صدئى الصوت .

كَأَنَّكَ بِذُعٍ لَمْ تَرَ الْبَيْنَ قَبْلَهَا
وَلَمْ تَكُ بِالْأُلَافِ قَبْلُ مُفْجَعًا
فَلَيْتَ جَمَالَ الْحَيِّ يَوْمَ تَرَحَّلُوا
بِذِي سَلَمٍ أُمَسْتَ مَزَاحِيفَ ظُلْمًا^(١)
فَيُضْبِحَنَّ لَا يُحْسِنُ مَشْيًا بِرَاكِبٍ
وَلَا السَّيْرَ فِي نَجْدٍ وَإِنْ كَانَ مَهْيَعًا^(٢)
أَنْجَزَعُ وَالْحَيَّانِ لَمْ يَتَفَرَّقَا
فَكَيْفَ إِذَا دَاعَى التَّفَرُّقِ أَسْمَعًا
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي
وَجِئْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْثًا وَأَخْدَعًا^(٣)

* * *

- ◆ أَبَتِ ، يَكْثُرُ فِي الشُّعْرِ تَسْكِينُ الْهَاءِ مِنْ هَوَ ، وَهِيَ ... أَفْهَذَا خَاصٌّ بِالشُّعْرِ أَمْ هُوَ غَامٌّ يَقَعُ فِي الشُّعْرِ وَغَيْرِهِ ؟
- ◇ بَلْ هُوَ غَامٌّ يَا بُنَيَّ يَكُونُ فِي النَّثْرِ كَمَا يَكُونُ فِي الشُّعْرِ .
- ◆ وَهَلْ وَضَعَ الْعَرَبُ لَهُ ضَوَائِبَ وَقَوَاعِدَ ، أَوْ إِنَّهُمْ أَطْلَقُوهُ ؟
- ◇ بَلْ وَضَعُوا لَهُ ضَوَائِبَ وَسَنُّوا لَهُ قَوَاعِدَ .
- ◆ وَمَاذَا قَالُوا فِي ذَلِكَ طَالَ عُمْرُكَ ؟

(١) مزاحيف ظلما : كسيحة تزحف على الأرض ، والظلم : مرض في نحف البعير .

(٢) المهيع : البين من الطروق .

(٣) الليت : صفحة العنق ، والأخدع : عرق في جانب العنق .

◇ قَالُوا: يَجُوزُ تَشْكِينُ «الهاء» مِنْ هَمَزٍ وَمِثْيٍ إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ «الواو»، وَ«الفاء».

◆ إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ «الواو»، وَ«الفاء»؟

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَتْ كَلِمَتُهُ ﴿وَهَمَزُ الْغُفُورِ الْوُدُودُ﴾^(١). وَقَوْلُهُ ﴿فَهَمَزٌ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٢).

◆ أَتَيْتَ، أَرْجُو أَنْ تَتَمَهَّلَ لِاتِّمَكَانٍ مِنْ تَقْيِيدِ تِلْكَ الشُّوَارِدِ مِنَ الْقَوَاعِدِ.

◇ لَكَ مَا طَلَبْتَ، وَأَجَازُوا أَيْضًا تَشْكِينَ «الهاء» مِنْ هَمَزٍ وَمِثْيٍ إِذَا جَاءَتْ بَعْدَ «اللام» الْوَاقِعَةِ فِي خَبَرٍ إِنَّ.

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا؟

◇ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿إِنَّ هَذَا نَهَرُ الْقَصَصِ الْحَقِّ﴾^(٣) بِتَشْكِينِ «الهاء».

◆ أَهْلِهِ هِيَ جَمِيعُ الْأَمَاكِينِ الَّتِي يَجُوزُ فِيهَا تَشْكِينُ «هاء» هَمَزٍ وَمِثْيٍ، أَمْ إِنَّ هُنَاكَ أَمَاكِينَ أُخْرَى؟

◇ بَلْ هُنَاكَ مَكَانٌ آخَرُ لَكِنَّهُ سَمِعَ قَلِيلًا عَنِ الْعَرَبِ.

◆ وَمَا هُوَ طَالٌ بِقَاوُكَ؟

◇ لَقَدْ وَرَدَ تَشْكِينُ «هاء» كُلِّ مِنْ هَمَزٍ وَمِثْيٍ قَلِيلًا؛ وَذَلِكَ بَعْدَ هَمْزَةِ الْإِسْتِفْهَامِ.

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا؟

(٣) سورة آل عمران الآية ٦٢.

(٢) سورة الزمر الآية ٢٢.

مهبورة المروج الآية ١٤.

◇ مِنْ بِنَى قَوْلِنَا : أَهْوَى الَّذِي فَعَلَ هَذَا ؟ ، أَهْمِي الَّتِي قَدِمَتْ ؟ .

◆ وَلَكِنَّهَا تَبْدُو فِي هَذَا الْمَقَامِ ثَقِيلَةً عَلَى اللِّسَانِ .

◇ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يُسْغَفَها الْعَرَبُ ، وَلَمْ تَرِدْ عَنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ أَطْرَفْتَنِي فِي جُلُوسَةٍ سَابِقَةٍ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَجْوِبَةِ الْمُسْكِنَةِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذِكَاةِ الْقَلْبِ وَحُضُورِ الْبِدِيهِةِ ؛ أَفَبَقِيَ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ ؟ .

◇ لَقَدْ حَفَلْتُ كُتُبَ الْأَدَبِ وَالنُّوَادِرِ وَالْأَخْبَارِ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْأَجْوِبَةِ الْمُسْكِنَةِ ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّ « الْجَعْدَ » وَكَانَ مَشْهُورًا بِالزُّنْدَقَةِ^(١) وَضَعُ ثُرَابًا وَمَاءً فِي قَارُورَةٍ مُدَّةً ؛ فَاسْتَحَالَ دُودًا وَهَوَامًّا^(٢) ... فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :
إِنِّي خَلَقْتُ ذَلِكَ لِأَنِّي كُنْتُ سَبِيًّا فِي تَكْوِينِهِ .
فَبَلَغَ ذَلِكَ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ آلِ الْبَيْتِ ؛ فَقَالَ :
لَيَقُولُ الْجَعْدُ - إِنْ كَانَ خَلَقَ بِلَكَ الدُّودَاتِ - كَمْ عَدَدُهَا ؟ وَكَمْ الذُّكْرَانُ مِنْهَا ؟ وَكَمْ الْإِنَاثُ ؟ وَكَمْ وَزْنُ كُلِّ مِنْهَا ؟ .
وَلِيَأْمُرَ الَّتِي تَسْمَى إِلَى هَذِهِ الْجِهَةِ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى غَيْرِهَا .
وَلَمَّا بَلَغَ الْجَعْدُ هَذَا الْكَلَامَ بُهِتَ^(٣) ، وَخَسِيَ ، وَخَجَلَ .

* * *

(١) الزندقة : الإلحاد والشك في وجود إله خالق العالم .

(٢) الهوام : الحشرات كالذباب وغيره .

(٣) بهت الرجل : أخذ بالحجة فشحب لونه .

الْجَلْسَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ

خَاصِيَةُ الْإِشْتِقَاقِ

◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .

◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاؤُهُ .

◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ - دَامَ عِزُّكَ - تَكَلَّمْتُ عَلَى عَبَقَرِيَّةِ اللَّفْظَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَقُلْتُ : إِنَّهَا تَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ الْإِنْسِجَامِ الصَّوْتِيِّ بَيْنَ حُرُوفِهَا ، وَالتَّأْلِيفِ الْمَوْسِيقِيِّ فِي بَنَائِهَا .

◇ نَعَمْ ، يَا بُنَيَّ نَعَمْ .

◆ كَمَا تَتَجَلَّى فِي اشْتِمَالِ كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا عَلَى دَلَالَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا وَضْعِيَّةٌ لُغَوِيَّةٌ تَكْشِفُ عَنْهَا الْمُعْجَمَاتُ ، وَالْأُخْرَى مُوسِيقِيَّةٌ يُشْعِهَا اللَّفْظُ نَفْسُهُ ، وَيُوجِي بِهَا جُزْأَهُ الْمَوْسِيقِيَّ .

◇ زَادَكَ اللَّهُ فَهْمًا .

◆ ثُمَّ قُلْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - : إِنَّ مِنْ أَمْرِزِ خَصَائِصِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ هُوَ غِنَى أَلْفَاظِهَا ، وَوَفَرَةُ مَادِّيَّهَا ؛ مِمَّا أَتَاخِ لِلْأَفْذَادِ مِنْ أَدْبَائِنَا وَالْعَبَاقِرَةِ مِنْ عُلَمَائِنَا أَنْ يُعْبَرُوا عَنْ

أَغْرَاضِهِمُ الْمُتَعَدِّدَةِ فِي أَجْمَلِ صُورَةٍ وَأَعْدَبِ بَيَانٍ .

◇ نَعَمْ ، وَأَلْفُ نَعَمْ .

◆ ثُمَّ عَاجَلَكَ الْوَقْتُ عَنْ اسْتِكْمَالِ حَدِيثِكَ ؛ فَهَلَّا تَفَضَّلْتَ بِإِثْمَامٍ مَا بَدَأْتَهُ ؟ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً - يَا بُنَيَّ - حُبًّا وَكَرَامَةً .

إِنَّ مِنْ أَهْزِزِ خَصَائِصِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَا بُنَيَّ ، أَنَّهَا لُغَةٌ قَامَتْ عَلَى الْإِشْتِقَاقِ الَّذِي أَغْنَى مَا دَتَّتْهَا ، وَضَبَطَ نِظَامَهَا ، وَيَسَّرَ الْقِيَاسَ فِي أَحْكَامِهَا ، وَجَعَلَهَا لُغَةً وَلَوْ دَا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ .

◆ الْإِشْتِقَاقُ !! وَمَا الْمُرَادُ بِالْإِشْتِقَاقِ طَالِ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ الْمُرَادُ بِالْإِشْتِقَاقِ - يَا بُنَيَّ - أَنَّ أَلْفَاظَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَتَجَمَّعُ فِي طَوَائِفَ ، وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ أُسْرَةٌ تَنْتَمِي إِلَيْهَا ، وَحُرُوفٌ مُشْتَرَكَةٌ تَتَوَافَرُ فِي جَمِيعِ أَفْرَادِهَا ، وَمَعْنَى عَامٌّ مُشْتَرَكٌ تَلْتَقِي عِنْدَهُ ، ثُمَّ تَنْفَرِدُ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنَ كَلِمَاتِ الْأُسْرَةِ بِصِيغَةٍ خَاصَّةٍ تُمَيِّزُهَا مِنْ أَخَوَاتِهَا ، وَبِمَعْنَى خَاصَّةٍ نَاشِئَةٍ عَنْ صِيغَتِهِ الْخَاصَّةِ بِهِ .

◆ أَبَتِ ، عَفْوُكَ ، فَإِنَّا لَمْ أَشْتَرِعْ مَعْنَى الْإِشْتِقَاقِ اسْتِيعَابًا يُرَكَّنُ إِلَيْهِ .

◇ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، لَا بَأْسَ ، أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ : إِنَّ الْكَلِمَاتِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَا تَعِيشُ فُرَادَى مُنْعَزِلَاتٍ ، وَإِنَّمَا تَعِيشُ فِي قَبَائِلَ وَأُسَرٍ .

◆ أَنِّي كَمَا كَانَ يَعِيشُ الْعَرَبُ أَصْحَابُ هَذِهِ اللُّغَةِ .

◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، ذَلِكَ كَذَلِكَ ... فَكَمَا كَانَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْقَبِيلَةِ الْعَرَبِيَّةِ رَوَائِطُ نَسَبٍ مُشْتَرَكَةٍ ؛ فَإِنَّ بَيْنَ أَفْرَادِ لُغَتِهِمْ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ وَالتَّرَابُطِ مِثْلَ مَا بَيْنَ

أَفْرَادٍ قَبَائِلِهِمْ .

◆ أَخَذَ يَتَضَحُّ لِي مَعْنَى الْإِشْتِقَاقِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْمِثَالُ يَرِيدُهُ وَضُوحًا .

◇ إِلَيْكَ الْمِثَالُ يَا بُنَيَّ ... خُذْ مَادَّةَ « كَتَبَ » وَاسْتَقْصِ مَا اشْتَقَّ مِنْهَا ، وَمَا وَلَدَتْهُ مِنْ أَلْفَاظٍ تَجِدُ كُلًّا مِنْ : كَتَبَ ، وَيَكْتُبُ ، وَكُتِبَ ، وَكُتِبَتْ ، وَكِتَابَةٌ ، وَكَاتِبٌ ، وَمَكْتُوبٌ ، وَمَكْتُبٌ ، وَكِتَابٌ ، وَمَكْتَبَةٌ ، وَكُتَابٌ ، ثُمَّ تَجِدُ الْفِعْلَيْنِ كَاتَبَ وَاسْتَكْتَبَ وَمَا يُشْتَقُّ مِنْهُمَا ... تَأَمَّلْ أَفْرَادَ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْكَبِيرَةِ يَا بُنَيَّ ، ثُمَّ قُلْ لِي : مَا السَّمَاتُ الْمَادِّيَّةُ وَالصُّفَاتُ الْمَعْنَوِيَّةُ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ أَفْرَادِهَا ؟ .

◆ إِنَّ مَنْ يَتَأَمَّلُ هَذِهِ الطَّائِفَةَ الْكَبِيرَةَ مِنَ الْأَلْفَاظِ ؛ يَجِدُهَا قَدْ اشْتَرَكَتْ جَمِيعُهَا فِي حُرُوفٍ ثَلَاثَةٍ هِيَ : الْكَافُ ، وَالثَاءُ ، وَالْبَاءُ .

◇ وَأَيْضًا .

◆ وَيَجِدُهَا قَدْ اشْتَرَكَتْ أَيْضًا فِي الْمَعْنَى الْعَامِّ لِلْكِتَابَةِ .

◇ ثُمَّ يَجِدُ أَنَّ كُلًّا مِنْهَا قَدْ انْفَرَدَتْ عَنْ أَخَوَاتِهَا بِمَعْنَى مُسْتَقِلِّ نَاشِئٍ عَنْ صِيغَتِهَا ، فَصِيغَةُ « كَاتِبٌ » تَذُلُّ عَلَى مَنْ يَقُومُ بِالْكِتَابَةِ ، بَيْنَمَا تَذُلُّ صِيغَةُ « مَكْتُوبٌ » عَلَى مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْكِتَابَةُ ، وَهَكَذَا ...

◆ وَنَلَاحِظُ أَمْرًا آخَرَ .

◇ وَمَا هُوَ ؟ .

◆ نَلَاحِظُ أَنَّ الْحُرُوفَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي اشْتَرَكَتْ فِيهَا هَذِهِ الْأَلْفَاظُ قَدْ جَاءَتْ مُرَتَّبَةً فِيهَا جَمِيعًا ؛ فَالْكَافُ أَوَّلًا ثُمَّ الثَاءُ ثُمَّ الْبَاءُ .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَمِنْ هُنَا قَالُوا : إِنَّ الْإِشْتِقَاقَ هُوَ تَوْلِيدُ

الْأَلْفَاظِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ بِشُرُوطِ ثَلَاثَةٍ .

◆ وَمَا هِيَ ؟ .

◇ أَوَّلُهَا : الإِشْتِرَاكُ فِي ثَلَاثَةِ حُرُوفٍ ، وَثَانِيهَا : أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحُرُوفُ الثَّلَاثَةُ مُرْتَبَةً فِي جَمِيعِ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَقَّةِ .

◆ وَثَالِثُهَا ؟ .

◇ وَثَالِثُهَا : أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَقَّةِ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ مِنَ الْمَعْنَى .

◆ وَلَكِنْ ...

◇ وَلَكِنْ مَاذَا ؟ ! .

◆ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ عَمَّا إِنْ كَانَتْ مَرِئَةُ الإِشْتِقَاقِ هَذِهِ خَاصَّةً يَلْعَنَتْنَا ، أَمْ هِيَ عَامَّةٌ فِي سَائِرِ اللُّغَاتِ ؟ .

◇ بَلْ هِيَ خَاصَّةٌ مِنْ خَصَائِصِ لُغَةِ الْقُرْآنِ اِمْتَاَزَتْ بِهَا عَلَى سَائِرِ اللُّغَاتِ .

◆ عَجِيبٌ !! .

◇ وَمَا وَجْهُ الْعَجَبِ يَا بُنَيَّ ؟ ! .

◆ وَجْهُ الْعَجَبِ هُوَ مَا يَقُولُهُ عُلَمَاءُ اللُّغَاتِ مِنْ أَنَّ لُغَاتِ الْأَرْضِ جَمِيعًا قَدْ نَشَأَتْ نَشْأَةً وَاحِدَةً ، وَتَكَوَّنَتْ وَفَقَ نَوَامِيسَ وَقَوَائِينَ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ تَأْتِي اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فَتَنْفَرِدُ بِخَاصَّةِ الإِشْتِقَاقِ ، وَتَمْتَازُ بِهَا عَلَى جَمِيعِ اللُّغَاتِ !! .

◇ إِنَّكَ حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءٌ .

وَكَيْفَ ؟

إِنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنْ وَحْدَةِ مَنَشَأِ اللُّغَاتِ وَتَطَوُّرِهَا وَفُقِ نَوَامِيسُ ثَابِتَةِ أَمْرٍ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ ... وَلَكِنَّ عُلَمَاءَ اللُّغَاتِ فَاتَهُمْ أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لِيَسَبِّبَ خَاصٌّ قَدْ حَافَظَتْ عَلَى أَلْفَاطِهَا مُحَافَظَةً لَا نَظِيرَ لَهَا فِي تَارِيخِ لُغَاتِ الْأَرْضِ ، لِذَا فَهِيَ تُنْطَقُ الْيَوْمَ كَمَا كَانَتْ تُنْطَقُ قَبْلَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا ، بَيْنَمَا تَبَدَّلَتْ أَلْفَاطُ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى عَنِ الْقُرُونِ تَبَدُّلاً أَزَالَ مَعَالِمَهَا الْأَصْلِيَّةَ ، وَبَاعَدَ بَيْنَ مُفْرَدَاتِ الْأُسْرَةِ الْوَاحِدَةِ مُبَاعَدَةً كُبْرَى مَحَتْ كُلَّ صِلَةٍ بَيْنَهَا .

وَمَا السَّبَبُ الْخَاصُّ الَّذِي جَعَلَ لُغَتَنَا تُحَافِظُ عَلَى أَصْوَابِ أَلْفَاطِهَا ؛ بَيْنَمَا تَبَدَّلَتْ أَصْوَابُ الْأَلْفَاطِ فِي لُغَاتِ الْأَرْضِ ؟ .

لَا أَظُنُّكَ تَجْهَلُ السَّبَبَ يَا بُنَيَّ ... إِنَّهُ الْقُرْآنُ ، فَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ الْيَوْمَ بِاللَّفْظِ وَالصَّوْتِ ، وَالْفَضْلِ وَالْوَصْلِ ، وَالْوَقْفِ وَالْمَدِّ ؛ كَمَا كَانَ يُقْرَأُ فِي زَمَنِ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

نَقْرُؤُهُ دُونَ أَنْ نُخِلَّ بِلَفْظٍ أَوْ حَرْفٍ ، أَوْ هَمْسٍ ، أَوْ نَبْرَةٍ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ يَوْمَ نَزَلَ ، وَسَيَبْقَى كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا .
وَمِنْ هُنَا بَقِيَتْ مُفْرَدَاتُ الْأُسْرَةِ الْوَاحِدَةِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُحْتَفَظَةً بِسِمَاتِهَا الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى أَصْلِهَا ، وَتَدُلُّ عَلَى انْتِمَائِهَا ... بَيْنَمَا ابْتَعَدَتْ أَلْفَاطُ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى عَنِ أَصُولِهَا ؛ حَتَّى غَلَبَتْ عَلَيْهَا الْفَرْدِيَّةُ ، وَحَرِمَتْ مِنْ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ .

وَمَا مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ الَّذِي حَظِيَتْ بِهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ ؟ .

مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ كَبِيرَةٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَوْلَا ضَيْقُ الْوَقْتِ لَوَقَفْتُكَ عَلَى طَرَفٍ مِنْهَا .

◆ إِذَنْ إِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « أَفْعَلْتُ » وَيَكْثُرُ فِيهَا اللَّحْنُ ؛ فَتُسْتَعْمَلُ خَطَأً عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » .

◇ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ أَفَدْتَ مِنْهَا فِي تَقْوِيمِ لِسَانِكَ .

◆ كُلُّ الْفَائِدَةِ ، كُلُّ الْفَائِدَةِ .

◇ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ .

◆ وَالْآنَ أَبْقِي فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءً ، أَمْ إِنَّكَ قَدْ أَعْدَدْتَ لِي شَيْئًا جَدِيدًا لِأُضِيفَهُ إِلَى « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ بَلْ مَا يَزَالُ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تُضِيفَهُ إِلَى سَابِقِهِ .

◆ إِذَنْ هَاتِهِ مَشْكُورًا مَأْجُورًا .

◇ إِنَّ مِثْلًا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « أَفْعَلْتُ » وَالْكَاتِبُونَ يُكْثِرُونَ اللَّحْنَ فِيهِ فَيُسْتَعْمَلُونَهُ خَطَأً عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » قَوْلُهُمْ : شَادَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ بِمَعْنَى نَوَّهَ بِهِ ، وَأَعْلَى ذِكْرَهُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : أَشَادَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِغَةِ « شَادَ » أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ؟ !

◇ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ يَا بُنَيَّ وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرٍ .

◆ وَمَا هُوَ ؟ .

◇ تَقُولُ : شَادَ فَلَانُ الْبِنَاءَ بِمَعْنَى جَعَّصَهُ .

◆ وَمَا الْمُرَادُ بِتَجْصِيسِ الْبِنَاءِ ؟ .

◇ التَّجْصِيسُ يَا بُنَيَّ : طَلَاءُ الْبِنَاءِ بِالْجِصِّ .

◆ إِذَنْ يُقَالُ : أَشَادَ فَلَانٌ بِفُلَانٍ إِذَا نَوَّهَ بِهِ .

◇ نَعَمْ .

◆ وَيُقَالُ : شَادَ فَلَانٌ الْبِنَاءَ بِمَعْنَى طَلَّاهُ بِالْجِصِّ .

◇ وَاسْتِعْمَالُ آيَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الصِّغَتَيْنِ فِي مَعْنَى الْأُخْرَى خَطَأٌ ، وَخُرُوجٌ عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ .

وَمِنْ الْخَطَأِ أَيْضًا اسْتِعْمَالُ شَادَ بِمَعْنَى « بَنَى » فَكَثِيرًا مَا يَقُولُ الْكَاتِبُونَ : شَادَ فَلَانٌ الْبِنَاءَ بِمَعْنَى بَنَاهُ وَأَعْلَاهُ ، وَهُوَ - كَمَا عَلِمْتَ - خَطَأٌ ؛ لِأَنَّ مَعْنَى شَادَ الْبِنَاءَ طَلَّاهُ بِالْجِصِّ لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلُّ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ كِفَاءَ مَا صَوَّبْتَ وَسَدَّدْتَ .

* * *

◆ أَتَبْتَ ، إِنِّي لَفِي شَوْقٍ إِلَى رَوْضَةِ الشُّعْرِ .

◇ مَا شَوْقُكَ إِلَيْهَا بِأَعْظَمَ مِنْ شَوْقِي .

◆ إِذَنْ هَيَّا بِنَا إِلَى طِيبِ مَشَاهَا ، وَلُحْلُو جَنَاهَا .

◇ هَيَّا بِنَا .

◆ وَمَنِ الشَّاعِرُ الَّذِي أَغْرَاكَ بِرُوضِهِ ؟ .

◇ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ وَاحِدٍ ، وَإِنَّمَا هُمْ شُعْرَاءُ ثَلَاثَةٍ .

◆ صَبَدْتُ ثَمِينٌ .

◇ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ .

◆ وَمَنْ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءُ الثَّلَاثَةُ ؟ .

◇ هُمْ : زَيْدُ الْخَيْلِ ، وَحَاتِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَالثَّلَاثَةُ مِنْ سَادَاتِ طَبِئِي .

◆ تُرِيدُ بِحَاتِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : حَاتِمًا الطَّائِيَّ الْجَوَادَ الْمَعْرُوفَ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، وَأُرِيدُ بِزَيْدِ الْخَيْلِ ذَلِكَ الشَّاعِرَ الْمُخَضَّرَمَ الَّذِي عُرِفَ بِوَصْفِ الْخَيْلِ ، وَالَّذِي دَعَاهُ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ...

◆ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

◇ دَعَاهُ بِزَيْدِ الْخَيْرِ^(١) .

◆ وَمَا الْمَوْضُوعُ الَّذِي طَرَقَهُ هَؤُلَاءِ الْفُرْسَانُ الثَّلَاثَةُ ؟ .

◇ الْفَخْرُ .

◆ وَمَا الَّذِي قَالُوهُ ؟ .

(١) زهد الخير: انظره في كتاب « صور من حياة الصحابة » للمؤلف ، الناشر دار الأدب الإسلامي .

◇ إِنَّ لِلدِّي قَالُوهُ قِصَّةً .

◆ وَمَا هِيَ ؟ .

◇ كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ مُلُوكِ الْيَمَنِ تُدْعَى « مَاوِيَّةَ » ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَكَمَالٍ ، وَحَسْبٍ وَمَالٍ ، وَقَدْ آلَتْ عَلَى نَفْسِهَا أَلَّا تَتَزَوَّجَ إِلَّا مِنْ كَرِيمٍ ، وَلَعِنَ مَخْطَبَهَا لَيْيَمٌ ؛ لَتَجْدَعَنَّ أَنْفَهُ فَتَحَامَاهَا (١) النَّاسُ .

◆ ثُمَّ مَاذَا كَانَ مِنْ أَمْرِهَا ؟ .

◇ لَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهَا أَنْ ائْتَدَبَ لَهَا زَيْدُ الْخَيْلِ ، وَحَاتَمُ الطَّائِي ، وَأَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ وَهُمْ أَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَارْتَحَلُوا إِلَيْهَا مَعًا يَطْلُبُونَ يَدَهَا ؛ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهَا قَالَتْ : مَوْحِبًا بِكُمْ ... مَا الَّذِي جَاءَ بِكُمْ ؟ .
قَالُوا : جِئْنَا زُورًا مُخْطَبًا .
قَالَتْ : أَكُفَاءٌ كِرَامٌ .

ثُمَّ أَنْزَلَتْهُمْ فِي مَضَارِبِهَا (٢) ، وَفَرَّقَتْ بَيْنَهُمْ ، وَأَسْبَعَتْ لَهُمُ الْقِرَى (٣) وَزَادَتْ فِيهِ ... فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي بَعَثَتْ بَعْضَ جَوَارِيهَا مُتَنَكِّرَةً فِي زِيٍّ سَائِلَةٍ تَتَعَرَّضُ لَهُمْ ؛ فَدَفَعَ إِلَيْهَا زَيْدٌ وَأَوْسٌ شِطْرَ مَا مَعَهُمَا ، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى رَحْلِ حَاتِمٍ دَفَعَ إِلَيْهَا جَمِيعَ مَا كَانَ مِنْ نَفَقَتِهِ ، وَحَمَلَهَا جَمِيعَ مَا قُدِّمَ إِلَيْهِ مِنْ قِرَى وَإِكْرَامٍ .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ دَخَلَ عَلَيْهَا السَّادَةُ الثَّلَاثَةُ ، فَقَالَتْ :
لِيَصِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ نَفْسَهُ فِي شِعْرِ .
فَابْتَدَرَ زَيْدُ الْخَيْلِ ، وَقَالَ :

(١) فتحامها الناس : تحاشوا القرب منها ، ورفضوا أن يخطبوها لأنفسهم .

(٢) مضاربها : مساكن قومها وحياتهم .

(٣) القِرَى : ما يقدم للضيف من طعام .

هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي دُبْيَانَ مَا حَسْبِي
 عِنْدَ الطُّعَانِ إِذَا مَا اخْمَرْتَ الْحَدَقُ
 وَجَاءَتِ الْخَيْلُ مُحَمَّرًا بِوَادِرُهَا^(١)
 بِالنَّاءِ يَسْفَحُ مِنْ لَبَائِهَا^(٢) الْعَرَقُ
 وَالْجَارُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ خَاذِلُهُ
 إِنْ نَابَ دَهْرٌ لِعَظَمِ الْجَارِ مُغْتَرِقُ^(٣)
 هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَرْضَيْ فَرَضِيَّةً
 أَوْ تَسْحَطِي ، فَإِلَى مَنْ تُغَطِّفُ الْعُنُقُ ؟
 وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ :
 إِنَّكَ تَغْلِمِينَ أَنَا أَكْرَمُ أَحْسَابًا وَأَشْهَرُ أَفْعَالًا ، مِنْ أَنْ نَصِفَ أَنْفُسَنَا لَكَ ، وَأَنَا
 الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ :
 إِلَى أَوْسٍ بَنِي حَارِثَةَ بِنِ لَأُمِ
 لِيَقْضِي حَاجَتِي ، وَلَقَدْ قَضَاهَا
 فَمَا وَطِئَ الْحَصَى مِثْلُ ابْنِ سَعْدَى
 وَلَا لَيْسَ النُّعَالَ وَلَا اخْتِذَاهَا
 ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :
 فَإِنْ تَنَكِّجِي مَارِيَّةَ الْخَيْرِ حَاتِمًا
 فَمَا مِثْلُهُ فِينَا وَلَا فِي الْأَعَاجِمِ

(١) البرادر : ما بين المنكب والعنق .

(٢) لبائها : أعالي صدرها .

(٣) اغترق العظم : أي أكل ما عليه من لحم ولم يبق عليه شئنا .

فَتَى لَا يَزَالُ الدُّهْرُ أَكْبَرَ مَمِّهِ
فَكَأُكْ أَسِيرٍ أَوْ مَعُونَةٍ غَارِمٍ
وَإِنْ تَنَكِّحَنِي زَيْدًا فَفَارِسُ قَوْمِهِ
إِذَا الْحَرْبُ يَوْمًا أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمٍ
وَإِنْ تَنَكِّحَنِي تَنَكِّحَنِي غَيْرَ فَاجِرٍ
وَلَا جَارِفٍ^(١) جَرَفَ الْعَشِيرَةَ هَادِمٍ
وَلَا مُتَّقٍ يَوْمًا إِذَا الْحَرْبُ شَمَّرَتْ
بِأَنْفُسِهَا نَفْسِي كَفِعَلِ الْأَشَائِمِ^(٢)
فَأَيُّ فَتَى أَهْدَى لَكَ اللَّهُ فَاقْبَلِي
فَإِنَّا كِرَامٌ مِنْ رُءُوسِ أَكْثَرِ
ثُمَّ أَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :
أَمَارِيَّ إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَزَائِحُ
وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكُرُ
أَمَارِيَّ إِنِّي لَا أَقُولُ لِمَائِلِي
إِذَا جَاءَ يَوْمًا : حُلٌّ فِي مَالِي النَّذْرُ^(٣)
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا
أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفَرُ

(١) جارِف : هادم ما بينته العشيرة .

(٢) الأشائِم : جمع أشام ، أي كثير الشوم على نفسه وعلى قومه .

(٣) النذر : ما يفرضه الإنسان على نفسه متطوعًا .

أَمَارِي إِنَّ الْمَالَ مَالٌ بِذَلِكَ
 فَأُولُهُ سُكْرٌ، وَآخِرُهُ ذِكْرٌ
 وَمَا ضَرُّ جَارًا - يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ - فَأَغْلِمِي
 يُجَارِرُنِي أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ سِتْرٌ
 بِعَيْنِي عَنْ حَارَاتِ قَوْمِي عَقْلَةٌ
 وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ أَحَادِيثِهَا وَقُرٌ
 ♦ وَمَنِ الْمَحْظُوطُ الَّذِي فَازَ بِهَا ؟

◇ بَلْ هِيَ الْمَحْظُوطَةُ يَا بُنَيَّ ؛ فَقَدْ فَازَتْ بِحَاتِمِ الطَّائِي ، فَذِكْرَتْ بِهِ ، وَلَوْلَاهُ
 لَطَوَّاهَا النَّسِيَانُ .

* * *

♦ أَبَتِ ، لَدَيَّ سُؤَالٌ فَهَلْ تَسْمَحُ !! .

◇ هَاتِيهِ وَلَا تَتَخَرَّجِ .

♦ أَبَتِ ، تُجْمَعُ كَلِمَةُ « أَخ » تَارَةً عَلَى إِخْوَةٍ ، وَتُجْمَعُ تَارَةً أُخْرَى عَلَى إِخْوَانٍ .
 أَفَلِهَذَا الْمُفْرَدُ جَمْعَانِ ؟

أَمْ إِنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ إِخْوَةٍ وَإِخْوَانٍ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى ؟

◇ إِنَّ هُنَاكَ فَرْقًا كَبِيرًا بَيْنَ هَذَيْنِ الْجَمْعَيْنِ مِنْ حَيْثُ الْمَدْلُولُ يَا بُنَيَّ ؟

♦ وَمَا هُوَ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟

◇ يُجْمَعُ « الْأَخ » مِنَ الْأَبِ وَالْأُمِّ عَلَى إِخْوَةٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي
 سُورَةِ يُوسُفَ : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَتَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ ، وَهُمْ لَهُ

مُكْرُونَ ﴿١﴾.

طَيِّبٌ .

وَتُجْمَعُ كَلِمَةُ «الْأَخِ» بِمَعْنَى الصَّدِيقِ عَلَى إِخْوَانٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَتْ
كَلِمَتُهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (٢).

عَلَى ذَلِكَ نَقُولُ : هَؤُلَاءِ إِخْوَةٌ إِذَا كَانُوا إِخْوَةً فِي النَّسَبِ .

نَعَمْ .

وَنَقُولُ : هَؤُلَاءِ إِخْوَانٌ إِذَا كَانُوا أَصْدِقَاءً .

بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ... بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

* * *

أَبَتِ ، كُنْتُ - دَامَ عِزُّكَ - قَدْ أَطْرَفْتَنِي فِي جُلُوسَةٍ سَابِقَةٍ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَجُوبَةِ
الْمُسْكِيَّةِ ، أَفْبَقِي فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ ؟ .

لَقَدْ حَفِلْتُ كُتُبَ الْأَدَبِ وَالنَّوَادِرِ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْأَجُوبَةِ الْمُسْكِيَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى
ذَكَاءِ الْقَلْبِ وَحُضُورِ الْبَدِيعَةِ ، مِنْ ذَلِكَ : أَنَّ زَوْجَةَ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَتْ
لِزَوْجِهَا :

مَا رَأَيْتُ أَلَامَ مِنْ أَصْحَابِكَ ... إِذَا أُنْسِرَتْ لِرِمُوكَ ، وَإِذَا أَعْسِرَتْ تَرَكُوكَ .
فَقَالَ : هَذَا مِنْ كَرَمِ أَخْلَاقِهِمْ يَأْتُونَنَا فِي حَالِ الْقُوَّةِ مِنَّا عَلَيْهِمْ ، وَيُفَارِقُونَنَا فِي
حَالِ الضَّعْفِ مِنَّا عَنْهُمْ .

* * *

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

(١) سورة يوسف الآية ٥٨ .

الْجَلْسَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ

مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ

- ◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .
- ◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ - دَامَ عِرْكَ - تَكَلَّمْتُ عَلَى عِبْقَرِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَقُلْتُ : إِنَّهَا تَتَجَلَّى أَعْظَمَ مَا تَتَجَلَّى فِي خَاصَّةِ الْإِشْتِقَاقِ الَّتِي أَغْنَتْ مَا دَّتْهَا ، وَضَبَطَتْ نِظَامَهَا ، وَيَسَّرَتْ الْقِيَاسَ فِي أَحْكَامِهَا ، وَجَعَلَتْهَا لُغَةً وَلَوْذَا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ .
- ◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، ذَلِكَ كَذَلِكَ .
- ◆ ثُمَّ عَرَفْتُ الْإِشْتِقَاقَ بِأَنَّهُ : تَزْيِيدُ الْأَلْفَاظِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ شَرِيطَةً أَنْ تَشْتَرِكَ الْأَلْفَاظُ الْمُشْتَقَّةُ مِنْ مَادَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي ثَلَاثَةِ حُرُوفٍ ، وَأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحُرُوفُ الثَّلَاثَةُ مُرْتَبَةً فِي جَمِيعِ الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَقَّةِ ، وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَقَّةِ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ مِنَ الْمَعْنَى .
- ◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، مِثْلُكَ يَكُونُ طُلَّابُ الْعِلْمِ .
- ◆ ثُمَّ إِنَّكَ هَمَمْتَ بِالْحَدِيثِ عَنْ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ الَّتِي امْتَنَزَتْ بِهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

عَلَى سَائِرِ لُغَاتِ الْأَرْضِ ؛ فَعَاجَلَكَ الْوَقْتُ عَنْ ذَلِكَ .

◇ نَعَمْ ، يَا بُنَيَّ ، نَعَمْ .

◆ فَهَلَّا تَفَضَّلْتَ مَشْكُورًا مَأْجُورًا يَبَيِّنُ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ الَّذِي حَظِيتَ بِهِ لُغَتُنَا الشَّرِيفَةُ مِنْ دُونِ سَائِرِ اللُّغَاتِ ؟ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً يَا بُنَيَّ ، حُبًّا وَكَرَامَةً ... إِنَّ أَوَّلَ مَرِيَّةٍ مِنْ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ هِيَ أَنَّهُ جَعَلَ أَلْفَاظَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَنْتَظِمُ فِي أُسْرِ ذَاتِ سِمَاتٍ مُشْتَرَكَةٍ وَاضِحَةٍ ؛ تَبْدُو فِي الْمَبْنِيِّ وَفِي الْمَعْنَى أَيْضًا ، فَهِيَ مِنْ حَيْثُ الْمَبْنِيُّ تَشْتَرِكُ فِي حُرُوفٍ ثَلَاثَةٍ ، وَهِيَ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْمَهَا مَعْنَى عَامٌّ مُشْتَرَكٌ .

◆ حَسَنٌ ، حَسَنٌ .

◇ ثُمَّ تَبَقَّى هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْمُشْتَقَّةُ مُحْتَفِظَةً بِسِمَاتِهَا هَذِهِ ؛ تَدُورُ مَعَهَا أَنَّى دَارَتْ ، وَتَحْتَفِظُ بِهَا مَهْمَا امْتَدَّ بِهَا الْعُمُرُ .

◆ أَبَتِ عَفْوَكَ ، أَهَذِهِ مَرِيَّةٌ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لَا تُشَارِكُهَا فِيهَا اللُّغَاتُ الْأُخْرَى ؟ ! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، إِنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ إِلَى اللُّغَاتِ الْأُخْرَى لَوَجَدْتَ أَنَّ طَابَعَ الْفَرْدِيَّةِ غَالِبٌ عَلَيْهَا ، وَأَنَّ الْأُصُولَ الْمُشْتَرَكَةَ بَيْنَ مُشْتَقَّاتِهَا قَدْ ضَاعَتْ ، وَأَنَّ الْمَلَامِيعَ الْمُتَشَابِهَةَ فِيهَا قَدْ زَالَتْ .

◆ أَبَتِ ، أَمَا مِنْ مِثَالٍ ؛ فَالْمِثَالُ يُوضِّحُ الْقَاعِدَةَ كَمَا يُقَالُ .

◇ الْأُمْلَةُ كَثِيرَةٌ يَا بُنَيَّ ، الْأُمْلَةُ كَثِيرَةٌ ، خُذْ مَثَلًا كَلِمَتَيْنِ « أَخ » وَ« أُخْتُ » اللَّتَيْنِ تَجِدُهُمَا فِي مَادَّةِ « أَخَو » فِي الْمُفْجَمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ ، ثُمَّ انْظُرْ إِلَيْهِمَا فِي اللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ تَجِدُ أَنَّهُ لَا رَابِطَةَ بَيْنَهُمَا أَبَدًا ، فَأَخُّ تُقَابِلُهَا فِي الْفَرَنْسِيَّةِ كَلِمَةُ :

”Frere ” وَأُخْتُ تُقَابِلُهَا كَلِمَةُ : ” Soeur ” وَشَتَانِ مَا بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ .

◆ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَضْعَيْنِ ؟ .

◇ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَبِيرٌ يَا بُنَيَّ ؛ فَوَاضِعُ مُعْجَمِنَا اتَّخَذَ الْمَادَّةَ أَساسًا لِعَمَلِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ تَحْتَ الْمَادَّةِ جَمِيعَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَيْهَا وَتَنْبِئُ عَنْهَا .

◆ الْمِثَالُ الْمِثَالُ .

◇ خُذْ مَثَلًا مَادَّةَ « حَدَقَ » فَسَتَجِدُ تَحْتَهَا : أَحَدَقَ ، وَحَدَّقَ ، وَحَدِيقَةً ، وَحَدَقَهُ الْعَيْنَ ، وَكُلُّهَا تَشْتَرِكُ بِالْحَاءِ وَالذَّالِ وَالْقَافِ ، وَكُلُّهَا تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْإِحَاطَةِ وَالْإِحْدَاقِ .

◆ وَوَاضِعُو مُعْجَمَاتِ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى ، مَاذَا فَعَلُوا ؟ .

◇ لَقَدْ بَنَوْا مُعْجَمَاتِهِمْ عَلَى أَساسِ فَرْدِيٍّ لَا تَرَابُطَ فِيهِ كَمَا أَشَرْنَا مِنْ قَبْلُ . فَأَنْتَ سَتَجِدُ الْكَلِمَاتِ : ” Write ” وَ” Book ” وَ” Disk ” وَ” Library ” مَسْجُودَهَا فِي أَرْبَعَةٍ أَمَا كُنْ مُتَفَرِّقَةً مِنَ الْمُعْجَمِ الْإِنْكِلِيزِيِّ مَعَ أَنَّهَا جَمِيعًا ذَاتُ دَلَالَةٍ عَلَى الْكِتَابَةِ وَمَا يَتَفَرَّعُ عَنْهَا ، فَ” Write ” كَتَبَ ، وَ” Book ” كِتَابٌ ، وَ” Disk ” مَكْتَبٌ ، وَ” Library ” مَكْتَبَةٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَسَوْفَ تَجِدُهَا مُوزَّعَةً فِي أَرْجَاءِ الْمُعْجَمِ ؛ لَا تَرُوبُطُ بَيْنَهَا رَابِطَةٌ وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَهَا جَامِعٌ .

◆ لَقَدْ عَنَّ لِي سُؤَالٌ فَهَلْ تَسْمَحُ ؟ .

◇ وَهَلِ اجْتَمَعْنَا هُنَا إِلَّا لِتَسْأَلِ وَأُجِيبَ !! .

◆ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْ عَدَدِ مَوَادِّ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ .

◇ لَيْسَ فِي وَسْعِ أَحَدٍ أَنْ يُجِيبَكَ عَلَى سُؤَالِكَ هَذَا إِيْجَابَةً دَقِيقَةً مُحَدَّدَةً ، وَلَكِنْ

الَّذِي يُمَكِّنُ قَوْلَهُ هُوَ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ ...

◆ لِابْنِ مَنْظُورٍ .

◇ نَعَمْ لِابْنِ مَنْظُورٍ الْإِفْرِيقِيِّ ، وَهُوَ أَوْسَعُ مُعْجَمٍ عَرَبِيٍّ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، قَدْ حَوَى ثَمَانِينَ أَلْفَ مَادَّةٍ .

◆ ثَمَانُونَ أَلْفَ مَادَّةٍ !! .

◇ نَعَمْ ، وَتَحْتَ كُلِّ مَادَّةٍ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ تَزِيدُ وَتَنْقُصُ حَسَبَ غِنَى الْمَادَّةِ وَفَقْرِهَا ، حَيْثُ تَتَرَاوَحُ كَلِمَاتُ كُلِّ مَادَّةٍ بَيْنَ الْعَشْرَةِ وَالْعِشْرِينَ .

◆ مَا هَذِهِ الثَّرْوَةُ !! مَا هَذَا الْغِنَى !! .

◇ عَلَى أَنَّ عُلَمَاءَ اللُّغَةِ يَقَرُّونَ أَنَّ الَّذِي فَاتَ ابْنَ مَنْظُورٍ كَثِيرٌ جِدًّا .

◆ أَبَتِ ، أَرَأَيْتَ قَدْ أَخْرَجْتُكَ بِسْوَإِي هَذَا عَمَّا كُنَّا فِيهِ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ مَزَايَا الْإِسْتِيقَاقِ ، فَهَلَّا تَفَضَّلْتَ فَعُدْتَ إِلَى إِكْمَالِ مَا بَدَأْتَهُ ؟ .

◇ يَبْدُو لِي أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ ضَاقَ عَنْ إِتِمَامِ مَا بَدَأْتَاهُ ؛ فَإِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « أَفْعَلْتُ » وَيَكْثُرُ فِيهَا اللَّحْنُ ؛ فَشُغِلْتُ خَطَأً عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » .

◇ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ بَكُونَ قَدْ وَقَعَ مِنْكَ مَوْقِعًا حَسَنًا .

◆ مَوْقِعًا حَسَنًا فَحَسِبُ ...

لَقَدْ وَقَعَ مِنِّي مَوْقِعَ الْمَاءِ الْبُرُودِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي .

◇ الْحَمْدُ لِلَّهِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ .

◆ وَالْآنَ أَتَبَيَّ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ ، أَمْ إِنَّكَ قَدْ أَعَدَدْتَ لِي شَيْئًا جَدِيدًا لِأُضِيفَهُ إِلَيَّ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ بَلْ مَا يَزَالُ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تُضِيفَهُ إِلَيَّ سَابِقِهِ .

◆ إِذَنْ تَفْضُلُ عَلَيَّ بِهِ جُزِيَّتَ الْخَيْرِ .

◇ إِنَّ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ « أَفَعَلْتُ » وَالْكَاتِبُونَ يُكْثِرُونَ اللَّحْنَ فِيهِ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ خَطَأً عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » قَوْلُهُمْ : هَدَيْتُ فَلَانًا هَدِيَّةً وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصُّوَابُ أَنْ يُقَالَ : أَهْدَيْتُ فَلَانًا هَدِيَّةً فَهِيَ مُهْدَاةٌ إِلَيْهِ .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِبْغَةِ « هَدَيْتُ » ؟ .

◇ صِبْغَةُ « هَدَيْتُ » مَوْجُودَةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ .

◆ وَمَا هُوَ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ تَقُولُ : هَدَيْتُ فَلَانًا الطَّرِيقَ هِدَايَةً ، وَتَقُولُ : هَدَيْتُهُ إِلَى الدِّينِ ، وَلِلدِّينِ هُدًى .

◆ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (١) .

(١) سورة الإنسان الآية ٣ .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَيُقَالُ : هَدَيْتُ العُرُوسَ إِلَى رَوْحِهَا أَهْدِيَهَا إِلَيْهِ هَذَا فَهِيَ مَهْدِيَّةٌ وَمَهْدِيٌّ .

◆ إِذَنْ يُقَالُ : هَذَا إِلَى الْأَمْرِ هِدَايَةٌ بِمَعْنَى أَرْشَدَهُ إِلَيْهِ .

◇ نَعَمْ .

وَيُقَالُ : أَهْدَاهُ الشَّيْءَ أَيَّ جَعَلَهُ هَدِيَّةً لَهُ .
وَيُقَالُ أَيْضًا : أَهْدَى الْهَدْيَ إِلَى يَتِّبِ اللَّهُ بِمَعْنَى سَأَقَهُ وَقَدَّمَهُ إِلَيْهِ .

◆ عَفْوَكَ أَتَيْتَ ، « الْهَدْيِ » أَمْ « الْهَدْيِ » ؟ .

◇ الْهَدْيُ وَالْهَدْيُ يَا بُنَيَّ ، هُمَا لُغَتَانِ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ ، وَقَدْ قَرَأَ الْقُرَّاءُ جَمِيعًا بِهِمَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ ، ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾^(١) .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ .

◇ آمِينَ .

◆ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَتَيْتَ ، وَرَوْضَةُ الشَّعْرِ إِنِّي لَا زُجُو إِلَّا أُحْرَمَ مِنْ رَوْحِهَا وَرَوْحَانِهَا .

◇ لَنْ تُحْرَمَ مِنْهُمَا بِإِذْنِ اللَّهِ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَلَمَمْتَ بِرَوْضِهِ ؟ .

◇ مُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ .

(١) سورة البقرة الآية ١٩٦ .

◆ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ صَاحِبُ وَحْيِ الْقَلَمِ ١٢ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ صَاحِبُ وَحْيِ الْقَلَمِ ، وَتَارِيخُ آدَابِ الْعَرَبِ ،
وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَالبَلَاغَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَغَيْرَهَا مِنَ الْكُتُبِ .

◆ وَلَكِنْ ...

◇ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ إِنَّ الرَّافِعِيَّ كَاتِبٌ وَلَيْسَ بِشَاعِرٍ ؟

◆ ذَلِكَ مَا أَرَدْتُ قَوْلَهُ .

◇ الْحَقُّ مَعَكَ يَا بُنَيَّ ؛ فَقَدْ غَطَّتْ شَخْصِيَّةُ الرَّافِعِيِّ الْكَاتِبَ عَلَى شَخْصِيَّةِ
الرَّافِعِيِّ الشَّاعِرِ ، حَتَّى كَادَتْ تُخْفِيهَا وَتَطْمِسُ مَعَالِمَهَا .

◆ وَهَلْ تَرَكَ الرَّافِعِيُّ آثَارًا فِي الشُّعْرِ كَمَا تَرَكَ آثَارًا فِي النَّثْرِ ؟

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، لَقَدْ تَرَكَ دِيْوَانًا كَبِيرًا يَقَعُ فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ
مُتَدَاوِلٌ .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي اخْتَرَتْهَا مِنْ شِعْرِهِ ؟

◇ مَا هِيَ بِقَصِيدَةٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ نَشِيدٌ .

◆ نَشِيدٌ !!

◇ نَعَمْ نَشِيدٌ يَا بُنَيَّ ، وَضَعَهُ « لِلشُّبَّانِ الْمُسْلِمِينَ » شَبَابِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ
الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ .

◆ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

◇ لِيُنْشِدُوهُ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَيَتَمَثَّلُوا مَعَانِيَهُ فِي عُقُولِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِي نَشِيدِهِ هَذَا ؟!

◇ يَقُولُ :

رَبَّنَا إِنَّا إِيَّاكَ نَدْعُو رَبَّنَا آتِنَا النَّصْرَ الَّذِي وَعَدْتَنَا
إِنَّا نَبْغِي رِضَاكَ ، إِنَّا مَا ارْتَضَيْنَا غَيْرَ مَا تَرْضَى لَنَا

أَنْفُسًا طَاهِرَةً طَهَّرَ الْحَرَمَ

تَمْلَأُ التَّارِيخَ مَجْدًا وَكَرَمَ

وَإِفْيَاتٍ بِالْمُعْهُودِ وَالذَّمَمِ

زَاقِيَاتٍ لِلْمَعَالِي وَالْهِمَمِ

☆ ☆ ☆

الْعُلَا إِنَّ الْعُلَا وَاجِبَاتُ الْمُسْلِمِ

خَيْرُ عَالَمٍ خَلَا كَانَ فِينَا يَنْتَمِي

لِلْعُلَا فَإِنَّا أُمَّةُ التَّقْدُمِ

لِلْعُلَا وَهِيَ أَنَا بِحَيَاتِي وَدَمِي

☆ ☆ ☆

يَا شَبَابَ الْعَالَمِ الْمُحَمَّدِيِّ يَنْقُصُ الْكَوْنُ شَبَابُ مُهْتَدِي

فَأَرَوْهُ دِينَكُمْ لِيَقْتَدِيَ دِينَ عَقْلِ وَضَمِيرٍ وَيَدِ

يَا شَبَابَ الْعَزَمَاتِ الْمُبْرَمَةِ^(١)

عَرَفُوا الْكَوْنَ الْعُلَا وَالْمَكْرَمَةَ

(١) العزيمات المبرمة : الجد والصبر والثقة في الفوز .

عَرَفُوا الْكَوْنَ الْهُدَى وَالْمَرْحَمَةَ

عَرَفُوا الْكَوْنَ الْنُفُوسَ الْمُسْلِمَةَ

☆ ☆ ☆

فِي ضَمِيرِي دَائِمًا صَوْتُ النَّبِيِّ آمِرًا : جَاهِدْ ، وَكَابِدْ ، وَانْعَبِ
صَائِحًا : غَالِبْ ، وَطَالِبْ ، وَاذْأَبِ صَارِخًا : كُنْ أَبَدًا حُرًّا أَبِي

كُنْ سَوَاءً مَا اخْتَفَى وَمَا عَلَنُ

كُنْ قَوِيًّا بِالضُّمِيرِ وَالْبَدَنُ

كُنْ عَزِيزًا بِالْعَشِيرِ وَالْوَطَنُ

كُنْ عَظِيمًا فِي الشُّعُوبِ وَالزَّمَنُ

رَبُّ يَا إِسْلَامٍ قَدْ هَدَيْتَنِي رَبُّ مِنْ نُورِكَ قَدْ آتَيْتَنِي

فَعَلَيْ الْعَهْدِ مَا أَحْيَيْتَنِي أَخْرُسُ الْكَفْرَ الَّذِي وَهَبْتَنِي

أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ مَوْتُ الْبَطْلُ

ثَابِتًا أَحْيَا بِقَلْبٍ مِنْ جَبَلٍ

نُورًا أَحْيَا بِرُوحٍ مِنْ شَعْلٍ

جَاهِدًا أَحْيَا بِجِسْمٍ وَعَمَلٍ

◆ مَا أَغْظَمَ هَذَا النَّشِيدَ ۱۱ .

◇ نَشِيدٌ عَظِيمٌ لِشَبَابٍ عَظِيمٍ لَوْ وَعَى مَعَانِيَهُ ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، لَدَيَّ سُؤَالٌ ؛ فَارْجُو أَنْ يَتَّسِعَ وَقْتُكَ لِلْإِجَابَةِ عَنْهُ .

◇ عَجِّلْ بِهِ وَأَوْجِزْ .

◆ أَيْتُ ، بَعْضُ الْكُتَّابِ يَقُولُ : جُمَادَى الْأُولَى وَجُمَادَى الثَّانِيَّةُ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : جُمَادَى الْأُولَى وَجُمَادَى الْآخِرَةُ ، أَلَيْجُوزُ الْأَمْرَانِ ، أَمْ إِنَّ أَحَدَ التَّغْيِيرَيْنِ صَوَابٌ وَالْآخَرُ خَطَأٌ ؟ أَفْتِنِي فِي هَذَا .

◇ يَقُولُ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ : جُمَادَى الْأُولَى وَجُمَادَى الثَّانِيَّةُ ، لَكِنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَقُولُوا إِلَّا جُمَادَى الْأُولَى ، وَجُمَادَى الْآخِرَةَ .

◆ أَيْعْنِي هَذَا أَنَّ قَوْلَهُمْ جُمَادَى الثَّانِيَّةُ خَطَأٌ ۱؟ .

◇ نَعَمْ يَا بَنِي ... فَتَحْنُ نَأْخُذُ لُغَتَنَا عَنِ الْعَرَبِ ، وَعَلَى سَنِيهِمْ نَسِيرُ .

◆ طَيِّبُ .

◇ وَيَقُولُونَ أَيْضًا : رَبِيعُ الْأَوَّلُ وَرَبِيعُ الثَّانِي ، وَهُوَ خَطَأٌ أَيْضًا ، وَالصَّوَابُ أَنَّ يُقَالَ : رَبِيعُ الْأَوَّلُ ، وَرَبِيعُ الْآخِرِ .

◆ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَجُمَادَى الْآخِرَةِ ؟ .

◇ نَعَمْ ، ثُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ أَوْجَبُوا فِي كُلِّ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَرَبِيعِ الْآخِرِ أَنَّ يُسَبَقَا بِلَفْظَةِ شَهْرٍ حَيْثُ يُقَالُ : شَهْرُ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَشَهْرُ رَبِيعِ الْآخِرِ .

◆ وَلِمَاذَا ؟ .

✱ ◇ لِيُفَرَّقُوا بَيْنَ رَبِيعِ الشُّهُورِ ، وَرَبِيعِ الْقُصُولِ .

◆ عَلَى هَذَا يُقَالُ : جُمَادَى الْأُولَى ، وَجُمَادَى الْآخِرَةُ ... كَمَا يُقَالُ : شَهْرُ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَشَهْرُ رَبِيعِ الْآخِرِ .

◇ وَلَا يُقَالُ غَيْرُ ذَلِكَ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي أَكْرَمَ الْجَزَاءِ .

◇ آمِينَ .

◆ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَطُرْفَةُ الْجَلْسَةِ أَرْجُو أَلَّا تَكُونَ قَدْ نَسِيَتْهَا .

◇ إِذَا نَسِيَتْهَا أَنَا فَلَنْ تَنْسَاهَا أَنْتَ .

◆ إِذَنْ عَجَلْ بِهَا ؛ عَجَلِ اللَّهُ لَكَ الْخَيْرَ .

◇ رُوِيَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ مُوسَى الشَّيْبَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ :

كَانَ صَيَّادٌ يَصْطَادُ الْعَصَافِيرَ فِي يَوْمٍ رِيحٍ ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تُثِيرُ الْغُبَارَ فَيَدْخُلُ فِي عَيْنَيْهِ ؛ فَتَذْرِفَانِ الدُّمُوعَ .

وَكَانَ كُلَّمَا صَادَ غُصْفُورًا كَسَرَ جَنَاحَهُ وَالْقَاهُ فِي مِخْلَافَةٍ^(١) كَانَتْ مَعَهُ .
فَقَالَ غُصْفُورٌ لِصَاحِبِهِ :

مَا أَرَأَيْتَ عَلَيْنَا ، أَلَا تَرَى إِلَى دُمُوعِ عَيْنَيْهِ ۱۱ .

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : لَا تَنْظُرْ إِلَى دُمُوعِ عَيْنَيْهِ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى عَمَلِ يَدَيْهِ .

* * *

(١) المخلّاة : كهس من الفمات يحتفظ فيها بالأشياء وتحمل .

الجلسة الثامنة والعشرون

لغة منطقيّة قواعديّة

◆ أبت ، سلام الله عليك .

◇ عليك سلام الله ورحمته ورضاه .

◆ أبت ، كُنت - طال بقاؤك - تكلّمت على عبقرية اللغة العربيّة ؛ فقلت : إنّها تتجلّى أعظم ما تتجلّى في خاصّة الإشتقاق التي أغنت مادّتها ، وضبطت نظامها ، ويسّرت القياس في أحكامها ، وجعلتها لغة ولودا على مرّ العصور .

◇ إنّها لكذلك يا بُنيّ ، إنّها لكذلك .

◆ ثمّ إنّك - دام عزك - أخذت في الحديث عن مزايا الإشتقاق ؛ فقلت : إنّ أوّل مزاياه هو أنّه جعل ألفاظ اللغة العربيّة تنتظم في أسر ومجموعات ذات سمات واضحة في المبنى والمعنى ، تدور مع الكلمات المشتقة كيفما دارت ، وتيسر معها أنى سارت ؛ بينما غلبت الفردية على اللغات الأخرى .

◇ بارك الله عليك يا بُنيّ ، بارك الله عليك .

◆ وقد يسّر ذلك لعلمائنا أن يصنعوا معجمائنا على أساس المواد ؛ بينما وضعت

مُعْجَمَاتُ الْآخَرِينَ عَلَى أَسَاسِ فَرْدِي لَا تَرَاهُ فِيهِ .

◇ مَا شَاءَ اللَّهُ ، زَادَكَ اللَّهُ عِلْمًا وَفَهْمًا .

◆ ثُمَّ إِنَّكَ هَمَمْتَ بِإِتِّمَامِ الْحَدِيثِ عَنْ مَزَايَا الْإِسْتِيفَاقِ ؛ فَعَاجَلَكَ الرَّقْتُ عَنْ اسْتِكْمَالِ مَا أَخَذْتَ فِيهِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ .

◆ فَهَلَّا تَفَضَّلْتَ بِإِتِّمَامِ مَا بَدَأْتَهُ وَلَكَ الْفَضْلُ وَالشُّكْرُ ۱۱ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً يَا بُنَيَّ ، حُبًّا وَكَرَامَةً ...

لَعَلَّ أَعْظَمَ مَزَايَا الْإِسْتِيفَاقِ هُوَ أَنَّهُ جَعَلَ مِنَ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لُغَةً مَنْطِقِيَّةً قَوَاعِيدِيَّةً .

◆ لُغَةً مَنْطِقِيَّةً قَوَاعِيدِيَّةً ۱۱ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَالْمَرْءُ حِينَ يَعْرِفُ الْمَادَّةَ الْأَصْلِيَّةَ لِلْأُسْرَةِ اللَّغَوِيَّةِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤَلِّدَ مِنْهَا طَائِفَةً كَثِيرَى مِنَ الْكَلِمَاتِ ؛ بِحَيْثُ تَدُلُّ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى مَعْنَى مُسْتَقِيلٍ .

◆ وَكَيْفَ يَتِمُّ ذَلِكَ ؟ .

◇ يَتِمُّ ذَلِكَ بِسُهُولَةٍ عَجِيبَةٍ لَا تَتَمَتَّعُ بِهَا أَيُّ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ ؛ فَحَسَبُ الْمَرْءِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ حُرُوفَ الْمَادَّةِ الثَّلَاثَةِ ، وَأَنْ يُدْخِلَ عَلَيْهَا بَعْضَ حُرُوفِ الزِّيَادَةِ وَفَقَى قَوَاعِدَ مُحَدَّدَةٍ ؛ حَتَّى يَحْصُلَ عَلَى طَائِفَةٍ كَثِيرَى مِنَ الْكَلِمَاتِ ؛ ذَوَاتِ الدَّلَالَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ .

◆ الْمِثَالُ الْمِثَالُ .

◇ خُذْ مَثَلًا عَلَى ذَلِكَ مَادَّةَ «نَشَرَ»، فَأَنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤَلِّدَ مِنْهَا الْأَفْعَالَ
الثَّلَاثَةَ: نَشَرَ، وَنَشُرُ، وَانْشُرْ.

كَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤَلِّدَ مِنْهَا اسْمَ الْفَاعِلِ «نَاشِرٌ»، وَاسْمَ الْمَفْعُولِ «مَنْشُورٌ»،
وَاسْمَ الْأَلَةِ «مِنْشَارٌ»، وَاسْمَ الْمَكَانِ «مَنْشَرٌ»، وَهَكَذَا...

◆ حَسَنٌ حَسَنٌ.

◇ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤَلِّدَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ الثَّلَاثَةِ لِلْمَادَّةِ وَمِنْ بَعْضِ
حُرُوفِ الزِّيَادَةِ؛ بِدَلَالَةِ بَعْضِ الْقَوَاعِدِ الَّتِي لَا تَزِيدُ عَلَى بِضْعَةِ أَشْطَرٍ!!.

◆ وَمَا حُرُوفُ الزِّيَادَةِ؟.

◇ حُرُوفُ الزِّيَادَةِ عَشْرَةٌ يَا بُنَيَّ، وَهِيَ: الْهَمْزُ وَالْثَاءُ، وَالْأَلِفُ وَالسَّيْنُ، وَاللَّامُ
وَالْمِيمُ، وَالتَّوْنُ وَالْهَاءُ، وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ، وَقَدْ جَمَعَهَا الْعُلَمَاءُ فِي كَلِمَةٍ
«سَأَلْتُمُونِيهَا».

◆ عَظِيمٌ، عَظِيمٌ جِدًّا، حَقًّا إِنَّ الْإِشْتِقَاقَ جَعَلَ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لُغَةً مَنْطِقِيَّةً
قَوَاعِدِيَّةً.

◇ يَتَنَمَّا سَادَ الشُّدُودُ وَالْفَرْدِيَّةُ اللُّغَاتِ الْبَحِيَّةِ الْأُخْرَى، وَفِي طَلِيعَتِهَا اللُّغَةُ
الْإِنْكِلِيزِيَّةُ.

◆ ذَلِكَ أَمْرٌ لَا مِرْيَةَ فِيهِ، وَالْدَّارِسُ لِلُّغَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ يُدْرِكُهُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ.

◇ ثُمَّ إِنَّ الْإِشْتِقَاقَ كَمَا يُعِينُ الْمَرْءَ عَلَى التَّوَلُّدِ، يُعِينُهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ عَلَى
إِدْرَاكِ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ الَّتِي ابْتَعَدَتْ عَنِ الْأُسْرَةِ.

◆ وَكَيْفَ؟.

◆ تأمل - مثلاً - المجموعة التالية : عَقَلَ ، عَقَالَ ، اغْتَقَلَ ، عَقِلَ ... تَجِدْهَا عَلَى الرُّغْمِ مِنَ التَّبَايُنِ الظَّاهِرِيِّ بَيْنَ مَعَانِيهَا يُفَسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَيُلْقِي الْمَعْنَى الْمَشْتَرَكُ نُورًا عَلَى مَذْلُولِ كُلِّ مِنْهَا ... فَالْعَقْلُ : هُوَ الَّذِي يَغْقِلُ الْمَرْءَ عَنِ الْخَطِئِ ، وَالْعَقَالُ : هُوَ الَّذِي يَغْقِلُ الشَّمْلَةَ عَلَى الرَّأْسِ ، وَيَغْقِلُ الدَّابَّةَ مِنْ أَنْ تَشْرُدَ ، وَهَكَذَا ...

◆ وَلَكِنْ ...

◆ وَلَكِنْ مَاذَا ؟ .

◆ وَلَكِنْ ، هُنَاكَ بَعْضُ الْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يَجِدَ آيَةً صِلَةً بَيْنَهَا .

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ١٩ .

◆ مِنْ مِثْلِ الْجَارِ ، وَالْجَوْرِ ، فَالْجَارُ هُوَ الَّذِي يَسْكُنُ إِلَى جَانِبِكَ ، وَالْجَوْرُ هُوَ الظُّلْمُ .

◆ حَتَّى هَذِهِ الْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي خُيِّلَ إِلَيْكَ أَنَّهُ لَا تَرَابُطَ بَيْنَهَا ، لَوْ أَنْعَمْتَ النَّظَرَ فِيهَا ؛ لَوَقَفْتَ عَلَى الْوَشَائِجِ^(١) الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَهَا .

◆ وَمَا الْوَشَائِجُ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الْجَارِ وَالْجَوْرِ ١٩ .

◆ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجَارِ بِمَعْنَى الْمُلَاصِقِ ، وَإِلَى الْجَوْرِ بِمَعْنَى الظُّلْمِ نَظَرَةً تَارِيخِيَّةً مُتَّصِلَةً بِحَيَاةِ أَصْحَابِ هَذِهِ اللُّغَةِ ؛ اسْتَبَانَاتُ لَكَ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

(١) الوشائج : جمع الوشيجة ، وهي اقاربة المشتبكة المتصلة .

◇ الجَارُ يَا بُنَيَّ ، هُوَ مَنْ يَدْخُلُ فِي جَمَاعَةِ الْقَبِيلَةِ ، فَيَشْكُرُ فِي «جَوَارِهَا» ،
وَالْقَبِيلَةُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ تُكُونُ قَدْ «أَجَارَتْهُ» بِمَعْنَى رَفَعَتْ عَنْهُ الْجَوْرَ
وَالظُّلْمَ ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْهَمْزَةَ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْفِعْلِ أَفَادَتْهُ مَعْنَى السَّلْبِ .

◆ مَعْنَى السَّلْبِ ١١ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ؛ فَجَارَ : مَعْنَاهَا ظَلَمَ ، وَأَجَارَ : مَعْنَاهَا أزالَ الظُّلْمَ ، وَعَتَبَ : مَعْنَاهَا
أَوْقَعَ الْعَتَبَ عَلَيْهِ ، وَأَعْتَبَ : مَعْنَاهَا أزالَ الْعَتَبَ ، وَمِثْلُهُمَا : شَكَى ، وَأَشْكَى ،
وَنَحْوُهَا .

◆ أَبَتِ ، أَهْدِيهِ هِيَ جَمِيعُ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ ، أَمْ إِنَّ لِلِاشْتِقَاقِ مَزَايَا أُخْرَى ؟ .

◇ بَلْ إِنَّ لِلِاشْتِقَاقِ مَزَايَا أُخْرَى لَا تَقِلُّ عَمَّا أوردناه ، وَلَكِنْ ضِيقُ الْوَقْتِ يَحُولُ
دُونَ إيرادِهَا الْآنَ .

◆ إِذَنْ إِلَى الْجُلُوسَةِ الْقَادِمَةِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ
الْعَرَبِ عَلَى وَزْنِ «أَفَعَلْتُ» وَيَكْثُرُ فِيهَا اللَّحْنُ ؛ فَتُسْتَعْمَلُ خَطَأً عَلَى وَزْنِ
«فَعَلْتُ» .

◇ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تُكُونَ قَدْ أَفَدْتَ مِنْهُ فِي تَقْوِيمِ
لِسَانِكَ ، وَتَهْدِيبِ بَيَانِكَ .

◆ كُلُّ الْفَائِدَةِ .

◇ ذَلِكْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةٌ .

◆ وَالْآنَ ، أَتَبْقَى فِي هَذَا الْبَابِ ، شَيْءٌ أَمْ إِنَّكَ قَدْ أَعَدَدْتَ لِي شَيْئًا جَدِيدًا لِأَضِيفَهُ إِلَى « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ؟ .

◇ بَلْ أَعَدَدْتُ لَكَ شَيْئًا جَدِيدًا لَا يَقِلُّ عَنْ سَابِقِهِ أَهَمِّيَّةٌ وَفَائِدَةٌ .

◆ إِذَنْ تَفْضِلُ عَلَيَّ بِهِ - طَالَ بَقَاؤُكَ ، وَدَامَ عَطَاؤُكَ .

◇ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَفْعَالِ جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ « وَآوِيَّةٌ » وَالْكَاتِبُونَ يُخْطِئُونَ فِيهَا ؛ فَيَسْتَعْمِلُونَهَا « يَايَّةٌ » .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِمْ : جَفَيْتُ فَلَانًا بِالْيَاءِ بِمَعْنَى تَرَكْتُهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ ، وَهُوَ خَطَأٌ وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : جَفَوْتُ فَلَانًا « بِالْوَاوِ » ؛ فَأَنَا أَجْفُوهُ ، وَهُوَ مَجْفُوٌّ .

◆ أَبَتِ ، أَرْجُو أَنْ تَتَمَهَّلَ حَتَّى يُتَاحَ لِي تَقْيِيدُ هَذِهِ الْفَوَائِدِ .

◇ لَكَ مَا طَلَبْتَ يَا بُنَيَّ ، لَكَ مَا طَلَبْتَ ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُهُمْ : حَنَيْتُ عَلَى فُلَانٍ بِالْيَاءِ بِمَعْنَى عَطَفْتُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : حَنَوْتُ عَلَى فُلَانٍ « بِالْوَاوِ » ؛ فَأَنَا أَحْنُو عَلَيْهِ .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِيغَةِ « حَنَيْتُ » الْيَايَةِ !! أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ؟ ! .

◇ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرٍ .

◆ وَمَا مَعْنَاهَا ؟ .

◇ تَقُولُ : حَجِيْتُ الْعُودَ بِمَعْنَى أَمَلْتُهُ .

◆ إِذَنْ يُقَالُ : حَنَوْتُ عَلَى فُلَانٍ بِمَعْنَى عَطَفْتُ عَلَيْهِ ، وَحَجِيْتُ ظَهْرِي بِمَعْنَى أَمَلْتُهُ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُهُمْ : هَجَيْتُ فُلَانًا « بِالْبَاءِ » بِمَعْنَى ذَمَمْتُهُ ، وَهُوَ خَطَأٌ وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : هَجَوْتُ فُلَانًا « بِالْوَاوِ » ؛ فَهُوَ مَهْجُوٌّ .

◆ وَلَكِنْ صِبْغَةُ « هَجَيْتُ » شَائِعَةٌ كَثِيرَةُ الدَّوَرَانِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ !! .

◇ إِنَّ شُيُوعَ السَّخَطِ لَا يَجْعَلُ مِنْهُ صَوَابًا ، كَمَا أَنَّ شُيُوعَ الرَّذِيلَةِ لَا يَجْعَلُ مِنْهَا فَضِيلَةً .

◆ ذَلِكَ حَقٌّ لَا مِرَاءَ فِيهِ .

◇ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُرِيكَ الْحَقَّ حَقًّا وَأَنْ يَرْزُقَكَ اتِّبَاعَهُ .

◆ آمِينَ .

◇ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ ، إِنَّ فِي النَّفْسِ لَشَوْقًا إِلَيْهَا وَحَيْنًا .

◇ مَا شَوْقَكَ إِلَيْهَا بِأَعْظَمَ مِنْ شَوْقِي ، وَلَا حَيْنُكَ إِلَيْهَا بِأَشَدَّ مِنْ حَيْنِي .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَغْرَاكَ بِرَوْضِهِ الْيَوْمَ ؟ .

◇ إِنَّهُ لَيَبْدُ .

◆ أَمُّ الشَّاعِرِ الْمُخْضَرَمِ^(١) الَّذِي قَالَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَ ، فَلَمَّا أَدْرَكَ
الإِسْلَامَ لَمْ يَقُلْ إِلَّا نَيْتًا وَاحِدًا هُوَ قَوْلُهُ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجَلِي

حَتَّى كَسَانِي مِنَ الإِسْلَامِ سِرْبَالًا^(٢) !!

◇ نَعَمْ إِنَّهُ الشَّاعِرُ الْمُخْضَرَمُ الَّذِي ذَكَرْتُ ، لَكِنَّ مَا أَشْرَفَ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ
فِي الإِسْلَامِ إِلَّا نَيْتَهُ السَّابِقَ غَيْرَ صَحِيحٍ .

◆ هَذَا مَا كُنَّا دَرَسْنَاهُ ، وَالْعَهْدَةُ فِي ذَلِكَ عَلَى غَيْرِي .

◇ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ عَنْ لَيْدٍ مَعْرُوفٍ شَائِعٍ ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ غَيْرُ ذَلِكَ ؛ فَدَيَوَانُهُ
الَّذِي طُبِعَ حَدِيثًا فِي « الْكُوَيْت » يَقْلِبُ هَذِهِ النُّظْرِيَّةَ ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى
شِطْرٍ كَبِيرٍ مِنْ شِغْرِهِ الَّذِي قَالَهُ فِي الإِسْلَامِ .

◆ عَظِيمٌ ، عَظِيمٌ .

◇ وَهُوَ شِعْرٌ يَنْفِضُ بِمَعَانِي الإِسْلَامِ الرَّائِعَةِ ، وَمِثَالِيَّتِهِ الرُّوحِيَّةِ الشَّامِيَّةِ ... لَقَدْ
تَغَلَّغَلَ الإِسْلَامُ فِي ضَمِيرِ الشَّاعِرِ ؛ فَاتَّجَعَتْ فِي شِغْرِهِ إِلَى رَبِّهِ ، وَالْوَجَلَ يَغْلَا
نَفْسَهُ ، وَاسْتِشْعَارُ الْخَوْفِ مِنْهُ ، وَالرَّغْبَةُ فِيهِ تَمَلُّأَ قَلْبَهُ .

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ لَا مِيعَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

إِنْ تَشَاوَى رَبُّنَا خَيْرُ نَفْلٍ^(٣) وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلُ

٢٩٤

(١) المخضرم : الذي عاش عصرين ، وهو هنا عاش عصر الجاهلية وعصر الإسلام .

(٢) السربال : القميص ، وكل ما يلبس يسمى سربالاً .

(٣) النفل : هنا بمعنى الغنمة أو الربح الوفير .

أَحْمَدُ اللَّهَ فَلَا يَدُّ لَهُ بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلَّ *
 مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ ، وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ
 فَاتَّكِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزِرِي ^(١) بِالْأَمَلِ
 إِلَى آخِرِ هَذِهِ اللَّامِيَّةِ الرَّائِعَةِ .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي اخْتَرْتُهَا مِنْ شِعْرِهِ ٢..

◇ مَا هِيَ بِقَصِيدَةٍ اخْتَرْتُهَا مِنْ شِعْرِهِ ، وَإِنَّمَا هُمَا مَقْطُوعَتَانِ طَرِيفَتَانِ قِيلَتَا حَوْلَهُ .

◆ وَمَا هُمَا طَالَ بِقَاوُكَ ٣ .

◇ قَبْلَ أَنْ تَقِفَ عَلَيْهِمَا لَا بُدَّ لَكَ مِنْ أَنْ تُلِمَّ بِقِصَّتَيْهِمَا .

◆ وَمَا قِصَّتُهُمَا ٤ .

◇ كَانَ لَبِيدٌ يَا بُنَيَّ ، سَيِّدًا كَبِيرًا مِنْ سَادَاتِ رَبِيعَةَ ، وَكَرِيمًا مُطْعِمًا مِنْ أَجْوَادِ
 الْعَرَبِ وَشُجْعَانِيهِمْ .

وَقَدْ نَذَرَ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَلَّا تَهَبَّ الصَّبَا ^(٢) إِلَّا وَأَطْعَمَ ، وَظَلَّ يَفْعَلُ
 ذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ .

◆ رَائِعٌ ...

◇ وَقَدْ كَانَتْ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ جَفْنَتَانِ ^(٣) يَغْدُو بِهِمَا وَيَزُوحُ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى مَسْجِدِ
 قَوْمِهِ وَيُطْعِمُهُمْ .

ثُمَّ هَبَّتِ الصَّبَا يَوْمًا وَهُوَ مُقِيمٌ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ قَدْ كَثُرَتْ سِنُّهُ ،

(١) يزري : يهيه ويهده .

(٢) الصبا : ريح تهب من جهة الشرق .

(٣) الجفنة : فصعة الطعام الكبيرة .

وَأَمَلَقَ^(١)؛ فَعَلِمَ بِذَلِكَ وَالِي «الْكُوفَةِ» الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَخَطَبَ
النَّاسَ؛ فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ... إِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ نَذْرَ أَبِي عَقِيلٍ [وَهِيَ كُنْيَةُ لَيْدٍ] وَهَذَا يَوْمٌ مِنْ
أَيَّامِهِ؛ فَأَعِينُوا أَخَاكُمْ عَلَى نَذْرِهِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْعَلُ.
ثُمَّ نَزَلَ الْوَلِيدُ عَنِ الْمِنْبَرِ؛ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مِائَةَ بَكْرَةٍ^(٢)، وَبَعَثَ النَّاسَ إِلَيْهِ؛
فَاجْتَمَعَتْ عِنْدَهُ أَلْفُ رَاحِلَةٍ؛ فَقَضَى نَذْرَهُ... وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ مَعَ الثَّوْقِ
الْحِمَايَةَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ:

أَرَى الْجَزَارَ يَشْحَذُ شَفَرَتَيْهِ إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ
أَغْرُ الْوَجْهِ أَصِيدُ عَامِرِي^(٣) طَوِيلُ الْبَاعِ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ
وَفِي ابْنِ الْجَعْفَرِيِّ بِحُلْفَتَيْهِ عَلَى الْعِلَاتِ وَالْمَالِ الْقَلِيلِ
يَنْحَرِ الْكُومِ^(٤) إِذْ سَحَبْتُ عَلَيْهِ ذُبُولُ صَبَا تَجَاذُبُ بِالْأَصِيلِ
فَلَمَّا بَلَغَتْ أَيْتَانُهُ لَيْدًا، قَالَ لِابْنَتَيْهِ: أَجِيبِي... فَلَعَمْرِي لَقَدْ عِشْتُ بُرْهَةً
وَمَا أَغْنَى بِجَوَابِ شَاعِرٍ، فَقَالَتِ ابْنَتُهُ:

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا
أَسْمُ الْأَنْفِ أَصِيدُ عَشِيمِيَا^(٥) أَعَانَ عَلَى مُرُورَتِهِ لَيْدَا
بِأَمْثَالِ الْهَضَابِ كَأَنَّ رَكْبًا عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامِ^(٦) قُعُودَا
أَبَا وَهَبِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا نَحْرَنَاهَا فَأَطَعَمْنَا الشَّرِيدَا

(١) أَمَلَقَ: افترق.

(٢) الْبَكْرَةُ: الناقة.

(٣) أَصِيدُ عَامِرِي: الْأَصِيدُ: هُوَ كُلُّ ذِي حَوْلٍ وَطُولٍ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ، وَعَامِرِي: مَنْسُوبٌ إِلَى بَنِي عَامِرٍ.

(٤) الْكُومُ: الثَّوْقُ السَّمِينَةُ.

(٥) عَشِيمِيَا: مَنْسُوبٌ إِلَى قَبِيلَةِ عَبْدِ شَمْسٍ.

(٦) بَنِي حَامٍ: هُوَ أَحَدُ أَبْنَاءِ لُوحِ الثَّلَاثَةِ: سَامٌ، وَحَامٌ، وَهَامٌ.

فَعُدْ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادٌ وَظَنِّي - لَا أَبَا لَكَ - أَنْ تَعُودَا ۞

فَقَالَ لَبِيدٌ لِابْنَتَيْهِ : أَحْسَنْتِ يَا بُنَيَّتُهُ ، لَوْلَا أَنَّكَ اسْتَطَعْتِيهِ (١) .

فَقَالَتْ : إِنَّ الْمُلُوكَ لَا يُسْتَحَى مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ سُوقَةً (٢) مَا فَعَلْتُ . ۞
فَقَالَ : يَا بُنَيَّتُهُ ، وَأَنْتِ فِي هَذِهِ أَشْعُرُ .

◆ مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يَا أَبَتِ ، حَاكِمُهُمْ وَمَحْكُومُهُمْ فِي الْبِرِّ وَالْخَيْرِ سَوَاءٌ ۞

◇ بِذَلِكَ سَادُوا ، وَبِذَلِكَ شَادُوا يَا بُنَيَّ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كَثِيرًا مَا يَرِدُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَلْغَاءِ قَوْلُهُمْ : شَكَرْتُ لِفُلَانٍ صَنِيعَهُ (٣) ،
وَقَوْلُهُمْ شَكَرْتُ فُلَانًا عَلَى صَنِيعِهِ ؛ أَفَهُمَا لُغَتَانِ ؟ ... أَمْ إِنَّ إِحْدَاهُمَا أَفْصَحُ
مِنَ الْأُخْرَى ؟ .

◇ تَقُولُ الْعَرَبُ : شَكَرْتُ لِفُلَانٍ وَ أَشْكُرُ لِفُلَانٍ ، وَهِيَ اللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ ،
وَعَلَيْهَا قَوْلُهُ جَلُّ ثَنَائِهِ ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ (٤) .

◆ وَمَاذَا عَنْ شَكَرْتُ فُلَانًا ، وَ أَشْكُرُ فُلَانًا ؟ .

◇ إِنَّهَا لُغَةٌ جَائِزَةٌ ، وَلَكِنَّ اللُّغَةَ الْفَصِيحَةَ هِيَ الَّتِي وَافَقَتْ كَلَامَ اللَّهِ ، وَمَا يُقَالُ
عَنْ شَكَرَ لَهُ وَشَكَرَهُ ، يُقَالُ أَيْضًا عَنْ نَصَحَ لَهُ وَنَصَحَهُ .

◆ أَيْ إِنَّ اللُّغَةَ الْفَصِيحَةَ أَنْ يُقَالَ : نَصَحْتُ لَهُ ، لَا نَصَحْتُهُ ؟ .

◇ نَعَمْ ، يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ : سَخَرْتُ مِنْهُ ، وَهَذِهِ هِيَ اللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ
أَيْضًا .

(٣) صَنِيعُهُ : فَعْلُهُ الْحَسَنُ .

(٤) سُورَةُ لُقْمَانَ الْآيَةُ ١٤ .

(١) اسْتَطَعْتِيهِ : طَلَبْتَ مِنْهُ الْإِطْعَامَ .

(٢) سُوقَةٌ : وَاحِدٌ مِنَ الرِّعْيَةِ وَأَوْسَاطِ النَّاسِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَتْ كَلِمَتُهُ ﴿فَإِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾^(١).

◆ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلُّ خَيْرٍ.

◇ آمِينَ.

◆ اللَّهُمَّ آمِينَ.

* * *

◆ أَتَيْتِ، وَطُرُقَةُ الْجَلْسَةِ، أَرْجُو أَلَّا يَضِيعَ حَقِّي فِيهَا.

◇ مَا مَاتَ حَقِّي وَرَاءَهُ مُطَالِبٌ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ الْمُطَالِبُ أَنْتَ.

◆ إِذَنْ عَجَّلْ لِي بِهَا عَجَّلَ اللَّهُ لَكَ الْخَيْرَ.

◇ مِنْ طَرَفٍ أَشْعَبَ أَنَّهُ...

◆ أَتَيْتِ، عَفْوَكَ، أَكَانَ أَشْعَبَ شَخْصِيَّةً حَقِيقِيَّةً؛ أَمْ إِنَّهُ شَخْصِيَّةً أُسْطُورِيَّةً تُنْسَبُ إِلَيْهَا شَيْءٌ الطَّرَفِ؟

◇ بَلْ هُوَ شَخْصِيَّةً حَقِيقِيَّةً، وَاسْمُهُ أَشْعَبُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَكَانَ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ يَقُولُونَ: تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا مَلَحُ^(٢) أَشْعَبَ وَخُبَيْرَ أَبِي الْغَيْثِ، وَكَانَ أَبُو الْغَيْثِ يَصْنَعُ الْخُبَيْرَ بِالْمَدِينَةِ. وَقَدْ نَشَأَ أَشْعَبُ فِي جَبْرِ عَائِشَةَ بِنْتِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

◆ وَمَا الَّذِي اخْتَرْتَهُ مِنْ طَرَائِفِهِ؟

(١) سورة هود الآية ٣٨.

(٢) المَلَحُ: جمع مفردة ملحمة، وهي الطريقة أو الكلام ينفكه ٤.

◇ رُوِيَ أَنَّ زَوْجَةَ أَشْعَبَ سَأَلَتْهُ خَاتَمًا ، وَقَالَتْ لَهُ : أَذْكُرُكَ بِهِ .
 فَقَالَ لَهَا : اذْكُرِي أَتْلِكَ سَأَلْتَنِي وَمَنْعْتُكَ .
 وَقِيلَ لَهُ : كَمْ كَانَ عَدَدُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ .
 فَقَالَ : ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ دِرْهَمًا .
 وَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ أَطْمَعُ مِنْكَ ؟ .
 قَالَ : نَعَمْ كَلْبَةُ آلِ فُلَانٍ ، فَقَدْ رَأَتْ رَجُلَيْنِ يَمْضُغَانِ عِلْكَا ، فَتَبِعَتْهُمَا
 فَرَسَخَيْنِ ؛ تَظُنُّ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ شَيْئًا .

* * *

الْجَلْسَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ

تَوْلِيدُ الْأَلْفَاظِ

- ◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاؤُهُ .
- ◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ تَكَلَّمْتُ عَلَى خَاصَّةِ الْإِشْتِقَاقِ الَّتِي امْتَاَزَتْ بِهَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى سَائِرِ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ ، حَيْثُ أَغْنَى الْإِشْتِقَاقُ مَادَّةَ لُغَةٍ الْقُرْآنِ ، وَضَبَطَ نِظَامَهَا ، وَيَسَّرَ الْقِيَاسَ فِي أَحْكَامِهَا ، وَجَعَلَ مِنْهَا لُغَةً وَلُودًا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ .
- ◇ ذَلِكَ كَذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ .
- ◆ ثُمَّ إِنَّكَ - دَامَ عِزُّكَ - أَخَذْتَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ ؛ فَقُلْتَ : إِنَّ أَوَّلَ مَزَايَاهُ أَنَّهُ جَعَلَ الْأَفَاظَ اللَّغِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ تَنْتَظِمُ فِي أُسْرِ وَمَجْمُوعَاتٍ ؛ يَتَنَمَّا غَلَبَتِ الْفُرْدِيَّةُ عَلَى اللُّغَاتِ الْأُخْرَى .
- ◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ .
- ◆ وَقَدْ يَسَّرَ ذَلِكَ لِعُلَمَائِنَا أَنْ يَضَعُوا مُعْجَمَاتِنَا عَلَى أُسَاسِ الْمَوَادِّ ، يَتَنَمَّا وَضِعَتْ

مُعْجَمَاتُ الْآخَرِينَ عَلَى أَسَاسِ فَرْدِي لَا تَرَاهُ فِيهِ .

◇ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، زَادَكَ اللَّهُ عِلْمًا وَفَهْمًا .

◆ ثُمَّ أَضَفْتُ إِلَى ذَلِكَ مَرْيَّةَ أُخْرَى مِنْ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ ، هِيَ أَنَّهُ جَعَلَ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لُغَةً مَنْطِقِيَّةً قَوَاعِدِيَّةً .

◇ بِمِثْلِكَ يَكُونُ طُلَّابُ الْعِلْمِ .

◆ ثُمَّ إِنَّكَ هَمَمْتَ بِإِتِّمَامِ الْحَدِيثِ عَنْ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ ؛ فَعَاجَلَكَ الْوَقْتُ عَنْ اسْتِحْكَامِ مَا أَخَذْتَ فِيهِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ .

◆ فَهَلَّا تَفَضَّلْتَ بِإِتِّمَامِ مَا بَدَأْتَهُ ؟ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً يَا بُنَيَّ ، حُبًّا وَكَرَامَةً ... لَعَلَّ مِنْ أَهْزِ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ هُوَ أَنَّهُ جَعَلَ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَأَنَّهَا حَيًّا نَائِمًا مُتَوَالِدًا ؛ قَادِرًا عَلَى سَدِّ حَاجَاتِ الْأُمَّةِ الْمُتَجَدِّدَةِ فِي شَتَّى الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ .

◆ أَبَتِ ، عَفْرَكَ ، فَأَنَا لَمْ أَسْتَوْعِبْ مَا قُلْتَهُ إِنَّمَا اسْتَيْعَابًا حَسَنًا .

◇ أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ - يَا بُنَيَّ - : إِنَّ مِنْ أَهْزِ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ هُوَ أَنَّهُ كَانَ - عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ - الرِّسَالَةَ الرَّائِعَةَ الْبَارِعَةَ لِتَوْلِيدِ الْأَلْفَاظِ الْمُتَنَوِّعَةِ ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعَانِي الَّتِي تَجَدُّ فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ أَنْتَ تَعْلَمُ - يَا بُنَيَّ - أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ أُمَّةً أُمِّيَّةً مَحْدُودَةً

المعارف، لا حظ لها من الحضارة والتنظيم.

◆ ذلك أمرٌ معلومٌ.

◇ ولما أكرمها الله بالإسلام جدت لديها معارف، وشُرعت لها شرائع، وأقامت حياتها على نظم، ووُضعت بجهودها علوم وفنون.

◆ ذلك من فضل الله.

◇ وقد احتاج ذلك كله إلى ألفاظ جديدة للتعبير عنه.

◆ من أمثال ماذا؟.

◇ من أمثال: الدواوين، والعمال، والقضاة، والولاة في الحكم.
ومن أمثال: الكفالة، والوكالة، والمؤجر، والمستأجر في الفقه.
ومن أمثال: الفاعل، والمفعول، والحال، والتَّمْيِيز في النحو.
ومن أمثال: الاستعارة، والكناية في البلاغة.
ومن أمثال: الناسخ، والمنسوخ، والمجمل، والمفصل في علوم القرآن،
إلى آخر ما هنالك من عشرات آلاف المعاني الجديدة التي احتاجت إلى
عشرات آلاف الألفاظ الجديدة.

◆ ومن أين أتى بالآلفاظ لهذا السبيل من المعاني؟!

◇ أتى بها عن طريق الاستيقاق... نعم عن طريق الاستيقاق يا بُني، فالاستيقاق هو الذي ولّد الألفاظ اللازمة لهذه المعاني الطارئة، وهو الذي لم يخرج العرب إلى الأخذ من لغات الآخرين، أو الوقوف موقف العاجز عن استيعاب الحياة الجديدة.

◆ قَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْمَرْيَةُ أَعْظَمَ مَرَاتِنَا الْإِشْتِقَاقِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، وَتَبَدُّو لَكَ هَذِهِ الْمَرْيَةُ عَلَى وَجْهِ أَوْضَحَ إِذَا تَتَبَّعْتَ تَارِيخَ الْمُسْلِمِينَ الْخَضَارِيِّ ، وَبَلَغْتَ الْعَصْرَ الْعَبَّاسِيَّ ، وَوَقَفْتَ عَلَى تَفْتِيحِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى عُلُومِ « الْيُونَانِ » وَ« السُّرِّيَانِ » ، وَحِكْمَةِ الْهُنُودِ ، وَأَدَبِ « الْفَرَسِ » ، وَكَيْفَ اسْتَطَاعَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَنْ تَفْتَحَ صَدْرَهَا لِهَذِهِ الْمَعَارِفِ كُلِّهَا ، وَأَنْ تَسْتَوْعِبَهَا فِي سَهُولَةٍ وَيُسْرٍ .

◆ وَذَلِكَ بِفَضْلِ الْإِشْتِقَاقِ أَيْضًا .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَلَقَدْ اسْتَطَاعَ الْإِشْتِقَاقُ أَنْ يُؤَلِّدَ مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ الْحَيَّةِ النَّامِيَّةِ ؛ الْأَلْفَ الْمُؤَلَّفَةَ مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ وَالْأَلْفَافِ .

◆ أَبَتِ ، وَمَاذَا عَنِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ ، عَصْرِ الذَّرَّةِ وَالْفَضَاءِ وَالتَّقَدُّمِ الصَّنَاعِيِّ الْمُذْهِلِ .

◇ إِنَّ اللُّغَةَ الَّتِي وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ وَعُلُومَهُ ، وَاسْتَوْعَبَتْ مَنْطِقَ « الْيُونَانِ » وَفَلَسَفَتُهُمْ ، وَحِكْمَةَ الْهُنُودِ وَأَدَبَهُمْ ؛ قَادِرَةٌ الْيَوْمَ بِمَا فِيهَا مِنْ عَنَاصِرِ حَيَّةِ نَامِيَّةٍ ، وَبِاعْتِمَادِهَا عَلَى الْإِشْتِقَاقِ أَنْ تَفِي بِحَاجَةِ عَصْرِ الذَّرَّةِ وَالْفَضَاءِ .

◆ وَلَكِنْ مَنْ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَقُولُونَ : إِنَّ هَذِهِ دَعْوَى لَمْ يَقُمْ عَلَيْهَا دَلِيلٌ .

◇ بَلْ عَلَيْهَا أَكْثَرُ مِنْ دَلِيلٍ .

◆ هَلَا تَفَضَّلْتَ فَأُورِدْتَ دَلِيلًا وَاحِدًا ؟ .

◇ إِلَيْكَ مَا طَلَبْتَ ، إِلَيْكَ الدَّلِيلُ ... بَعْدَ أَنْ هَبَطْتَ مَرْكَبَةَ الْفَضَاءِ الْأَمْرِيكِيَّةِ عَلَى سَطْحِ الْقَمَرِ بِأَقْلٍ مِنْ شَهْرٍ ، وَقَبْلَ أَنْ تَضْحَوْا الْإِنْسَانِيَّةَ مِنْ دَهْشَتِهَا ؛ كَتَبَ

الأديب العالم الدكتور أحمد زكي بحثنا علميًا مستفيضًا في مجلة العربي
عن هذا الحدث العظيم .

◆ لقد قرأت البحث واستمتعت بما جاء فيه .

◇ وقرأه معك الآلاف من أبناء الأمة العربية واستمتعوا به وانتفعوا منه أيضًا ...
لقد كتب الدكتور زكي هذا المبحث العلمي الدقيق بلغة عربية فصحة ،
وعبر عن حقائقه ودقائقه ومصطلحاته بلغة العرب ... كما لو كنا نحن الذي
صنعنا المركبة وصعدنا إلى القمر ، لا الأمريكان .

◆ ذلك دليل لا يجحده إلا مكابر .

◇ لقد عبر الدكتور أحمد زكي عن ذلك كله معتمدًا على أصالة اللغة العربية
وعزائتها ، مستفيدًا من خاصية الاشتقاق العجيبة ، مجتهدًا من عند نفسه ،
فهو لم يجمع لذلك مجمعًا لغويًا ، ولم يستعين بأحد على وضع
المصطلحات أو ابتداع الكلمات التي كتب بها بحثه .

◆ آبت ، أهذه هي كل مزايا الاشتقاق ، أم إن للاشتقاق مزايا أخرى ؟ .

◇ بل هذه بغض مزايا الاشتقاق الذي امتازت به اللغة العربية على سائر اللغات
الحية .

◆ ومآذا عن المزايا الأخرى ؟ .

◇ يُخيل إلي أن الوقت قد ضاق ، فمآذا علينا لو أوجأنا الحديث إلى الجلسة
القادمة .

◆ كما نشاء .

◇ إِذَنْ إِلَى الْجُلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◇ نَعَمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيقَتِهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ « وَآوِيَّةٌ » وَالْكَاتِبُونَ يُخْطِئُونَ فِيهَا ؛ فَيَسْتَعْمِلُونَهَا « يَائِيَّةٌ » .

◇ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ وَعَيْتَهُ وَأَفَدْتَ مِنْهُ .

◆ كُنْ مُطْمَئِنًّا ؛ فَقَدْ وَعَيْتَهُ أَحْسَنَ وَغِي وَأَفَدْتَ مِنْهُ أَكْمَلَ فَائِدَةٍ .

◇ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ يَا بَنِي ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

◆ وَالْآنَ ، أَبْقِي فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءً لِأَضِيفَهُ إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ، أَمْ إِنَّكَ أَعَدَدْتَ لِي شَيْئًا جَدِيدًا ؟ .

◇ بَلْ بَقِيََتْ فِي هَذَا الْبَابِ أَشْيَاءُ وَأَشْيَاءُ .

◆ إِذَنْ تَفْضُلُ عَلَيَّ بِهَا ، وَلَكَ الشُّكْرُ وَالْأَجْرُ .

◇ إِنَّ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَفْعَالِ « وَآوِيَّةٌ » ، وَالْكَاتِبُونَ يُخْطِئُونَ فِيهِ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ « يَائِيَّةٌ » قَوْلُهُمْ : غَذَيْتُ فَلَانًا بِمَعْنَى أَطْعَمْتُهُ ، وَهُوَ خَطَأٌ وَالصُّوَابُ أَنْ يُقَالَ : غَذَوْتُ فَلَانًا ، فَأَنَا أَغْذُوهُ ، وَهُوَ مَغْذُورٌ .

◆ عَلَى رِسْلِكَ ، مِنْ فَضْلِكَ ، عَلَى رِسْلِكَ .

◇ حَاضِرٌ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُهُمْ : عَنَيْتُ لِفُلَانٍ بِمَعْنَى خَضَعْتُ لَهُ ، وَهُوَ

خَطَأً وَالصُّوَابُ أَنَّ يُقَالَ : عَنَوْتُ لِفُلَانٍ ، كَمَا يُقَالُ : عَنَوْتُ فِي بَنِي فُلَانٍ إِذَا أَصْبَحْتُ فِيهِمْ عَانِيًا .

◆ وَمَا الْعَانِي ؟ .

◇ الْعَانِي : هُوَ الْأَسِيرُ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِيعَةٍ « عَنِيتُ » أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ؟ .

◇ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ .

◆ وَمَا مَعْنَاهَا ؟ .

◇ تَقُولُ : عَنِيتُ فُلَانًا بِكَلَامِي أَعْنِيهِ بِهِ فَهُوَ مَعْنِي ؛ بِمَعْنَى قَصْدَتْهُ بِكَلَامِي أَقْصِدُهُ بِهِ فَهُوَ مَقْصُودٌ .

◆ عَلَى هَذَا تَكُونُ صِيعَةُ عَنَوْتُ « الْوَارِيَّةُ » بِمَعْنَى خَضَعْتُ ، وَصِيعَةُ عَنِيتُ * « الْبَائِيَّةُ » بِمَعْنَى قَصَدْتُ .

◇ نَعَمْ ، اللَّهُمَّ نَعَمْ .

◆ وَأَيْضًا ...

◇ حَسْبُكَ الْيَوْمَ يَا بُنَيَّ حَسْبُكَ ؛ فَمَا قُلْ وَقَرَّ (١) خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَقَرَّ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ ، أَتَيْنَ مِنِّي طَيْبُ جَنَاهَا ؟ .

◇ إِنَّهُ مِنْكَ دَانٍ قَرِيبٌ .

(١) قَرَّ: ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَغْرَاكَ بِرُؤُوسِهِ ؟

◇ إِنَّهُ فُؤَادُ الْخَطِيبِ .

◆ تَرَدَّدَ اسْمُ هَذَا الشَّاعِرِ عَلَى سَمْعِي كَثِيرًا وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ عَنْهُ إِلَّا الْقَلِيلَ .

◇ إِنَّ ذَلِكَ لَمُؤَسِفٌ يَا بُنَيَّ ، فَمِنْ حَقِّ فُؤَادِ الْخَطِيبِ أَنْ يَدُورَ اسْمُهُ عَلَى كُلِّ شَفَاةٍ ، وَأَنْ يَتَرَدَّدَ ذِكْرُهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ ، وَلَا سِيَّمًا فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ الشُّعُودِيَّةِ .

◆ وَلِمَ خَصَّصْتَ هَذَا الْبَلَدَ مِنْ دُونِ الْبُلْدَانِ ؟

◇ لِأَنَّ فُؤَادَ الْخَطِيبِ خَصَّهُ بِأَرْوَاحِ قَوَائِيهِ ، وَقَالَ فِيهِ وَفِي رِجَالَاتِهِ أَغْدَبَ أَغَانِيهِ .

◆ وَمَتَى وُلِدَ الشَّاعِرُ وَأَيْنَ نَشَأَ ؟

◇ وُلِدَ فُؤَادُ الْخَطِيبِ عَامَ أَلْفٍ وَتَمَانِمَائَةٍ وَتَمَانِينَ فِي قَرْيَةٍ « شُحَيْمٍ » مِنْ أَعْمَالِ جَبَلِ « لُبْنَانٍ » .

◆ إِذَنْ هُوَ لُبْنَانِي الْأَصْلُ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُ لُبْنَانِي الْأَصْلُ لَكِنَّهُ شُعُودِي الْجَنَسِيَّةِ .

◆ وَكَيْفَ ؟

◇ لَقَدْ نَشَأَ الشَّاعِرُ فِي « لُبْنَانٍ » وَبِهَا تَعَلَّمَ ، ثُمَّ طَوَّفَ (١) فِي بِلَادِ الْعَرَبِ مَا شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يُطَوَّفَ ، فَأَمَّ « فِلَسْطِينَ » وَعَلَّمَ فِي مَدَارِسِهَا ، وَالتَّجَأَ إِلَى « مِصْرَ »

(١) طَوَّفَ : تَجَرَّلَ .

وَأَقَامَ فِي جَمَاهَا ، وَرَحَلَ إِلَى « السُّودَانِ » وَدَرَسَ فِي كُتُبَاتِهَا ... وَكَانَ يُوسِلُ
قَصَائِدَهُ الْعُرَّ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ ؛ يَسْتَنْهِيضُ بِهَا الْيَهْمَ الْوَانِيَّةَ وَيُوقِظُ الْقُلُوبَ
الْعَافِيَّةَ ... مِمَّا لَقَتْ إِلَيْهِ الْمَعْقُورُ لَهُ جَلَالَةُ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَاسْتَدْعَاهُ إِلَى
« الرِّيَاضِ » وَجَعَلَهُ مُسْتَشَارًا لَهُ ، ثُمَّ عَيَّنَهُ وَزِيرًا مُفَوَّضًا لِلْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ
السُّعُودِيَّةِ فِي « أَفْغَانِسْتَانِ » ثُمَّ سَفِيرًا ، وَبَقِيَ هُنَاكَ حَتَّى وَاثَاهُ الْأَجَلُ الْمَحْتُومُ .

◆ وَمَتَى كَانَتْ وَفَاتُهُ ؟

◇ تُوفِّي فُوَادُ الْخَطِيبُ فِي الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ عَامِ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتَّةٍ
وَسَبْعِينَ .

◆ أَيُّ مُنْذُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، مُنْذُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا فَقَطْ ^(١) .

◆ وَهَلْ تَرَكَ دِيوَانًا مَطْبُوعًا ؟

◇ لَقَدْ تَرَكَ دِيوَانًا مَخْطُوطًا خَافِلًا بِأَرْوَاعِ الشُّعْرِ ، وَظَلَّ الدِّيَوَانُ قَائِمًا فِي ظُلُمَاتِ
خِزَانَتِي ؛ حَتَّى أَخْرَجَهُ لِلثَّوْرِ صَدِيقُهُ الْوَفِيُّ مَعَالِي الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ سُورِ الصَّبَّانِ ،
فَطَبَعَهُ عَلَى نَفَقَتِيهِ وَفَاءً مِنْهُ لِصَدِيقِيهِ الرَّاحِلِ .

◆ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا .

◇ آمِينَ .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي جَنَيْتَهَا مِنْ دِيْوَانِهِ ؟

◇ هِيَ قَصِيدَةُ قَالَهَا فِي وَصْفِ « الطَّائِفِ » عُرُوسِ الْمَمْلَكَةِ .

(١) أي منذ إذاعة هذه الحلقة .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا؟

◇ أَنَا فِي الطَّائِفِ أَسْتَوْجِي الشُّعُورَ

إِنَّ فِي الطَّائِفِ، بَغْثًا وَنُشُورَ
أَخِيَّتِ الْأَخْدَاقِ فِي نَرْجِسِهَا^(١)

وَأَعَادَتْ فِي الْأَقَاجِي^(٢) الشُّعُورَ
وَلَقَدْ حَدَّثَنِي رُمَائُهَا

أَنَّهُ كَانَ نُهْودًا فِي الصُّدُورِ
وَرَزَى لِي الْبَانُ^(٣) عَنْ أَعْطَافِهِ

أَنَّهُ كَانَ قُدُودًا وَخُصُورَ
فَلَوْ اجْتَاَزَتْ بِهَا الرُّوحُ لَمَّا

كُنْتُ إِلَّا بَيْنَ وَلَدَانِ وَحُورَ
نَشَرَتْ فِي أَرْضِهَا حَضَبَاؤُهَا

دُرًّا تَنْجُمُ مِنْهَا وَشُدُورَ
وَمَشَى الْجَدُولُ فِي أَرْجَائِهَا

كَوْثَرًا يَسْبَحُ فِيهَا وَيَمُورُ^(٤)
كُلَّمَا اسْتَضْحَكَ عَنْ لَوْلُؤَةٍ

هَتَفَتْ فِي فَنِّ الْأَيْكِ^(٥) الطُّيُورَ

(١) النرجس: نوع من الزهر.

(٢) الأقاجي: نوع من الزهر أيضًا.

(٣) البان: شجر صحراوي مشتهر بالاعتدال واللبونة.

(٤) يمور: يسيل.

(٥) فن الأيك: أغصان الشجر.

قُلْ لِمَنْ أَلْهَمَهَا تَسْبِيحَهَا
 مَكَّدًا الْجَنَّةُ وَالْعَبْدُ الشُّكُورُ
 سُبْحِي أَثْنُهَا الطَّيْرُ لَهُ
 وَأَمْلِي الدُّوْحَةُ شَدُّوا وَحُبُورُ
 جَمَعَ الْمُتَفِّ^(١) مِنْ أَغْصَانِهَا
 كُنُسُ^(٢) الْغِزْلَانِ فِيهَا وَالْخُدُورُ
 تَلْعَبُ الرِّيحُ وَقَدْ مَرَّتْ بِهَا
 مِثْلَمَا يَلْعَبُ بِالْقَلْبِ الشُّرُورُ
 فَسَلِ «الطَّائِفَ» عَنْ أَيَّامِنَا
 تَنْطِيقِ الدَّارِ وَأَبْرَاجِ الْقُصُورِ
 وَالْمُرُوجِ الْخَضِرِ فِي رَأْدِ الضُّحَى^(٣)
 لَيْسَتْ ثَوْبَيْنِ مِنْ نَوْرِ وَنُورِ
 أَشْرَقَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا وَرَثَتْ
 نَحْوَنَا الْأَنْجُمُ كَالْأَغْنِ صُورِ
 مَرْحَبًا بِالْفَجْرِ وَالصُّوْتِ الَّذِي
 قَرَعَ السَّمْعَ بِشِيرَا بِالْبُكُورِ
 وَلَقَدْ خَطَّتْ يَدُ اللَّهِ عَلَى
 صَفْحَةِ الْكَوْنِ مِنَ الْخَلْقِ سَطُورِ

(١) الملتف : المتشابك .

(٢) الكُنُس : منازل الغزلان .

(٣) رَأْدِ الضُّحَى : وقت الضحى .

فَدَعَ النُّومَ وَإِنْ لَجَّ الْكَرَى
فَعَدَا تَشَبَعُ نَوْمًا بِالقُبُورِ
تُطَبِّقُ الْأَجْفَانُ فِي ظِلْمَتِهَا
وَهِيَ لَا تَعْرِفُ لِلصُّبْحِ سُفُورًا^(١)

◆ مَا أَغْدَبَ هَذَا الشُّعْرَ وَمَا أَرْقَ شَمَائِلُهُ ١١ .

◇ إِنَّهُ صُورَةٌ مِنْ غُدُوبَةِ « الطَّائِفِ » وَرِقَّةَ شَمَائِلِهَا ؛ فَكَمَا يَكُونُ الْمُصَوِّرُ تَكُونُ الصُّورَةُ .

* * *

◆ أَتَيْتِ ، لَدَيَّ سُؤَالَ فَهَلْ تَأْذُنُ ؟ .

◇ وَهَلِ اجْتَمَعْنَا هُنَا إِلَّا لِتَسْأَلِ وَأُجِيبَ ؟ .

◆ تَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْكُتَّابِ عِبَارَةٌ « سَقَطَ فِي يَدِ فُلَانٍ » ؛ فَيَقُولُونَ مَثَلًا : نَزَلَتْ نَازِلَةٌ بِفُلَانٍ فَسَقَطَ فِي يَدِهِ .
فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ هَذَا ؟ .

◇ قَبْلَ أَنْ أَوْضَحَ لَكَ مَعْنَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَصْحَحَ لَكَ نُطْقَهَا .

◆ وَهَلِ فِي نُطْقِهَا خَطَأٌ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَالْفِعْلُ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ دَائِمًا ، وَلِذَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ : « نَزَلَتْ نَازِلَةٌ بِفُلَانٍ فَسَقَطَ فِي يَدِهِ » بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ .

◆ هَذَا بِالنُّسْبَةِ إِلَى صِحَّةِ نُطْقِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ ؛ فَمَا مَعْنَاهَا ؟ .

(١) سفور : ظهور .

◇ عِبَارَةُ سَقِطٍ فِي يَدِ فُلَانٍ مَثَلٌ يُضْرَبُ لِلنَّادِمِ عَلَى فِعْلِهِ ، وَمَعْنَاهُ نَدِمَ . ٢

◆ نَدِمَ ١٢ .

◇ نَعَم نَدِمَ .

◆ وَمَا عِلَاقَةُ السَّقُوطِ فِي الْيَدِ بِالنَّدَمِ ١٢ .

◇ عِلَاقَةُ هَذَا الْمَثَلِ بِالنَّدَمِ هِيَ أَنَّ مِنْ شَأْنِ الَّذِي يَشْتَدُّ نَدَمُهُ وَحَسْرَتُهُ أَنْ يَعْضُ يَدَهُ غَمًّا وَكَمَدًا ؛ فَتَصِيرُ يَدُهُ مَسْقُوطًا فِيهَا ، حَيْثُ سَقَطَ فِيهَا فَمُهُ .

● وَهَلْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، نَعَمْ فَقَدْ تَحَدَّثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَيْفَ اتَّخَذُوا مِنْ ذَهَبِهِمْ عِجَلًا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : ﴿ وَلَمَّا سَقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ۚ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ؛ قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(١) .

◆ أَجْزَلَ اللَّهُ مَثُوبَتَكَ جَزَاءَ مَا شَفَيْتَ وَوَفَّيْتَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَطُرْفَةُ الْيَوْمِ أَرْجُو أَلَّا يَضِيقَ عَنْهَا الْوَقْتُ .

◇ مَا رَأَيْتُكَ لَوْ جَعَلْتَهَا دَيْنًا فِي ذِمَّتِي ؛ وَلَكِ فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ بَدَلُ الطُّرْفَةِ طُرْفَتَانِ .

◆ أَبَتِ ، أَنَا أَوْ مِنْ بِالْحِكْمَةِ الَّتِي تَقُولُ : عُصْفُورٌ فِي الْيَدِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ عَلَى الشَّجَرَةِ .

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٩ .

◇ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ حِكْمَتُكَ ؛ فَإِلَيْكَ مَا طَلَبْتَ ...
أَمَرَ زِيَادٌ بِضَرْبِ عُنُقِ رَجُلٍ ؛ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ لِي بِكَ حُرْمَةً .
قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ .

قَالَ : إِنَّ أَبِي جَارَكَ بِالْبَصْرَةِ .

قَالَ : وَمَنْ أَبُوكَ ؟ .

قَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنِّي نَسِيتُ اسْمَ نَفْسِي ؛ فَكَيْفَ لَا أَنْسَى اسْمَ أَبِي .
فَرَدَّ زِيَادٌ كُمَّهُ عَلَى فَمِهِ وَضَحِكَ ، وَعَفَا عَنْهُ .

وَرُوي أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ بَنَى قَصْرًا .

وَقَالَ : انْظُرُوا مَنْ عَابَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَأَصْلِحُوهُ ، وَأَعْطُوهُ دِرْهَمَيْنِ .

فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ فِي هَذَا الْقَصْرِ عَيْبَيْنِ .

قَالَ : وَمَا هُمَا ؟ .

قَالَ : يَمُوتُ الْمَلِكُ . وَيَخْرُبُ الْقَصْرُ .

قَالَ : صَدَقْتَ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَتَرَكَ الدُّنْيَا .

* * *

الجلسة الثلاثون

إِدْرَاكَ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ الْمَجْهُولَةِ

◆ أَيْتِ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .

◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .

◆ أَيْتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ سُقِيتَ الْحَدِيثَ عَنْ خَاصَّةِ الْإِشْتِقَاقِ النَّبِيِّ امْتَنَزَلَتْ بِهَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى سَائِرِ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ ، حَيْثُ أُعْنِتْ مَا دَّتْهَا ، وَضَبَطَتْ نِظَامَهَا ، وَتَسَرَّتِ الْقِيَّاسَ فِي أَحْكَامِهَا ، وَجَعَلَتْ مِنْهَا لُغَةً وَلُودًا عَلَى مَرِّ الْمُصَوِّرِ .

◇ إِنَّهُ لَكَذَلِكَ - يَا بُنَيَّ - إِنَّهُ لَكَذَلِكَ .

◆ ثُمَّ إِنَّكَ - دَامَ عِزُّكَ - أَخَذْتَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ ؛ فَقُلْتَ : إِنَّهُ جَعَلَ الْأَلْفَاظَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَنْتَظِمُ فِي أُسْرِ وَمَجْمُوعَاتٍ ، يَتَنَمَّا غَلَبَتْ الْفُرْدِيَّةُ عَلَى اللُّغَاتِ الْأُخْرَى .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

◆ وَقَدْ يَسَّرَ ذَلِكَ لِلْعُلَمَائِنَا أَنْ يَضَعُوا مُعْجَمَاتِنَا عَلَى أُسَاسِ الْمَوَادِّ ، يَتَنَمَّا وَضَعَتْ مُعْجَمَاتُ الْآخَرِينَ عَلَى أُسَاسِ فُرْدِيٍّ لَا تَرَابُطَ فِيهِ .

◇ مَا شَاءَ اللَّهُ ، زَادَكَ اللَّهُ عِلْمًا وَفَهْمًا .

◆ ثُمَّ أَضَفْتُ إِلَى ذَلِكَ مَزِيدَيْنِ أُخَرَيْنِ ، أَوْلَاهُمَا : أَنَّ الْإِشْتِقَاقَ جَعَلَ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لُغَةً مُنْطَلِقِيَّةً قَاعِدِيَّةً ، وَثَانِيَتُهُمَا ... وَثَانِيَتُهُمَا ...

◇ وَثَانِيَتُهُمَا : أَنَّهُ جَعَلَ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَائِنًا حَيًّا نَامِيًا ؛ قَادِرًا عَلَى سَدِّ حَاجَاتِ الْأُمَّةِ الْمُتَجَدِّدَةِ فِي شَتَّى مَجَالَاتِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، ثُمَّ إِنَّكَ هَمَمْتَ بِإِتِمَامِ الْحَدِيثِ عَنْ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ ؛ فَعَاجَلَكَ الْوَقْتُ عَنِ اسْتِكْمَالِ مَا أَخَذْتَ فِيهِ .

◇ نَعَمْ ، يَا بُنَيَّ نَعَمْ .

◆ فَهَلَّا تَفَضَّلْتَ بِإِتِمَامِ مَا بَدَأْتَهُ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً - يَا بُنَيَّ - حُبًّا وَكَرَامَةً ... إِنَّ مِنْ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ الَّذِي اخْتَصَّتْ بِهِ هَذِهِ اللُّغَةُ الْكَرِيمَةُ يَا بُنَيَّ ، هُوَ أَنَّهُ يَدُلُّنَا عَلَى أَصُولِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي نَسْتَعْمِلُهَا ، وَيُمْكِّنُنَا مِنْ رَبْطِ الْكَلِمَةِ بِبَيِّنَاتِ أُسْرَتِهَا ؛ وَبِذَلِكَ يَتَّضِحُ لَنَا مَعْنَاهَا ، وَيَتَيَسَّرُ لَنَا فَهْمُهَا .

◆ أَبَتِ ، عَفْوُكَ ، فَأَنَا لَمْ أَسْتَوْعِبْ مَا قُلْتَهُ .

◇ أَرَدْتُ ، يَا بُنَيَّ ، أَنْ أَقُولَ : إِنَّ الْإِشْتِقَاقَ سَبِيلٌ مِنْ سُبُلِ فَهْمِ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ ، وَالتَّمَقُّقِ فِيهَا ، وَالِدُّخُولِ إِلَى عَالَمِهَا الْخَاصِّ ؛ فَكَثِيرًا مَا تَبْقَى الْكَلِمَةُ غَامِضَةً الدَّلَالَةَ حَتَّى تَرُدَّهَا إِلَى أَصْلِهَا الَّذِي اسْتَقَّتْ مِنْهُ .

◆ الْمِثَالُ الْمِثَالُ ؛ فَهوَ الَّذِي يُزِيلُ الْإِشْكَالَ .

◇ إِلَيْكَ الْمِثَالُ يَا بُنَيَّ ، لِحُذِّ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثَةِ : الرَّبَّاءُ ، الرَّبَوَّةُ ، التَّرْبِيَةُ ، الْمُرَبِّي ؛

تَجِدُ أَنَّهَا جَمِيعًا مُشْتَقَّةٌ مِنْ مَادَّةِ « رَبُّو » .

◆ نَعَمْ .

◇ وَأَنْتِ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ مَادَّةَ « رَبُّو » تَعْنِي الزِّيَادَةَ ؛ قَادَكَ هَذَا إِلَى إِدْرَاكِ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي اسْتَقْتُ مِنْهَا ، فَهِيَ جَمِيعًا تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الزِّيَادَةِ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ الرَّبَا - كَمَا تَعْلَمُ - هُوَ الزِّيَادَةُ الْمُحَرَّمَةُ فِي الْمَالِ ، وَرَبَا الْمَالُ يَزُبُّ : زَادَ يَزِيدُ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَتْ كَلِمَتُهُ : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ ﴾ (١) أَيُّ يَزِيدُهَا وَيُزِيلُهَا .

◆ وَالرَّبْوَةُ ١؟ .

◇ وَالرَّبْوَةُ - يَا بُنَيَّ - هِيَ الْمَكَانُ الرَّائِدُ فِي الْإِرْتِفَاعِ عَمَّا حَوْلَهُ .

◆ وَمَا عِلَاقَةُ التَّرْبِيَةِ بِهَذِهِ الْمَادَّةِ ؟ .

◇ وَالتَّرْبِيَةُ تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الزِّيَادَةِ أَيْضًا ، يُقَالُ : رَبَا الْوَلَدُ يَزُبُّ أَيُّ نَشَأَ يَنْشَأُ ، وَرَبَّى فُلَانٌ الدَّابَّةَ أَيُّ غَذَّاها وَجَعَلَهَا تَنْمُو وَتَرْبُو .

◆ وَالتَّرْبِيَةُ بِمَعْنَاهَا الْإِصْطِلَاحِيُّ الشَّائِعُ الْيَوْمَ ، مَا عِلَاقَتُهَا بِهَذِهِ الْمَادَّةِ ؟ .

◇ إِنَّهَا وَثِيقَةُ الصَّلَةِ بِهَا يَا بُنَيَّ ، فَالتَّرْبِيَةُ بِمَعْنَاهَا الْإِصْطِلَاحِيُّ التَّعْلِيمِيُّ تَعْنِي الْعَمَلَ عَلَى نُمُو النَّاشِئِ وَزِيَادَتِهِ فِي النَّوَاجِي الْجَسْمِيَّةِ ، وَالرُّوحِيَّةِ ، وَالْعَقْلِيَّةِ . فَالتَّرْبِيَةُ الدِّيْنِيَّةُ مَثَلًا تُعْنَى بِتَعَهْدِ النَّاشِئِ لِيَزْدَادَ وَيَنْمُو فِي مَجَالَاتِ الدِّينِ مَعْرِفَةً وَسُلُوكًا ، وَالتَّرْبِيَةُ الْبَدَنِيَّةُ تُعْنَى بِجِسْمِ النَّاشِئِ لِيَزْدَادَ وَيَنْمُو نُمُوًّا حَسَنًا .

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٦ .

◆ وَالْمُرْتَبِيُّ ١٩ .

◇ وَكَذَلِكَ الْمُرْتَبِيُّ ، فَهُوَ الرَّجُلُ الْمُخْتَصُّ الَّذِي يَعْمَلُ عَلَى تَنْمِيَةِ النَّشْءِ ،
وَالزِّيَادَةِ فِي قَوَاهِمِ الدِّينِيَّةِ ، وَالْعَقْلِيَّةِ ، وَالْجَسَدِيَّةِ .

◆ مَا أَرْوَعَ هَذِهِ اللَّغَةَ وَمَا أَعَمَّقَ أَسْرَارَهَا !! .

◇ وَمِثْلُ مَادَّةِ « رَبَّوْ » مَادَّةُ « شَرَفَ » فَأَنْتَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ مَعْنَاهَا : عَلَا وَارْتَفَعَ ؛
غَدَوْتَ قَادِرًا عَلَى إِدْرَاكِ أَسْرَارِ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ التَّالِيَةِ : « أَشْرَفَ ، وَشَرَفَ ،
وَالشَّرَفُ » فَالشَّرَفُ : هُوَ الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَشْرَفَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ رَاقِبُهُ
وَأَطْلُ عَلَيْهِ مِنْ عُلَى ، وَشَرَفَ فُلَانٌ : عَلَا قَدْرُهُ وَحَسَبُهُ ، وَالشَّرَفُ الْعُلُوُّ فِي
الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ وَالْقَدْرِ وَهَكَذَا ...

◆ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ فَتَحْتَ عَيْنَيَّ عَلَى سِرِّ كَبِيرٍ مِنْ أَسْرَارِ هَذِهِ اللَّغَةِ
الْعَظِيمَةِ .

◇ عَلَى هَذَا فَأَنْتَ قَدْ أَدْرَكْتَ مَعْنَى قَوْلِنَا : إِنَّ الْإِشْتِقَاقَ يَضَعُ أَيْدِيَنَا عَلَى أَصُولِ
الْأَلْفَافِ الَّتِي نَسْتَعْمِلُهَا ، وَنُيَسِّرُ فَهْمَهُ وَفَقْهَهُ .

◆ لَقَدْ أَدْرَكْتُهُ أَحْسَنَ الْإِدْرَاكِ ، وَوَعَيْتُهُ أَعَمَّقَ الْوَعْيِ .

◇ وَهَذِهِ الْمَرْيَّةُ مِنْ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ تَقُودُنَا إِلَى مَرْيَّةٍ أُخْرَى ؛ جَدِيرَةٌ بِأَنْ يَعْبَهَا
الْمُتَعَلِّمُونَ ، وَأَنْ يَنْتَفِعُوا بِهَا .

◆ وَمَا هِيَ - طَالَ بَقَاؤُكَ - ؟ .

◇ إِنَّ لِلْإِشْتِقَاقِ قِيَمَةً تَعْلِيمِيَّةً تَرْبَوِيَّةً عَظِيمَةً ؛ فَالْمُتَعَلِّمُ الَّذِي يَعْرِفُ مَعْنَى بِضْعِ

كَلِمَاتٍ مِنَ الْأُسْرَةِ يَسْتَطِيعُ بِوَسَاطَتِهَا أَنْ يَكْشِفَ عَنْ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ
الْأُخْرَى الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا .

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◇ هَبْ أَتْلُكَ كُنْتَ تَقْرَأُ ، ثُمَّ مَرَّتْ بِكَ كَلِمَةٌ « غَالِيَّةٌ » فِي وَصْفِ فِرْقَةٍ مِنَ
الْفِرَقِ ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ مَعْنَاهَا ، فَبِئْسَ وَشِعْكَ أَنْ تَسْتَخْصِرَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي
تَشْتَرِكُ مَعَهَا فِي الْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ مِنْ أَمْثَالِ « غَلَاءٍ » الْأَشْعَارِ ، وَغَلَاءِ
الْأَجُورِ ، وَغَلَاءِ الْمُهُورِ ، أَيْ زِيَادَتِهَا زِيَادَةً فَاحِشَةً وَ« الْغُلُوُّ » فِي الْأُمُورِ بِمَعْنَى
التَّزْيِيدِ فِيهَا وَالْمُبَالِغَةِ ، وَأَنْ تُذْرِكَ بِالتَّالِي أَنْ الْمُرَادَ بِالْفِرْقَةِ الْغَالِيَّةِ الْفِرْقَةُ *
الْمُتَشَدِّدَةُ الْمُوْغَلَةُ فِي التَّعَصُّبِ لِمَا تَعْتَقِدُ الْمُبَالِغَةُ فِي ذَلِكَ .

◆ هَذَا يَعْنِي أَنَّنَا نَسْتَطِيعُ بِوَسَاطَةِ الْإِشْتِقَاقِ ، وَمُلَاحَظَةِ الرَّابِطَةِ بَيْنَ مَعَانِي أَفْرَادِ
الْأُسْرَةِ الْوَاحِدَةِ ؛ أَنْ نُذْرِكَ مَعَانِي الْأَلْفَافِ الْمَجْهُولَةِ بِدَلَالَةِ الْأَلْفَافِ الْمَعْلُومَةِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، وَبِذَلِكَ نُوقِرُ عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَلَى أَبْنَائِنَا كَثِيرًا مِنَ الْجُحُودِ ...
إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُرِّيِّنَ - يَا بُنَيَّ - يُلْفِتُونَ طُلَابَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْخَاصَّةِ مِنْ خَصَائِصِ
الْإِشْتِقَاقِ ، وَيُوجِّهُونَهُمْ إِلَى مُحَاوَلَةِ مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ الْمَجْهُولَةِ بِدَلَالَةِ
الْكَلِمَاتِ الْمَعْلُومَةِ ؛ الَّتِي تَشْتَرِكُ مَعَهَا فِي الْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ .

◆ إِنَّ هَذِهِ الْخَاصَّةَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِشْتِقَاقِ لَا تَقِلُّ عَنْ سَابِقَتِهَا أَمَمِيَّةً وَخُطُورَةً .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، ذَلِكَ لِأَنَّهَا خَاصَّةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ عَمَلِيَّةٌ .

◆ أَبْتُ ، أَهَذِهِ هِيَ جَمِيعُ مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ ، أَمْ إِنَّ لَهُ مَزَايَا أُخْرَى ؟ ! .

◇ بَلْ لَهُ مَزَايَا أُخْرَى تَرْقَى بِهِذِهِ اللُّغَةُ الْكَرِيمَةُ إِلَى مَرْتَبَةٍ لَمْ تَبْلُغْهَا أَيُّ لُغَةٍ مِنَ
اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ .

◆ وَمَاذَا عَنِ الْمَزَايَا الْأُخْرَى ؟ .

◇ يَتَدَوُّ لِي أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ ضَاقَ ، فَمَاذَا عَلَيْنَا لَوْ أَرْجَأْنَا الْحَدِيثَ إِلَى الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ ؟ .

◆ كَمَا تَشَاءُ .

◇ إِذَنْ إِلَى الْجُلُوسَةِ الْقَادِمَةِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِئَتِهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ « وَآوِيَّةٌ » وَالْكَاتِبُونَ يُخْطِئُونَ فِيهَا ، فَيَسْتَعْمِلُونَهَا « يَائِيَّةٌ » .

◇ نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ انْتَفَعْتَ بِهِ فِي تَقْوِيمِ لِسَانِكَ وَتَهْدِيدِ بَيَانِكَ .

◆ كُلُّ الْفَائِدَةِ .

◇ الْحَمْدُ لِلَّهِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ .

◆ وَالْآنَ ، أَتَبْقَى فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ يُمَكِّنُ أَنْ أُضِيفَهُ إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مَذْكُرَاتِي ، أَمْ إِنَّكَ أَعَدَدْتَ لِي شَيْئًا جَدِيدًا ؟ .

◇ بَلْ مَا يَزَالُ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقِفَ عَلَيْهِ .

◆ إِذَنْ تَفْضُلُ بِهِ مَشْكُورًا غَيْرَ مَأْمُورٍ .

◇ **إِنْ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَفْعَالِ «وَاوِيًا» وَالكَاتِبُونَ يُخْطِئُونَ فِيهِ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ «يَائِيًا» قَوْلُهُمْ : دَنَيْْتُ مِنْ فُلَانٍ بِمَعْنَى اقْتَرَبْتُ مِنْهُ وَهُوَ خَطَأٌ، وَالصُّوَابُ أَنْ يُقَالَ : دَنَوْتُ مِنْ فُلَانٍ أَذْنُو مِنْهُ دُنُوءًا .**

◆ **وَلَكِنْ ...**

◇ **وَلَكِنْ مَاذَا ١٢ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ إِنْ صِيغَةُ «دَنَيْْتُ» الْيَائِيَّةُ شَائِعَةٌ كَثِيرَةٌ الدَّوْرَانِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ .**

◆ **نَعَمْ ، نَعَمْ ذَلِكَ مَا أَرَدْتُ قَوْلَهُ .**

◇ **أَمَّا أَنْ لَنَا أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ شُيُوعَ الْخَطَا لَا يَجْعَلُ مِنْهُ صَوَابًا ١٢ .**

◆ **لَكَ الْحَقُّ ؛ فَشُيُوعُ الْخَطَا لَا يَقُومُ حُجَّةً عَلَى تَصْوِيهِ .**

◇ **وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُهُمْ : جَلَيْتُ الْإِنَاءَ ، وَجَلَيْتُ النُّحَاسَ وَهُوَ خَطَأٌ، وَالصُّوَابُ أَنْ يُقَالَ : جَلَوْتُ الْإِنَاءَ ، وَجَلَوْتُ النُّحَاسَ .**

◆ **وَمَاذَا عَنِ «الْجَلَاءِ» بِمَعْنَى الرَّجِيلِ عَنِ الْمَكَانِ أَوْاِيٍّ هُوَ أَمْ يَائِيٍّ ؟ .**

◇ **بَلْ هُوَ «وَاوِيٍّ» أَيْضًا يَا بُنَيَّ ؛ تَقُولُ : جَلَوْتُ عَنِ الْبَلَدِ فَأَنَا أَجْلُو عَنْهُ جَلَاءٌ، وَلَا يُقَالَ : جَلَيْتُ عَنِ الْبَلَدِ .**

◆ **مَا أَكْثَرَ مَا نَقَعُ فِيهِ مِنَ اللَّعْنِ ١٢ .**

◇ **لَوْ أَخَذْنَا أَنْفُسَنَا بِشَيْءٍ مِنَ الْيَقَظَةِ وَالْحَزْمِ ، وَسَوَّالِ أَهْلِ الذِّكْرِ ؛ لَأَسْتَقَامَ لِسَانُنَا وَصَحَّ بَيَانُنَا ، وَلَحَافَظْنَا عَلَى نَصَاحَةِ لُغَةِ الْقُرْآنِ وَصَفَائِهَا ...**

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا يَا بُنَيَّ قَوْلُهُمْ : عَفَيْتُ عَنْ فُلَانٍ وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصُّوَابُ أَنْ يُقَالَ : عَفَوْتُ عَنْ فُلَانٍ ، فَأَنَا أَعْفُو عَنْهُ عَفْوًا .

◆ رِذْنِي مِنْ هَذِهِ الْقَوَائِدِ يَا أَبَتِ رِذْنِي ، زَادَكَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ .

◇ يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ ضَاقَ فَإِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

◆ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◇ نَعَمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ ، مَاذَا عَنْ رَوْضَةِ الشُّعْرِ ؟ .

◇ إِنَّهَا مُفْتَحَةُ الْأَبْوَابِ أَمَامَكَ ؛ فَطُفْ بِرُبَاهَا وَاقْطِفْ مِنْ جَنَاهَا .

◆ وَمَنِ الشَّاعِرُ الَّذِي أَغْرَاكَ بِرَوْضِهِ ؟ .

◇ إِنَّهُ : عُمَرُ بَهَاءِ الْأَمِيرِيِّ .

◆ شَاعِرٌ مُعَاصِرٌ أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ إِنَّهُ شَاعِرٌ مُعَاصِرٌ ، وُلِدَ فِي أَوَاخِرِ الرَّبْعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْقَرْنِ فِي

مَدِينَةِ « حَلَب » ، وَبِهَا تَلَقَّى دِرَاسَتَهُ الْإِثْنَدَائِيَّةَ وَالثَّانَوِيَّةَ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى

« بَارِيس » لِدِرَاسَةِ الْحُقُوقِ .

◆ عَلَى هَذَا ، فَهُوَ مُتَقَفٌّ بِالثَّقَافَتَيْنِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ .

◇ وَهُوَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ أَحَدُ كِبَارِ الْعَامِلِينَ فِي الْحَقْلِ الْإِسْلَامِيِّ ؛ فَلَقَدْ أَمَضَى

زَهْرَةَ شَبَابِهِ مُتَافِحًا عَنِ الْإِسْلَامِ ، دَاعِيًا إِلَيْهِ .

◆ بُورِكَتْ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ مِنْ دَعْوَةٍ ، وَبُورِكَ الدَّاعُونَ إِلَيْهَا مِنْ دُعَاةٍ .

◇ وَلَقَدْ تَبَيَّنُوا^(١) عَدَدًا مِنَ الْمَنَاصِبِ الْكَبِيرَةِ ؛ كَانَ فِي آخِرِهَا سَفِيرًا لِسُورِيَّةَ لَدَى الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ .

◆ أَلِشَّاعِرِ دِيَوَانَ ؟ .

◇ بَلْ لَهُ دِيَوَانَانِ أَحَدُهُمَا : « مَعَ اللَّهِ » وَيَشْتَمِلُ عَلَى شِعْرِهِ الْإِلَهِيِّ ، وَثَانِيَهُمَا : « أَلَرَّانُ طَيْف » .

◆ اسْمَانِ طَرِيفَانِ .

◇ لِدِيَوَانَيْنِ طَرِيفَيْنِ .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي اخْتَرَتْهَا مِنْ شِعْرِهِ ؟ .

◇ قَصِيدَةُ قَالَ الشَّاعِرُ عَنْهَا : إِنَّهَا تَصْوِيرٌ لِإِطْلَالَةِ الْفَجْرِ وَإِشْرَاقَةِ النَّهَارِ ... ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى آفَاقٍ مِنَ النَّجْوَى وَالشُّكْوَى ، وَالْأَلَمِ وَالْأَمَلِ ...

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ ؟ .

◇ يَقُولُ :

بَادِرِ الْفَجْرِ وَاسْتَمِلْ بِإِزَارَةٍ وَتَمَتَّعْ بِالْحُسْنِ فِي أَغْوَارَةٍ
وَدَعْ الْهَيْكَلَ الشَّرَائِبِيَّ حِينَا وَاسِرْ بِالرُّوحِ فِي مَدَى مِضْمَارَةٍ
سَتَرِي غُرَّةَ لَيْلٍ جَدِيدٍ كَانَ فِي الْغَيْبِ وَانْتَبَرِي مِنْ سِتَارَةٍ
وَالضِّيَاءُ الْحَيْرَانُ يُضْفِي عَلَيْهِ حُلَّةً مِنْ لُجَيْنِهِ وَنُضَارَةٍ^(٢)
أَزْهَقِ الْجِسَّ وَاسْتَمِعْ لِنَجَاوِي الْفَجْرِ مَا بَيْنَ دِيكِهِ وَهَزَارَةٍ^(٣)

(١) تَبَيَّنَ : احْتَلَّ .

(٢) اللُّجَيْنُ : الْفَضَّةُ ، وَالنُّضَارُ : الذَّهَبُ .

(٣) الْهَزَارُ : طَائِرٌ مُفْرَدٌ .

وَتَأْمَلُ قَيْضَ الْجَمَالِ عَلَى الْوَادِي نَضِيرًا يَشِعُّ فِي أَشْجَارِهِ
وَالرَّوَابِي تَوَكَّأَتْ عَنْ يَمِينِ وَشِمَالِ وَاسْتَرْسَلَتْ فِي جَوَارِهِ
وَعَلَيْهَا مِنَ الصَّنُوبَرِ تَاجٌ رَكَعَ الزَّهْرُ خَاشِعًا مِنْ وَقَارِهِ
يَا لَطِيبِ النَّسِيمِ هَفُّ عَيْلًا يَسْتَيْيرُ الْخَفِيفُ مِنْ أَشْجَارِهِ
ثُمَّ يَسْرِي فِي رِقَّةٍ وَدَلَالِ مُشْبَعًا بِالْأَرِيحِ مِنْ أَزْهَارِهِ
وَكَأَنِّي بِالشَّمْسِ غَارَتْ مِنَ الْوَادِي وَقَدْ لَاحَ زَاهِيًا فِي خِمَارِهِ
ثُمَّ أَلْقَى عَبَاءَةَ اللَّيْلِ عَنْهُ فَتَبَدَّى الْجَمَالُ بَعْدَ اسْتِتَارِهِ
إِيهِ « قِرْنَائِلٌ » ^(١) عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ غَرِيبٍ مُرْزَلٍ ^(٢) فِي دِيَارِهِ
كُلَّمَا لَاحَ فِي سَمَائِكَ بَدْرٌ أَجَّ فِيهِ الْهَوَىٰ إِلَى أَقْمَارِهِ
وَتَغَنَّى فِي لَوْعَةٍ وَخَسِينِ يُلْحُونُ الْمَاضِينَ مِنْ سُمَارِهِ ^(٣)
لَيْتَ هَذَا الزَّمَانَ سَارَ سَوِيًّا وَتَحَلَّى عَنْ جَوْرِهِ وَقِمَارِهِ
وَحَبَا زَاعِي الْمُرُوءَاتِ فِي الْجُلَى حُسَامًا يَصُورُ فِي بَقَارِهِ
وَأَتَاخَ الْمَجَالَ لِلطَّامِحِ الْمِقْدَامِ يَبْئِي أَمَجَادُهُ بِبِدَارِهِ
غَيْرَ أَنَّ الزَّمَانَ سَارَ بِنَهْجِ عَزَّ إِذْ رَاكُنَا لِعُورِ قَرَارِهِ
ضَفَرَ الْغَارِ ^(٤) لِلجَبَانِ وَأَقْصَى عَنْ جَبِينِ الشُّجَاعِ إِكْلِيلَ غَارِهِ

◆ مَا أَرْوَعَ هَذَا الشُّعْرَ ١٢ فِيهِ حَرَارَةٌ شَكْوَى الْمُتَنَبِّي .

(١) قرنايل : قرية جبلية في لبنان .

(٢) مُرْزَلٌ : مصاب بكثير من الأرزاء وهي المصائب .

(٣) سُماره : المسامرون والمؤتلفون في المجلس .

(٤) الغار : نبات عطري تضفر أغصانه كالتاج هدية للظافرين .

◇ وفيه بَرَاعةٌ وَصِفِ الْبَحْرِيَّ أَيْضًا .

* * *

◆ أَيْتٌ ، لَدَيْ سَوْالٍ فَهَلْ تَأْذُنُ ؟ .

◇ هَاتِيهِ وَلَا تَتَخَرَّجْ .

◆ كَثِيرًا مَا يُقَالُ : سَمِيئَةُ مُحَمَّدًا ، وَسَمِيئَةُ بِمُحَمَّدٍ .

◇ نَعَمْ .

◆ أَفَهُمَا اسْتِعْمَالَانِ جَائِزَانِ ، أَمْ إِنَّ أَحَدَهُمَا جَائِزٌ وَالْآخَرُ غَيْرُ جَائِزٍ ؟ .

◇ بَلْ هُمَا اسْتِعْمَالَانِ جَائِزَانِ ، فَهُنَاكَ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَفْعَالِ تَتَعَدَّى بِنَفْسِهَا وَبِحَرْفِ الْجَرِّ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ قَوْلِنَا : اِسْتَقْتُ فَلَانًا وَاسْتَقْتُ إِلَيْهِ ، وَقَصَدْتُ فَلَانًا وَقَصَدْتُ إِلَيْهِ ، وَبَلَغْتُ الْمَكَانَ وَبَلَغْتُ إِلَيْهِ ، وَظَهَرْتُ الشَّيْءَ وَظَهَرْتُ بِهِ ، وَجَاوَزْتُ الْقَوْمَ وَجَاوَزْتُ فِيهِمْ ، وَامْسَكْتُ الشَّيْءَ ، وَامْسَكْتُ بِهِ ، وَحَلَلْتُ الْمَكَانَ وَحَلَلْتُ بِهِ ، وَطَرَحْتُ الشَّيْءَ وَطَرَحْتُ بِهِ ، وَكُنَيْتُ فَلَانًا أَبَا سَعِيدٍ وَكُنَيْتُهُ بِأَبِي سَعِيدٍ ، وَ سَمَيْتُهُ فَلَانًا وَسَمَيْتُهُ بِفُلَانٍ ، وَ زَوَّجْتُهُ فَلَانَةً وَزَوَّجْتُهُ بِهَا وَمِنْهَا .

◆ أَهَذِهِ هِيَ جَمِيعُ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَتَعَدَّى بِنَفْسِهَا وَبِحَرْفِ الْجَرِّ ؟ .

◇ هَذِهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَشْهَرِهَا ، وَهُنَاكَ طَائِفَةٌ أُخْرَى أَيْضًا .

◆ وَكَيْفَ الْوُصُولُ إِلَيْهَا ؟ .

◇ لَيْسَ هُنَاكَ كِتَابٌ - فِيمَا أَعْلَمُ - يُخَصِّصُهَا ، وَلَكِنْ الْمَرْءُ الْبَاحِثُ يَسْتَطِيعُ اسْتِيفَاضَهَا بِالْمُطَالَعَةِ وَالتَّسْجِيلِ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلُّ خَيْرٍ .

◇ آمِينَ .

◆ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَطُرْفَةُ الْيَوْمِ أَرْجُو أَلَّا تَكُونَ قَدْ نَسِيَتْهَا .

◇ إِذَا نَسِيَتْهَا أَنَا فَلَنْ تَنْسَاهَا أَنْتَ ، وَعَلَى آيَةِ حَالٍ فَأَنَا لَمْ أَنْسَهَا .

◆ إِذَنْ عَجَّلْ بِهَا عَجَلَ اللَّهِ لَكَ الْخَيْرَ .

◇ هَذِهِ خُطْبَةٌ لِبَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ صَاحِبِ الْمَقَامَاتِ الْمَشْهُورَةِ ؛ صَنَعَهَا مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي لَا نَقْطَ فِيهَا ...

◆ مِنْ حُرُوفٍ لَا نَقْطَ فِيهَا !!! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ؛ فَتَأَمَّلْهَا جَيِّدًا لِتُذْرِكَ بَرَاةَ لُغَةِ الْقُرْآنِ ، وَبَلَاغَةَ بَدِيعِ الزَّمَانِ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَمْدُوحِ الْأَسْمَاءِ ، الْمَحْمُودِ الْآلَاءِ ، الْوَاسِعِ الْعَطَاءِ ، الْمَدْعُورِ
لِحَسَنِ اللَّأَوَاءِ^(١) .

مَالِكِ الْأَمَمِ ، وَمُصَوِّرِ الرَّحِمِ ، وَمُكْرِمِ أَهْلِ السَّمَاحِ وَالْكَرَمِ ، وَمُهْلِكِ عَادٍ
وَأِزْمَ .

أَذْرَكَ كُلَّ سِرٍّ عِلْمُهُ ، وَوَسَّعَ كُلَّ مُصِرٍّ جِلْمُهُ ، وَغَمَّ كُلَّ عَالَمٍ طَوْلُهُ ، وَهَدَّ

(١) اللَّأَوَاءُ : ضيق المعيشة ، أو شدة المرض .

كُلُّ مَارِدٍ حَوْلُهُ .

أَحْمَدُهُ حَمْدَ مُوَحِّدٍ مُسْلِمٍ ، وَأَذْعُوهُ دُعَاءَ مُؤْمِلٍ مُسَلِّمٍ .
وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الْعَادِلُ الصَّمَدُ ... مَا هَذَرِ حَمَامٍ ،
وَسَرَحِ سَوَامٍ^(١) ، وَسَطَا حُسَامٍ .
إِعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَمَلِ الصُّلَحَاءِ ، وَاتَّكِدُوا لِمَعَادِكُمْ كَذْحِ الْأَصِحَاءِ ،
وَارْزَعُوا أَهْوَاءَكُمْ رِزْعِ الْأَغْدَاءِ ، وَأَعِدُّوا لِلرَّخْلَةِ إِغْدَادَ الشُّعْدَاءِ .
وَادْرِغُوا حُلَلَ الْوَرَعِ^(٢) ، وَذَاوُوا عِلَلَ الطَّمَعِ ، وَسَوُّوا أَوْدَ^(٣) الْعَمَلِ .
وَصَوِّرُوا لِأَوْهَامِكُمْ حُؤُولَ^(٤) الْأَحْوَالِ ، وَحُلُولَ الْأَهْوَالِ ، وَالْمَحْوِ الدَّهْرِ
وَلُؤْمَ كَرِهِ وَسُوءَ مَحَالِهِ وَمَكْرِهِ .
كَمْ طَمَسَ مَغْلَمًا وَأَمَرَّ مَطْعَمًا ، عَمَّ حُكْمُهُ الْمُلُوكَ وَالرَّعَاعَ ، وَالْمَشُودَ
وَالْمُطَاعَ ، وَالْمَخْشُودَ وَالْحُسَادَ ، وَالْأَسَاوِدَ وَالْأَسَادَ ...
مَا مَوْلَ^(٥) إِلَّا مَالٌ ، وَعَكَسَ الْأَمَالَ ، وَمَا وَصَلَ إِلَّا وَصَالَ^(٦) وَهَضَرَ
الْأَوْصَالَ ، وَلَا سَرَّ إِلَّا وَسَاءَ وَلُؤْمَ وَأَسَاءَ^(٧) .
وَلَا أَصَحَّ إِلَّا وَلَذَ الدَّاءُ^(٨) ، وَرَوَّعَ الْأَوْدَاءَ .
اللَّهُ اللَّهُ ، رَعَاكُمُ اللَّهُ إِلَّا الْإِضْرَارَ وَحَمَلُ الْأَصَارِ^(٩) ... أَلَا رَجِمَ اللَّهُ امْرَأًا
مَلَكَ هَوَاهُ ، وَأَتَمَّ مَسَائِلِكَ هُدَاهُ .

* * *

(١) السوام : جمع سائمة وهي المواشي تسرح في الحرعى .

(٢) أي كأن الورع كالحلل والدروع التي يتحصنون بها .

(٣) الأود : هو الأعوجاج .

(٤) حُؤُولُ الْأَحْوَالِ : تغيرها وتبدلها .

(٥) ما مَوْلَ : ما أكسب المرء مالا .

(٦) إِلَّا وَصَالَ : عاد بالحرب على من كان يصله .

(٧) لُؤْمَ وَأَسَاءَ : اتصف باللؤم والإساءة .

(٨) وَلَذَ الدَّاءُ : حَوَّلَ الصحة إلى مرض وسقم .

(٩) الْأَصَارُ : الأحمال الثقيلة .

الْجُلُوسَةُ الْحَادِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ

مَعْرِفَةُ الْأَصِيلِ مِنَ الدَّخِيلِ

◆ أَيْتِ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .

◇ وَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاؤُهُ .

◆ أَيْتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ بَسَطْتُ الْقَوْلَ فِي خَاصَّةِ الْإِشْتِقَاقِ الَّتِي امْتَنَزَتْ بِهَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى سَائِرِ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ ، وَأَبْنَيْتُ كَيْفَ أَنَّ الْإِشْتِقَاقَ أَغْنَى مَادَّةَ لُغَةِ الْقُرْآنِ ، وَضَبَطَ نِظَامَهَا ، وَيَسَّرَ الْقِيَاسَ فِي أَحْكَامِهَا ، وَجَعَلَ مِنْهَا لُغَةً وَلَوْدًا عَلَى كَرِّ الْعُصُورِ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ .

◆ ثُمَّ إِنَّكَ - دَامَ عِزُّكَ - تَكَلَّمْتَ عَلَى مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ ؛ فَقُلْتَ : إِنَّهُ جَعَلَ الْفَظَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ تَنْتَظِمُ فِي أُسْرِ وَمَجْمُوعَاتٍ ، يَتِمُّمَا غَلَبَتِ الْفُرْدِيَّةُ عَلَى اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ الْأُخْرَى .

◇ بُورِكَ فَيْكَ مِنْ طَالِبِ عِلْمٍ ؛ يَفْهَمُ وَيُفْهَمُ .

◆ كَمَا قُلْتَ أَيْضًا : إِنَّ الْإِشْتِقَاقَ يَسَّرَ لِعُلَمَائِنَا أَنْ يَضَعُوا مُعْجَمَاتِنَا عَلَى أُسَاسٍ

الأسرِ والموادِّ ؛ تَيْتَمَا وَضِعَتْ مُعْجَمَاتُ الْآخَرِينَ عَلَى أَسَاسِ فَرْدِي لَا تَرَابُطَ فِيهِ .

◇ مَا شَاءَ اللَّهُ ، مَا شَاءَ اللَّهُ .

◆ ثُمَّ إِنَّكَ أَضَفْتَ إِلَى ذَلِكَ مَرَايَا ثَلَاثًا ، أُولَاهَا : أَنَّ الْإِشْتِقَاقَ جَعَلَ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لُغَةً مَنْطِقِيَّةً ذَاتَ قَوَاعِدَ ، وَثَانِيَّتُهَا : أَنَّهُ جَعَلَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ كَأَيْنَا حَيًّا نَامِيًا قَادِرًا عَلَى سَدِّ حَاجَاتِ الْأُمَّةِ الْمُتَجَدِّدَةِ فِي شَتَّى مَجَالَاتِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ وَالْآدَابِ . وَثَالِثَتُهَا ... وَثَالِثَتُهَا ... قُلْ مَعِيَ يَا طَوِيلَ الْعُمُرِ ...

◇ وَثَالِثَتُهَا : أَنَّ الْإِشْتِقَاقَ يَضَعُ أَيْدِيَنَا عَلَى أَصُولِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي نَسْتَعْمِلُهَا ، وَيُيسِّرُ لَنَا سُبُلَ فَهْمِ مَعَانِيهَا ، إِذْ كَثِيرًا مَا تَبْقَى الْكَلِمَةُ غَامِضَةً الدَّلَالَةَ حَتَّى نَرُدَّهَا إِلَى أَصْلِهَا الَّذِي اسْتَقْتُ مِنْهُ .

◆ لَقَدْ تَذَكَّرْتُ ، تَذَكَّرْتُ جَيِّدًا ، وَقَدْ ضَرَبْتُ مِثَالًا عَلَى ذَلِكَ بِكَلِمَاتِ الرَّبِّ ، وَالرَّبُّوَّةِ ، وَالرَّبِّيَّةِ ، وَالْمُرِّيِّ ، وَأَبْنَيْتُ كَيْفَ أَنَّهَا اسْتَقْتُ مِنْ مَادَّةِ « رَبَّو » ، وَكَيْفَ أَنَّهَا جَمِيعًا تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الزِّيَادَةِ .

◇ أَحْسَنْتَ ، أَحْسَنْتَ .

◆ ثُمَّ إِنَّكَ - طَالَ بَقَاؤُكَ - هَمَمْتَ بِاسْتِكْمَالِ مَا أَخَذْتَ فِيهِ ؛ فَعَاجَلَكَ الْوَقْتُ .

◇ نَعَمْ ، يَا بُنَيَّ نَعَمْ .

◆ فَهَلَّا تَقْضُوكَ بِإِتْمَامِ مَا بَدَأْتَ فِيهِ .

◇ لَكَ مَا طَلَبْتَ يَا بُنَيَّ ، لَكَ مَا طَلَبْتَ ... إِنَّ مِنْ مَرَايَا الْإِشْتِقَاقِ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ يُمَكِّنُنَا مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَصِيلِ وَالْدُخِيلِ ، وَيُيسِّرُ لَنَا سُبُلَ التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا .

◆ وما الدخيل ؟ طَالَ تَقَاوُك .

◇ الدخيل : هُوَ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي دَخَلَتْ إِلَى مَثْنِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى ، عَبْرَ الْقُرُونِ الطَّوِيلَةِ .

◆ وَهَلْ فِي اللُّغَةِ الْفُصْحَى الَّتِي نَسْتَعْمِلُهَا دَخِيلٌ وَرَدَ عَلَيْهَا مِنَ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى ١٢ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، إِنَّ فِي اللُّغَةِ الْفُصْحَى طَائِفَةً غَيْرَ قَلِيلَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الدَّخِيلَةِ الَّتِي نُقِلَتْ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا ، فَهَضَمَتْهَا اللُّغَةُ الْفُصْحَى وَتَمَثَّلَتْهَا ، وَجَعَلَتْهَا جُزْءًا مِنْهَا .

◆ وَهَلْ اسْتَعْمَلَ أَدْبَاؤُنَا هَذِهِ الْأَلْفَاظَ فِي أَدَبِهِمْ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، لَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا كُتَاتِبُنَا وَشُعْرَاؤُنَا وَفُصَحَاؤُنَا مُنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ إِلَى الْيَوْمِ ، وَنَحْنُ نَقْرُؤُهَا وَكَثِيرٌ مِنَّا لَا يَعْلَمُ أَنَّهَا دَخِيلَةٌ ؛ لِأَنَّ أَرْبَابَ هَذِهِ اللُّغَةِ لَمْ يُدْخِلُوا هَذِهِ الْأَلْفَاظَ إِلَى لُغَةِ الْعَرَبِ ؛ إِلَّا بَعْدَ أَنْ عَدَّلُوا فِيهَا وَبَدَّلُوا مِنْ صَيَغِهَا ... حَتَّى غَدَتْ مُمَازِلَةً لِلصَّيَغِ الْعَرَبِيَّةِ جَارِيَةً عَلَى سَنَنِهَا .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ : الْكُورِ ، وَالْفُنْدُقِ ، وَالْمَنْجَنِيْقِ ، وَالْإِيْوَانِ ، وَالْجِصِّ ، وَالْجُمَانِ ، وَالْكِيمْيَاءِ ، وَالْأُسْتَاذِ .

◆ الْأُسْتَاذُ ١١ حَتَّى كَلِمَةُ الْأُسْتَاذِ دَخِيلَةٌ وَلَيْسَتْ بِعَرَبِيَّةٍ أَصِيلَةٍ ١٢!! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، حَتَّى كَلِمَةُ الْأُسْتَاذِ دَخِيلَةٌ مُعَرَّبَةٌ .

◆ مِنْ أَيِّ لُغَةٍ ؟ .

◇ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ ؛ فَالْفَرَسُ يَقُولُ لِلْمَاهِرِ بِصُنْعَتِهِ أَسْتَادًا ، وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ تَحْتَ
يَدَيِ هَذَا الصَّانِعِ الْمَاهِرِ صَبِيَّةٌ يُعَلِّمُهُمُ الصُّنْعَةَ .

◆ وَكَيْفَ قَرَّرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ لَفْظَةَ أَسْتَادٍ مَثَلًا دَخِيلَةٌ ، وَلَيْسَتْ بِعَرَبِيَّةٍ أَصِيلَةٍ ؟ .

◇ لَأَحْظَ الْعُلَمَاءُ يَا بُنَيَّ أَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ لَمْ تُوجَدْ فِي نَصِّ جَاهِلِيٍّ مِنْ شِعْرِ
أَوْ نَثَرٍ ، ثُمَّ إِنَّهَا لَمْ تَرُدَّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، ثُمَّ إِنَّهَا لَوْ كَانَتْ عَرَبِيَّةً لَكَانَتْ
مُشْتَقَّةً مِنْ مَادَّةٍ « سَتَدَ » وَهَذِهِ الْمَادَّةُ لَا وَجُودَ لَهَا فِي الْمُعْجَمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ . *

◆ الْآنَ بَدَأْتُ أَذْرِكُ أَثَرَ الْإِشْتِقَاقِ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَصِيلِ وَالْدَّخِيلِ مِنَ الْأَلْفَافِ .

◇ هَذَاكَ اللَّهُ يَكُلُّ خَيْرٍ .

◆ وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ لَنَا - نَحْنُ - مَعْرِفَةُ الْأَصِيلِ مِنَ الدَّخِيلِ ؟ .

◇ لَقَدْ تَكَفَّلَ عُلَمَاؤُنَا الْأَقْدَمُونَ بِذَلِكَ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ لَقَدْ صَنَعُوا لَنَا مُعْجَمَاتٍ خَاصَّةً بِالدَّخِيلِ الْمَوْجُودِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ .

◆ مُعْجَمَاتٍ خَاصَّةٌ ... خَاصَّةٌ بِالدَّخِيلِ !!! .

◇ نَعَمْ يَا وَلَدِي نَعَمْ .

◆ وَمَا هَذِهِ الْمُعْجَمَاتُ ؟ .

◇ مِنْ هَذِهِ الْمُعْجَمَاتِ يَا بُنَيَّ كِتَابُ « الْمُعَرَّبُ مِنَ الْكَلَامِ الْأَعْجَمِيِّ »
لِلْجَوَالِيْقِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ لِلْهَجْرَةِ ، وَكِتَابُ « شِفَاءُ الْغَلِيلِ »
فِيمَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الدَّخِيلِ « لِلشُّهَابِ الْخَفَاجِيِّ » ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ

عَشْرَاتِ الْكُتُبِ الَّتِي تَنَاوَلْتَ هَذَا الْمَوْضُوعَ تَنَاوُلًا جُزْئِيًّا .

◆ هَذَا الْكَلَامُ جَدِيدٌ عَلَيَّ يَا أَبَتِ كُلِّ الْجِدَّةِ .

◇ قَدَرْتُ ذَلِكَ وَتَوَقَّعْتُهُ .

◆ وَهُوَ يُشِيرُ فِي نَفْسِي أَكْثَرَ مِنْ مُشْكِلَةٍ .

◇ سَأَسْأَلُ هَذِهِ الْمُسْكِلاتِ مِنْ نَفْسِكَ ؛ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

◆ وَلَكِنْ ، أَلَمْ يَضَعْ عُلَمَاؤُنَا ضَوَائِطَ ؛ تُبَيِّنُ لِمُثَالِنَا تَمْيِيزَ الدَّخِيلِ مِنَ الْأَصِيلِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ؟ .

◇ بَلْ وَضَعُوا طَائِفَةً حَسَنَةً مِنَ الضَّوَائِطِ .

◆ فَمَاذَا قَالُوا ؟ .

◇ قَالُوا : إِنَّ الصَّادَ وَالْجِيمَ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ .

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ : الصُّوْلُجَانِ ، وَالْجِصِّ ، وَالصَّنَجَةِ ، وَنَحْوِهَا .

◆ نَعَمْ .

◇ وَقَالُوا أَيْضًا : إِنَّ الْجِيمَ وَالْقَافَ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ ، فَمَتَى جَاءَتْ فِي كَلِمَةٍ ؛ فَأَعْلَمْنَا أَنَّهَا دَخِيلَةٌ مُعَرَّبَةٌ .

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ كَلِمَةٍ : الْجَوْقِ ، وَالْجَوْقَةِ .

◆ وَأَيْضًا .

◇ وَقَالُوا أَنُضَّا : إِنَّهُ لَا يُوجَدُ لَدَى الْعَرَبِ اسْمٌ فِيهِ ثُوٌّ بَعْدَهَا رَاءٌ ، فَإِذَا وَقَعَتْ عَلَى اسْمٍ مِنْ هَذَا النَّوْعِ ، فَأَعْلَمَ أَنَّهُ مُعَرَّبٌ دَخِيلٌ وَلَيْسَ بِعَرَبِيٍّ أَصِيلٍ .

◆ اسْمٌ فِيهِ ثُوٌّ بَعْدَهَا رَاءٌ ۱۱ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ : تَرْجِسُ ، وَتُورِجُ ، وَنَحْوِهِمَا .

◆ طَلِيبٌ .

◇ وَقَالُوا أَنُضَّا : لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لَفْظٌ فِيهِ دَالٌ بَعْدَهَا زَائِيٌّ .

◆ لَفْظٌ فِيهِ دَالٌ بَعْدَهَا زَائِيٌّ ۱۱ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ لَفْظَةِ « مُهَنْدِرٌ » .

◆ أُيْرِدُونَ بِالمُهَنْدِرِ المُهَنْدِسَ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ؛ فَقَدْ أَبْدَلُوا الزَّايَّ سَيْنًا ... هَذِهِ هِيَ أَهْرُ الضُّوَابِطِ الَّتِي وَضَعَهَا عُلَمَاءُ الْعَرَبِ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الدَّخِيلِ وَالْأَصِيلِ ، وَلِكِنَّهُمْ اعْتَمَدُوا مَعَ ذَلِكَ عَلَى الْإِسْتِيقَاقِ أَيْضًا ؛ فَالْكَلِمَاتُ الَّتِي لَا مَادَّةَ لَهَا فِي الْمُعْجَمَاتِ تَكُونُ دَائِمًا مَحَلًّا نَظَرٍ ؛ إِذْ كَثِيرًا مَا تَكُونُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ دَخِيلَةً .

◆ يَبْدُو لِي أَنَّ أَمْرَ الدَّخِيلِ فِي الْعَرَبِيَّةِ يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْإِيضَاحِ .

◇ حَقًّا إِنَّهُ لَكَذَلِكَ ، وَسَأَرِيدُهُ إِيضَاحًا فِي الْجُلُوسَةِ الْقَادِمَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

* * *

◆ أَهَبْ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زُوِّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ

العَرَبِ « وَآوِيَّةٌ » وَالْكَاتِبُونَ يُخْطِطُونَ فِيهَا ؛ فَيَسْتَعْمِلُونَهَا « يَائِيَّةٌ » .

◆ نعم لقد كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ مِنْ نَفْسِكَ مَوْفَعًا حَسَنًا .

◆ مَوْفَعًا حَسَنًا فَحَسَبُ !! .

◆ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ .

◆ وَالْآنَ ، أَبْقِي فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ يُمَكِّنُ أَنْ أُضِيفَهُ إِلَى بَابٍ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكَّرَاتِي ، أَمْ إِنَّكَ أَغْدَذْتَ لِي شَيْئًا جَدِيدًا ؟ .

◆ بَلْ أَغْدَذْتُ لَكَ شَيْئًا جَدِيدًا يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا هُوَ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◆ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَفْعَالِ جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ مَهْمُوزَةً عَلَى وَزْنٍ « أَفَعَلْتُ » وَالْكَاتِبُونَ يُخْطِطُونَ فِيهَا ؛ فَيَسْتَعْمِلُونَهَا عَلَى وَزْنٍ « فَعَلْتُ » مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◆ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِمْ : فَعَلْتُ الْبَابَ فَهُوَ مَقْفُولٌ ، وَذَلِكَ خَطَأً ...

◆ خَطَأً !!! .

◆ نَعَمْ خَطَأً يَا بُنَيَّ ، وَالصُّوَابُ أَنْ يُقَالَ : أَقْفَلْتُ الْبَابَ فَهُوَ مُقْفَلٌ . ✕

◆ وَصِبْغَةُ « قَفَلَ » أَمَّا لَهَا وَجُودٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ !؟ .

◆ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ ؟ .

◆ وَمَا مَعْنَاهَا ؟ .

◇ يُقَالُ : « قَعَلَ ، فَلَانٌ يَقْعُلُ قَعْلًا وَقَعُولًا إِذَا رَجَعَ مِنَ السَّفَرِ خَاصَّةً .

◆ مِنَ السَّفَرِ خَاصَّةً ١١ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، فَهَذَا الْفِعْلُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الرُّجُوعِ مِنَ السَّفَرِ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُهُمْ : غَلَقَ الْبَابَ .

◆ وَغَلَقَ الْبَابَ خَطَأً أَيْضًا ١٢ .

◇ نَعَمْ إِنَّهَا خَطَأً أَيْضًا ، وَمَنْ أَجَارَهَا مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ قَالَ عَنْهَا : إِنَّهَا لُغَةٌ رَدِيئَةٌ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : أَغْلَقَ الْبَابَ فَهُوَ مُغْلَقٌ ، كَمَا يُقَالُ أَيْضًا : غَلَقَ الْبَابَ فَهُوَ مُغْلَقٌ .

◆ أَبَيْتَ ، عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى يُتَاحَ لِي تَسْجِيلُ هَذِهِ الْقَوَائِدِ .

◇ لَكَ مَا طَلَبْتَ يَا بُنَيَّ لَكَ مَا طَلَبْتَ ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُهُمْ : جَبَرْتُ فَلَانًا عَلَى فِعْلِ كَذَا ... وَهُوَ خَطَأٌ أَيْضًا .

◆ مَا أَكْثَرَ أَخْطَاءَنَا ١١ .

◇ وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : أَجَبَرْتُ فَلَانًا عَلَى فِعْلِ كَذَا ...

◆ وَصِيغَةُ « جَبَرْتُ » أَمَّا لَهَا وَجُودٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ١٢ .

◇ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ .

◆ وَمَا مَعْنَاهَا أَجْزَلَ اللَّهُ ثَوَابَكَ ؟ .

◇ تَقُولُ : جَبْرُوتُهُ مِنْ فَقْرٍ أَجْبَرُهُ جَبْرًا ، وَتَقُولُ أَيْضًا : جَبْرُوتُ عَظَمَ الْكَسِيرِ ،
فَأَنْجَبِرَ عَظْمُهُ .

◆ إِذَنْ يُقَالُ : أَجْبَرْتُهُ عَلَى الْأَمْرِ بِمَعْنَى حَمَلْتُهُ عَلَيْهِ ، وَجَبْرُوتُ كَسْرُهُ وَفَقْرُهُ
بِمَعْنَى أَعْتَهُ وَأَسْعَفْتُهُ .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

● زِدْنِي مِنْ هَذِهِ الْقَوَائِدِ زَادَكَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ .

◇ حَسْبُكَ هَذَا الْيَوْمَ يَا بُنَيَّ ؛ فَمَا قَلَّ وَقَرَّ ، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَقَرَّ .

* * *

◆ أَبَتْ وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ ، إِنِّي لَفِي شَوْقٍ إِلَى طِيبِ سَدَاهَا ، وَحُلُوِّ جَنَّاهَا .

◇ هَلُمَّ إِلَيْهَا ، وَتَمَلَّ مَا شِئْتَ مِنْ رَوْحِهَا وَرَيْحَانِهَا .

◆ وَمَنِ الشَّاعِرُ الَّذِي أَغْرَاكَ بِرَوْضِهِ ؟ .

◇ كُنْزِيرُ .

◆ صَاحِبُ عَزَّةَ ؟ .

◇ نَعَمْ صَاحِبُ عَزَّةَ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا الزُّهْرَةُ الَّتِي جَنَّبْتَهَا مِنْ رَوْضِهِ ؟ .

◇ مَقْطُوعَةٌ قَالَهَا عَلَى الْبَدِيهَةِ^(١) ، قَالَهَا دِفَاعًا عَنْ نَفْسِهِ فِي مَوْقِفٍ لَهُ مَعَ عَبْدِ
الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ .

(١) على البديهة : ارتجالاً بدون إعداد مسبق .

◆ وَمَا ذَلِكَ الْمَوْقِفُ ؟ .

◇ دَخَلَ كُثَيْرٌ عَزَّةَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ رَأَاهُ مِنْ قَبْلُ ... فَوَجَدَهُ ضَيْيَلَ الْجِسْمِ قَلِيلَ الرِّوَاءِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ كُثَيْرٌ !!؟ .
قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ (١) خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : كُلُّ إِنْسَانٍ فِي مَحَلِّهِ رَحْبُ الْفِتَاءِ ، شَامِخُ الْبِنَاءِ ،
عَالِي السَّنَاءِ ... وَأَنْشَدَ يَقُولُ :

تَرَى الرَّجُلَ التَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَضُورُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ (٢) فَتَبْتَلِيهِ فَيُخَلِّفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
بُغَاثُ (٣) الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا رِقَابًا وَلَمْ تَطْلِ الْبِرَّاءُ وَلَا الصَّقُورُ
خَشَاشُ (٤) الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الْبَارِ مِقْلَاةٌ نَزُورُ
ضِعَافُ الْأُسْدِ أَكْثَرُهَا زَيْرًا وَأَصْرَمُهَا اللَّوَاتِي لَا تَزِيرُ
وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَفْنِ بِالْعَظَمِ الْبَعِيرُ
يُنَوِّخُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِي فَلَا عُزْفَ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ
فَمَا عَظُمَ الرِّجَالِ لَهُمْ يَزِينُ وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ حَسَبٌ وَخَيْرُ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : قَاتَلَهُ اللَّهُ ، مَا أَطْوَلَ لِسَانَهُ ، وَأَمَدَّ عَيْنَانَهُ (٥) ، وَأَوْسَعَ جَنَانَهُ ،
وَإِنِّي لَأَحْسِبُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ .

◆ مَا هَذِهِ الْبَدِيهَةُ الْمُوَاتِيَةُ ١١٩ .

(١) المعيدي : رجل يضرب به المثل في الاشتهار بالعلم والأدب مع ضالة جسمه ، وقبح صورته .

(٢) الطرير : ذو المنظر والرواء والهيئة الحسنة .

(٣) البغاث : طائر يطير الطيران .

(٤) خشاش الطير : الطيور الضعيفة كأنها الحشرات .

(٥) العنان : لجام الفرس .

◇ اسْتِشِيرَ فَتَارَ، وَهَزَّ فَاهْتَزَّ... فَكَانَ مِنْ ثَمَرَةِ ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَاتُ الْبَاقِيَاتُ .

* * *

◆ أَيْتِ ، لَدَيَّ سُؤَالٌ فَهَلْ تَأْذَنُ ؟ .

◇ وَهَلِ اجْتَمَعْنَا هُنَا إِلَّا لِتَسْأَلِ وَأُجِيبَ ؟! هَاتِيهِ ، هَاتِيهِ .

◆ أَيْتِ ، حِينَ ذَكَرْتُكَ بِرَوْضَةِ الشَّعْرِ وَسَأَلْتُكَ عَنْهَا ؛ قُلْتَ لِي : « هَلُمَّ إِلَيْهَا » ،
فَمَا مَعْنَى هَلُمَّ ؟ .

◇ هَلُمَّ يَا بُنَيَّ اسْمُ فِعْلٍ أَمْرٍ بِمَعْنَى أَقْبِلْ .

◆ وَكَيْفَ تُسْتَعْمَلُ هَلُمَّ ؟ .

◇ تُسْتَعْمَلُ هَلُمَّ بِصِيغَةِ وَاحِدَةٍ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، حَيْثُ يَسْتَوِي فِيهَا
الْمُفْرَدُ ، وَالْجَمْعُ ، وَالْمَذْكُورُ ، وَالْمُؤَنَّثُ .

◆ وَعَلَى هَذَا يُقَالُ : هَلُمَّ يَا أَحْمَدُ ، وَهَلُمَّ يَا رَجُلَانِ ، وَهَلُمَّ يَا قَوْمُ ، وَهَلُمَّ
يَا هِنْدُ ، وَهَلُمَّ يَا فَتَيَاتُ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، لَكِنَّ بَعْضَ النَّحْوِيِّينَ يَجْعَلُونَ هَلُمَّ فِعْلَ أَمْرٍ ، لَا اسْمَ فِعْلٍ .

◆ وَمَاذَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ ؟ .

◇ يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ تُعَامَلَ هَلُمَّ مُعَامَلَةَ الْأَفْعَالِ ؛ حَيْثُ تُلْحَقُ بِهَا الضَّمَاوِرُ ؛
وَعِنْدَ ذَلِكَ يُقَالُ : هَلُمَّ لِلْمُفْرَدِ الْمَذْكُورِ ، وَهَلُمَّ لِلْمُنْثَى ، وَهَلُمُّوا
لِلْجَمْعِ ، وَهَلُمِّي لِلْمُفْرَدَةِ الْمُؤَنَّثَةِ ، وَهَلُمْنَ لِلْجَمْعِ الْإِنَاثِ .

◆ وَلَكِنَّ هَلُمْنَ هَذِهِ ثَقِيلَةٌ عَلَى اللِّسَانِ .

◇ قَدْ يَكُونُ هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّ الْعَرَبَ قَالُوا : إِنَّ الْأَفْصَحَ اسْتِعْمَالُ هَلُمَّ
بَلْفَظٍ وَاحِدٍ عَلَى أَنَّهَا اسْمٌ فِعْلٌ ، وَلَيْسَتْ فِعْلاً .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي أَكْرَمَ الْجَزَاءِ .

◇ آمِينَ .

◆ اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ وَطُرُقَةُ الْجَلْسَةِ ، أَرْجُو أَلَّا يَضِيقَ عَنْهَا الْوَقْتُ .

◇ هَاكُنْهَا ، فَأَنَا صِرْتُ أَخْسِبُ حِسَابًا لِلْإِحَاجِكِ عَلَيْهَا ...

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَالَ لَهُ :

مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ مَاتَ وَتَرَكَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ .

فَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : غُلَمَانٌ ... إِنْ فَهَّمْنَاهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا ، وَإِنْ عَلَّمْنَاهُمْ لَمْ

يَعْلَمُوا ، قُلْ تَرَكَ أَبَاهُ وَأَخَاهُ .

فَقَالَ الرَّجُلُ : فَمَا لِأَبَاهُ وَأَخَاهُ ؟

فَقَالَ الْحَسَنُ : قُلْ لِأَبِيهِ وَأَخِيهِ .

فَقَالَ الرَّجُلُ : مَا هَذَا !! كُلُّمَا تَابَعْتُكَ خَالَفْتَنِي !! .

* * *

(١) الحسن البصري : انظره في كتاب « صور من حياة التابعين » للمؤلف .

الْجُلْسَةُ الثَّانِيَّةُ وَالثَّلَاثُونَ

ضَوَابِطُ تَمْيِيزِ الدَّخِيلِ مِنَ الْأَصِيلِ

- ◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَرِضَاهُ .
- ◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - حَدَّثْتَنِي فِي الْجُلْسَةِ السَّابِقَةِ عَنِ الدَّخِيلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ .
- ◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، وَهُوَ مَا يُدْعَى بِالْمَعْرَبِ أَيْضًا .
- ◆ وَقَدْ كُنْتُ وَقَفْتَنِي عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الضَّوَابِطِ ؛ الَّتِي تُيسِّرُ لِلْمُتَعَلِّمِينَ تَمْيِيزَ الدَّخِيلِ مِنَ الْأَصِيلِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ .
- ◇ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ .
- ◆ ثُمَّ إِنَّكَ - دَامَ عِزُّكَ - هَمَمْتَ بِاشْتِكَمَالِ تِلْكَ الضَّوَابِطِ ؛ فَعَاجَلَكَ الْوَقْتُ عَنْ إِيْتِمَامِ مَا بَدَأْتَ فِيهِ .
- ◇ مَا أَزَالُ أَذْكُرُ ذَلِكَ .
- ◆ فَهَلَا تَفْضُلْتَ بِإِيْتِمَامِ مَا أَخَذْتَ فِيهِ ؟ .

◇ لَكَ مَا طَلَبْتَ ... وَلَكِنْ بِشَرْطٍ .

◆ وَمَا هُوَ مَالٌ عُمْرُكَ ؟ .

◇ هُوَ أَنْ تَذْكُرَ لِي الضُّوَابِطَ السَّابِقَةَ ؛ حَتَّى أَضِيفَ إِلَيْهَا الضُّوَابِطَ اللَّاحِقَةَ .

◆ لَقَدْ طَلَبْتُ يَسِيرًا ... الضُّوَابِطَ الَّتِي وَضَعَهَا الْعَرَبُ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَصِيلِ
وَالدَّخِيلِ ... الضُّوَابِطَ ... نَعَمْ تَذَكَّرْتُ ...

أَوَّلُ هَذِهِ الضُّوَابِطِ : أَنَّ الصَّادَ وَالْجِيمَ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ ؛ فَإِذَا
وَجَدْنَا هَذَيْنِ الْحَرْفَيْنِ مُجْتَمِعَيْنِ فِي كَلِمَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ حَكَمْنَا بِأَنَّهَا مُعَرَّبَةٌ
دَخِيلَةٌ ، وَلَيْسَتْ بِعَرَبِيَّةٍ أَصِيلَةٍ .

◇ مِنْ نَحْوِ مَاذَا ؟ .

◆ مِنْ نَحْوِ ... مِنْ نَحْوِ : الصُّوْلَجَانِ ، وَالْجِصُّ ، وَالصُّهْرِيحِ ، وَالصَّنْجِ .

◇ أَحْسَنْتَ أَحْسَنَ اللَّهِ إِلَيْكَ .

◆ وَثَانِي هَذِهِ الضُّوَابِطِ - يَا طَوِيلَ الْعُمُرِ - : أَنَّ الْجِيمَ وَالْقَافَ ... نَعَمْ ، الْجِيمَ
وَالْقَافَ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ أَيْضًا ، فَإِذَا جَاءَا فِي كَلِمَةٍ مِنَ
الْكَلِمَاتِ عَلِمْنَا أَنَّهَا دَخِيلَةٌ .

◇ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◆ مِنْ مِثْلِ : الْمَنْجَنِيْقِ ، وَالْجَوْسِقِ ، وَالْجَوْقِ ، وَغَيْرَهَا .

◇ بُورِئْتُ ... بُورِئْتُ مِنْ طَالِبٍ عِلْمٍ .

◆ وَثَالِثُ هَذِهِ الضُّوَابِطِ : أَنَّ كُلَّ اسْمٍ فِيهِ نُونٌ مَثْلُوءَةٌ يَرَاءِ فَهُوَ دَخِيلٌ مُعَرَّبٌ نَحْوُ :

نَرْجِسُ ... نَعَمْ نَرْجِسُ ؛ فَقَدْ تَعَاقَبَتْ فِيهِ الثُّونُ وَالرَّاءُ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ .

◇ وَمِثْلُ النُّرْجِسِ النُّرْدُ أَيْضًا .

◆ وَرَابِعُ هَذِهِ الصُّوَابِطِ : أَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لَفْظٌ فِيهِ ذَالٌ بَعْدَهَا زَايٌ نَحْوُ : مُهَنْدِرٌ .

◇ الَّتِي حُوِّلَتْ مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ إِلَى مُهَنْدِسٍ حَيْثُ أُبْدِلَتْ الزَّايُ سِينًا فَصَارَتْ مُهَنْدِسًا .

◆ هَذِهِ هِيَ جُمْلَةُ الصُّوَابِطِ الَّتِي وَقَفْتَنِي عَلَيْهَا فِي الْجُلُوسَةِ السَّابِقَةِ .

◇ نَعَمْ إِنَّهَا هِيَ .

◆ هَا أَنَا ذَا قَدْ وَقِفْتُ بِالشَّرْطِ ؛ فَهَاتِ الْمَشْرُوطَ .

◇ حُبًّا وَكَرَامَةً يَا بُنَيَّ ، حُبًّا وَكَرَامَةً ... إِنَّ مِنْ جُمْلَةِ الصُّوَابِطِ الَّتِي وَضَعَهَا الْعُلَمَاءُ لِتُمَيِّزِ الْأَصِيلِ مِنَ الدَّخِيلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَوْلُهُمْ : لَمْ يُورِدِ الثَّقَاتُ كَلِمَةً عَرَبِيَّةً مُبَيَّنَّةً مِنْ بَاءٍ وَتَاءٍ وَسِينٍ ؛ فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فِي كَلِمَةٍ فَاحْكُمْ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا دَخِيلَةٌ وَلَيْسَتْ بِأَصِيلَةٍ .

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ : كَلِمَةِ الْبُسْتَانِ .

◆ وَالْبُسْتَانُ دَخِيلَةٌ أَيْضًا ۱۱ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَالْبُسْتَانُ دَخِيلَةٌ أَيْضًا .

◆ وَمِنْ آيَةِ لُغَةٍ دَخَلَتْ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ .

◇ دَخَلْتُ إِلَيْهَا مِنَ اللُّغَةِ الْفَارِسِيَّةِ يَا بُنَيَّ .

◆ يَبْدُو أَنَّ هَذَا الدَّخِيلَ أَكْثَرُ بِمَآ قَدَّرْتُ .

◇ إِنَّهُ لَيْسَ بِالْقَلِيلِ يَا بُنَيَّ ، وَآيَةُ كَثَرَتِهِ ، أَنَّهُ وَجَدْتُ لَهُ مُعْجَمَاتٍ خَاصَّةً بِهِ .

◆ وَمَتَى دَخَلْتُ لَفْظَةَ الْبُسْتَانِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ .

◇ دَخَلْتُ إِلَيْهَا فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ .

◆ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ !! .

◇ نَعَمْ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ يَا بُنَيَّ ، وَاسْتَعْمِلْتُ فِي شِعْرِ الْجَاهِلِيِّينَ وَالْإِسْلَامِيِّينَ ، فَقَدْ قَالَ جَرِيرٌ يُشِيدُ بِأَعْمَالِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَيَهْجُو خُصُومَهُمْ وَحَايِدِيهِمْ :

يَعْضُونَ الْأَنَامِلَ أَنْ رَأَوْهَا بَسَاتِينًا يُوَارِزُهَا الْحَصِيدُ
ثُمَّ هُنَاكَ ضَاطِطٌ آخَرُ لِتَعْمِيرِ الدَّخِيلِ مِنَ الْأَصِيلِ .

◆ وَمَا هُوَ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ قَبْلَ أَنْ أَشُوقَ لَكَ هَذَا الضَّاطِطَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَقْفِكَ عَلَى خَاصَّةٍ مِنْ خَصَائِصِ
الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ .

◆ وَمَا هِيَ ؟ .

◇ قَسَمَ الْعَرَبُ الْحُرُوفَ إِلَى أَقْسَامٍ ... قَسَمُوهَا إِلَى حُرُوفٍ شَدِيدَةٍ ، وَحُرُوفٍ
رِخْوَةٍ مَثَلًا ؛ فَمِنْ الْحُرُوفِ « الشَّدِيدَةُ » : الْقَافُ وَالطَّاءُ ... وَمِنْ الْحُرُوفِ
« الرِّخْوَةُ » : السَّيْنُ وَالشَّيْنُ وَالْحَاءُ .

◆ نَعَمْ .

◇ وَمِنْ أَقْسَامِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ أَيْضًا حُرُوفُ الذَّلَاقَةِ .

◆ الذَّلَاقَةُ ١ وَمَا حُرُوفُ الذَّلَاقَةِ ؟ .

◇ حُرُوفُ الذَّلَاقَةِ سِتَّةٌ يَا بُنَيَّ ، ثَلَاثَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ وَهِيَ : الرَّاءُ ،
وَالثَّوْنُ ، وَاللَّامُ .

◆ الرَّاءُ ، وَالثَّوْنُ ، وَاللَّامُ ١ .

◇ نَعَمْ ، وَثَلَاثَةٌ أُخْرَى تَخْرُجُ مِنْ طَرَفِ الشَّفَتَيْنِ وَهِيَ : الْفَاءُ ، وَالتَّاءُ ، وَالْمِيمُ . ✕

◆ وَلِمَ دُعِيَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ السِّتَةُ بِحُرُوفِ الذَّلَاقَةِ ؟ .

◇ أَحْسَبُ أَنَّ هَذَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ .

◆ لَعَلَّهُمْ دَعَوْهَا بِحُرُوفِ الذَّلَاقَةِ لِسَهُولَةِ انْدِلَاقِهَا مِنَ الْفَمِ .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، نَعَمْ إِنَّهَا دُعِيَتْ حُرُوفَ الذَّلَاقَةِ ؛ لِخِفَّتِهَا فِي النُّطْقِ ،
وَسَهُولَةِ انْدِلَاقِهَا مِنَ اللِّسَانِ .

◆ وَمَا عِلَاقَةُ حُرُوفِ الذَّلَاقَةِ هَذِهِ بِمَعْرِفَةِ الدَّخِيلِ وَالْأَصِيلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ؟ .

◇ قَبْلَ أَنْ أُجِيبَكَ عَلَى سُؤَالِكَ هَذَا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَذْكُرَكَ بِأَمْرٍ آخَرَ ... لَا بُدَّ مِنْ
أَنْ أَذْكُرَكَ بِمَا قُلْنَا فِيهَا مَضَى مِنْ أَنَّ الْكَلِمَةَ الْعَرَبِيَّةَ يُنَبِّئُ فِي الْكَثِيرِ الْغَالِبِ
مِنْ ثَلَاثَةِ حُرُوفٍ ، وَذَلِكَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ رَشَاقَتِهَا وَخِفَّتِهَا .

◆ نَعَمْ .

◇ وَأَنَّ الرَّبَاعِيَّ قَلِيلٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَأَنَّ الْخُمَاسِيَّ أَقْلٌ مِنْهُ وَأَنْدَرُ ، وَأَنَّ السَّدَاسِيَّ يَكَادُ يَكُونُ مَعْدُومًا .

◆ أَذْكُرُ ذَلِكَ تَمَامًا ، وَأَذْكُرُ أَنَّكَ قُلْتَ : إِنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَرْتَاخُوا إِلَى مَا زَادَ عَلَى الثَّلَاثَةِ لِثِقَلِهِ فِي النُّطْقِ .

◇ وَمِنْ هُنَا قَرَّرَ الْعَرَبُ أَنَّ كُلَّ لَفْظٍ رُبَاعِيٍّ أَوْ خُمَاسِيٍّ يَخْلُو مِنْ أَحَدِ حُرُوفِ الدَّلَاقَةِ السُّتَّةِ ؛ يُعَدُّ دَخِيلًا عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ .
◆ وَلِمَاذَا ؟ .

◇ لِأَنَّ فِطْرَةَ الْعَرَبِيِّ السَّلِيمَةَ ، وَحِشَّةَ اللُّغَوِيِّ الْمُزْهَفِ يَأْتِيَانِ عَلَيْهِ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ زَائِدَةٍ عَلَى الثَّلَاثَةِ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهَا حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الدَّلَاقَةِ .
◆ مَا أَبْدَعَ هَذِهِ اللُّغَةَ وَمَا أَرْوَعَهَا !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ أَتَى أَصْحَابُ هَذِهِ اللُّغَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ يَجْمَعُوا فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقْلَيْنِ : ثِقَلُ كَثْرَةِ الْحُرُوفِ ، وَثِقَلُ خُلُوِّ الْكَلِمَةِ مِنْ أَحَدِ الْحُرُوفِ الْخَفِيفَةِ الرَّشِيقَةِ الْمَدْعُورَةِ بِحُرُوفِ الدَّلَاقَةِ .
◆ كَلَامٌ بَدِيعٌ ! .

◇ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالُوا : إِذَا جَاءَكَ لَفْظٌ رُبَاعِيٍّ أَوْ خُمَاسِيٍّ خَالِيًا مِنْ أَحَدِ حُرُوفِ الدَّلَاقَةِ الَّتِي هِيَ « الرَّاءُ ، وَالثَوْنُ ، وَاللَّامُ ، وَالْفَاءُ ، وَالْقَاءُ ، وَالْمِيمُ » فَاعْلَمْ أَنَّهُ دَخِيلٌ عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ وَلَيْسَ بِأَصِيلٍ .

◆ أَبْتَ ، يَبْدُو لِي أَنَّ أَمْرَ الدَّخِيلِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْإِيضَاحِ .
◇ حَقًّا إِنَّهُ لَكَذَلِكَ ، وَسَأَرْيِدُهُ إِيْضَاحًا فِي الْجُلُوسَةِ الْقَادِمَةِ .

◆ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ .

◇ نَعَمْ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ وَيَسَّرَ .

* * *

◆ أَتَيْتَ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي جَاءَتْ عَنْ
الْعَرَبِ مَهْمُوزَةً عَلَى وَزْنِ « أَفَعَلْتُ » ، وَالْكَاتِبُونَ يُخْطِئُونَ فِيهَا ؛ فَيَسْتَعْمِلُونَهَا
عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » مِنْ غَيْرِ هَنْزٍ .

◇ نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ أَفَدْتَ مِنْهُ فِي تَقْوِيمِ
لِسَانِكَ وَتَهْذِيبِ بَيَانِكَ .

◆ وَإِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ أَيْضًا ، وَالْآنَ أَبْقِي فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ يُعْمِكُنْ أَنْ أَضِيفَهُ
إِلَى بَابِ « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكَّرَاتِي ؛ أَمْ إِنَّكَ قَدْ أَعْدَدْتَ لِي شَيْئًا
جَدِيدًا ؟ .

◇ بَلْ مَا يَزَالُ فِي هَذَا الْبَابِ أَشْيَاءٌ وَأَشْيَاءٌ .

◆ إِذَنْ تَفَضَّلْ عَلَيَّ بِهَا مَشْكُورًا مَأْجُورًا .

◇ إِنَّ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَفْعَالِ مَهْمُوزًا عَلَى وَزْنِ « أَفَعَلْتُ » وَالْكَاتِبُونَ
يُخْطِئُونَ فِيهِ ؛ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » قَوْلُهُمْ : حَمَيْتُ الْحَدِيدَ وَهُوَ
خَطَأٌ ...

◆ خَطَأً ١١ .

◇ نَعَمْ خَطَأً يَا بُنَيَّ ، وَالصُّوَابُ أَنْ يُقَالَ : أَحْمَيْتُ الْحَدِيدَ فَهُوَ مَحْمِيٌّ .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِيغَةِ « حَمَيْتُ » ، أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ١٢ .

◇ بَلْ هِيَ مُوجُودَةٌ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا هُوَ ؟

◇ تَقُولُ : حَمِيْتُ الْمَكَانَ أَحَبِّيهِ إِذَا دُذْتُ عَنْهُ وَدَافَعْتُ عَنْ جَمَاهُ .

◆ إِذَنْ يُقَالُ : أَحَمَيْتُ الْحَدِيدَ بِمَعْنَى رَفَعْتُ حَرَارَتَهُ ، وَحَمَيْتُ الْمَكَانَ بِمَعْنَى دُذْتُ عَنْهُ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُهُمْ : عَتَقْتُ الْعَبْدَ وَهُوَ خَطَأٌ .

◆ وَهَذَا خَطَأٌ أَيْضًا !!؟

◇ نَعَمْ هُوَ خَطَأٌ يَا بُنَيَّ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : أَعْتَقْتُ الْعَبْدَ .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِيغَةِ «عَتَقَ» أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ؟

◇ بَلْ هِيَ مُوجُودَةٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ .

◆ وَمَا مَعْنَاهَا ؟

◇ يُقَالُ : عَتَقَ الشَّيْءُ يَعْتُقُ عَتَقًا وَعِثَقًا أَيِ كَرَّمَ .

وَالْعِثْقُ : الشَّرَفُ ، وَخُلُوصُ الْأَصْلِ ، وَالْجَمَالُ أَيْضًا . وَكَانَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

◆ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

◇ كَانَ يُلقَّبُ بِالْعَتِيقِ .

◆ وَأَيْضًا ؟

◇ حَسْبُكَ هَذَا الْيَوْمَ حَسْبُكَ هَذَا ، فَفِيهِ الْكِفَاةُ .

* * *

◆ أَبَتِ ، كُنْتُ فِي الْجَلْسَةِ السَّابِقَةِ قَدْ أَتَحَفَّتَنِي بِقَصِيدَةٍ لِكَثِيرِ عَزَّةَ .

◇ تِلْكَ الَّتِي قَالَهَا حِينَ افْتَحَمْتُهُ عَيْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ؛ فَوَجَدْتُهُ ضَيِّيلَ الْجِسْمِ قَلِيلَ الرُّوَاءِ .

◆ نَعَمْ أَقْصِدُ تِلْكَ الْقَصِيدَةَ الَّتِي دَافَعَ فِيهَا الشَّاعِرُ عَنْ ضَالَّةِ جَسَدِهِ دِفَاعًا جَعَلَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَقُولُ : قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَطْوَلَ لِسَانَهُ ، وَأَمَدَّ عِنَانَهُ ، وَأَوْسَعَ جَنَانَهُ ، إِنِّي لَأَحْسِبُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ .

◇ وَلَكِنْ مَا الَّذِي تَقْصِدُهُ مِنَ التَّذْكِيرِ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ ١٩ .

◆ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ عَمَّا إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ قَصَائِدُ أُخْرَى فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ تَطْرُقُ الْمَوْضُوعَ الَّذِي طَرَفَهُ كَثِيرُ عَزَّةَ ؟ .

◇ هُنَاكَ أَكْثَرُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي هَذَا الْعَرَضِ .

◆ مِنْ أَمْثَالِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ أَمْثَالِ تِلْكَ الْقَصِيدَةِ الَّتِي رَوَاهَا صَاحِبُ زَهْرِ الْأَدَابِ لِشَاعِرٍ قَدِيمٍ ، وَالَّتِي قَالَهَا رَدًّا عَلَى زَوْجَتِهِ الَّتِي كَانَتْ تَلُومُهُ عَلَى كَرَمِهِ ، وَتَعِيبُ عَلَيْهِ قِصَرَ قَامَتِهِ ، وَضَالَّةَ جِسْمِهِ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟ .

◇ يَقُولُ :

وَعَاذِلَةَ^(١) هَبْتُ بَلِيلَ تُلُومِنِي
وَلَمْ يَغْتَمِرْنِي^(٢) قَبْلَ ذَاكَ عَذُولُ
تَقُولُ اتَّعِدْ^(٣) لَا يَدْعُكَ النَّاسُ مُخْلِقًا
وَتُزِرِي^(٤) بِمَنْ يَا ابْنَ الْكِرَامِ تَعُولُ
فَقُلْتُ: أَبَتْ نَفْسٌ عَلَيَّ كَرِيمَةً
وَطَارِقُ لَيْلٍ عِنْدَ ذَاكَ يَقُولُ
أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرُكَ اللَّهُ^(٥) أَنَّنِي
كَرِيمٌ عَلَى جِئِ الْكِرَامِ قَلِيلُ
وَأَنِّي لَا أَخْزِي إِذَا قِيلَ مُمْلِقُ
سَخِيٍّ وَأَخْزِي أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ فَطُلْتُهُمْ
بِعَارِفَةٍ^(٦) حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا *
إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
فَالَا يَكُنْ جِسْمِي طَوِيلًا فَإِنَّنِي
لَهُ بِالْفَعَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ

(١) عاذلة : لائمة .

(٢) يغتمرني : يجرؤ عليّ ويلومني .

(٣) اتَّعِدْ : تمهل .

(٤) تزري : تقصر في الحق .

(٥) عَمْرُكَ اللَّهُ : الدعاء بطول العمر .

(٦) بعارفة : أي المعروف والجميل يقدم للناس .

وَلَمْ أَرِ كَالْمَنْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ

فَخُلُوْا، وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيْلٌ

◆ مَا أَرْوَعَ هَذَا الشُّعْرَ وَمَا أَجْمَلُهُ .

◇ إِنَّ مِنَ الْبَيِّنَاتِ لَيَسْخَرُوا، وَإِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةٌ .

* * *

◆ أَبَيْتَ ، لَدَيْ سَوْأَلٍ فَهَلْ تَأْذُنُ ؟ .

◇ هَاتِيهِ ، هَاتِيهِ يَا بُنَيَّ وَلَا تَتَحَرَّجْ .

◆ تَدُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ كَلِمَتَا « الْهَرَجِ » وَ« الْمَرْجِ » فَيَقُولُونَ مَثَلًا : قَضَيْنَا لَيْلَتَنَا فِي هَرَجٍ وَمَرْجٍ ... فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ هَذَا ؟ .

◇ قَبْلَ أَنْ أُجِيبَكَ عَلَى سُؤَالِكَ عَنْ مَعْنَى هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ لَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أَصْحَحَ لَكَ نُطْقَهُمَا .

◆ وَهَلْ فِي نُطْقِهِمَا خَطَأٌ ؟ ١ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ قُلْتُ : هَرَجٌ وَمَرْجٌ يَفْتَحُ الرَّاءِ فِي كِلْتَابِهِمَا ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : هَرَجٌ وَمَرْجٌ بِشُكُونِ الرَّاءِ فِيهِمَا .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا .

◇ أَمَّا مَعْنَاهُمَا ؛ فَالْهَرَجُ : هُوَ الْفِتْنَةُ وَالْإِخْتِلَاطُ وَالْقَتْلُ .

◆ الْفِتْنَةُ وَالْإِخْتِلَاطُ وَالْقَتْلُ ١١ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ .

◆ وَالْمَرْجُ ؟ .

◇ وَالْمَرْجُ : مَعْنَاهُ الْقَلَقُ وَالِاضْطِرَابُ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِمْ : قَضَيْنَا لَيْلَتَنَا فِي هَرْجٍ وَمَرْجٍ أَيِ قَضَيْنَاهَا فِي فِتْنَةٍ وَقَتْلٍ ، وَقَلَقٍ وَاضْطِرَابٍ .

◆ وَلَكِنَّ الَّذِينَ يُطْلِقُونَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ يُرِيدُونَ غَيْرَ هَذَا .

◇ مَا لَنَا وَلِمَا يُرِيدُونَ ؟ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ شَيْئًا وَتُرِيدُ اللُّغَةُ شَيْئًا آخَرَ .

◆ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُعْبَرُوا بِهِذِهِ الْعِبَارَةِ عَنِ الْفَرْحِ وَالطَّرَبِ .

◇ وَلَكِنَّ الْعِبَارَةَ لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الشَّرِّ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ أَلْفَ خَيْرٍ .

◇ لَكِنْ بَقِيَ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ شَيْئًا .

◆ وَمَا هُوَ ؟ .

◇ بَقِيَ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ أَصْلَ الْمَرْجِ يَفْتَحُ الرَّاءَ ، غَيْرَ أَنَّهَا سَكُنَتْ لِلْمُرَاوَجَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْهَرْجِ فَقِيلَ : الْهَرْجُ وَالْمَرْجُ بَدَلًا مِنَ الْهَرْجِ وَالْمَرْجِ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَطُرُقَةُ الْجُلُوسَةِ أَزْجُوًّا لَا يَضِيعُ حَقِّي فِيهَا .

◇ لَنْ يَضِيعَ حَقِّي وَرَاءَهُ مُطَالِبٌ ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ الْمُطَالِبُ أَنْتَ .

◆ إِذَنْ تَفْضُلُ عَلَيَّ بِهَا ، زَادَكَ اللَّهُ فَضْلًا .

◇ دَخَلَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ الزُّرَيْدِيِّ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَخْبِرْنِي مَنْ أَجَبْتُ مَنْ لَقِيتُ وَمَنْ أَخِيلُ^(١) مَنْ لَقِيتُ ؟ .
 قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَرَجْتُ مَرَّةً أُرِيدُ الْغَارَةَ ، فَبَيِّنَمَا أَنَا سَائِرٌ إِذَا بَفَرَسٍ
 مَشْدُودٍ ، وَزُومِحَ مَرْكُوزٍ^(٢) ، وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ كَأَعْظَمٍ مَا يَكُونُ الرَّجَالُ
 خَلْقًا ، وَهُوَ مُحْتَبٍ^(٣) بِحَمَائِلِ سَيْفِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ :
 خُذْ جِذْرَكَ فَإِنِّي قَاتِلُكَ .
 فَقَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ .

قُلْتُ : أَنَا عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ الرَّيْدِيِّ ؛ فَشِهَقَ شَهَقَةً فَمَاتَ .
 فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجَبْتُ مَنْ رَأَيْتُ .
 وَخَرَجْتُ مَرَّةً ؛ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى حَيٍّ ... فَإِذَا أَنَا بِفَرَسٍ مَشْدُودٍ وَزُومِحَ
 مَرْكُوزٍ ، وَإِذَا صَاحِبُهُ فِي وَهْدَةٍ^(٤) يَقْضِي حَاجَةً ، فَقُلْتُ :
 خُذْ جِذْرَكَ فَإِنِّي قَاتِلُكَ .

فَقَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ، فَأَعْلَمْتُهُ بِي ، فَقَالَ :
 يَا أَبَا ثَوْرٍ ، مَا أَنْصَفْتَنِي ، أَنْتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِكَ وَأَنَا عَلَى الْأَرْضِ ، فَأَعْطِنِي
 عَهْدًا أَنَّكَ لَا تَقْتُلُنِي حَتَّى أَرْكَبَ فَرَسِي ؛ فَأَعْطَيْتُهُ عَهْدًا بِذَلِكَ ...
 فَخَرَجَ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، وَاخْتَبَى بِحَمَائِلِ سَيْفِهِ وَجَلَسَ ، فَقُلْتُ :
 مَا هَذَا ؟ فَقَالَ :

مَا أَنَا بِرَاكِبٍ فَرَسِي ، وَلَا بِمُقَاتِلِكَ ، فَإِنْ نَكَّثْتُ^(٥) عَهْدَكَ فَأَنْتَ أَغْلَمُ
 بِنَاكِثِ الْعَهْدِ ؛ فَتَرَكْتُهُ وَمَضَيْتُ .
 فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخِيلُ مَنْ رَأَيْتُ .

* * *

(١) أخيل : أكثر حيلة .
 (٢) مركوز : مغروز في الأرض .
 (٣) محتب : متلفع .
 (٤) الوهدة : المنخفض من الأرض .
 (٥) نكثت عهذك : خنت العهد وأردت أن تغدر بي .

الْجُلُوسَةُ الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُونَ

اللُّغَةُ وَكَيْفِيَّةُ تَقْبِيلِهَا لِلْأَلْفَاظِ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى

- ◆ أَيْتٌ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .
- ◆ أَيْتٌ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - حَدَّثْتَنِي فِي الْجُلُوسَةِ السَّابِقَةِ عَنِ الدُّخِيلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ .
- ◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ ... ثُمَّ ضَاقَ بِنَا الْوَقْتُ عَنِ اسْتِكْمَالِ مَا بَدَأْنَاهُ .
- ◆ وَقَدْ أَثَارَ هَذَا الْمَبْحَثُ لَدَيَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَشْكَلَاتِ .
- ◇ لَقَدْ قَدَّرْتُ ذَلِكَ وَتَوَقَّعْتُهُ ... نَعَمْ لَقَدْ تَوَقَّعْتُهُ ...
- ◆ وَقَدْ وَعَدْتُ - دَامَ عِزُّكَ - أَنْ تَزِيدَ هَذَا الْأَمْرَ وَضُوحًا فِي جُلُوسَتِنَا هَذِهِ .
- ◇ وَمَا أَرَاكَ عِنْدَ وَعْدِي .
- ◆ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلُّ خَيْرٍ .
- ◇ وَمَا هَذِهِ الْمَشْكَلَاتُ الَّتِي أَثَارَهَا هَذَا الْمَبْحَثُ فِي نَفْسِكَ ؟ .

◆ مِنْ هَذِهِ الْمُشْكِلَاتِ مَا وَقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ كَثْرَةِ هَذَا الدُّخِيلِ ... فَلَقَدْ عَرَفْتُ مِنْكَ أَنَّ الْعَرَبَ وَضَعُوا لَهُ مُعْجَمَاتٍ خَاصَّةً بِهِ ؛ فَهُنَاكَ - كَمَا ذَكَرْتُ لِي - كِتَابُ « الْمُعْرَبِ مِنَ الْكَلَامِ الْأَعْجَمِيِّ » لِلْجَوَالِيقِيِّ ، وَهُنَاكَ كِتَابُ آخَرُ مَا عُدْتُ أَذْكُرُهُ .

◇ هُوَ كِتَابُ « شِفَاءِ الْغَلِيلِ » فِيمَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الْمُعْرَبِ وَالْدُّخِيلِ لِلشُّهَابِ الْخَفَاجِيِّ .

◆ نَعَمْ ...

◇ وَلَكِنَّ هَذَا الْمُعْرَبَ لَيْسَ كَثِيرًا إِلَى الْمَدَى الَّذِي خُيِّلَ إِلَيْكَ .

◆ إِذَنْ كَمْ تُقَدِّرُ عَدَدَ الْكَلِمَاتِ الْأَعْجَمِيَّةِ الَّتِي دَخَلَتْ إِلَى مَتْنِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟

◇ لَقَدْ أَخَصَّنِي عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ؛ فَوَجَدُوهَا لَا تَزِيدُ عَلَى أَلْفِ كَلِمَةٍ .

◆ أَلْفُ كَلِمَةٍ فَقَطْ !!!

◇ نَعَمْ أَلْفُ كَلِمَةٍ فَقَطْ ، دَخَلَتْ هَذِهِ اللُّغَةُ غَيْرَ تَارِيخِهَا الطَّوِيلِ ، وَخِلَالَ اخْتِلَاطِهَا بِالشُّعُوبِ الَّتِي أَشْلَمَتْ وَالَّتِي لَمْ تُسْلِمْ ، وَامْتِزَاجِهَا بِهَا عَنْ طَرِيقِ الْفُتُوحِ ، وَالتَّزَاوُجِ ، وَالتَّسْرِي^(١) ، وَالْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ .

◆ نَعَمْ .

◇ وَمَاذَا تُسَاوِي أَلْفَ كَلِمَةٍ فِي لُغَةٍ اشْتَمَلَتْ مُعْجَمَاتِهَا عَلَى ثَمَانِينَ أَلْفَ مَادَّةٍ ، وَانْصَوَى تَحْتَ كُلِّ مَادَّةٍ مَا لَا يَقِلُّ عَنْ عِشْرِينَ كَلِمَةً ؛ بَيْنَ قِيَاسِيَّةٍ

(١) التسري: اختصار ألقب من بلبل اليمين لتكون محظية دون بقية الإماء .

◆ حَقًّا إِنَّ أَلْفَ كَلِمَةٍ لَيْسَتْ شَيْئًا يُذَكَّرُ بِجَانِبِ هَذَا الْبَحْرِ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ ... وَلَكِنْ مَتَى بَدَأَ هَذَا الدَّخِيلُ يَتَسَرَّبُ إِلَى لُغَةِ الْعَرَبِ ؟

◇ مُنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ .

◆ مُنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ !! .

◇ نَعَمْ مُنْذُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ يَا بُنَيَّ .

◆ وَلَكِنَّ الْعَرَبَ كَانُوا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ فِي غُرْلَةٍ عَنْ أُمَمِ الْأَرْضِ ، فَمِنْ أَتَيْنَ يَتَسَرَّبُ الدَّخِيلُ إِلَى لُغَتِهِمْ ١٢ .

◇ لَمْ يَكُنِ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ فِي غُرْلَةٍ عَنْ أُمَمِ الْأَرْضِ كَمَا خُيِّلَ إِلَيْكَ ، فَقَدْ كَانَتْ تُتَاجَمُ جَزِيرَتُهُمْ أُمَّتَانِ كَبِيرَتَانِ مِنْ أَعْظَمِ أُمَمِ الْأَرْضِ آنَذَاكَ ، لَقَدْ كَانَ «الرُّومُ» عَلَى تُخُومِ «الشَّامِ» ، وَكَانَ «الْفُزُسُ» عَلَى تُخُومِ «الْعِرَاقِ» ، وَكَانَ لِلْعَرَبِ مَعَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ صِلَاتٌ سِيَاسِيَّةٌ وَاقْتِصَادِيَّةٌ وَاجْتِمَاعِيَّةٌ أَيْضًا .

◆ نَعَمْ نَعَمْ .

◇ أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ يَا بُنَيَّ ، أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ لَهَا رِحْلَتَانِ هُمَا رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَكَانَتْ فِي رِحْلَةِ الشِّتَاءِ تَذْهَبُ إِلَى بِلَادِ «الْيَمَنِ» ، وَكَانَتْ فِي رِحْلَةِ الصَّيْفِ تَذْهَبُ إِلَى بِلَادِ «الشَّامِ» ، وَكَانَتْ فِي رِحْلَتَيْهَا هَاتَيْنِ تَتَّصِلُ بِالْأُمَمِ الْأُخْرَى ، وَتَأْخُذُ مِنْهَا وَتُعْطِيهَا .

(١) الكلمة القياسية : هي التي تصاغ على قاعدة محددة وصنعها العلماء ليقاس عليها الاشتقاق . والسماعية : هي التي سمعت عن العرب القدماء ولم تكن لها قاعدة تسير عليها .

نعم .

وَلَمَّا بَزَغَ فَجَرُ الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَحَمَلَ الْإِسْلَامُ الْعَرَبَ عَلَى جَنَاحَيْهِ إِلَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، وَغَدَتِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْعَظِيمَةُ مَزِيَجًا مِنَ الشُّعُوبِ وَاللُّغَاتِ وَالْأَقْوَامِ ، اَزْدَادَ اخْتِلَاطُ الْعَرَبِ بِالْأَعَاجِمِ وَاَزْدَادَ تَأْثِيرُهُمْ فِيهِمْ وَتَأْثَرُهُمْ بِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ ثَمَرَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ هَذِهِ الْأَلْفُ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي دَخَلَتْ إِلَى مَثْنِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

وَلَكِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لُغَةٌ قَائِمَةٌ يَذَاتُهَا لَهَا حُرُوفُهَا ، وَقَوَائِينُهَا وَصِيغُهَا ، فَكَيْفَ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَنْقَبِلَ أَلْفَاظُ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى ؛ مَعَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ تِلْكَ اللُّغَاتِ مِنَ الْفُرُوقِ ؟ .

سُؤَالٌ وَاجِبٌ ... وَإِشْكَالٌ فِي مَحَلِّهِ .

حَقًّا ، إِنَّ فِي الْكَلِمَاتِ الدُّخِيلَةِ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَا لَا يَلَايِمُ الصِّيغَ الْعَرَبِيَّةَ ، بَلْ إِنَّ فِي بَعْضِهَا حُرُوفًا غَيْرَ مُسْتَعْمَلَةٍ فِي الْأَبْجَدِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ كَالْفَاءِ " V " وَالْكَافِ " Q " ، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ ؛ غَيْرَ أَنَّ الْعَرَبَ حِينَ أَدْخَلُوا الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُشْتَمِلُ عَلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْحُرُوفِ إِلَى لُغَتِهِمْ غَيَّرُوا حُرُوفَهَا بِحُرُوفٍ مِنْ أَبْجَدِيَّتِهِمْ قَرِيبَةٍ مِنْهَا ، كَمَا غَيَّرُوا صِيغَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَا تُلَايِمُ صِيغَهُمْ الْعَرَبِيَّةَ .

وَكَيفَ ؟ .

خُذْ مَثَلًا كَلِمَةَ جَوْرَبَ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مُعَرَّبَةٌ ، أَصْلُهَا فِي الْفَارِسِيَّةِ « كَوْرَب » ، وَلَقَدْ حَوَّلُوا حُرُوفَهَا الْأَوَّلَ الَّذِي يُنْطَقُ بَيْنَ الْجِيمِ وَالْكَافِ إِلَى « جِيم » ؛ فَقَالُوا : جَوْرَبَ .

◆ نَعَمْ .

◇ ثُمَّ خُذْ مَثَلًا آخَرَ هُوَ كَلِمَةُ فِرْنَدُ .

◆ وَمَا الْفِرْنَدُ ؟ .

◇ الْفِرْنَدُ : مَاءُ السَّيْفِ .

◆ قَاتَلَ اللَّهُ النَّسِيَّانَ ! لَقَدْ مَرَّتْ بِي هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ أَنْسَاهَا .

◇ فَالْفِرْنَدُ كَلِمَةٌ مُعَرَّبَةٌ عَنِ الْفَارِسِيَّةِ ، وَهِيَ تُنْطَقُ فِي لُغَةِ أَهْلِهَا بِحَرْفِ يَنْ الْفَاءِ وَالْبَاءِ ، فَلَمَّا أُدْخِلَهَا الْعَرَبُ إِلَى لُغَتِهِمْ جَعَلُوا حَرْفَهَا هَذَا « فَاءً » ، وَهَكَذَا ...

◆ هَذَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْكَلِمَاتِ ذَوَاتِ الْحُرُوفِ الَّتِي تُخَالِفُ الْحُرُوفَ الْعَرَبِيَّةَ ، فَمَا الَّذِي صَنَعُوهُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الصَّيْغِ وَالْأَوْزَانِ ١٩ .

◇ إِذَا كَانَتِ الْكَلِمَةُ الدَّخِيلَةُ تُوَافِقُ وَزْنَ مِنَ الْأَوْزَانِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ أَبْقَوْهَا عَلَى حَالِهَا .

◆ وَإِذَا كَانَتْ مُخَالِفَةً لِلْأَوْزَانِ الْعَرَبِيَّةِ ١٩ .

◇ وَإِذَا كَانَتْ مُخَالِفَةً لِلْأَوْزَانِ الْعَرَبِيَّةِ بَدَّلُوا فِيهَا ، وَعَدَّلُوا فِي أَصْوَاتِهَا وَحَرَكَاتِهَا ، حَتَّى تُشَاكِلَ وَزْنَ مِنْ أَوْزَانِ الْعَرَبِ .

◆ مِنْ مِثْلِ مَاذَا ؟ .

◇ مِنْ مِثْلِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثَةِ : الدُّرْهَمُ ، وَالبَهْرُجُ ، وَالدُّيْنَارُ ، وَيَعْقُوبُ .

◆ وَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ أَيْضًا دَخِيلَةٌ مُعَرَّبَةٌ ١١٩ .

◇ نعم يا بُنَيَّ ، وَقَدْ كَانَتْ أَصُولُهَا الْفَارِسِيَّةُ عَلَى أَوْزَانِ تُغَايِرِ الْأَوْزَانِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَلَمَّا أَدْخَلَهَا الْعَرَبُ إِلَى لُغَتِهِمْ ؛ أَعْمَلُوا فِيهَا يَدَ التَّمْيِيزِ وَالتَّعْدِيلِ ... حَتَّى جَعَلُوا كُلًّا مِنْهَا مُلَائِمًا لِصِيغَةِ عَرَبِيَّةٍ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ لَقَدْ عَدَّلُوا كَلِمَةَ « بَهْرَج » حَتَّى أَلْحَقُوهَا بِكَلِمَةِ « سَلَهَب » الْعَرَبِيَّةِ ، وَكَلِمَةَ « دِبْنَار » حَتَّى أَلْحَقُوهَا « بِدِيمَاس » ، وَكَلِمَةَ « يَغْقُوب » حَتَّى أَلْحَقُوهَا بِكَلِمَةِ « يَزْبُوع » ، وَهَكَذَا ...

◆ طَبِئْتُ .

◇ وَخِلَاصَةُ الْقَوْلِ هُوَ أَنَّ الْعَرَبَ حِينَ أَدْخَلُوا هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْأَعْجَمِيَّةَ إِلَى لُغَتِهِمْ ؛ بَدَّلُوا حُرُوفَهَا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ حُرُوفِهِمْ إِلَى أَقْرَبِ حُرُوفِهِمْ مَخْرَجًا ، وَالصَّيَغَ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ أَوْزَانِهِمْ إِلَى أَذْنَى صِيغِهِمْ وَزْنًا .

◆ وَنَحْنُ الْآنَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُدْخِلَ بَعْضَ الْكَلِمَاتِ وَالْمُصْطَلَحَاتِ إِلَى لُغَتِنَا ، أَفَتَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْقُلَهَا كَمَا جَاءَتْ فِي لُغَاتِهَا الْأَصْلِيَّةِ ، أَمْ مَاذَا ؟ .

◇ أَظُنُّ أَنَّ فِي كَلَامِي السَّابِقِ إِجَابَةً عَلَى هَذَا السُّؤَالِ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ إِذَا كَانَتِ الْكَلِمَاتُ وَالْمُصْطَلَحَاتُ الَّتِي يُرَادُ إِدْخَالُهَا مِنَ اللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَتَأَلَّفُ مِنْ حُرُوفٍ لَهَا مِثْلٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَتُبْنَى عَلَى أَوْزَانِ لَهَا شَبِيهٍ فِي أَوْزَانِنَا ؛ أَخَذْنَاهَا كَمَا هِيَ ...

◆ وَإِلَّا ؟ ...

◇ وَإِلَّا تَكُنْ كَذَلِكَ ؛ فَعَلْنَا فِيهَا مَا فَعَلَ أَشْلَافُنَا ، وَذَلِكَ بِأَنْ تُبَدَّلَ حُرُوفُهَا إِلَى أَقْرَبِ الْحُرُوفِ الْمَوْجُودَةِ لَدَيْنَا ، وَأَنْ نُحَوِّلَ أَوْزَانَهَا إِلَى أَشْبِهِ الْأَوْزَانِ الَّتِي عِنْدَنَا .

◆ أَيْتِ ، مَا زَالَتْ لَدَيَّ بَعْضُ الْإِشْكَالَاتِ .

◇ دَعَيْتُ إِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ ، فَحَسْبِي وَحَسْبُكَ مَا أَلْمَمْنَا بِهِ فِي هَذِهِ الْجَلْسَةِ .

◆ إِذَنْ إِلَى الْجَلْسَةِ الْقَادِمَةِ .

◇ بِإِذْنِ اللَّهِ .

* * *

◆ أَيْتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ رَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ مَهْمُورَةً عَلَى وَزْنِ « أَفَعَلْتُ » ، وَالْكَاتِبُونَ يُخْطِئُونَ فِيهَا ؛ فَيَسْتَعْمِلُونَهَا عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » مِنْ غَيْرِ هَمَزٍ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ قَدْ أَفَدْتَ مِنْهَا فِي تَقْوِيمِ لِسَانِكَ وَتَهْدِيبِ بَيَانِكَ .

◆ كُلُّ الْفَائِدَةِ بِحَمْدِ اللَّهِ ، كُلُّ الْفَائِدَةِ ... وَالْآنَ أَبْقِي فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ يُعِينُ أَنْ أُضِيفَهُ إِلَى بَابِ : « مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ » مِنْ مُذَكِّرَاتِي ، أَمْ إِنَّكَ أَعَدَدْتَ لِي شَيْئًا جَدِيدًا ؟ .

◇ بَلْ مَا نَزَالَ فِي هَذَا الْبَابِ أَشْيَاءٌ وَأَشْيَاءٌ .

◆ إِذَنْ تَفْضَّلْ عَلَيَّ بِهَا ، وَلَكَ مِنِّي الشُّكْرُ ، وَمِنْ اللَّهِ الْمَثُوبَةُ .

◇ إِنَّ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَفْعَالِ مَهْمُورًا عَلَى وَزْنِ « أَفَعَلْتُ » وَالْكَاتِبُونَ

يُخْطِئُونَ فِيهِ ؛ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » قَوْلُهُمْ : طَلَّ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ بِمَعْنَى أَشْرَفَ عَلَيْهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ عَلٍ وَهُوَ خَطَأٌ .

◆ وَمَا صَوَابُهُ ؟ .

◇ الصُّوَابُ أَنْ يُقَالَ : أَطَلَّ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ .

◆ وَصِيغَةُ « طَلَّ » أَمَّا لَهَا وَجُودٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ؟ .

◇ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ لَهَا مَعَانِي أُخْرَى .

◆ وَمَا مَعَانِيهَا ؟ .

◇ يُقَالُ : طَلَّ الْمَدِينُ الدَّائِنُ أَيَّ مَطْلَهُ ، وَنَقَصَهُ حَقُّهُ ، وَيُقَالُ أَيْضًا : طَلَّتِ السَّمَاءُ الْأَرْضَ أَيَّ قَطَرَتْ عَلَيْهَا الطَّلَّ ، وَيُقَالُ أَيْضًا ...

◆ أَبَتِ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى يُتَاحَ لِي تَقْيِيدُ هَذِهِ الْقَوَائِدِ .

◇ حَاضِرٌ ... وَيُقَالُ أَيْضًا : طُلَّ الدَّمُ بِمَعْنَى أَهْدَرَ وَلَمْ يُؤْخَذْ بِحَقِّهِ أَوْ يُنَازَلَهُ ؛ فَهُوَ دَمٌ مَطْلُولٌ .

◆ إِذَنْ يُقَالُ : أَطَلَّ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ بِمَعْنَى أَشْرَفَ عَلَيْهِ ، وَيُقَالُ : طَلَّ الْمَدِينُ الدَّائِنُ أَيَّ مَطْلَهُ ، وَطَلَّتِ السَّمَاءُ الْأَرْضَ أَيَّ قَطَرَتْ عَلَيْهَا الطَّلَّ ، وَطُلَّ دَمٌ فُلَانٍ أَيَّ هُدِرَ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ : غَارَ الْقَوْمُ عَلَى أَغْدَائِهِمْ بِمَعْنَى شَتَّوا عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ ، وَهُوَ خَطَأٌ .

◆ خَطَأٌ !! .

◇ نَعَمْ هُوَ خَطَأٌ يَا بُنَيَّ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : أَغَارَ الْقَوْمُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ . ✽

◆ وَصِيغَةُ « غَارَ » أَمَّا لَهَا وَجُودٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ١٩ .

◇ بَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنْ لَهَا مَعَانِي أُخْرَى .

◆ وَمَا مَعَانِيهَا ؟ .

◇\ تَقُولُ : غَارَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ غَيْرَةً ، وَتَقُولُ : أَيْضًا غَارَتِ عَيْنُ الْمَاءِ بِمَعْنَى نَضَبَتْ .

◆ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ (١) .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ... وَتَقُولُ : أَيْضًا غَارَ النَّهَارُ إِذَا اشْتَدَّ حَرُّهُ .

◆ إِذَنْ يُقَالُ : أَغَارَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ بِمَعْنَى شَنَّ عَلَيْهِ الْعَارَةَ ، وَيُقَالُ : غَارَ مَاءُ الْبَيْرِ ، وَغَارَ فُلَانٌ عَلَى أَهْلِهِ ، وَغَارَ النَّهَارُ إِذَا اشْتَدَّ حَرُّهُ .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

* * *

◆ أَتَيْتُ ، وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ ، إِنِّي لَفِي شَوْقٍ إِلَى طِيبِ شَذَاهَا .

◇ مَا شَوْقُكَ إِلَيْهَا بِأَشَدِّ مِنْ شَوْقِي .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي أَغْرَاكَ بِرَوْضِهِ ؟ .

◇ إِنَّهُ ابْنُ وَكِيعِ التَّنِيسِيِّ .

(١) سورة الملك الآية ٣٠ .

◆ وَمَا اسْمُهُ وَأَيْنَ وُلِدَ وَنَشَأَ ؟

◇ اسْمُهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الصُّبَيْيِّ التَّنِيسِيِّ ، وُلِدَ وَتَوَفِّي فِي « تَنِيسَ » ، وَ« تَنِيسُ » بَلَدَةٌ مِنْ بُلْدَانِ الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ فِي الْقَطْرِ الْمِصْرِيِّ .

◆ يَتَدَوُّ أَنَّهُ شَاعِرٌ مَعْمُورٌ مُقِلٌّ .

◇ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ مَعْرُوفٌ لَهُ دِيَوَانٌ مَطْبُوعٌ ، وَقَدْ قَالَ عَنْهُ الثَّعَالِبِيُّ فِي كِتَابِهِ « يَتِيَمَةُ الدَّهْرِ » ، قَالَ عَنْهُ : إِنَّهُ شَاعِرٌ بَارِعٌ ، وَغَالِمٌ جَامِعٌ ، قَدْ بَرَعَ فِي إِيَّانِهِ^(١) عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ ؛ فَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ ، وَلَهُ كُلُّ بَدِيعَةٍ تَسْحَرُ الْأَوْهَامَ ، وَتَسْتَعِيدُ الْأَفْهَامَ .

◆ وَمَا الطَّاقَةُ الَّتِي جَنَّبَتْهَا مِنْ رَوْضِهِ ؟

◇ إِنَّهَا قَصِيدَةٌ قَالَهَا فِي وَصْفِ الرَّبِيعِ .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟

◇ يَقُولُ :

فَرِشَ الْفَضَاءِ بِأَحْمَرٍ وَبِأَضْفَرِ

وَبَدَثَ لَنَا حُلُلُ الرَّبِيعِ الْمُزْهِرِ

هَلِي الرِّيَاضُ كَأَنَّهُنَّ عَرَائِسُ

يَحْتَلْنَ بَيْنَ تَمَائِلٍ وَتَبْخُثِرِ

وَالسَّرْوُ تَنْبِيهِ الرِّيحِ لَوَاعِبَا

مِنْ فَوْقِ جَدُولِ مَائِهِ الْمُتَفَجِّرِ

(١) فِي إِيَّانِهِ : فِي رِقَّتِهِ وَعَصَمِهِ .

وَزِدْ كَوَاجِنَهُ كَاعِبٍ^(١) قَدْ مُوزِحَتْ^(٢)

فَتَرَا جَعَتْ حَجَلَى بِفَرْطٍ تَحِيرِ

فَكَائِمًا النَّارُجُ فِي أَغْصَانِهِ

أَكْرَ خُرْطُنَ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَخْمَرِ

وَكَائِمًا الْأَنْرَجُ^(٣) أَكْؤُسُ^(٤) عَشَجِدِ

وَلَهَا مَقَابِضُ مِنْ حَرِيرٍ أَخْضَرِ

وَالنَّرْجِسُ الرِّيَّانُ بَيْنَ رِيَاضِهِ

يَزُؤُ بِعَيْنِ الْبَاهِتِ الْمُتَحِيرِ

وَالْجُلْنَارُ^(٥) يُرِيكَ فِي أَثْوَابِهِ

نَوْعَيْنِ بَيْنَ مُزْعَفِرٍ وَمُعْصَفِرِ

◆ لِلَّهِ هَذَا الرِّبْعُ كَمْ أَوْحَى لِلشُّعْرَاءِ مِنَ الرِّوَائِعِ .

* * *

◆ أَتَيْتِ ، لَدَيَّ سُؤَالَ فَهَلْ تَأْذُنُ ؟ .

◇ هَاتِي مَا عِنْدَكَ .

◆ يَدُورُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ كَثِيرًا الْفِعْلُ « اسْتَشْهَدَ » فَيَرِدُ تَارَةً مَبْنِيًّا لِلْمَعْلُومِ ؛ فَيَقَالُ :
« اسْتَشْهَدَ فُلَانٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ، وَيَرِدُ تَارَةً أُخْرَى مَبْنِيًّا لِلْمَجْهُولِ ؛ فَيَقَالُ :

(١) الكاعب : العبية في أول عمر الشباب ، يقال : كعب نهدا أي استدار .

(٢) موزحت : أي مازحها رجل فاستحييت وتراجعت .

(٣) الأنرج : نوع من الفاكهة .

(٤) أكؤس : كؤوس .

(٥) الجلنار : زهر الرمان .

« اسْتَشْهِدْ فَلَانٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ؛ أَفَهُمَا لُعْنَانِ ، أَمْ إِنَّ إِحْدَاهُمَا صَوَابٌ
وَالْأُخْرَى خَطَأٌ ؟ .

◇ مَا هُمَا بِلُعْنَتَيْنِ يَا بُنَيَّ ، وَإِنَّمَا هِيَ لُعْنَةٌ وَاحِدَةٌ لَا ثَانِي لَهَا ، فَقَدْ نَصَّبْتُ كُتُبَ
اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ اسْتَشْهِدَ لَا يَأْتِي إِلَّا مَبْنِيًّا لِلْمَجْهُولِ ، حَيْثُ تَقُولُ :
اسْتَشْهِدَ فَلَانٌ لَا غَيْرَ .

◆ وَمَنْ يَتَّبِعُهُ لِلْمَعْلُومِ ١٢ .

◇ مَنْ يَتَّبِعُهُ لِلْمَعْلُومِ فَهُوَ مُخْطِئٌ .

◆ وَهَلْ هُنَاكَ أَفْعَالٌ أُخْرَى تَلْزِمُ الْبِنَاءَ لِلْمَجْهُولِ غَيْرُ الْفِعْلِ اسْتَشْهِدَ ؟ .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، لَقَدْ أَوْرَدَ الْعُلَمَاءُ طَائِفَةً مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَلْزِمُ الْبِنَاءَ لِلْمَجْهُولِ
وَتَبْنِيهَا عَلَى عَدَمِ جَوَازِ بِنَائِهَا لِلْمَعْلُومِ .

◆ وَمَا هَذِهِ الْأَفْعَالُ طَالَ بَقَاؤُكَ ؟ .

◇ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ يَا بُنَيَّ :

الْفِعْلُ زُهِيَ بِمَعْنَى أَعْجَبَ ، حَيْثُ تَقُولُ : زُهِيَ فَلَانٌ بِنَفْسِهِ فَهُوَ مَرْهُوٌّ بِهَا
أَيُّ مُعْجَبٌ .

وَمِنْهَا الْفِعْلُ عُنِيَ بِمَعْنَى اهْتَمَّ ، حَيْثُ تَقُولُ : عُنِيَ فَلَانٌ بِالْأَمْرِ أَيَّ اهْتَمَّ بِهِ
فَهُوَ مَعْنِيٌّ بِهِ .

◆ عَظِيمٌ .

◇ وَمِنْهَا الْفِعْلُ بُهِتَ ، حَيْثُ تَقُولُ : أَقَمْتُ عَلَى فَلَانٍ الْحُجَّةَ فَبُهِتَ وَلَمْ يُجِرْ
جَوَابًا .

وَمِنْهَا الْفِعْلُ أُغْمِي ، حَيْثُ تَقُولُ : رَأَى فُلَانٌ الْهَوْلَ فَأُغْمِي عَلَيْهِ .
وَمِنْهَا الْفِعْلُ أُزَيِّجُ ^(١) ، حَيْثُ تَقُولُ : أُزَيِّجُ عَلَى الْخَطِيبِ فَلَمْ يَنْطِقْ بِسِتِ
شَفَةِ .

وَمِنْهَا الْفِعْلُ امْتَقِعْ وَأَسْقِطْ ، حَيْثُ تَقُولُ : وَوَجْهَ فُلَانٍ بِفَعْلَتِيهِ فَأَمْتَقِعْ لَوْنَهُ ،
وَأَسْقِطْ فِي يَدِهِ .

◆ وَلَكِنَّ صِبْغَةَ امْتَقِعْ كَثِيرَةُ الدَّوَرَانِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ !! .

◇ إِنَّ كَثْرَةَ دَوَرَانِ الْخَطَا عَلَى الْأَلْسِنَةِ لَا تَجْعَلُ مِنْهُ صَوَابًا .

◆ وَلَكِنْ مَا رَأَيْتُكَ فِي الْكَلِمَةِ الَّتِي تَقُولُ :
خَطَاً مَشْهُورًا ، خَيْرٌ مِنْ صَوَابٍ مَهْجُورٍ .

◇ هَذَا كَلَامٌ يَقُولُهُ الْعَاجِزُونَ ؛ لِيَسْتَرْوَا بِهِ عَجْزَهُمْ ، وَيَعْتَصِمُوا بِهِ الْجَاهِلُونَ ؛
لِيُغْطُوا بِهِ جَهْلَهُمْ .

◆ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْجَهْلِ .

◇ وَأَخِيرًا ، فَإِنَّ مِنْ أَشْهَرِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَلْزَمُ الْبِنَاءَ لِلْمَجْهُولِ الْفِعْلُ اخْتَضِرَ
بِمَعْنَى دَخَلَ فِي التَّرْعِ ، تَقُولُ : اخْتَضِرَ فُلَانٌ ثُمَّ وَافَتْهُ الْمَنِيَّةُ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَطُرْفَةُ الْجَلْسَةِ ، أَرْجُو أَلَّا تَكُونَ قَدْ نَسِيتَهَا .

◇ إِذَا نَسِيتَهَا أَنَا فَلَنْ تَنْسَاهَا أَنْتَ ، وَعَلَى أَيِّ حَالٍ قَاتَا لَمْ أَنْسَهَا .

◆ إِذَنْ تَفْضِلْ عَلَيَّ بِهَا .

(١) أزيج : استغلق عليه الكلام فلم يقدر على النطق .

◇ تَقَدَّمَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مَسْلَمَةَ كَبِيرِ وُزَرَاءِ
الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، تَقَدَّمُوا إِلَيْهِ بِكِتَابٍ يَدْعُونَ أَنَّهُ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
إِلَى يَهُودِ خَيْبَرَ بِإِسْقَاطِ الْجِزْيَةِ عَنْهُمْ ، وَفِيهِ شَهَادَاتُ الصُّحَابَةِ ، وَادَّعَوْا أَنَّهُ
بِحَظِّ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَعَرَضَهُ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ عَلَى الْعَالِمِ الْمُؤَرِّخِ
الْمَعْرُوفِ بِالْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ ؛ فَمَا إِنْ نَظَرَ فِيهِ حَتَّى قَالَ : إِنَّهُ مُزَوَّرٌ .
فَقِيلَ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكَ ؟ !

فَقَالَ : فِي الْكِتَابِ شَهَادَةُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَمُعَاوِيَةُ أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ فِي
السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ أَيْ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ
مُعَاوِيَةُ وَيَغْدُو مِنَ الصُّحَابَةِ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ .

ثُمَّ إِنْ فِي الْكِتَابِ شَهَادَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ تُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ،
وَيَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ لِلْهِجْرَةِ أَيْ قَبْلَ صُذُورِ الْكِتَابِ الْمَزْعُومِ
بِعَامَيْنِ .

فَاسْتُخْسِنَ ذَلِكَ مِنَ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ .

وَرَدُّ طَلَبِ الْيَهُودِ . *

* * *

الْجَلْسَةُ الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ

قُدْرَةُ اللُّغَةِ عَلَى اسْتِيعَابِ مُسْتَحْدَثَاتِ الْحَيَاةِ الْمُتَطَوِّرَةِ

- ◆ أَيْتِ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ .
- ◇ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَهُدَاهُ .
- ◆ أَيْتِ ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - حَدَّثْتَنِي فِي الْجَلْسَةِ السَّابِقَةِ عَنِ الدَّخِيلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ .
- ◇ نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ .
- ◆ ثُمَّ إِنَّ الْوَقْتَ قَدْ ضَاقَ بِكَ عَنِ اسْتِكْمَالِ مَا بَدَأْتَهُ .
- ◇ نَعَمْ أَذْكُرُ ذَلِكَ ، نَعَمْ .
- ◆ وَقَدْ أَثَارَ هَذَا الْمَبْحَثُ لَدَيَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَشْكَلَاتِ .
- ◇ سَأُحْلِلُهَا لَكَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً بِإِذْنِ اللَّهِ .
- ◆ كَمَا عَوَّدْتَنِي دَائِمًا .
- ◇ وَلَكِنْ مَا الْمَشْكَلَاتُ الَّتِي يَقِيتُ لَدَيْكَ وَلَمْ تُحَلِّ ؟ .

◆ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَ عَمَّا إِنْ كَانَتْ لَعْنَتُنَا قَدْ انْقَرَدَتْ عَنْ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ الْآخَرَى بِوُجُودِ الدَّخِيلِ فِيهَا ؛ أَمْ إِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَامٌّ فِي سَائِرِ اللُّغَاتِ ؟ .

◇ نَبْلُ هُوَ نَامُوسٌ عَامٌّ مِنْ نَوَامِيسِ اللُّغَاتِ ، وَلَمْ تَشُدَّ عَنْهُ آيَةُ لُغَةٍ مِنْ لُغَاتِ الْأَرْضِ كَمَا يَقَرُّرُ الْعُلَمَاءُ ... وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أُوكِّدَ لَكَ بِأَنَّ الدَّخِيلَ فِي لَعْنَتِنَا أَقْلٌ مِنْهُ فِي آيَةِ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ الْآخَرَى ؛ فَالْإِنْجِيلِيَّةُ أَخَذَتْ عَنِ النُّورْمَانْدِيَّةِ (١) مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَأْخُذَ ، وَاللَّاتِينِيَّةُ أَخَذَتْ عَنِ الْإِغْرِيقِيَّةِ الْجَمِّ الْكَثِيرِ .
وَاللُّغَاتُ الْأُورُيَّةُ عَامَّةً أَخَذَتْ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ كَثِيرًا جَدًّا مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالْأَسْمَاءِ .
◆ وَمَتَى تَمَّ هَذَا الْأَخْذُ ؟ .

◇ تَمَّ هَذَا الْأَخْذُ يَا بُنَيَّ ، إِبَّانَ حُكْمِ الْعَرَبِ لِلْأَنْدَلُسِ ، فَقَدْ فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ أَبْوَابَ مَدَارِسِهِمْ فِي وُجُوهِ أُنْبَاءٍ « أُورُبَّا » ؛ فَجَعَلُوا يَفْقِدُونَ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ لِيَتَهَلَّوْا مِنْ مَوَارِدِهَا الصَّافِيَةِ ، وَيَتَزَوَّدُوا مِنْ مَعَارِفِهَا النَّافِعَةِ .

◆ سَقِيَا لِيَتَلَ الْعُهُودُ ، وَرَغْبًا لَهَا مِنْ عُهُودِ .

◇ وَقَدْ نَقَلَ هَؤُلَاءِ الطُّلَّابُ الْأُورُيُّونَ إِلَى لُغَاتِهِمْ آلَافَ الْأَلْفَافِ ، وَالْأَسْمَاءِ ، وَالْمُصْطَلَحَاتِ .

◆ نَعَمْ ، نَعَمْ .

◇ وَتَمَّ هَذَا الْأَخْذُ أَيْضًا زَمَنَ الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ ، وَإِقَامَةِ الْأُورُيِّينَ فِي دِيَارِنَا مُدَّةَ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ ... أَخَذَ خِلَالَهُ الْغَزَاةُ كَثِيرًا مِنَ أَلْفَاظِنَا الْحَضَارِيَّةِ ، وَنَقَلُوهَا إِلَى لُغَاتِهِمْ .

(١) النورماندية : لغة منسوبة إلى « نورمانديا » ، وهي مقاطعة على الأطلسي في شمال غربي « فرنسا » ، سكنها النورمان منذ أوائل القرن العاشر .

- ◆ أبت ، عفوك ، أَرَأَا قَدْ ابْتَعَدْنَا عَنْ صُلْبِ الْمَوْضُوعِ .
- ◇ إِذَنْ فَلْتَعُدْ إِلَيْهِ بِسَلَامٍ .
- ◆ حَسَنٌ ... نَحْنُ الْيَوْمَ أُمَّةٌ مُتَخَلِّفَةٌ صِنَاعِيًّا وَعِلْمِيًّا .
- ◇ مَعَ شَدِيدِ الْأَسْفِ .
- ◆ وَ«أُورُبَّا» تُطَالِعُنَا كُلَّ صَبَاحٍ بِعَشْرَاتِ الْمُخْتَرَعَاتِ وَالْمُبْتَكِرَاتِ ، وَتَقْدِفُ إِلَيْنَا فِي كُلِّ آتٍ بِمُصْطَلَحَاتٍ جَدِيدَةٍ ، وَأَسْمَاءٍ لَا عَهْدَ لَنَا بِهَا مِنْ قَبْلُ .
- ◇ ذَلِكَ أَمْرٌ وَاقِعٌ لَا مِرْيَةَ فِيهِ .
- ◆ فَمَآذَا نَصْنَعُ ؟ ... أَنْفَتَحُ صُدُورَنَا لِهَذِهِ الْآلَافِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ وَالْأَسْمَاءِ وَنُدْخِلُهَا فِي لُغَتِنَا ، أَمْ نُغْضِي عَنْهَا وَنُدِيرُ لَهَا ظُهُورَنَا ؟
- ◇ إِنَّهُ لَسُؤَالٌ جَدِيرٌ بِالِاهْتِمَامِ ، وَمُشْكِلَةٌ تَفْرِضُهَا عَلَيْنَا طَبِيعَةُ الْمَرْحَلَةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا أُمَّتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ .
- ◆ وَكَيْفَ يُحَلُّ هَذَا الْإِشْكَالُ ؟ .
- ◇ أَوَّلًا : نَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُغْضِيَ عَنْ هَذِهِ الْحَضَارَةِ ، وَلَيْسَ فِي وُسْعِنَا ، وَلَا مِنْ مَصْلَحَتِنَا أَنْ نُدِيرَ لَهَا ظُهُورَنَا .
- ◆ وَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ ؛ كُتِبَ عَلَيْنَا التَّخَلُّفُ إِلَى الْأَبَدِ .
- ◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، لِذَا فَنَحْنُ مَدْعُوُونَ لِلْإِفَادَةِ مِنَ التَّقَدُّمِ الْعِلْمِيِّ وَالصَّنَاعِيِّ الَّذِي حَقَّقَتْهُ «أُورُبَّا» ، وَمَدْعُوُونَ أَيْضًا لِمُعَالَجَةِ الْمَشْكِلَةِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ .

◆ وَكَيْفَ ؟ .

◇ نَعَالِجُهَا كَمَا عَالَجَهَا أَسْلَفُنَا فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ مَثَلًا .

◆ وَهَلْ عَانِيَ أَسْلَفُنَا بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُسْكِلَةِ ١٩ .

◇ نَعَمْ عَانَوْهَا ، وَتَعَلَّبُوا عَلَيْهَا ، وَخَرَجُوا مِنَ الْمَعْرَكَةِ ظَافِرِينَ مُسْتَفْظِلِينَ بِمَسْنَاءِ لُغَتِهِمْ وَنَقَائِهَا ؛ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَقْرِيطٍ .

◆ وَكَيْفَ ١٩ .

◇ لَمَّا أَطْلُ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ كَانَتْ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَدْ بَلَغَتْ شَأْوَهَا ^(١) فِي الْفَتْحِ وَأَخَذَتْ تَمِيلُ إِلَى الْإِسْتِقْرَارِ وَالْأَخْذِ بِأَسْبَابِ الْحَضَارَةِ ، وَهُنَا وَاجَهَتْهُمْ فَلَسَفَةُ « الْيُونَانِ » وَعُلُومُهُمْ وَطِبُّهُمْ ، وَحِكْمَةُ الْهُنُودِ وَأَدَبُهُمْ ، وَكَانَتْ كُلُّهَا مَكْتُوبَةٌ بِلُغَةٍ غَيْرِ لُغَتِهِمْ ، مُدَوَّنةٌ بِمُصْطَلَحَاتٍ غَيْرِ مُصْطَلَحَاتِهِمْ .

◆ وَمَاذَا صَنَعُوا إِزَاءَ ذَلِكَ ؟ .

◇ أَوَّلًا : هُمْ لَمْ يُدِيرُوا ظُهُورَهُمْ لِهَذِهِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ ، وَلَوْ فَعَلُوا لَحَسِرَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ وَالْحَضَارَةُ خَسَارَةً لَا تُقَدَّرُ وَلَا تُعَوَّضُ .

◆ مَا فِي ذَلِكَ رَبِّتْ .

◇ وَإِنَّمَا أَقْبَلُوا عَلَى هَذِهِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ إِقْبَالَ الظُّمآنِ عَلَى الْمَاءِ الزَّلَالِ .

◆ وَكَيْفَ حَلُّوا الْمُسْكِلَةَ اللُّغَوِيَّةَ ؟ .

◇ حَلُّوْهَا - يَا بُنَيَّ - بِأَنْ رَجَعُوا إِلَى لُغَتِهِمْ ، وَاسْتَخْرَجُوا مَا فِيهَا مِنَ الطَّاقَاتِ

(١) شأوها : غابتها ، ومدى ما يمكن الوصول إليه .

الهابِلةِ الفَادرَةِ عَلَى اسْتِيعَابِ جَمِيعِ شُؤْنِ الحَيَاةِ .

◆ نَعَمْ .

◇ وَلَقَدْ اسْتَعَانُوا عَلَى ذَلِكَ بِالنُّزْوَةِ اللُّغَوِيَّةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَمْلِكُهَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ .

◆ حَسَنٌ .

◇ وَاسْتَفَادُوا مِنْ خَاصَّةِ الْإِسْتِيقَاقِ الَّتِي امْتَنَزَتْ بِهَا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى سَائِرِ اللُّغَاتِ الْحَيَّةِ ، فَوَلَّدُوا بِوَاسِطَتِهَا آلَافَ الْأَلْفَافِ وَالْمُصْطَلَحَاتِ .

◆ نَعَمْ .

◇ كَمَا اسْتَفَادُوا مِنْ خَاصَّةِ الْقِيَاسِ الَّذِي رَحَّبَ آفَاقَ اللُّغَةِ وَمَدَّ فِي طَاقَاتِهَا ، وَفِي الْحَالَاتِ الْقَلِيلَةِ النَّادِرَةِ الَّتِي لَمْ يَجِدُوا فِي مُفْرَدَاتِ اللُّغَةِ وَلَا فِي مُسْتَقَاتِهَا وَلَا فِي قِيَاسِهَا مَا يَشُدُّ حَاجَتَهُمْ ... فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ الْقَلِيلَةِ ؛ لَجَأُوا إِلَى الْإِسْتِيعَانَةِ بِالدُّخِيلِ عَنْ طَرِيقِ التَّعْرِيبِ .

◆ وَنَحْنُ مَاذَا نَصْنَعُ الْيَوْمَ ؟ .

◇ نَصْنَعُ كَمَا صَنَعُوا ... تَنْشِطُ مَجَامِعُنَا الْعِلْمِيَّةُ وَاللُّغَوِيَّةُ النِّشَاطَ الَّذِي كَانَ لَدَيْ أَسْلَافِنَا ، وَيَبَادِرُ عُلَمَاؤُنَا لِكُلِّ مُسَمًّى جَدِيدٍ أَوْ مُصْطَلَحٍ طَارِئٍ ؛ فَيَبْحَثُونَ لَهُ فِي مُعْجَمَاتِنَا عَمَّا يَقُومُ بِهِ وَيُؤَدِّيهِ بَحْثًا جَادًّا مُخْلِصًا ، مُسْتَعِينِينَ بِخَاصَّتِي الْإِسْتِيقَاقِ وَالْقِيَاسِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

◆ وَإِذَا لَمْ يَجِدُوا مُبْتَغَاهُمْ ؟ .

◇ عِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَالْمُصْطَلَحَاتِ مِنْ لُغَاتِهَا الْأَجْنَبِيَّةِ وَيُدْخِلُونَهَا إِلَى صُلْبِ الْعَرَبِيَّةِ .

◆ حَسَنٌ .

◇ وَلَكِنْ بِشَرْطٍ .

◆ وَمَا هُوَ ؟ .

◇ بِشَرْطٍ أَنْ يَسْتَنْفِدُوا غَايَةَ جَهْدِهِمْ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَصِيلَةِ ؛
قَبْلَ الْأَخْذِ بِالْكَلِمَةِ الْأَعْجَمِيَّةِ الدَّجِيلَةِ .

◆ لَا ضَيْرَ فِي هَذَا الشَّرْطِ .

◇ بَلْ هُوَ شَرْطٌ لَازِبٌ ^(١) لَا زَمَ ؛ لَا بُدَّ مِنْ تَحْقِيقِهِ .

◆ نَعَمْ .

◇ وَبِشَرْطٍ آخَرَ .

◆ وَمَا هُوَ ؟ .

◇ أَنْ يُنَادِرُوا إِلَى الْبَحْثِ عَنِ الْأَسْمَاءِ الْجَدِيدَةِ مُنْذُ ظُهُورِ مُسَمِّيَاتِهَا إِلَى
الْوُجُودِ ، وَأَلَّا يُؤَخَّرُوا ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَسْتَقِرَّ الْأَسْمَاءُ وَالْمُصْطَلَحَاتُ الْأَجْنَبِيَّةُ
فِي أَذْهَانِ النَّاسِ ؛ وَتَدُورَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، وَتَعْدُو جُزْءًا مِنْ مُعْجَمِهِمْ ... ثُمَّ
يَأْتِي عُلَمَاءُ اللُّغَةِ لِيَقُولُوا لَهُمْ ااتْرُكُوا مَا حَفِظْتُمُوهُ وَالْفُتُمُوهُ ، وَخُذُوا مَكَانَهُ
هَذَا الْجَدِيدَ .

◆ ذَلِكَ أَمْرٌ لَا مِرْيَةَ فِيهِ .

◇ ذَلِكَ أَمْرٌ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ فِي مَكَانٍ ، فَكَثِيرًا مَا نَحْفَظُ بَعْضَ الْمُصْطَلَحَاتِ

(١) لازب : ثابت مؤكد .

وَالْأَسْمَاءِ الْأَعْجَبِيَّةِ وَنَسْتَعْمِلُهَا رَدًّا مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ يَقُومُ عَالِمٌ لُغَوِيٌّ
أَوْ مَجْمَعٌ عِلْمِيٌّ فَيَقُولُ لِلنَّاسِ: اتْرُكُوا مَا حَفِظْتُمُوهُ وَخُذُوا هَذَا بَدَلًا عَنْهُ،
فَلَا يَجِدُونَ سَمِيحًا مُجِيبًا.

◆ وَمَجَامِعُنَا اللُّغَوِيَّةُ ۱۱ أَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَوْقِفٌ مِنْ مُشْكِلَةِ التَّعْرِيبِ هَذِهِ؟

◇ تَلَى يَا بُنَيَّ تَلَى ... لَقَدْ عَالَجَ الْمَجْمَعُ اللُّغَوِيُّ فِي «الْقَاهِرَةِ» هَذِهِ الْمُسْكِلَةَ،
وَاتَّخَذَ فِيهَا الْقَرَارَ الثَّالِي: «يُجِيزُ الْمَجْمَعُ أَنْ تُسْتَعْمَلَ بَعْضُ الْأَلْفَاظِ
الْأَعْجَبِيَّةِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ؛ وَذَلِكَ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ فِي تَغْرِيبِهِمْ».

◆ حَسَنٌ.

◇ وَقَدْ شَرَحَ هَذَا الْقَرَارَ الْعَالِمُ الْجَلِيلُ الشَّيخُ أَحْمَدُ الْإِسْكََنْدَرِيُّ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ
الرُّخْصَةَ قَدْ قُصِرَتْ عَلَى حَالَاتِ الضَّرُورَةِ، وَإِنَّ هَذِهِ الرُّخْصَةَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
مَجَالِ الْأَلْفَاظِ الْفَنِّيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، وَإِنَّ هَذِهِ الرُّخْصَةَ لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي حَالِ
الْعَجْزِ عَنْ إِيجَادِ اللَّفْظِ الْمُقَابِلِ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْفُضْحَى.

* * *

◆ أَبَتِ، كُنْتُ - طَالَ بَقَاؤُكَ - قَدْ زَوَّدْتَنِي بِطَائِفَةٍ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ
الْعَرَبِ مَهْمُورَةً عَلَى وَزْنِ «أَفَعَلْتُ»، وَالْكَاتِبُونَ يُخْطِئُونَ فِيهَا؛ فَيَسْتَعْمِلُونَهَا
عَلَى وَزْنِ «فَعَلْتُ» مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ.

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ.

◆ وَقَدْ كَانَ لِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ أَكْثَرُ الْأَثَرِ فِي تَقْوِيمِ لِسَانِي.

◇ الْحَمْدُ لِلَّهِ، ذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ.

◆ وَالْآنَ، أَبْقِي فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءًا لِأَضِيفَهُ إِلَى بَابِ: «مَا يُقَالُ وَمَا لَا يُقَالُ»

مِنْ مُذَكِّرَاتِي ، أَمْ إِنَّكَ أَغْدَدْتَ لِي شَيْئًا جَدِيدًا ؟ .

◇ بَلْ مَا يَزَالُ فِي هَذَا الْبَابِ أَشْيَاءُ وَأَشْيَاءُ .

◆ إِذَنْ تَفْضُلُ عَلَيَّ بِتَغْضِيهَا زَادَكَ اللَّهُ فَضْلًا وَعِلْمًا .

◇ إِنَّ مِمَّا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَفْعَالِ مَهْمُوزًا عَلَى وَزْنِ « أَفْعَلْتُ » ، وَتَعَثَّرَ بِهِ الْأَقْلَامُ فَتَوَرَّدَ عَلَى وَزْنِ « فَعَلْتُ » قَوْلُهُمْ : ضِفْتُ فَلَانًا بِمَعْنَى أَنْزَلْتُهُ عَلَيَّ ضَيْفًا ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : أَضَفْتُ فَلَانًا أُضِيفُ . وَكَذَلِكَ تَقُولُ : أَضَفْتُ فَلَانًا إِلَى فَلَانٍ بِمَعْنَى نَسَبْتُهُ إِلَيْهِ .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِيغَةِ « ضِفْتُ » أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ؟ .

◇ بَلْ هِيَ مُوجُودَةٌ يَا بُنَيَّ ، وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ .

◆ وَمَا مَعْنَاهَا ؟ .

◇ تَقُولُ : ضِفْتُ فَلَانًا ؛ إِذَا نَزَلَتْ أَنْتَ عَلَيْهِ ضَيْفًا .

◆ عَظِيمٌ ... إِذَنْ أَقُولُ : أَضَفْتُ فَلَانًا إِذَا أَنْزَلْتُهُ عَلَيَّ ضَيْفًا ، وَضِفْتُ فَلَانًا إِذَا نَزَلْتُ أَنَا عَلَيْهِ ضَيْفًا .

◇ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

◆ وَأَيْضًا ؟ .

◇ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُهُمْ : رَاقَ الدَّمُ بِمَعْنَى أَسَالَهُ وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ : أَرَاقَ الدَّمُ .

◆ وَمَاذَا عَنْ صِيغَةِ « رَاقَ » أَمَا لَهَا وَجُودٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ؟ .

◇ بَلْ هِيَ مُوجُودَةٌ وَلَكِنْ يَسْتَعْنِي آخَرُ .

◆ وَمَا مَعْنَاهَا ؟ .

◇ تَقُولُ : رَاقِنِي الشَّيْءُ يَرُوقُنِي بِمَعْنَى أَعْجَبَنِي يُعْجِبُنِي .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلُّ خَيْرٍ .

◇ آمِينَ ، اللَّهُمَّ آمِينَ .

* * *

◆ وَرَوْضَةُ الشُّعْرِ ، مَاذَا عَنْ رَوْضَةِ الشُّعْرِ ؟ .

◇ إِنَّهَا نَدِيَّةٌ مِغْطَاةٌ .

◆ وَمَنْ الشَّاعِرُ الَّذِي سَنِلِمُ بِرَوْضِهِ ؟ .

◇ هُوَ مَجْدُ الدِّينِ الْإِزْبِلِيِّ .

◆ وَأَيْنَ وُلِدَ مَجْدُ الدِّينِ ، وَفِي أَيِّ عَصْرِ كَانَ ؟ .

◇ وُلِدَ مَجْدُ الدِّينِ - يَا بُنَيَّ - فِي مَدِينَةِ «إِزْبِلَ»^(١) وَتَنَقَّلَ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْحَيْنِ إِلَى «دِمَشْقَ» ، فَمَا ابْتَعَدَ عَنْهَا مَرَّةً إِلَّا دَعَتْهُ دَوَاعِي الشُّوقِ إِلَيْهَا ، فَسَرَّعَانَ مَا كَانَ يُلَبِّي النَّدَاءَ ، وَقَدْ وُجِدَ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ .

◆ إِذَنْ هُوَ مِمَّنْ يَدْعُونَهُمْ بِشُعْرَاءِ عَصْرِ الْإِنِحْطَاطِ .

◇ إِنَّ فِي إِطْلَاقِ صِفَةِ الْإِنِحْطَاطِ عَلَى هَذَا الْعَصْرِ لَظُلْمًا كَبِيرًا لِلْحَقِيقَةِ وَالتَّارِيخِ ، فَقَدْ وُجِدَ فِي هَذَا الْعَصْرِ شُعْرَاءُ أَفْذَاذُ كَمَجْدِ الدِّينِ الْإِزْبِلِيِّ ،

(١) لابل ؛ مدينة في شمال العراق .

وَوُجِدَ آخَرُونَ مُقْصَرُونَ .

◆ وَمَا الْقَصِيدَةُ الَّتِي جَنَّبَتْهَا مِنْ رَوْضِهِ ؟ .

◇ قِطْعَةٌ رَائِعَةٌ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ قَالَهَا يَتَشَوَّقُ فِيهَا إِلَى « دِمَشق » .

◆ وَمَاذَا يَقُولُ فِيهَا ؟ .

◇ يَقُولُ :

لَعَلَّ سَنَا بَرَقَ الْجَمَى يَتَأَلَّقُ
عَلَى النَّأْيِ أَوْ طَيْفًا لِأَسْمَاءٍ يَطْرُقُ
وَعَلَّ الرِّيحَ الْهَرَجَ تُهْدِي لِنَارِجِ
عَنِ الشَّامِ عَرَفَا كَاللَّطِيمَةِ^(١) يَغْبِقُ
دِيَارَ قَضَيْنَا الْعَيْشَ فِيهَا مُنْعَمًا^(٢)
وَأَيَّامُنَا تَخْثُو عَلَيْنَا وَتُشْفِقُ
رِيَاضُ كَوْشِي الْبُرْدِ تَزْهَو بِحُسْنِهَا
جَدَاوِلُهَا وَالنُّورُ بِأَلْمَاءٍ يُشْرِقُ
فَمِنْ نَزْجٍ يَحْشَى فِرَاقَ رِيَاضِهِ
تَرَى الدُّمْعَ فِي أَجْفَانِهِ يَتَرَفَّقُ
كَأَنَّ قُدُودَ السُّرُورِ فِيهِ مُؤَانِسًا
قُدُودُ عَذَارَى مَيْلِهَا مُتَرَفَّقُ

(١) اللطيمة : وعاء المسك .

(٢) مُنْعَمًا : ذا نعيم ورفاهية وسعادة .

إِذَا مَا تَدَاعَتْ لِلسَّعَاتِ صُدَّهَا

عُيُونٌ مِنَ النُّورِ الْمُفْطِحِ تَرْمُقُ^(١)

وَكَمْ جَذُولٍ جَارٍ يُطَارِدُ جَذُولًا

وَكَمْ جَوْسِقٍ^(٢) عَالٍ يُوَازِيهِ جَوْسِقُ

وَفِي الرُّبُوعِ السَّمَاءِ لِلْقَلْبِ جَاذِبٌ

وَلِلَّهِمْ مَسَلَةٌ وَلِلْعَيْنِ مَرْمَقُ

وَبِالْمِزَّةِ الْفَيْحَاءِ دَامَ نَعِيمُهَا

جَنَّانٌ تَأْتِي أَهْلُهَا وَتَأْنَقُوا

حَدَائِقُهَا مِنْ رَيْهَا ذَاتُ بَهْجَةٍ

بِهَا الرِّاحُ وَالرَّيْحَانُ وَالْوَرْدُ مُخْدِقُ

أَجِيرَانَنَا بِالْغُوطَتَيْنِ عَلَيْكُمُ

سَلَامٌ مَشُوقٍ قَدْ بَرَاهُ التَّشْوِيقُ

* * *

◆ أَيْتٌ ، لَدَيْ سُؤَالٍ فَهَلْ تَأْذُنُ ؟ .

◇ هَاتِي هَاتِي ، فَأَسْأَلُكَ فِيهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ .

◆ أَكْثَرَ اللَّهِ عَلَيْكَ الْخَيْرَ وَمَتَّعَكَ بِالصُّحَّةِ .

◇ وَمَا سُؤَالُكَ ؟ .

◆ أَيْتٌ ، يَقُولُ زُهَيْرٌ :

(٢) الجوسق : الحصن أو النصر الصغير .

(١) ترمق : تنظر .

وَمِنْهُمَا تُكْنِ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تُخَفِي عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

◇ نعم .

◆ فَمَا مَوْقِعُ «مِنْ» فِي قَوْلِهِ : «مِنْ خَلِيقَةٍ» ؟ .

◇ «مِنْ» هَذِهِ زَائِدَةٌ يَا بُنَيَّ .

◆ وَمَا الْغَرَضُ مِنَ الْإِثْنَانِ بِهَا إِذَا كَانَتْ زَائِدَةً ؟ .

◇ الْقَوْلُ بِزِيَادَةِ «مِنْ» لَا يَفْتَضِي إِلَّا يَكُونُ هُنَاكَ غَرَضٌ مِنْ إِبْرَادِهَا ، وَإِنَّمَا يَفْتَضِي أَنَّهُ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ .

◆ وَمَا السُّرُّ فِي زِيَادَتِهَا ؟ .

◇ زِيَادَةُ «مِنْ» كَمَا فِي الْبَيْتِ الَّذِي أَوْرَدْتَهُ ، وَزِيَادَةُ «النَّبَاءِ» كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١) إِنَّمَا هِيَ لِلتَّوْكِيدِ وَتَقْوِيَةِ الْكَلَامِ .

◆ لِلتَّوْكِيدِ وَتَقْوِيَةِ الْكَلَامِ !! .

◇ نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَعَمْ ، أَلَا تَجِدُ فَرْقًا بَيْنَ قَوْلِي لَكَ :
أَنَا لَسْتُ قَادِمًا غَدًا ، وَبَيْنَ قَوْلِي : أَنَا لَسْتُ بِقَادِمٍ غَدًا ؟ .

◆ الْعِبَارَةُ الثَّانِيَّةُ أَقْوَى فِي نَفْيِ الْمَجِيءِ .

◇ وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْقُوَّةُ مِنَ الْحُرُوفِ الزَّائِدَةِ الَّتِي هُوَ «النَّبَاءُ» .

◆ وَمَتَى تُزَادُ «مِنْ» فِي الْكَلَامِ ؟ .

(١) سورة فصلت الآية ٤٦ .

◇ تُرَادُّ « مِنْ » فِي الْكَلَامِ بِعِدَّةِ شُرُوطٍ .

◆ وَمَا هِيَ ؟ .

◇ أَوَّلُهَا : أَنْ يَتَقَدَّمَهَا نَفْيٌ نَحْوُ « مَا جَاءَنِي مِنْ أَحَدٍ » .

◆ وَثَانِيهَا ؟ .

◇ وَثَانِيهَا : أَنْ يَتَقَدَّمَهَا نَهْيٌ نَحْوُ « لَا يَقُمْ مِنْ أَحَدٍ » .

◆ وَثَالِثُهَا ؟ .

◇ وَثَالِثُهَا : أَنْ يَتَقَدَّمَهَا اسْتِفْهَامٌ يَهْلُ نَحْوُ : « هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ »^(١) .

◆ وَالرَّابِعُ ؟ .

◇ وَالرَّابِعُ : أَنْ يَتَقَدَّمَهَا شَرْطٌ كَمَا فِي قَوْلِ زُهَيْرٍ الَّذِي أوردته .

◆ وَالْخَامِسُ ؟ .

◇ وَالْخَامِسُ : أَنْ يَكُونَ الْإِسْمُ الَّذِي تَدْخُلُ عَلَيْهِ نَكْرَةً كَمَا فِي الْأَمْثَلَةِ السَّابِقَةِ جَمِيعِهَا .

◆ وَلَكِنْ ...

◇ وَلَكِنْ مَاذَا ؟ .

◆ وَلَكِنْ كَيْفَ تُفَرِّقُ بَيْنَ « مِنْ » الْأَصْلِيَّةِ وَ « مِنْ » الرَّائِدَةِ ؟ .

(١) سورة فاطر الآية ٣ .

◇ بِسَاطَةِ بَالِغَةٍ ، فَعَلَامَةُ « مِنْ » الرَّائِدَةِ أَنَّكَ إِذَا أَشَقَطْتَهَا مِنَ الْكَلَامِ لَمْ يَخْتَلْ مَعْنَاهُ .

◆ إِذَا أَشَقَطْتَهَا مِنَ الْكَلَامِ لَمْ يَخْتَلْ مَعْنَاهُ ١٢ .

◇ نَعَمْ ؛ فَفِي وَسْئِكَ أَنْ تَقُولَ : « لَا يَقُمْ أَحَدٌ » ، وَأَنْ تَقُولَ : « لَا يَقُمْ مِنْ أَحَدٍ » ... أَمَّا « مِنْ » الْأَصْلِيَّةِ ؛ فَلَا تَسْتَطِيعُ إِسْقَاطَهَا مِنَ الْكَلَامِ ؛ إِذْ لَيْسَ فِي وَسْئِكَ أَنْ تَقُولَ : شَرِبْتُ الْبِشْرَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِكَ : شَرِبْتُ مِنَ الْبِشْرِ .

◆ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ .

◇ آمِينَ .

* * *

◆ أَبَتِ ، وَمَاذَا عَنْ طُرْفَةِ الْجَلْسَةِ ؟ .

◇ كُلُّ خَيْرٍ ... كُلُّ خَيْرٍ يَا بُنَيَّ : جَاءَ فِي زَهْرِ الْأَدَابِ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ أَشْعَبَ قَالَ لَهُ : لَوْ صِرْتَ إِلَيَّ تَسْمُرُ وَتُصِيبُ عِنْدَنَا طَعَامًا !! .
قَالَ : أَخَافُ أَنْ يُكَدِّرَ مَجْلِسَنَا ثَقِيلٌ .
قَالَ : لَيْسَ مَعَنَا ثَالِثٌ .

ثُمَّ مَضَى مَعًا ، حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى الْمَنْزِلِ وَاسْتَرَاخَا فِيهِ ، دَعَا صَاحِبَهُ بِالطَّعَامِ ، فَإِذَا طَارِقٌ يَطْرُقُ الْبَابَ ، فَقَالَ أَشْعَبُ : أَرَانَا صِرْنَا إِلَى مَا نَكْرَهُ .
فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، إِنَّ الَّذِي بِالْبَابِ لَصَدِيقٌ ، وَإِنْ فِيهِ عَشْرَ خِصَالٍ إِنْ كَرِهْتَ وَاجِدَةً مِنْهُمْ لَمْ آذِنْ لَهُ .
قَالَ : هَاتِ ...

فَقَالَ : أَوَّلُهَا أَنَّهُ صَائِمٌ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ .
فَقَالَ أَشْعَبُ : التَّشْعُّ لَكَ ، قُلْ لَهُ يَدْخُلُ .

* * *

فهرس ألف بائي للألفاظ التي تلحن بها العامة

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٣٢٥	أَشْجَاهُ	٤٦٧	اِخْتَضِرَ
٢٩٩	أَضَحَتْ، مُضْجِيَّةٌ	٢٨٦	اِخْتَلَى
٤٧٦	أَضَفْتُ	٤٦٦	اِسْتَشْهَدَ
٤٦٢	أَطَلَّ	٤٦٧	اِسْتَقْبَعَ
٤٤٨	أَغْتَفْتُ	١٤٤	أَجَاجَ
٣١٠	أَعْتَنَهُ	٤٣٦	أَجْبَزْتُ
٣١١	أَغْيَيْتُ	٢٩٩	أَخْضَرَ
٣٣٩	أَغَاثَ	٤٤٧	أَحْمَيْتُ
٤٦٣	أَغَارَ	٢٩٨	أَخْرَاهُ
٤٣٦	أَغْلَقَ	٣٣٩	أَخْلَفَ
٤٦٧	أُغْيِي	٣٥٣	أَذَانَ
٣١١	أَقْبَرْتُهُ	٤٧٦	أَزَانِي
٤٣٥	أَقْلَلْتُ	٤٦٧	أَزَيَّجَ
٢٩٩	أَمْسَكْتُ، أُمَيْكُهُ	١٧٨	أَزْسَلَ
١٥٢	أَمْضَى	٩٦	الْأَمْرَةُ
٢٦٠	أَنْشِيرُهُ	٣٢٥	أَشْفَرَ
٢١٨	الْأَنْمَلَةُ	٤٦٧	أَشْقَطَ
٣٧٩	أَهْدَيْتُ	٣٦٦	أَشَادَ

١٢٦	جُدَّة	١٤٤	إِهْرَاع
٢١٩	جُدُد، جُدْد	١٤٤	إِهْصَاع
٢٠٤	الْجِرَاب	٣٣٨	أَهْمَنِي
٣٩٢	جَفَوْتُ	٣٧٣	إِخْوَان، إِخْوَة
٥٧	جِلْد	٢٠٤	إِزْمِينِيَّة
٤٢١	جَلَوْتُ	٥٧	يَمْر
٢٤٥	جَمَد	٢٣٣	بِرَزْتُ
١٩٢	الْجِنَارَة	٢٣٣	بَشِشْتُ
٢٤٦	جَهْدْتُ	١٩٢	الْبُطِيخ
٢٤٦	حَرَضْتُ	١٧٨	بَعَث
٥٧	حَطَب	٤٠	بَغَض
١٤٤	حَلَّة	٥٨	بُكَاء
٤٤٨	حَمِيْتُ	٢٣٢	تَلَع
٣٩٢	حَنَوْتُ، حَنَيْتُ	٤٦٦	بُيْتُ
٥٧	خَذَر	١٤٤	تَبَر
٢٩٨	خَزَاه، يَخْزِيهِ	٢٥٩	تَبَرِقُ
١٢٦	خُقَّاش	٥٨	رَاب
٢٨٦	حَلَا	٥٢	التَّوَجَّمَة
٣٤٠	خَلَف	٢٠٤	التَّوَنَافُ
٥٧	خِوَان	٢١٩	تَل
٣٥٣	ذَان	٥١	التَّغْرِيب
٢٢٠	دُنْقَة	١٦٣	التَّنْرَة
٤٢١	ذَنَوْتُ	١١١	تَنَفَس الصُّعْدَاء
٢٠٤	الدُّهْلِيْر	٢٥٩	تَهْمَع
٢٤٥	ذَبَل	٥٨	نَزَى
٤٧٧	زَاقَنِي	٤٣٧	حَبْرَة

٤٦٢	طَلُّ	٣٥٣	رَجَفَتْ
١٢٦	طَلَاوَةٌ	٢٠٣	رَخْوٌ
٩٦	الْعَائِلَةُ	٨١	رَضَخَ
٢٧٤	عَبْتُ	٢٧٤	رَفَذَتْهُ
٤٤٨	عَنَقَ	١٤٤	رُقْفَةٌ، الرِّفْقُ
٢٤٦	عَجَزَ	٥٧	رَكِيئَةٌ
٤٢١	عَفَوْتُ	٥٧	رُمَحٌ
٣١٠	عَيْثُهُ	٢٠٤	الرَّوْاقُ
٤٠٧	عَنَوْتُ، عَنَيْتُ	٥٧	رُجَاجَةٌ
٤٦٦	عُغِي	٢٣٢	زَرَدٌ
٥٨	عَوِيلٌ	٤٦٦	زُهْمِي
٣١١	عَيْثُ	٥٧	بِشْرٌ
٣٣٩	عَاثَ	٢١٨	الشُّعُوطُ
٤٦٣	عَارَ	٣٢٥	سَفَرٌ
٤٠٦	عَذَرْتُ	٢٣٣	سَفِيفْتُ
١٤٤	الْعَرَالَةُ	٤١٢	سَحِطَ فِي يَدِهِ
٤٠	عَئِرٌ	٢١٨	سَلُوقِي
٥٧	فَزَوْ	٣٦٧	شَادَ
١٣٨	قَاصِرٌ	٣٢٤	شَجَانِي
٤٠	قَاطِبَةٌ	١٤٤	شَجِيحٌ
٢١٨	قَبُولًا	٢٧٤	شَعْلَتُهُ، شَعْلَةٌ، يَشْعَلُهُ
١٤٣	الْقِرْطَاسُ	٢١٩	شَلْتُ
٢٢	قَطُّ	٢٩٩	صَحَا
٤٣٦	قَفَلَ	١٩٢	صَعِدَ
٥٧	الْقَنَاءُ	٤٧٦	ضِفْتُ
٥٧	كَأَسَ	١٤٣	الْخُرْسُ

١٢٧.....	نُصِبَ	٤٠.....	كَأَنَّهُ
١٩١.....	نُضِجَ	٢٤٥.....	كَفَلٌ، كَفَلٌ
٢٧٤.....	نَعَشَهُ	٤٠.....	كُلٌّ
٢٣٣.....	نَفِدَ	٥٧.....	كُوبٌ، كُورٌ
٢٢٠.....	النُّفَاوَةُ	٢٣٣.....	لَجِجْتُ
٢٤٦.....	نَقَّهَ	٢٣٢.....	لَجِشْتُهَا
٢٣٣.....	نَهَكَهُ	٢٣٢.....	لَبِثْتُ
٣٩٣.....	هَجَزْتُ	٥٧.....	مَائِدَةٌ
٣٧٩.....	مَدَيْتُ	١٩٢.....	الْمَيْبُزْدُ
٤٥١.....	الْمَهْرُجُ	١٤٤.....	مُحَجَّلٌ
٤٣٩.....	هَلَمَ	١٩٢.....	الْمِخْرَزُ
٣٣٩.....	هَمَّيْنِي	٤٥٢.....	الْمَرْجُ
٢٣٣.....	وَدِدْتُ	٢٠٤.....	الْمِرْقَنُ
٢٠٤.....	الْوِشَاحُ	١٩٢.....	الْمِرْوَحَةُ
٥٧.....	وَقُودٌ	٢٠٤.....	الْمِشْبِشُ
١٩٢.....	يَزِجُّ	٢٣٣.....	مَصِصْتُ
٢٦٠.....	يَشْتُهُ	١٥٢.....	مَضَى
٢٥٩.....	يَلْمُسُهُ	١٩٢.....	الْمُعَرِّذَتَيْنِ
٢٦٠.....	يَمَضُّهُ	١٣٨.....	مَقْصُورٌ
٦٦.....	يَنْبِنِي	١٩٣.....	مُلْحَقٌ
٢٦٠.....	يَنْجِيَهُ	١٩٢.....	الْمُنْدِيلُ
٢٦٠.....	يَنْسِجُهُ	١٩٢.....	الْمِنْسَرُ
٢٦٠.....	يَنْبِقُ	٣٣٩.....	مِهْمٌ
		١٤٤.....	النَّادِي
		٢٤٦.....	نَحَلٌ
		٢٣٣.....	نَشِيقْتُ

فهرس مسائل العربية

التصنيف

الصفحة

ما تضعه العامة في غير موضعه	٢٢ ، ٥١ ، ٦٥ ، ٨٠ ، ٩٥ ، ١١٠ ، ١٣٨ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٧٧ ، ٣٧٢ ، ٤٥١
لا تدخل عليها «أل» التعريف	٣٩
لا يقال كذا إلا إذا كان كذا	١٤٣ ، ٥٧
ما جاء أوله مضمومًا ويفتح أو يكسر	١٢٦
ما جاء مكسورًا ويفتح	١٩١
ما جاء مكسور الأول ويفتح أو يضم	٢٠٣
ما جاء مفتوحًا ويضم	٢١٨
ما جاء مضمومًا ويفتح	٢١٩
ما جاء على وزن «فَعِلْتُ» بكسر العين وتفتح	٢٣٢
ما جاء على وزن «فَعِلْتُ» بفتح العين وتضم أو تكسر	٢٤٥
ما جاء على وزن «يَفْعُلُ» بضم العين والعامة تلحن به	٢٥٩
ما جاء على وزن «يَفْعِلُ» بكسر العين والعامة تلحن فيه	٢٦٠
ما جاء على وزن «يَفْعَلُ» بفتح العين والعامة تلحن به	٢٦٠
ما جاء غير مهموز ويهمز	٢٧٣ ، ٢٨٦ ، ٣٢٤

- ما جاء على وزن «أَفْعَلْتُ» ولا تهمز ٢٩٨ ، ٣١٠ ، ٣٣٨ ، ٣٥٢ ، ٣٦٦ ،
 ٣٧٩ ، ٤٣٥ ، ٤٤٧ ، ٤٦١ ، ٤٧٦
- ما جاءت من الأفعال واوية وتستعمل يائية ٣٩٢ ، ٤٠٦ ، ٤٢١
 أفعال تلزم البناء للمجهول ٤١٢ ، ٤٦٥
- حروف الزيادة ٣٤٤ ، ٤٨٠
- أفعال تتعدى بنفسها وبحرف الجر ٤٢٥

فهرس المعارف العامة

<u>التصنيف</u>	<u>الصفحة</u>
ضروب الأصوات وحالاته	٨٧
في أصوات الطيور	١٩٦
في أصوات ذات الظلف	٢١٠
في تفصيل أصوات السباع والوحوش	٢١٠
أسماء الأصوات حسب مصدرها	٢٢٣
في أصوات المكرويين والمرضى	٢٣٨
براعة الطلب	٣١٦
الرياح ونعوتها	٢٧
مراحل عمر الإنسان	٤٣
ضروب سير الإنسان ومراتبه	٧٠
حالات النظر وصفاته	١٠١
أسماء أوائل الأشياء	١١٥
أوصاف الخيل	١٣٠
في التعبير عن البكاء	١٥٦
مواضع خروج الماء	١٦٨

١٨٢	في حسن المرأة والرجل
١٨٣	تقسيم الحسن على الأعضاء
٢٧٩ ، ٢٦٦ ، ٢٥١	في الألوان
٢٨٩	في محاسن النطق وفصاحة اللسان
٢٩٠	عيوب الكلام
٣٠٣	في الكنايات
٣٢٩	في أشراف الناس وسفلتهم

الفهرس

الموضوع	الصفحة
• تصدير	٥
• نبذة عن المؤلف	٧
١ - قِيَمَةُ اللُّغَةِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ	١١
٢ - أُمُّ جَمِيعِ اللُّغَاتِ	٣١
٣ - الْإِفْتِرَاءَاتِ عَلَى اللُّغَةِ وَمِنْ أَيْنَ تَأْتِي	٤٥
٤ - حَيَاةُ اللُّغَةِ وَانْتِشَارُهَا	٥٩
٥ - أَبْجَدِيَّةُ اللُّغَةِ	٧٥
٦ - اللُّغَةُ وَجِهَازُ النُّطْقِ الْإِنْسَانِي	٩١
٧ - اِئْتِكَازُ عِلْمِ الْأَصْوَاتِ	١٠٥
٨ - كَيْفِيَّةُ تَكْوِينِ الْحُرُوفِ	١١٩
٩ - الْقِيَمُ التَّعْبِيرِيَّةُ لِلْحُرُوفِ	١٣٣
١٠ - الدَّلَالَةُ الصُّوْتِيَّةُ لِلْحُرُوفِ	١٤٧
١١ - أَوَّلُ كِتَابٍ عَرَبِيٍّ بِالْحَرْفِ اللَّاتِينِيِّ	١٥٩
١٢ - الدَّعْوَةُ إِلَى إِحْلَالِ الْحَرْفِ اللَّاتِينِيِّ مَحَلَّ الْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ	١٧١
١٣ - حُرُوفُ الْحَرَكَاتِ	١٨٥
١٤ - كِتَابَةُ اللُّغَاتِ بِالْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ	١٩٩
١٥ - مَوْتُ الْأَلْفَاظِ	٢١٣

٢٢٧	١٦ - مَقَائِيسُ الْكَلَامِ
٢٤١	١٧ - نَمَطُ فَرِيد
٢٥٥	١٨ - الْمُعْجَزَةُ اللُّغَوِيَّة
٢٦٩	١٩ - التَّأْيِيرُ الإِلَهِيُّ فِي اللُّغَةِ
٢٨١	٢٠ - لُغَةُ الْحَضَارَةِ
٢٩٣	٢١ - الْأَلْفَاظُ وَالْمَعَانِي
٣٠٥	٢٢ - الْإِنْسِجَامُ الصَّوْتِيُّ وَبِنَاءُ الْأَلْفَاظ
٣١٩	٢٣ - حِصْنُ اللُّغَةِ
٣٣٣	٢٤ - الدَّلَالَاتُ الْمُوسِيقِيَّةُ وَاللُّغَةُ
٣٤٧	٢٥ - السَّعَةُ الْمُعْجَمِيَّةُ لِلُّغَةِ
٣٦١	٢٦ - خَاصِيَةُ الْإِشْتِقَاقِ
٣٧٥	٢٧ - مَزَايَا الْإِشْتِقَاقِ
٣٨٧	٢٨ - لُغَةُ مَنْطِقِيَّةٌ قَوَاعِيدُهُ
٤٠١	٢٩ - تَوْليدُ الْأَلْفَاظِ
٤١٥	٣٠ - إِذْرَاكُ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ الْمَجْهُولَةِ
٤٢٩	٣١ - مَعْرِفَةُ الْأَصِيلِ مِنَ الدَّخِيلِ
٤٤١	٣٢ - ضَوَائِطُ تَمْيِيزِ الدَّخِيلِ مِنَ الْأَصِيلِ
٤٥٥	٣٣ - اللُّغَةُ وَكَيْفِيَّةُ تَقَبُّلِهَا لِأَلْفَاظِ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى
٤٦٩	٣٤ - قُدْرَةُ اللُّغَةِ عَلَى اسْتِيعَابِ مُسْتَحْدَثَاتِ الْحَيَاةِ الْمُتَطَوِّرَةِ
٤٨٣	● فهرس ألف بائي للألفاظ التي تلحن بها العامة
٤٨٧	● فهرس مسائل العربية
٤٨٩	● فهرس المعارف العامة

كتب للمؤلف

نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد

هذا الكتاب سلاح لمقاومة ما نتعرض له من عزو فكري ووجداني وحضاري.. ودرع واقٍ يقف في وجه التيار الجارف للمذاهب الأدبية المنبثقة عن نظرة أصحابها إلى الإنسان وما حوله.. لقد عرض المؤلف أهم المذاهب الأدبية وموقف الإسلام منها، وموقف الإسلام من الأدب بعامة ومن الشعر بخاصة، والخصائص العامة لهذا المذهب الأدبي الذي نسعى له.. وقد خلص المؤلف إلى رسم منهج لمذهب إسلامي في الأدب والمقدّم لنا وضع المعايير والمقاييس؛ لمعرفة الغث من الطيب.

* * *

شعر الدعوة في العصر النبوي

حظيت أغراض الشعر العربي واتجاهاته بدراسات كثيرة وافرة؛ فتناول الدارسون فيما تناولوه: المديح، والهجاء، والغزل، والخمر، والمجون، والتفانض، والظرد، وغير ذلك من الموضوعات لكنّ شعر الدعوة الإسلامية؛ الذي اتقدت شعلته مند بزوغ فجر الإسلام إلى يومنا الحاضر؛ لم يلق شيئاً من العناية التي لقيتها أغراض الشعر الأخرى. وقد حدّد المؤلف المراد بشعر الدعوة بشكل عام، واعتنى به في العصر النبوي بشكل خاص.. حيث بيّن مصادره، وتكلم عن ما أثّر من شكوك في صحته.. إن هذا الكتاب بمثابة النواة الحقيقية لموسوعة أدب الدعوة الإسلامية؛ التي تبنتها كلية اللغة العربية بالرباط؛ والتي تمت تحت إشرافه وتوجيهه.. فلم يكن لهذه الموسوعة الأثر الملموس في تغيير بعض المسلمات الأدبية الخاطئة فحسب؛ بل إنّها قلبت تلك المسلمات الأدبية قلباً.

* * *

صور من حياة الصحابة - المجلد الأول والثاني

الطبعة الفرعية

يعرض صوراً من حياة مجموعة من نخوم الهداية التي نشأت في أحضان المدرسة المحمدية؛ بأسلوب جمع بين البلاغة الأدبية، والحقيقة التاريخية.. فيحد طالب الأسلوب الإنشائي في هذا الكتاب بغيته، وناشد الفن القصصي طليئته، والساعي إلى التأسي بالكرام ما يرضيه ويفنيه، والباحث عن الحقيقة التاريخية ما يفي بغرضه.

* * *

صور من حياة الصحابيات

هذا الكتاب يجوب بنا في رحاب حياة المرأة المسلمة التي عاشت في كنف الرّسول الكريم ﷺ من خلال صور واقعية؛ تعبر عن منهج الإسلام القويم الذي وضع الأسس لحقوق المرأة وواجباتها.. فتحتّ ظلّه بايعة على ما بايع عليه الرجال، ورسمت أسى

معاني البذل والعطاء في سبيل ذلك ولم تقتصر خصائل المرأة المسلمة على أنها مؤمنة راسخة الإيمان، وزوجاً وأماً من الطراز الأول، ربت فأحكمت وأصببت فاحتسبت.. بل كانت فوق ذلك كله مجاهدة في سبيل الله.. فخاضت المعارك وضدت الجراح، وحملت الزاد وأصلحت السهام، وسكبت الماء في حلوق العطاش وهم يجودون بنفوسهم في سبيل الله.. إنها حياة المرأة المسلمة بكل ما فيها من سمو وفخار.

* * *

صور من حياة التابعين

طبعة جديدة متقنة

يعرض صوراً واقعية مشرقة من حياة مجموعة من أعلام التابعين الذين عاشوا قريباً من عصر النبوة، وتعلمذوا على أيدي رجال المدرسة المحمدية الأولى.. فإذا هم صورة لصحابة رسول الله ﷺ في رُسوخ الإيمان، والتعالي عن غرض الدنيا، والتفاني في مرضاة الله.. وكانوا حلقة محكمة مؤثرة بين جيل الصحابة رضوان الله عليهم وجيل أئمة المذاهب ومن جاء بعدهم. وقد قسمهم علماء الحديث إلى طبقات، أولهم من لحق العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم من لقي صغار الصحابة أو من تأخرت وفاتهم.

* * *

العدوان على العربية عدوان على الإسلام

طبعة مزبدة ومتقنة

ألقى الأضواء على الحرب التي شنها الأعداء على لغة القرآن؛ تارة في السر وأخرى في العلن.. وناقش الخجج التي أطلقها الخصوم تحت ستار التجديد والإصلاح.. وبَيَّن تَفَرُّد هذه اللغة وتَمَيُّزها عن غيرها من لغات الأرض، وقدرتها على الوفاء بمتطلبات الحياة، والتهوض بأعباء الحضارة. كما وضح الدكتور الباشا حق أبنائنا علينا في الذود عن لغتهم، وصيانة فصاحتها من أن تمتدَّ إليها يدُ التشريف والتبديل.. وأن نجاهد من أجلهم كما جاهد آباؤنا من أجلنا.. لأنَّ العدوان على هذه اللغة إنما هو عدوان على الإسلام.

* * *

فن الامتحانات بين الطالب والمعلم

للامتحانات أهمية كبرى في مختلف المراحل التعليمية.. من هذا المنطلق أوضح المؤلف للمُعلِّم مهمة الامتحانات وأنواعها، ومكائنها، ومواطن صلاحها. كما وجه الطالب إلى الطريقة المثلى التي يعدُّ بها العدة للامتحانات، بمختلف مراحلها الدراسية.. بدءاً بالاستعداد للامتحانات، والذي يعتمد على كيفية جني ثمار ما قد بذله الطالب من جهد خلال عامه الدراسي، وانتهاءً بورقة الإجابة والعوامل المؤثرة في تقدير الدرجة، مما يمهد الطريق للنجاح.

* * *

فن الدراسة

إِنَّ تَعَلُّمَنَا كَيْفَ نَدْرُسُ دراسةً فعالةً لأبعدُ أثرًا وأعظمَ خطرًا من اكتساب المعلومات.. فالدراسة فنٌّ يَهْدَفُ إلى تعليم الطالب: كيف يفكر، ويناقش، ويلاحظ. وكيف يحلل، وينظم، ويركز. وكيف يستوعب، ويختزن، ويطبّق. إن هذا الكتاب يُعرِّف الطلاب الطريق الأمثل للنجاح والتفوق.. رَيِّزُهُم أمامهم السُّبل واضحة؛ لينالوا حدًّا أعلى من الفائدة؛ ببذل حدٍّ أدنى من الجهد.

* * *

أرض البطولات

رواية تاريخية تعرض قصة من قصص كفاح أمتنا؛ كتبها شعبنا المؤمن بشفرات السيوف، وخبرها بزكي الدماء ضد المستعمر.. فزمنها هو ربع القرن الذي أعقب الحرب العالمية الأولى، ومكانها هو تلك الربوع الشامية، وأشخاصها مواطنون معروفون. وقد كَتَبَتْ هذه القصة بلغةً فصحةً؛ ليكون في ذلك بلاغٌ لأولئك الذين يشيعون بين الناس أن هذا الفن من القول لا يسلس إلا للعامية، ولا يُؤدّي إلا بها.

* * *

الطريق إلى الأندلس [لمحات وقطوف]

لم يكتمل قرن واحد من الزمان بعد هجرة النبي ﷺ حتى أظلت رايات الإسلام أصقاعًا شاسعة من هذه الدنيا، وكان منها الأندلس.. لم يكن الطريق إلى الأندلس ممهّدًا ولا سهلاً.. فقد سلكه المسلمون بتخطيط واعٍ، وإعداد جاد، وعمل دءوب.. وبذلوا في سبيله النفس والنفيس. لقد عرض المؤلف بأسلوبه القصصي الشيق أهم معالم هذا الطريق، بداية من حصار حصن بابليون في مصر، إلى أن عبروا مضيق جبل طارق، وما بين هذين المكانين من أحداث. لقد كان الطريق إلى الأندلس طريقًا إلى الله، ولله.. وقاد السابقون الأولون حقه، وتركوا للأجيال من بعدهم الأسوة والقُدوة؛ لعلهم يقتدون.

* * *

البطولة

للبطولة مقوّمات قد لا توجد عند كل شجاع.. وللشجاعة سمات قد يتحلّى بها قُطّاع الطرق.. فهل البطولة هي الشجاعة؟! وهل كل شجاع بطل؟!.. إن هذا الكتاب محاولة واعية جادة لإبراز جلال معنى البطولة وسمو قيمتها، تبدأ بالنظرة اللغوية لتنتقل إلى النظرة الموسوعية. لقد حدد المؤلف للبطولة إطارًا أبرز من خلاله أهم معالمها، والبواعث التي تبعث عليها، وضرب لكل باعث منها قصة حقيقية واقعية من تاريخنا الثري الغني. إن هذا الكتاب قدوة في سلامة الفكر، واستقامة القصد، ونبل الغاية، وصفاء اللغة، وإيجاز العبارة، ووضوح التعبير.

* * *

حدث في رمضان

وقفات تاريخية بأسلوب قصصي ممتع، رصدت بعض الأحداث التي وقعت في شهر رمضان المبارك.. وشهد فيه العالم الإسلامي أياماً متنوعة.. منها الحزينة التي لا تذهب الأيام بمرارتها.. وأياماً أعز الله فيها المسلمين من هوان، وقواهم من ضعف، وأعلى في هذا الشهر الكريم رايات الإسلام، ورفع في أيامه أعلام القرآن.. فحبذا رمضان، وحبذا أيامه الغر الميامين.

* * *

الدين القيم

أثار قضية من أهم القضايا المؤثرة في حياة البشرية ألا وهي المنهاج الذي يرسم الطريق لجوانب حياتها، ويوائم متطلبات جسدها ونوازع روحها.. وأنَّ الإنسان بأهوائه وعلمه وعقله؛ عاجز كل العجز على أن يضع هذا المنهاج الشامل الذي يصلح للبشرية كلها في سائر أجيالها.. وقد حسم المؤلف هذه القضية بأن هذا المنهاج هو الدين بمنطق لا يحتمل الجدل. وتطرق في هذا الكتاب إلى أهم العلاقات الإنسانية المؤثرة في أي مجتمع كان، والتي نظمها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً.. وتبيّن الفارق العظيم بين مدينة الإسلام التي فاضت بالخير والبر؛ حتى بلغت ترفاً، وتبيّن مبادئ الحضارة الغربية التي لا ينعم بها الملونون الغربيون أنفسهم..

* * *

من آثاره المترجمة إلى الإنجليزية:

كتاب "صور من حياة الصحابة" المجلد الأول = Portraits from the Lives of the Companions (3 Vol. Set)

Translator: Alexandra S. al-Osh

Editor: Osama Muhammad Raslan

كتاب "الدين القيم" = The True Religion

Translator: Dr. Sameh M. Asal

Editor: Reima Shakier

هذا الكتاب

لغة أهمية كبرى في تكوين الأمم وحفظ كيانها من الضياع؛ فهي الأساس
الذي تروى عليه وعاءهم وحديثهم والمعالم الذي يحدد شخصياتها...

واللغة العربية بخاصة ليست قومية غسبية؛ وإنما هي لغة وبنية
أيضاً... فهي لغة قرآنا العظم، ودعاء وبنينا الفويم، وخرانة تراشنا
الرومي والعقالي... ذلك ما قد نبته اليه الدكتور الباشا - رحمه الله - في كتابه
هذا؛ مستنهضاً الأهملة تقاسمها وبراغوارها.

حيث وازن بين اللغة العربية وغيرها من اللغات؛ مبدياً ما انمازرت به
على سائر لغات الأرض من خفساتهم عبر قرية بجمعهاها لغة المستقبل.

وقد أشار المؤلف - رحمه الله - إلى ما يقاوم من المائتي ألف كلمة فيها اللحن
وبين صوابها... كما أورد طائفة من الألفاظ التي تشهد لهذه اللغة بغنى
مفرداتها ودقة أواظها؛ مما يجعل منها ثروة من المصطلحات للعلماء، ووسيلة
للكاتبين والشعراء.

لقد ساق الدكتور الباشا - رحمه الله - ذلك كله في أسلوب محواري فريد؛ جمع العمق
والدقة، إلى الوضوح والبساطة، مع اللطافة والمصاحبة...

فالكتاب في مجمله؛ بعث للتراث وتقويم اللسان، وتعزيز اللغة المستقبل.

يكان من عبد الرحمن الباشا

